

المجلد

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
آتاه خير كثير وما يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و منارا ، كثر الطريق

مصر ٢٩ شعبان ١٣٣٤ — ٨ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ٣٠ يونيو ١٩١٦

فاتحة السنة التاسعة عشرة للهنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الحمود على كل حال ، عالم الغيب
والشهادة الكبير المتعال ، قوي الحال عظيم النوال ، تعطي من تشاء ولوبغير
سؤال ، وتحول ما شئت من حال الى حال ، قوة بعد ضعف ، وغنى بعد
فقر ، وعز بعد ذل ، وكل ضد يعقبه ضد ، فما رفع الله شيئا الا وضعه ،
ولا وضع شيئا الا رفعه ، وكل شيء عنده بمقدار (١٣ : ١٢) إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ
مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ
وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَال ()
نحمدك اللهم بالغدو والآصال ، ونصلي ونسلم على محمد خاتم رسلك وآله

وصحبه خير صحب وآل، وعلى من تقدمه وتقدمهم من النبيين والمرسلين، ومن تأخر عنهم من الصديقين والشهداء والصالحين، واهدنا اللهم صراطهم المستقيم في الدنيا من الاخلاق والاعمال، (١٤: ٢٣ من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق)

أما بعد فإن المنار يذكر قراءة على رأس عامه التاسع عشر، بأن يعتبروا بما نزل بأقوى أمم البشر، من آثار عزته تعالى وقوته، ومظاهر عدله وحكمته، الدالة على أنه هو الذي يغير ولا يتغير، ويبدل ما شاء بما شاء ولا يتبدل، وأن الأمن من مكره غرور ووبال، والقنوط من رحمته كفر وضلال، وأن القوة لا تغلب الحق، ولكنها قد تكون بالحق والحق ومن الحق، وإن الحق ليس بمجرد دعوى اللسان، ولا مجرد ما يجري عليه الناس من عرف واصطلاح، فحق الملك وسياسة العباد، لا يجب أن يورث عن الآباء والاجداد، وإنما أحق الناس بأمر الناس، من كان أنفعهم للناس، وإقامة سنن الله تعالى في الاجتماع (١٨: ١٣) أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً راييا، ومما يُوقنون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال)

ثم يذكرهم على عادته بما طرأ على سير الاصلاح، بعد أن خففت أصوات الممارسة في جميع الاقطار، وهو شيء حدث في هذه الديار، ذلك بأن فيها كغيرها أناسا اعتزوا بمظاهر القوة المادية، فاحتقروا قوى العقائد والفضائل الروحية، وفتنوا بتقليد الأقوياء بما هو من آفات القوة

ومفاسدها، لا من أسبابها ولا من محامدها، كالسرف في الزينة والترف، والافتقار في الشهوات واللذات، وأعجب أمرهم أن منهم من يدعوون الدعوة إلى الإصلاح، والصمود بالضعفاء إلى مستوى الأقوياء، أولئك هم الملاحدة المتفريجون، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وإنما حاجتهم على عامة المسلمين، سوء حال كثير من المعممين، وتذللهم للامراء والحاكمين، وذمهم بعصية الدين، وإن هؤلاء الملاحدة لقوة من غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يقترون بها، وإن منهم من يكيده للمؤمنين مكاييد لا يفطنون لها، وإن للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون عنها، وإنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه، فإذا قذف عليه دمه، وإن بقاء الباطل لا إلى زوال (٢٥: ٤٠ وما كيد الكافرين إلا في ضلال)

قد كان ملاحدة قطننا هذا أجبن ملاحدة المسلمين وأخوفهم من اظهار الكفر، على كونهم أجراهم على الجهر بالفسق، ثم تجرأ أفراد منهم منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد، بعد طول المهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس، ومنهم من ألف كتباً أو رسائل في ذلك، ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون على تشكيك الناس في الإسلام وجذبهم إلى الإلحاد، والطعن في عقائد الدين وآدابه وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء. وأنشأوا لهم صحيفة لدس الدسائس، وبث الوسائس، وتوجيه العناية فيها إلى نابذة المدارس، وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم والصد عنه، والتنويه بالجديد والترغيب فيه، وإن لهم لأنصاراً في القصور والدواوين، وفي المدارس وأكبر معاهد الدين، وقد استفادوا من تقييده

حرية المطبوعات بسبب الحرب، ما كفوا به أقلام من تصدَّى لأجباط بعض
 دسائسهم من أهل الحق، وأنهم ليختلبون ألباب المختلين من الشبان والشابات،
 بما ينمقون من زخرف الشبهات، (٢: ٢٠٣) ومن الناس من يُعجبك قوله
 في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الدُّخَانُ الخِصَامُ ٢٠٤ وإذا تولى
 سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)
 فبهذا قد وجب على أهل الإصلاح أخذ الالهة لجهاد جديد، هو
 أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد، فان أصحاب الخرافات عزَّل
 وهؤلاء الملاحدة مسلحون، وأولئك ضعفاء متفرقون، وهؤلاء أقوياء
 مجتمعون، وأولئك غافلون متواكلون، وهؤلاء أيقاظ حذرون، فاذا جاهد
 أهل الإصلاح أباطيلهم بمثل ما يجاهدون به الحق، من الاجتماع والتعاون
 والحزم، كانوا حزب الله الغالبين (وليتصرن الله من ينصره إن الله
 لقوي عزيز ٤٠: ٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم
 يقومُ الأشهاد ٥٢ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهمُ العنة ولهم سوء الدار)
 إن هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد
 الدينية ماداموا يدعون الاسلام بالسنتهم، بل لا يعدمون هنالك أولياء
 وأنصاراً لهم، لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الاعمال، من رابطة
 التناسب والاتصال، ويقال ان الجمعية الاتحاد الجديدة ركنا في الأزهر
 ركيناً، وإنهم بذلك أو شكوا ان يحدثوا فيه حدثاً مبيناً، ولكنهم لم يصيبوا به
 الا خذلاناً وفشلاً مبيناً، ولان كلامهما يؤثر المنافع الخاصة، ويتوصل اليها
 بما في يده من المصالح العامة، ولان أكثر الأزهريين، لا يُعنون بالنظر
 في مكتوبات المتفرجين، وما كل من ينظر فيها، يفهم المراد منها، وما

كل من يفهم أن فيها طعناً على الدين يهتم بالدفاع عنه ، وما كل من يهتم منهم بذلك يقدر عليه ، وما كل من يقدر عليه يقوم به . — لأجل ذلك كله لا يحسب هؤلاء الملاحدة للآزهريين حساباً ، وقد يكذب الآزهر ظنهم فيه كيداً اباً ، وإنما يخافون من رجال الإصلاح سواء كانوا من الآزهر أو من غير الآزهر لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم ، وتقليم أظفارهم ، ولأن كل ما يزعمونه ويتقربون به الى الامة من السعي الى ترقيتها وتمدينها ، قد سبقتهم اليه طلاب الإصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها ، وإنما أركانها الدين واللغة والعادات والازياء ، وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء .

واضرب لهم مثلاً ما قاله أحد الظرفاء مفادها للاستاذ الامام — وهو في مرض موته — قال : ان طريقتك في تفسير القرآن قد أضرت الامة أعظم الضرر ! قال الاستاذ لماذا ؟ قال لأنها أبانت للناس أن الدين موافق للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى انه عقبة في سبيل ترقينا في دنيانا . فمن هذه الجملة التي عبر قائلها عن خدمة الاستاذ الامام العليا للدين والمسلمين ، ينجلي لنا رأي هؤلاء الملاحدة في الإصلاح والمصلحين (١٤ : ٢٧) يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) . من أجل هذا كانت مدرسة الدعوة والارشاد قذى في أعينهم ، وشجى في حلوقهم ، وطخا على قلوبهم ، وما زالوا يكيدون لها ، حتى حالوا دون أعظم اعانة كانت تنتظرها ، وقد كان أشدهم سعياً وسعاية ، أشدهم استهزاءً بالدين ووزاية ، ذلك الذي كلما عن مطعن يلوي عنقه ويهزأ كتافه ،

ويُنْفَضُ رأسه ويثني أعطافه، ويتبسّم ساخراً، أو يُغْرِب ضاحكاً — ذلك الذي يعلم رئيسه الآن، أنه يأكل لحم الخنزير جهراً في نهار رمضان، ولو زدنا في وصفه لمعرفة كثير من الناس، وإنما الغرض بيان الصفات والأعمال وعلى هذه الشاكلة كل أولئك الصّالّ، الذين لم يرضوا بسكوت المسلمين لهم على الضلال، حتى تصدوا للعدوان والصّيال، (٥٨: ١٤) وقد مكروا مكراًهم وعند الله مكراًهم، وإن كان مكراًهم لنزول منه الجبال)

فهم على ما هم، (٣١: ٤٧) ولو نشاء لأرينا كيف فاعرفتهم بسيماهم، ولتعرفتهم في لحن القول) وفيما يوجهون إليه القوة والحول، فمنهم من يحاول هدم الاسلام، بالدعوة الى استبدال لغة العوام بلغة القرآن، ومنهم من يتنفي التشكيك فيه بنشر آراء الماديين، من القدماء والأوربيين، ومنهم من يصد عن محجته، بتفضيل ما عرفوا من القوانين على ما جهلوا من شريعته، ومنهم من يفر عما حرّمه من آدابه الروحية والاجتماعية، تلهذاً بما حرّمه من الشهوات الضارة والعادات البهيمية، ومنهم من هم أقصر من هؤلاء نظراً، وأظلم بصيرة وأفسد ذوقاً، وهم الذين يحتقرون مشخصات أمتهم (كالجبة والعمامة) ويهزؤون بها، ويرغبون في الاستعاضة بالازياء الغربية عنها، ويتوهمون أنهم قد عرجوا بذلك الى مستوى من فلسفة الذوق والجمال، لا يعرفه الا من خلق في جو الخيال الى أوج السكّال، كخترعات الازياء الجديدة (المودّة) من ربّات الفنّج والدلال، ولو عقّلوا ما تجرّه هذه الفلسفة النسائية أو الصبيانية من الخزي والنكال، أو قرؤا وفهموا ما قاله الدكتور سنوك الهولندي في خطبته في مستقبل الاسلام، لودوا لو كانوا من ربّات الجمال، راجعين عن مذهب السفور ومخالطة نساءهم للرجال، وإنما يلوذ هؤلاء وأولئك بخلاصة

المقال (٢: ٢١١ زَيْنَ للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا، والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة، والله يرزق من يشاء بغير حساب) وجملة القول أننا بعد ان فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الإصلاح على المبتدعة والدجالين، قد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين، يواليه أفراد من أغرار الشبان وكهول المناقين، فاذا ترك هؤلاء وشأنهم، وسكت لهم أهل الحق على ما ينفثون من سموم أباطيلهم، تعظم جرأتهم، وتنتشر دعوتهم، وتكبر فتنهم، وليس الاستظهار عليهم بالامر المسير، فان حجبتهم داحضة، وغواياتهم متناقضة، وغاياتهم متعارضة، ويخافون الردة الصريحة، ان تحرمهم احترام الامة وبعض مناصب الحكومة، فالجريء منهم على التصريح بالكفر على رؤوس الاشهاد قليل، وانما يصرحون غالباً بما يظنون أنه يحتمل التأويل، كزعمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام، أقر العرب على بعض عباداتهم الوثنية لاجل استمالتهم كما فعل بعض البابوات، وهذا من أقبح البهتان، فان ما أقره الاسلام من مناسك الحج كان من شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام، فهو الذي بنى بمساعدة ولده اسماعيل البيت العتيق، وطهره للطائفين والماكفين والركع السجود، وأذن في الناس بالحج فلبوه من كل فج عميق ومن دعائه عليه الصلاة والسلام، (١٤: ٣٥) رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ

هذا وإن سواد المصريين الاعظم يغار على دينه، ويذب عنه بشماله ويمينه، حتى ان أكثر المتعلمين في المدارس المتفرجة والافرنجية، ليمتصبون له عصبية سياسية اجتماعية، لا يشعر بمثلها المتعلمون في المعاهد الدينية، فهم يعتقدون من يجعل نفسه داعية للكفر، ويلفظونه كما تلفظ النخامة

من الفهم، ويعلمون أن ما يتوخاه هؤلاء من نهضة الذكر عند الأوربيين،
 والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين، ليس بالفرض الصحيح الذي
 يعذرون فيه، ولا العمل المفيد للدنيا فيساعدتهم من لا يؤمن بالآخرة
 عليه، فهم لا يجدون في الإسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت
 بعض كتاب أوربة وجهيتها السياسية، على مجاهدة الكنيسة ورجالها
 والطعن في نفس النصرانية، فالإسلام نفسه أرشد البشر إلى العلوم
 العقلية والكونية، وأوجب الفنون والصناعات المدنية، وأخرج
 البشر من رق رؤساء الدين والدنيا إلى فضاء الحرية، وأما رجال الدين
 الرسميين في مصر فلا مجال لاتهمهم بمصيبة دينية، ولا بمقاومة الحرية
 العلمية ولا العملية، أنى وشيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية، وشيخ
 مشايخ طرق الصوفية، قد اشتركوا في جمع الإعانة لجمعية الصليب
 الأحمر، حتى فرضها الأول على جميع أصحاب الرواتب في الجامع الأزهر،
 وحضروا ما كانوا يتحامون من المحافل، في معاهد التمثيل والفنادق،
 وقد حضر المفتي حفلة الصلاة على روح لورد كيتشنر في هذه الأيام،
 كما حضر الصلاة على روح بطرس باشا منذ أعوام، فلم يبق لهؤلاء
 الملاحدة ما ينقمونه من هؤلاء العلماء، إلا عدم مشايعتهم إياهم على السفور
 ومخالطة النساء، ولعلمهم لا يرضونه منهم إلا أن يغيروا هذه الأزياء (٧:٣)
 رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بِمَدَّ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
 الْوَهَّابُ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ

منشئ المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

السنة وصحتها والشرعية وعقائها

رد على دعاة النصرانية بمصر

تهيد في بيان حالنا مع المبشرين

لا يزل دعاة النصرانية (المبشرون) يطعنون على الاسلام بما ينشرون من الرسائل والمقالات ، وانني اتعمد ترك قراءة ما يصل الي من مجلاتهم ورسائلهم حتى لا أفتح على نفسي باب الرد عليهم ، اذ رد الشبهات الموجهة الى الاسلام انما يجب على من علمه وجوبا كفاثيا ، وقد كنت أكره الرد عليهم لولا ذلك وان كانوا يظنون أنه من مقاصد المنار ومشروع الدعوة والارشاد الذي اكبروا أمره ، على أنه لم ينلهم منه أذى بقول ولا فعل ، وجميع الطلبة في دار الدعوة والارشاد من قسم المرشدين الذين يعدون لارشاد العوام لمقاومة الشرور والمعاصي الفاشية فيهم ، فقد كثرت في هذه البلاد جنائياتهم في الانفس والاموال والزروع ، وفشا فيهم السكر والقمار والفحش ، نعم ان من مقاصد المنار رد الشبهات عن الاسلام مقاومة للشك والتشكيك فيه ، وانما أكره الجدل ، وأكره تعمد مناقشتهم أو فتح بابها علي لأنهم هم الذين يتعرضون لها ويتفنون بها ، وما أكثرت من محاجة أهل الكتاب في سني المنار الاخيرتين الا في التفسير اذ اتفق بلوغي فيه الى سورتي النساء والمائدة المدنيتين ، وأكثر ما في القرآن من محاجة أهل الكتاب في هاتين السورتين وأقله فيما قبلهما . على ان فيه أيضا ما أوجه الاسلام من انصافهم والعدل فيهم ، وبيان مودة النصارى منهم . وقد انتهينا من ذلك ، ووصلنا الى تفسير السور المكية التي خطب بها المشركون وقبلما يذكر فيها أهل الكتاب الا في سياق بيان سنة الله تعالى في الرسل وأممهم .

لهذا كنا نظن أن باب محاجة أهل الكتاب يكون مقفلا في المنار الى ما شاء الله ، ولكن مجلة المبشرين العربية (الشرق والغرب) نشرت في العدد الذي صدر منها في أول الشهر الماضي (ابريل) مقالة عنوانها (السنة وصحتها) طعنت فيها على السنة (المنار: ج ١) (٤) (المجلد التاسع عشر)

النبوية وزعمت أن طعننا يوجب الريب في الشريعة وترك العمل بها، وأنها لا قيمة لها في نفسها، وقد حاءتنا المجلة فلم نفتحها، ثم علمنا ذلك المقالة فلم نقرأها، ثم رأينا لهذه المقالة تأثيرا سيئا في المسلمين حتى إن منهم من نقلها عن المجلة وطبع كثيرا من نسخها بمطبعة الجلائين ووزعت على الناس ووصلت إلينا نسخة منها، واقترح علينا كثيرون أن نرد عليها فوجب شرعا اجابة طلبهم

وما أكد وجوب الرد ما رأيناه في المقالة من مطالبة ثلاث مئة مليون من أهل السنة بالجواب عنها، فلا ندع لهم مجالا أن يقولوا للمسلمين إنه لم يستطع أحد من علمائكم أن ينافع عن سننكم وشرائعكم، ولا أن يرد شيئا من حججنا عليها، فها نحن أولاء نرد عليهم ردا يعلمون ويعلم الناس به أنهم لم يتحروا الامانة فيما نقلوا من كتبنا ولم يفهموا ما قرؤا منها وما نقلوا عنها، وأن طعنهم في أبي هريرة رضي الله عنه خطأ، وأنه لو صح لم يترب عليه بطلان الثقة بالسنة، ولا ما رتبوه على ذلك من عدم وجوب طاعة الشريعة، وإنما قصاراه أنهم افتحروا دعاوى نسبوها إلى الاسلام، وردوا عليها بما لا يصلح أن يكون ردا

وقد رأينا أن ثقل كلامهم برمته على ما فيه من الركاكة والافقو والضعف، وإطلاق بعض الكلام على غير المعاني التي نطلقها عليها، ولكن لا نناقشهم في شيء من الالفاظ لئلا نلجأ في العبارة من حيث ضعفها، بل في المسائل والمعاني، وقد كان الغرض الأول من نقل عبارتهم بنصها، وعدم تلخيص مسائلها والرد عليها، أن لا يتوهم أحد منهم أو من غيرهم أننا تصرفنا في التلخيص تصرفا يخل بالمعنى المراد، أو حذفنا منه ما لا يمكن رده بنقض ولا انتقاد، واستتبع ذلك بيان أن القوم لا يوثق بنقلهم ولا بفهمهم، ومن المعلوم بالضرورة أنهم ليسوا كالفلاسفة الذين يبحثون في المسائل لأجل استبانة الحق في ذاته، وإنما يتحرون بالبحث ما يرون فيه سبيلا للطعن والاعتراض، ومجالا للشك والاثارة الشبهات، كما يعلم مما يأتي

﴿ المجلة الاولى من مقدمة الطاعن ﴾

افتتح طاعنهم مقالته بمجلة تتضمن عدة دعاوى هذا نصها :

« ان صحة الشريعة قضية لا بد لكل مسلم سني من التسليم بها وذلك متوقف على صحة السنة . فاذا ارتاب أحد في صحة السنة فليس له داع منطقي يوجب إطاعة الشريعة لأن جانباً قليلاً منها فقط يتوقف على القرآن ، والجانب الأكبر يتوقف على السنة التي اجتمعت في الأحاديث . فاذا ثبت الريب في هذه الأحاديث تزعمت أركان الشريعة وأركان تابعيها من حنفي ومالكي وشافعي وحنبلي . وعدداهم لا يقل عن ثلاث مئة مليون من الاتباع » اهـ

نلخص هذه الجملة من كلامه في ثلاث قضايا ونبين ما فيها

القضية الأولى

﴿ زعمه اذا ارتاب أحد في السنة بنتهي وجوب طاعة الشريعة ﴾

هذه القضية بدئية البطلان فان الاطلاق في جزاء الشرط يدل على ان المراد من القضية الشرطية ان ارتياب فرد من الافراد في صحة السنة يستلزم انتفاء وجوب اتباع الشريعة على جميع الافراد . وانما المعقول الموافق للمنطق ان ارتياب الفرد أو ظنه أو علمه يترتب عليه ما يستلزمه في حق نفسه ولا يكون ذلك مؤثراً في غيره ممن لم يرتب ارتياؤه أو لم يعلم علمه ، وكذلك ارتياب الافراد الكثرين . وقد ارتاب بعض علماء أوربة الاحرار في وجود المسيح عليه السلام وزعموا أنه شخص خيالي — أو متخيل — لم يوجد ، كما زعم بعض المؤرخين مثل ذلك في هوميروس شاعر أساطير اليونان — فهو استلزم ارتياب أولئك المرتابين فيه انتفاء إيمان مئات الملايين من المسلمين والنصارى وغيرهم بوجوده عليه السلام ؛

القضية الثانية

﴿ زعمه ان أكثر الشريعة يتوقف على الأحاديث ﴾

هذه القضية غير مسلمة فان الشريعة عندنا تشمل العقائد والمبارة فيها بالدلالة القطعية وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الاسلام ثابتة بنصوص القرآن وإجماع المسلمين ، وإثبات الألوهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين العقلية ، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتياب في بعضها . وكذلك أصول العبادات

كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أحاديث الآحاد. وما ثبت من أحكام العبادات بأحاديث الآحاد ولم يجمع عليه أئمة العلم فلا تتوقف عليه صحة الإسلام وإن كان صحيحا في نفسه ، وإنما هو مزيد كمال في علم السنة . وأما أحكام الشرع في المعاملات فأكثرها مأخوذ من القواعد والاصول ويمكننا الفروع الواردة في القرآن إما بالنص وإما بدلالة النص وفخواه ، ومن القياس الذي توسع فيه بعضهم كالخفية فالشافعية ، والمصالح العامة التي توسع المالكية والحنابلة . وأقلها من حديث الآحاد . وما بقي من أركان الشريعة بعد العقائد والأحكام العملية إلا الأخلاق والآداب ، وجميع ما ورد في الأحاديث من الحكم والفضائل والآداب فهو مستمد من القرآن الحكيم وشرح له ، بل السنة كلها بيان للقرآن لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكريات للناس ما نزل إليهم) وقد ثبت في صحيح مسلم من عائشة رضي الله عنها أنها وصفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقولها : كان خلقه القرآن .

وقد اختلف العلماء في أحكام السنة التي لا تستند إلى نص من القرآن فقليل إنما يوحى من الله تعالى وإن الوحي لا ينحصر في القرآن ولكن القرآن مزايا ليست لغيره من وحي الله إلى خاتم رسله ولا إلى الرسل قبله ، أعظمها إعجازه والتعبد بتلاوته . وقيل إن الله تعالى أذن لرسوله بأن يحكم ويشرع برأيه واجتهاده . ومن تأمل كثيرا من الأحكام التي استدلوا عليها بالسنة وحدها يرى لها ما أخذ من القرآن كتحریم الجمع بين المرأة وبين عمتها أو خالتها في الزواج وتحریم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة ، وقد بينا ذلك في المنار ، كما بينا تفاوت الأفهام في الفصوص على درر القرآن ، وأين أفهام الناس كلهم فيه من فهمه عليه الصلاة والسلام ، وقد ثبت مع ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يقضي في المسائل السياسية والإدارية باجتهاده ، ويستشير فيها أصحابه .

القضية الثالثة

(زعمه أنه إذا ثبت الريب في الأحاديث نزلت أركان الشريعة)
هذه القضية غير مسلمة أيضا وفيها إجمال وإيهام . فإذا أراد بثبوت الريب في

الأحاديث ما أفادته جملة الأولى من ارتباب بعض الأفراد ولو واحداً — فقد بينا أن هذا لا يترتب عليه إلا ما يستلزمه الارتباب في نفس المرتاب وحده ، وإذا أراد ارتباب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع الأحاديث فهذا ما وقع ولن يقع ولا يغفل أن يقع ، وسنشرح ذلك على وضوحه في نفسه ، فإن فرضنا جدلاً أنه يقع فأنما يترتب عليه حينئذ الاكتفاء في الدين بما في القرآن والسنة العملية المنقولة بعمل مشات الألف وألف الألف منذ العصر الأول ككيفية الصلاة والصيام والحج وغير ذلك وبما ثبت بالإجماع والقياس الصحيح ، ولا ينقص من كتب الشريعة حينئذ إلا الأحكام والحكم التي ثبتت بأحاديث الآحاد وحدها كما بيناه في الكلام على القضية الثانية

وبهذا وذلك يظهر لك بطلان قوله « تزعمت أركان الشريعة وأركان تابعيها » فإن أراد بأركان الشريعة أصول العقائد وقضايا الإيمان التي يكون بها المرء مؤمناً فقد علمت أنه لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد ، وإن أراد أركان الإسلام الخمسة فذلك ، فإن معرفة هذه الأركان لا تتوقف على ثبوت الأحاديث الواردة فيها فأنها تجمع عليها معاومة من الدين بالضرورة ، سواء صح ما ورد فيها من الحديث أم لم يصح ، على أنه صحيح والله الحمد ، وإن أراد بأركان الشريعة أو أركان تابعيها أصولها المستمدة منها عند الأئمة الأربعة فقوله أظهر بطلاناً فإن هذه الأركان أربعة — الكتاب والسنة والإجماع والقياس — وما أُلحق بها عند بعضهم كالمصالح والاستحسان ، فالأحاديث جزء من السنة التي هي ركن من هذه الأركان ، فالارتباب في هذا الجزء لا يوجب الارتباب في الجزء الآخر منها وهو ماثبت بالتواتر عملاً أو قولاً ، فكيف يوجب الارتباب في القرآن وكله متواتر ، وفي الإجماع والقياس ؟ قلنا إن ارتباب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع أحاديث الآحاد ما وقع وإن يقع ولا يعتل أن يقع . وبيان ذلك أن المهود من البشر في كل زمان ومكان أن يصدقوا خبر كل مخبر — لأن الأصل الغالب في أخبار الناس الصدق — إلا إذا وجدت علة في الخبر أو المخبر تقتضي الارتباب ، كأن يكون المخبر غير معقول أو يكون المخبر معروفاً بالكذب . على أننا نرى الناس يصدقون أكثر أخبار الجرائد

السياسية والشركات البرقية على كثرة ما عرفوا من كذبتها ، واعتقادهم أن أصحابها أهواء سياسية يحاولون تأييدها بالحق وبالباطل . فإذا كان هذا شأن البشر في أمثال هذه الأخبار التي تحوم حولها الشبهات في أنفسها وفي سيرة رواتها ، فكيف يمكن أن يرقبوا في صحة جميع الأحاديث التي صحيحها حفاظ الحديث بعد نقد متونها وإقامة ميزان الجرح والتعديل لكل فرد من أفراد رواتها ، وقد علم أنهم لا يقبلون في الاحتجاج حديثا منقطع الاسناد ولا حديثا في رواته مجهول أو أحد ثبت عليه الكذب أو سوء الحفظ أو النسيان أو مخالفة النقات الإثبات في روايته ؟ ها أنتم أولاً تصدقون أخبار أناجيلكم الأربعة وغيرها من كتبكم وليس عندكم سند متصل لشيء منها ، وقد اختلف علماءكم ومؤرخوكم في كتابها وفي اللغات التي كتبت بها ، وفي التواريخ التي كتبت فيها ، فلم يتوفر لكم فيها شيء من النقد والتحقيق الذي يوفر لنا في نقل الحديث ، أفعتقدون مع هذا أن نرتاب في تصديق جميع الأحاديث التي نقلت لنا بدقة لم يهد لها البشر نظيرا في تاريخهم القديم ولا الحديث — وأنتم ترون أنفسكم وسائر البشر يصدقون أكثر ما يروى لهم بلا سند ولا بحث في رواته ، بل كثيرا ما يصدقون أخبار من ثبت عليهم الكذب من رواة كثيرة ، كرواة البرقيات والجرائد ؟



هو الجملة الثانية من كلام الطاعن ﴿

قال: « وستثبت في الفصول التالية أن من السهل إثبات الشبهات الملقاة على تلك الأحاديث ، ونحن مثبتون في هذا الفصل وهن الاعتماد على بعض الصحابة التي تتوقف مشات من الأحاديث على شهادتهم حتى قامت عليها الشريعة ومنها نشأت السنة ، على أن البخاري الذي اشتهر بنقد رجال الحديث لم يخطر له أن يرتاب في صدق الصحابة لأنهم كانوا في نظره معصومين من الكذب ، وهذا يدل على ضعف حجته ، فقد ثبت بوجه لا يقبل الشك أن أبا هريرة وابن عباس لم يكونا محصين في رواية الأحاديث . وغرضنا الآن أن نبين أن الريب في أحاديث أبي هريرة تسرب إلى نفوس معاصريه ونفوس الذين جاؤا بعده ومع ذلك فقد نقل

عنه البخاري الاحاديث بالمشات فتداولتها السنة المجتهدين الذين اسسوا المذاهب الاربعة وبنوا عليها نظامهم الشرعي »
أقول تلخص هذه الجملة في قضايا تابعة في العدد لما تقدم ونبين ما فيها من الخطا والباطل

القضية الرابعة

﴿ زعمه وهن الاعتماد على رواية المئات الاحاديث من الصحابة كأبي هريرة ﴾
هذه القضية باطلة فانها توهم القارىء ان الكاتب يثبت في هذا الفصل مطاعن في عدالة عدة من الصحابة الذين رووا المئات الكثيرة من الاحاديث — حتى اذا ما قرأ الفصل كله لم يجد فيه الا روايات في واحد منهم — وهو أبو هريرة رضي الله عنه — ويرى ان هذه الروايات لا تسقط عدالته كما نبسطه في هذا المقال . وهذا مما يريد قولنا ان هؤلاء الناس يكتبون ما لا يفهمون لانهم اعتادوا الجرأة على إلقاء المطاعن من غير تفكير ولا زوية ، فهم ينقضون ما يثبتون ولا يشعرون

القضية الخامسة

﴿ زعمه أن البخاري لم يخطر بباله الارتباب في صدق الصحابة لاعتقاده عصمتهم ﴾
هذه القضية باطلة أيضا لأنها حكم بمعوم السلب ، على شيء يتعلق بالقلب لا يعلمه الا الرب ، فان مثل هذا الكاتب لا يناقش في مثل هذا التعبير لانه لا يفرق بينه وبين القول بأن البخاري لا يتهم أحدا من رواية الصحابة بالكذب ، ولا بغيره من العلال القاذحة في الرواية ، وانما يريد بيان بطلان زعمه ان البخاري كان يرى أن رواية الصحابة معصومون . والصواب انه كان يرى ويقول إنهم عدول صادقون لا معصومون ، وما قل هذا القول هو وغيره من نقاد الحديثين الا بعد تتبع تاريخهم كغيرهم من الرواة ، وقد نقل عنه الطاعن ما أراد أن يسقط به عدالة أبي هريرة وشيئا من محيصه لما يرويه ، فالبخاري كان أعلم من الطاعن بكل ما قيل في أبي هريرة وبما رواه أبو هريرة ولم يره مسقطا لعدالته ، ولو رآه مسقطا لما روى عنه في صحيحه . وقد كان البخاري من أمة أهل السنة الذين لا يقولون بأن أحدا

٣٢ دعوى أخذ الأئمة الاربعة الاحاديث عن البخاري [المنار : ج ١ م ١٩]

من البشر معصوم من الكذب الا الانبياء عليهم السلام . وصدق الرواية لا يتوقف على العصمة والا لما قبل أحد من البشر قول أحد بمد تبليغ أنبيائهم الوحي . وانما يكتفى في تصديق الرواية بالعلم بعدالة الراوي وجودة حفظه وضبطه لما يرويه ، ولم ينقل عن أحد من مؤرخي البشر ونقله الاخبار مثلاً نقل عن البخاري من شدة التحري في كتابه الجامع الصحيح ، فليأتنا هذا الطاعن بمثله أو بما يقرب منهم من علمائهم ؟ كيف وكتبهم المقدسة تنسب الكذب وغيره من كبائر المعاصي الى الانبياء برأهم الله تعالى وصلى الله عليهم وسلم ، وهؤلاء المبشرون وأهل نحلهم لا يقولون بعصمة الانبياء دع عصمة ناقلي كتبهم بغير أسانيد متصلة ولكنهم يقبلون ما عزي اليهم . وسنشير الى المقابلة بين رجالنا ورجالهم في هذا المقال ، ولا حاجة الى تفنيده قوله بضعف حجة البخاري الذي بناء على زعمه أن البخاري يعتقد عصمة الصحابة ، فهو ساقط في نفسه وأضعف منه وأسقط ما بناء عليه

القضية السادسة

﴿ زعمه أن الأئمة الاربعة أسسوا مذاهبهم على ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﴾

هذه القضية الباطلة تدل على مبلغ علم المبشرين النashرين لهذا المقال وعلى درجة تحريمهم وصدقهم فيما يقولون وينقلون

الحافظ البخاري متأخر عن الأئمة الاربعة أدرك رابعهم الامام أحمد ابن حنبل وتلقى الحديث عنه . وقد جاء في تهذيب التهذيب عن العقيلي أن البخاري لما ألف كتابه الصحيح عرضه على علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل (وكلهم من كبار شيوخه) وغيرهم فامتحنوه وكلهم قال : كتابك صحيح الا اربعة أحاديث . قال العقيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة . والشاهد في هذا النقل أن البخاري أخذ عن أدرك من الأئمة الاربعة ولم يأخذ أحد منهم عنه شيئاً ، ولم يكن أحد من المجتهدين يقلد أحداً في رواية ولا دراية ، وانما يأخذ كل منهم بما صح عنده من الرواية

ولد الامام أبو حنيفة سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ وولد الامام مالك سنة ٩٣ وتوفي

سنة ١٧٩ وولد الامام الشافعي سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٠٤ وولد الامام احمد ١٦٢
وتوفي ٢٤١ وولد الامام محمد بن اسماعيل البخاري سنة ١٩٤ وتوفي سنة ٢٥٦ وقد
رحل من بلاده لطلب العلم سنة ٢١٠ أي بعد وفاة الامام الشافعي ببضع سنين
وبعد وفاة مالك باحدى وثلاثين سنة وبعد وفاة أبي حنيفة بستين سنة
فكيف اجاز لهذا الطاعن في السنة والشرعية دينه وعقله أن يقول ان الائمة
الاربعة أخذوا عن البخاري مارواه من الاحاديث عن أبي هريرة وبنوا عليه نظامهم
الشرعي ؟ وكيف توهم أنه جاء بعلوم وحقائق تزعم هذه الشريعة التي هي أثبت
من الجبال الرواسي ؟ أمثل هذه الدعاوى المخترعة تهدم الحقائق الثابتة ؟



﴿ الجملة الثالثة من كلام الطاعن ﴾

الشبهات في أبي هريرة

الشبهة الاولى

(١) قال الطاعن: الارتباب العام في أبي هريرة (بشهادة نفسه) حدثنا عبدالعزيز بن
عبدالله... عن أبي هريرة قال « ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة » ولولا آيتان
من كتاب ما حدثت حديثا... ان إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصنفق بالاسواق
وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وأن أبا هريرة كان يلزم
رسول الله (صلعم) بشعب بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون .
(البخاري جزء أول كتاب العلم صفحة ٣٧) وكتب في الحاشية ما نصه :
(جاء في الاصابة لابن حجر جزء ٧ : ٢٣ قوله « انكم تزعمون ان أبا هريرة
يكثر الحديث عن رسول الله » وقد علل هذا الاكثار برواية غريبة) اه كلام الطاعن
الجواب عن هذه الشبهة

استدل الطاعن بهاتين الروايتين على ما سماه الارتباب العام في أبي هريرة ،
ويفهم من هذا أنه يوم قارئ مقالته أن جميع أهل عصره أو أكثرهم كان يرتاب
في صحة روايته . وهذه دعوى باطلة ، ولغظ الناس بصدق بالقليل والكثير قال الله
تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) روي في التفسير
(المنار : ج ١) (٥) (المجلد التاسع عشر)

المأثور أن الذي قال ذلك هو نعيم بن مسعود قال إن أبا سفيان يجمع لكم الجيش الخ وقيل إن القائل ركب عبد القيس . فالناس اسم جنس يطلق على الواحد كما يقال : فلان يركب الخيل . وإن لم يركب إلا فرسا واحدا ، ويطلق على الكثير . وقد ثبت أن بعض الصحابة أنكروا كثرة أبي هريرة من التحديث كما هو صريح هذا الحديث الذي اختصره الطاعن من البخاري . وقد صرح في رواية أخرى له بزيادة « ويقولون ما للمهاجرين والانصار لا يحدثون مثل حديثه » ووجه الانكار أن أبا هريرة من متأخري الصحابة فينبغي أن يكون أقل سماعا منهم . ومن المعلوم بالبداهة المتفق عليه من العقلاء الذي يقضون به في محاكمهم ان الاستنكار والاستغراب في مثل هذا لا يقتضي الاتهام بالكذب ، وأن التهمة لا تقتضي بمجرد سبب العدالة ، لأن من التهم ما يبنى على شبهات وأوهام ، ومنه ما هنا وقد أجاب أبو هريرة عن الاكثار هنا بأنه كان يلزم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكاد يفارقه اذ لا تجارة له كالمهاجرين ولا حرث له كالانصار فيشغله هذا أو ذاك ، فكان بهذه الملازمة يسمع ما لا يسمعون ويحفظ ما لا يحفظون . ويضاف الى هذا الجواب أنه حدث بما سمعه وبما رواه ، وأجوبة أخرى سيأتي بيانها — وأجاب عن أصل التحديث بالآيتين الداليتين على وجوب اظهار العلم وحرمة كتمانها ، وهما قوله تعالى (ان الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله) الى قوله (التواب الرحيم) وقد حذف ذلك الطاعن

وأما الرواية الثانية وهي ما نقله الطاعن في الحاشية عن الاصابة لابن حجر فهي رواية أخرى لهذا الاثر نفسه رواها البخاري عن الاعرج (عبد الرحمن بن هرمز) عن أبي هريرة، وقال الطاعن انه علل الاكثار برواية غريبة؛ أي علل كثرة محدثه بعله غريبة أي عند الطاعن، ولم يذكر هذه العلة؛ وهي عين العلة التي في الرواية الاخرى مع زيادة تعدد من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته — ولذلك لم يذكرها الطاعن وهي : فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فقال « من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئا سمعه مني » فبسطت بردة علي

حتى قضى حديثه ثم قبضتها اليّ فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئا سمعته منه بعد.
وروى هذا الحديث احمد ومسلم والنسائي وغيرهم من طرق. وقد فهم أبو هريرة من
الحديث عموم السلب المطلق وصدق عليه ذلك، وان كان لفظ الحديث يحتمل
تقييد العموم بما يقوله صلى الله عليه وسلم مدة بسط الرداء. وسنذكر بعض ما قاله
الأئمة النقاد في حفظ أبي هريرة، ولم يرو عنه في الصحيح انه نسي شيئا حدث به
الا حديث « لا عدوى » فانه أنكره بعد ان روى ما يدل على ثبوت العدوى، (*)
ولعله كان من مراسيله لا من سماعه، فلا يتعارض مع قوله انه ما سمع شيئا ونسبه
أي بعد مسألة الرداء، أو كان من سماعه قبل بسط الرداء.

الشبهة الثانية

(٢) قال الطاعن : تهمة أبي هريرة بالكذب (بشهادة نفسه) : « عن أبي
الرزين قال خرج إلينا أبو هريرة فضرب يده على جبهته فقال : ألا إنكم
تجدثون أي أ كذب على رسول الله لتهدوا وأضل ألا واني أشهد لسمعت رسول
الله (صلعم) يقول اذا انتقطع شمع أحدم فلا يمشي في الاخرى حتى يصلحها »
(جزء ٤ : ٤٤٠) (لا يخفى ما في هذا من الضعف)

(٣) ونقل ابن حجر عن احمد بن حنبل (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) قوله « قبل
له ا كذرت فقال لو حدثتكم بما سمعت لم يتموني بالقشع أي الجلود » وقد أردف
هذا بشكوى أخرى وهي قوله « أ كثر علينا أبو هريرة »

(٤) نقل ابن حجر عن عائشة (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) ما يأتي : قالت عائشة
لأبي هريرة « إنك تحدث بشيء ما سمعته » فأجابها أبو هريرة بما مؤداه انها
كانت مهتمة بزيتها فلم تسمع ما سمعه هو

(٥) عبدالله بن عمرو بن العاص جاء في كتاب أخبار مكة للازرقى صفحة ١٣٥
قوله : حدثنا أبو الوليد ... عن عبيد الله بن سعد انه دخل مع عبدالله بن عمرو
ابن العاص المسجد الحرام والكعبة محرقه حين ادير جيش الحصين بن نمير والكعبة
تتناثر حجارتها فوقف ومعه ناس غير قليل فبكي حتى لا ينظر الى دموعه فحدث

كخلافي عيذه... فقال يا أيها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت الله ربكم لقاتم ما من أحد أكذب من أبي هريرة »

(٦) عبدالله بن عمر جاء في الترمذي جزء ١ صفحة ٢٨١ قوله : حدثنا ابن عمر... فقال ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر بقتل الكلاب الا كلب صيد أو كلب ماشية. قيل له إن أبا هريرة كان يقول أو كلب زرع. فقال ان أبا هريرة له زرع » (ولا يخفى ما في هذا من التعريب اللطيف)

(٧) — عن الإصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ . كان أبو هريرة قد روى حديثاً عن الصلاة لم يعجب مروان فسأل عبد الله بن عمر فقال عبدالله : لقد أكرأ أبو هريرة : فقالوا له أتكر شيئاً مما يقولون ؟ فقال لا ولكن أجراً وجبنا . وبلغ ذلك أبا هريرة فقال : ما ذنبي ان كنت حفظت ونسوا ؟

ولا نظن قوله « أجراً وجبنا » من قبيل الازدراء فان ابن عمر ما كان ينسب الجبن الى نفسه . اما الجرأة التي نسبها الى أبي هريرة فمعناها التهميم والتحدي . ولعل في هذا ما يميظ لنا اللثام عن مصادر الاحاديث فانه يدلنا على عظم الاستسلام الى رواية الاحاديث غير المدققة . والارجح ان عبد الله لم يكن ليحسر على مقاومة أبي هريرة وإنما جاهر برأيه بلجهة الازدراء .

(٨) جاء في الإصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ ان مروان استاء من كلمة قالها أبو هريرة فاتهمه بالاكثار من الرواية وأردف ذلك بقوله : إنما قدم أبو هريرة قبل وفاة رسول الله... ييسر. فقال أبو هريرة : قدمت ورسول الله... بخير وانا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقت حتى مات »

[ملاحظة — كان محمد في خيبر في سنة سبع هجرية أي قبل موته بنحو أربع سنوات . فالحادثة المذكورة هنا تبين ان معاصري أبي هريرة أنفسهم كانوا يرون المدة قصيرة جداً لا تعلل إكثاره من رواية الاحاديث التي كان يستشهد بها كلما شاء]
اه كلام الطاعن بحروفه وإشاراته ورموزه وحذفه من الروايات وغلظه فيها وهو كثير » ومنه قوله « أتكر شيئاً مما يقولون » وصوابه « مما يقول » يعني أبا هريرة ، وقوله « أجراً وجبنا » وصوابه « اجترأ وجبنا » ولعل هذا الخطأ من الطبع لا من

نهرىب النافل، ولكن بعض غلطه من سوء الفهم قطعا كقولہ بعد الحديث الذى عزاه إلى أحد: وقد أردف هذا بشكوى أخرى الخ والصواب ان هذه الزيادة ليست من حديث أحد. ومنه ما فهمه من كلام ابن عمر

الجواب عن هذه الشبهة

نقول - (أولا) ليس في هذه الروايات التى أوردھا الطاعن تصريح من أحد بأن أبا هريرة قد ثبت عليه الكذب

- وثانيا - إن التهمة لا تثبت الا بالبينه والدليل، باتفاق الشرائع والقوانين وعرف أهل العقل والعلم من البشر أجمعين، ولم يتم أحد دليل ولا بينة على أن أبا هريرة كذب، وإنما عرض لبعض الصحابة شبهة في رواية أبي هريرة، ولو ثبتت الشبهة وظلت مجهولة وسبھا خفيا لصح أن نجعل علة لعدم إلحاق روايته برتبة الصحيح احتياطاً، ولكن سبب الشبهة معروف وهو لا يقتضى سلب المدالة ولا هدم الثقة بالرواية

- وثالثا - ان تلك الشبهة سببين (أحدهما) خاص بكثرة الرواية وفيه ورد أكثر الروايات، وحاصلها أن مدة صحبته عليه السلام ثلاث سنين وأشهر وهي لا تنفع للأحاديث الكثيرة التى كان يروىها (والثاني) خاص ببعض معون الأحاديث، وهي التى كان يعوق التكذيب بها، أو الإيذاء أو القتل إذا حدث بها، لأنها من أخبار الفتن التى أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم قبل وقوعها، وهي ما يسميه النصارى بالنبوات، ولما عرف أهل الحديث سبب الشبهة ظهر لهم أنها لا تدل على أدنى ظن في عدالة أبي هريرة، وبيان ذلك من وجوه

أسباب كثرة حديث أبي هريرة

لكثرة حديث أبي هريرة رضى الله عنه أسباب استخرجناها من عقروايات (أحدها) أنه قصد حفظ أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وضبط أحواله لاجل أن يستفيد منها ويفيد الناس، ولاجل هذا كان يلزمه ويسأله، وكان أكثر الصحابة لا يجترءون على سؤاله الا عند الضرورة، وقد ثبت أنهم كانوا يسرون إذا جاء بعض

الأعراب من البدو واسلموا لانهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم . ومن الدلائل على هذا السبب ما رواه عنه البخاري قال : قلت يا رسول الله من أسمع الناس بشفاعتك؟ قال « لقد ظننت أن يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث » وما رواه أحمد عن أبي بن كعب : ان أبا هريرة كان جرياً على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره . (ثانيها) انه كان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم ويتبعه حتى في زيارته لنسائه وأصحابه ليستفيد منه ولو في أثناء الطريق ، فكانت السنن القليلة من صحبته له كالسنن الكثيرة من صحبة كثير من الصحابة الذين لم يكونوا يرونه صلى الله عليه وسلم الا في وقت الصلاة أو الاجتماع لمصلحة يدعوهم اليها أو حاجة يفزعون اليه فيها ، وقد صرح بذلك لمروان ، وكما سنين ذلك في كلامنا على الشاهد السابع من شواهد الطاعن وأخرج البغوي بسند جيد — كما قال الحافظ ابن حجر — عن ابن عمر انه قال لأبي هريرة : أنت كنت ألزمتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه . وفي الاصابة عنه انه قال : أبو هريرة خير مني وأعلم بما يحدث ، وعن طلحة بن عبيد الله : لا أشك ان أبا هريرة سمع من رسول الله (ص) ما لم نسمع

(ثالثها) انه كان جيد الحفظ قوي الذاكرة ، وهذه مزية امتاز بها أفراد من الناس كانوا كثيرين في زمن البداوة وما يقرب منه اذ كانوا يعتمدون على حفظهم ، ومما نقله التاريخ لنا عن اليونان أن كثيرين منهم كرهوا بدعة الكتابة عند ما ابتدوا يأخذونها وقالوا ان الانسان يتكل على ما يكتب فيضعف حفظه ، وأنا نفاخر بحفاظ أمتنا جميع الامم وتاريخهم — م ثابت محفوظ ، قال الامام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره . وقال البخاري مثل ذلك الا أنه قال عصره بدل دهره . وأعظم من ذلك ما رواه الترمذي عن عمر (رض) انه قال لأبي هريرة : أنت كنت ألزمتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظنا لحديثه

(رابعها) بشارة النبي صلى الله عليه وسلم له بعدم النسيان كما ثبت في حديث بسط الرداء المتقدم وهو مروي من طرق متعددة في الصحيح والسنن (خامسها) دعاؤه له بذلك كما ثبت في حديث زيد بن ثابت عالم الصحابة

الكبير (رض) عند النسائي . وهو ان رجلا جاء الى زيد بن ثابت فسأله فقال له زيد: عليك بأبي هريرة فاني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ندعو الله ونذكره اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس الينا فقال « عودوا للذي كنتم فيه » قال زيد فدعوت أنا وصاحبي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ودعا أبو هريرة فقال: إني أسألك مثل ما سألك صاحبي وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمين » فقلنا يا رسول الله ونحن نسألك علما لا ينسى . فقال « سبقكم بها الغلام الدوسي »

(سادسها) انه تصدى للتحديث عن قصد لانه كان يحفظ الحديث لاجل ان ينشره ، واكثر الصحابة كانوا ينشرون الحديث عند الحاجة الى ذكره في حكم أوفى او استدلال ، والمتصدي للشيء يكون اشد تذكرا له ويذكره بمناسبة وبغير مناسبة لانه يقصد التعليم لذاته ، وهذا السبب لازم للسبب الاول من اسباب كثرة حديثه

(سابعها) انه كان يحدث بما سمعه وبما رواه عن غيره من الصحابة كما تقدم فقد ثبت عنه انه كان يتحرى رواية الحديث عن قدماء الصحابة فروى عن أبي بكر وعمر والفضل بن العباس وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة وبصرة الغفاري ، أي انه صرح بالرواية عن هؤلاء ، ومن المقطع به ان بعض أحاديثه التي يصرح فيها باسم صحابي كانت مراسيل لانها في وقائع كانت قبل اسلامه ، ومراسيل الصحابة حجة عند الجمهور ، وقد روى أيضا عن كعب الاحبار وهو من علماء يهود أسلم في أيام أبي بكر وقيل في أيام عمر ، ووثقه المحدثون ولكن روى البخاري عن معاوية انه قال فيه : ان كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب . ولم يرو البخاري في صحيحه شيئا لكعب . وقد كان في نفسي شيء من رواية كعب قبل ان أرى ما قاله فيه معاوية ، وأعلم ان كثيرا من الناس يتهمون بالكذب . ثم رأيت للحافظ ابن كثير كلاما في ذلك فن تدبر هذه الاسباب لم يستغرب كثرة رواية أبي هريرة ولم ير استنكار افراد من أهل عصره لها موجبا للارتياب في عدالته وصدقه ، اذ علم أن سبب

ذلك الاستنكار، عدم الوقوف على هذه الاسباب،
على أن جميع ما أخرجه البخاري في صحيحه له ٤٤٦ حديثا بعضها من جماعه
وبعضها من روايته عن بعض الصحابة، وهي لو جمعت لأمكن قراءتها في مجلس
واحد لأن أكثر الاحاديث النبوية جمل مختصرة، فهل يستكثر عاقل هذا المقدار على
مثل أبي هريرة أو من هو دونه حفظا وحرصا على تحمل الرواية وإداؤها فيجاري
هذا الطاعن في الشريعة على الطعن في الامام البخاري لتخريجها؟؟ كيف وهذا
الطاعن لا يوثق بنقله ولا بفهمه ولا بقصده الى بيان الحقيقة بل ندلم علم اليقين أنه يريد
التشكيك والطعن لان هذا هو عمله الذي يعيش له وبه ؟
سبب استنكار بعض حديث أبي هريرة

ثقل الطاعن في الشاهد الثاني عن ابي دزين أن أبا هريرة قال على مسمع منه
« ألا إنكم تحدثون أبي أكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعزى هذا الى
(جزء ٤: ٤١٠) ولم يذكر اسم الكتاب وظاهر عزوه الشاهد الذي قبله الى البخاري
انه يعني ان هذا في البخاري أيضا، وانما امرفه من رواية مسلم. وذكر في الشاهد الثالث
انه قال لو حدثتكم بما سمعت لرميتوني بالقشع. وصوابه: لو حدثتكم بكل ما سمعت،
وذكر في الشاهد الخامس عن كتاب أخبار مكة للأزرقي أنه قال حين رأى الكعبة محرقة
بعد انصراف جيش الحصين بن نمير: يا أيها الناس لو أن أبا هريرة أخبركم انكم قاتلوا
ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت ربكم - لقلتم ما من أحد أكذب من أبي هريرة.
يعني لو حدثهم قبل إحراق بني أمية للكعبة بذلك لكذبوه لان الخبر مما يستبعد
تصديقه. فعلم من قوله انه كان يعلم بهذا الحدث قبل وقوعه لانه سمعه من الرسول
(ص) ودليل هذا انه قرنه بخبر مثله في بعده عن الوقوع ولم يكن قد وقع وهو أنهم
سيقتلون ابن نبيهم يعني الحسين عليه السلام وقد وقع ذلك بعد وفاته رضي الله عنه
كان أبو هريرة يعلم ان كثيرا من الناس لا يصدقون الروايات التي تستبعد
تقولهم وقوعها، وان كانت جائزة في نفسها، فيتوقع أن يكذبوه اذا هو حدث بها،
ويظنون أنه عزاه الى الرسول لاجل قبولها، وكان يعتقد ان بني أمية يقتلونه اذا
هو حدث بكل ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم عن احداثهم ومفاسدهم، وهذا

هو مراده بقوله الذي رواه عنه البخاري في صحيحه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائنين من العلم فأما أحدهما فبثنته ، وأما الآخر فلو بئثنته لقطع مني هذا البلعوم . — يشير الى عنقه

قال الحافظ في الفتح : وحمل العلماء الوعاء الذي لم يثبت على الأحاديث التي فيها تبين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكتفي عن بعضه ولا يصرح خوفا على نفسه منهم ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان . يشير الى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة . وسنأتي الإشارة الى شيء من ذلك في كتاب الفتن . اه
وقد وفي الحافظ بوعده هذا في شرح حديث أبي هريرة في أوائل كتاب الفتن من صحيح البخاري وهو قوله لسعيد بن العاص ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية : سمعت الصادق المصدوق يقول «هلكة أمتي على يدي غلعة^(١) من قریش — وفي رواية أحمد والنسائي «ان فساد أمتي على يدي غلعة سفهاء من قریش» فقال مروان : لعنة الله عليهم غلعة . فقال أبو هريرة : لو شئت ان أقول بني فلان وفلان لفعلت . أي ولم يكن مروان يعلم حين لعنهم أنهم قومه وأبناءؤه ولكن أبا هريرة هو الذي يعلم ولم يصرح .

وذكر الحافظ في شرحه لهذا الحديث حديثا آخر له من المرفوع في بيان معناه أخرجه علي بن معبد وابن أبي شيبة عنه وهو « أعوذ بالله من إمارة الصبيان — قالوا وما إمارة الصبيان ؟ قال — ان أطعموهم هلكتم في دينكم وان عصيتموهم أهلكوكم في دنياكم »

فتبين بهذا أن الأحاديث التي كان يتوقع أبو هريرة تكذيب بعض الناس له فيها هي ما كان من هذا النوع ، وظهر بهذا أن ما أورده الطاعن من الشواهد على اتهامه بالكذب لا يفيد شيء منه أثبات التهمة . وقد بينا آنفا أن رواية أبي

(١) هو جمع غلام ولم يقولوا غلعة مع كونه القياس استغناء عنه بغلعة كما في الفتح وفي رواية اغلعة تصغير غلعة . والغلام الصبي من حين يولد ان يحتمل قال الحافظ وقد يطلق الصبي والمعلم بالتصغير على الضعيف العقل والتدبير والدين ولو كان محتالاً وهو المراد هنا فان الخلفاء من بني أمية لم يكن فيهم من استخلف وهو دون البلوغ وكذا من أقروه على الاعمال اه المراد منه

رزين عند مسلم والرواية التي عزاها الى أحمد وهي من طريق يزيد بن الاصم عن أبي هريرة ورواية عبد الله بن سعد عند الأزرقى — كلها صريحة في أن أبا هريرة كان يعتقد أو يظن أن بعض الناس يكذبونه في بعض أحاديث القتن إذا هو حدث بها قبل وقوعها لغرابة موضوعها .

بقي من شواهد الطاعن أربعة (أحدها) قول عائشة له : انك لتحدث بشيء ما سمعته . وقد عزا الحافظ هذا الى تخرج ابن سعد وكتابه ليس في أيدينا فلا ندرى أذكر سببه بعينه أم لا ، والظاهر من جواب أبي هريرة أنها أنكرت حديثا رواه لأنها لم تسمعه هي من النبي (ص) ومثل هذا وقع لها في أحاديث غير واحد من الصحابة لهذه العلة كارتياحها في حديث المعراج وفي حديث الرؤية في الآخرة وفي حديث عبد الله ابن عمرو في موت العلماء واتخاذ الرؤساء الجهال الذين يضلون ويضلون ، ففي صحيح مسلم أن عروة بن الزبير سمع هذا الحديث من عبد الله بن عمرو فأخبر به خالته عائشة فأعظمت ذلك وأنكرته وقالت له : أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ على أنها هي التي أرسلته اليه ليأخذ عنه الحديث قال « قالت لي عائشة : يا ابن أخي بلغني أن عبد الله بن عمرو ما رثنا الى الحج فאלقه فساءله فانه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا » ثم انها مع هذا ومع ما تعلم وبعلم كل الصحابة من ورع عبد الله وعدالته قد ارتابت في هذا الحديث وبقيت مرتابة فيه مدة حول كامل — قال عروة : فلما كان قابل (أي العام الذي بعد ذلك العام) قالت له : ان ابن عمرو قد قدم فאלقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكر لك في العلم قال فلقيته فسألته فذكره لي نحو ما حدثني به مرته الاولى . فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه الا قد صدق اراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص . والجواب المشهور عند العلماء في مثل هذه المسألة ان من حفظ حجة على من لم يحفظ

(ثانيا) حديث عبد الله بن عمرو في قتل الكلاب ، نقله الطاعن عن الترمذي وهو في صحيح مسلم وسنن النسائي وابن ماجه ايضا . وقد قال العلماء ان مراد ابن عمر بقوله « ان لأبي هريرة زرعاً » هو أن أبا هريرة كان محتسجا الى معرفة حكم اتخاذ الكلب للزرع لان له زرعاً فسأل عن ذلك وحفظه وعمل به . ويؤيد هذا

ويفند زعم الطاعن أنه يريد التقرير ما صح عن ابن عمر من تفضيل أبي هريرة على نفسه وتقدم بعض كلامه في ذلك ، ومنه الشاهد الآتي الذي عده الطاعن تكذيباً لأبي هريرة وهو عين التصديق والتعديل — وهو — :

(ثالثها) ما نقله عن الإصابة — وهو الشاهد السابع — من أن مروان سمع من أبي هريرة حديثاً لم يعجبه الخ ما تقدم ، وقد حرف الطاعن الرواية . وهذا نصها : وروينا في فوائد المزي تخرج الدارقطني من طريق عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه « إذا صلى أحدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه » فقال مروان : أما يكفي أحدنا ممشاه إلى المسجد حتى يضطجع على يمينه ؟ قال لا . فبلغ ذلك ابن عمر فقال : أكثر أبو هريرة . فقيل لابن عمر هل تنكر شيئاً مما يقول ؟ قال لا ولكنه اجتراً وجبنا اه بحروفه (١)

وعبارة المبشر الطاعن توهم أن ما أورده هو نص ما في الإصابة ولعله يريد بقوله في الحديث « لم يعجب مروان » إيهام القارئ أن موضوع الحديث قبيح أو منكراً دبا . ثم انه فسر الجراءة التي وصف ابن عمر بها أبا هريرة بالتهجم والتعدي . وهذا من أكبر الجراءة على القول بغير علم فالتعدي معناه المبالاة والمعارضة ولا محل له هنا ، فالطاعن أثبت بهواه معنى غير صحيح ، ونفي معنى صحيحاً ، وهو وصف ابن عمر نفسه بالجبن ، والمراد به كما تقدم في بيان السبب الأول من أسباب كثرة حديث أبي هريرة انه كان جريئاً على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم وكان أكثر الصحابة يهابون سؤاله فلا يكادون يسألونه الا لضرورة . فهذا معنى قول ابن عمر اجتراً وجبنا . وهو قد صرح هنا بأنه لا ينكر شيئاً من قول أبي هريرة . ولكن القسيس المبشر يريد أن يقنعنا مع هذا التصريح بأنه أنكر كلامه وكذبه !! وقد فسر ابن الأثير « اجتراً وجبنا » بقوله : يريد انه أقدم على الأكثر من الحديث عن النبي (ص) وجبنا نحن عنه فكثير حديثه وقل حديثنا اه

هذا وإن هذا الحديث عن أبي هريرة مطعون في سنده فإن راويه عبد الواحد ابن زياد ليس ثقة فيما يرويه عن الأعمش عن أبي صالح كما صرح به الذهبي في

(١) تراجع نقل الطاعن لهذا الحديث وتحريفه في ص ٣٦

الميزان وذكر هذا الحديث من منا كبره عنه

وأما جملة التحدي التي كتبها الطاعن بغير فهم فهي مصحفة عليه من أثر في الاصابة عن عبد الله بن عمر. قال الراوي : كان ابن عمر اذا سمع أبا هريرة يتكلم قال : انا نعرف ما تقول ولكننا نجبن ونجتري . أي نجبن عن كثرة التحديث وتجتري أنت عليه. فيكون هذا بمعنى رواية عبد الواحد على الوجه الذي فسرهما به ابن الاثير. ولكن كلمة تجتري صحفت في طبعة الهند للاصابة هكذا «نجتري» ولعل الطاعن رآها في طبعة مصر مصحفة أيضا بفعل من التحدي أو ما يقرب منه، وأني له ان يعرف الاصل ؟

وهذا يثبت قولنا ان هذا الطاعن يكتب ما لا يفهم وانه لا ثقة بنقله ولا بفهمه. ومن الغريب انه ترجى أن يكون هذا التفسير الباطل لتلك الكلمة المحرفة من تلك الرواية المنكرة أصلا للطعن في جميع الاحاديث لا لتكذيب أبي هريرة وحده فقال « ولعل في هذا ما يميظ لنا اللثام عن مصادر الاحاديث فانه يدلنا على عظم الاستسلام الى رواة الاحاديث غير المدققين ، والارجح ان عبد الله لم يكن يجسر على مقاومة أبي هريرة وإنما جاهر برأيه بلهجة الازدراء » اهـ

فليهنأ المسلمون بهذا الطاعن بشريعتهم بمثل هذا الخطب والغلط والتحريف والدعاوي المضحكة . ومن ذا الذي لا يضحك من ادعاء هذا المبشر أن عبد الله ابن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين القرشي ما كان يجسر على تخطئة أبي هريرة الدوسي الضعيف ؟

كان ينبغي لك أيها القس المحترم أن تلمّ قبل تصديقك لتشكيك المسلمين في دينهم ، وتهجمك على الطعن بشريعتهم ، أن تلمّ قليلا بتاريخهم ، فانتا نرى عوام نصارى بلادنا العربية يعلمون كخواصهم ان حرية النقد واستقلال الرأي عند الصحابة رضي الله عنهم قد بلغت أوج الكمال ، وان أرقى الاوربيين حرية كالانكليز لم يباغوا درجاتهم في ذلك ، انهم يعلمون ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كانت تخشى بأسه ملوك الارض وتهايه الانس والجن كان يقول الكلمة على المنبر في المسجد الجامع فتخطئه بها المرأة أو الأعرابي فيعترف بخطئه اذا كان

مخطئا، فهل يقال في هؤلاء أن أعظمهم مكانة في العلم والشرف لا يجسر أن يصرح برأيه في تخطئة أضعفهم ؟؟ على أنه كان يكفيك أن تفهم شاهدك الآتي — وهو — (رابعاً) ما نقله عن الإصابة محرفاً ناقصاً كالذي قبله — وهو الشاهد الثامن — ونحن ننقله بنصه ليقابله القراء بما نقله (١) ويروا درجة أمانته . قال الحافظ :

« وأخرج ابن سعد من طريق الوليد بن رباح : سمعت أبا هريرة يقول لمروان حين أرادوا أن يدفنوا الحسن عند جده : تدخل فيما لا يعنيك . — وكان الأمير يومئذ غيره — ولكنك تريد رضا الغائب . فغضب مروان وقال إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة الحديث وإنما قدم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال أبو هريرة قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقمت معه حتى مات و (كنت) أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحجج، فكنت أعلم الناس بحديثه، وقد والله سبقتني قوم بصحبته فكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطالحة والزبير ، ولا والله لا يخفى علي كل حديث كان بالمدينة ، وكل من كانت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة، ومن أخرجه من المدينة أن يساكنه . قال فوالله ما زال مروان بعد ذلك كافئاً عنه »

فخلاصة هذه الرواية أن مروان بن الحكم غضب لانكار أبي هريرة عليه أمراً كان لاهل بيته (بني أمية) فيه سياسة — والدولة دولتهم — فلم يجد كلمة يشفي بها غيظه الا قول بعض الناس : أكثر أبو هريرة ، فلما بين له أبو هريرة سبب اكثاره أذعن له ولم يعد الى مثل ذلك ، أليس من العجائب أن يعتمد هذا القس المبشر الى هذه الرواية فيحرفها ليستدل بها على كذب أبي هريرة أو تكذيب الناس له ، وما هي الاحكاية لشبهة الاكثار التي فتدها أبو هريرة وأجبنا نحن عنها بما استنبطناه من مجموع الروايات المبينة لاسبابها وهي سبعة ؟

وجواب أبي هريرة يدل على جرأته وعلى سعة حرية العرب حتى في عهد معاوية أيضاً ، فانه ذكر لمروان نفى النبي (ص) لوالده الحكم ، وسيأتي بيان ذلك

﴿الجملة الرابعة من كلام الطاعن﴾

(شبهات أخرى في أبي هريرة)

قال: «جاء في مجموعة الرسائل للنزالي في كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول صفحة ٣٢ قوله: «أقلد جميع الصحابة ولا أستعجز خلافتهم برأيي إلا ثلاثة نفر أنس بن مالك وأبو هريرة وسحرة بن جندب... وأما أبو هريرة كان يروى كلما سمع من غير أن يعامل في المنى ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ»

«انقبس كوله زير هذا القول في كتابه (الظاهرية) صفحة ٧٩ ولكن بدون إشارة إلى القيد المذكور، فأبو حنيفة لم يرتب في وثائق أبي هريرة ولكنه ارتقأ في قيمة أحاديثه بأخبارها أركاناً للشريعة»

«٢ حلقة أبي حنيفة: على أن ارتياب أبي حنيفة وأتباعه في قبول كلام أبي هريرة كان مبنيًا على ارتيابهم في وثائقه. فقد نقل المسيرى في كتاب الجوهان أنه وقع خلاف بين بضعة من رجال الأفعاء في جامع بغداد، فأنكر الخنقيون الاستشهاد بأبي هريرة لاشتباهم في صدق روايته، وكان الخليفة هارون الرشيد في جانب الفريق المرتاب» اهـ

هذا ما قاله الطاعن بنصه على ما فيه من الغلط والتعريف والابهام من وجوه: (منها) أن مجموعة الرسائل ليست للنزالي وإنما هي رسائل لكثير من قبله وبعده (ومنها) أن كتاب المؤمل في الرد إلى الأمر الأول ليس للنزالي كما توهمه عبارته (ومنها) أن قوله «أقلد جميع الصحابة» الخ منقول في كتاب المؤمل عن أبي حنيفة. وظاهر عبارة الطاعن أنه للنزالي لأنه هو الذي سبق ذكره في كلامه. ولهذا يتوجب من يرى لاحق كلامه وذكره فيه لاني حنيفة

(ومنها) أن الأصل (يروى كل ما سمع) لا (كلما سمع) كما كتبت الطاعن والفرق بينهما معروف لكل من له إلمام بالعربية

(ومنها) أنه أورد شبهة واحدة؛ وإنما فقد العنوان لشبهات متعددة، ولكنه قسم هذه الشبهة إلى قسمين (أحدهما) ادعاؤه أن أبا حنيفة لا يحتاج بالأحاديث التي يرويها أبو هريرة (والثانية) أن أتباعه كذلك لا يحتجون بها

ولعلنا لو راجعنا عبارة حياة الحيوان لاستخرجنا من نقله لها بالمعنى الذي اراده اغلاطا وتحريفات اخرى ، والغرض من هذا بيان ما قلناه اولا من انه لا يوثق بنقله ولا بفهمه ، مع القطع بأنه يقصد الطعن لتشكيك المسلمين في الاسلام لا تمحيص الحقيقة ، ولكن بعض خطئه مما لا يهتدي عاقل الى تعليقه ، كنسبته كتاب المؤمل ومجموعة الرسائل الى الغزالي ١١

أما الجواب عن هذه الشبهة فهي أن أبا حنيفة لم يطعن في رواية أبي هريرة بهذه العبارة ولا بغيرها ولم يتهمه بالكذب ، وهذه العبارة التي فسرها الطاعن بهواه لا بما تدل عليه في عرف الفقهاء لا تنهض حجة له ، فالتقليد عند علماء الشرع هو العمل برأي المقلد (بفتح اللام) لا بروايته ، لا خلاف بين المذاهب في هذا . فأبو حنيفة يقول في هذه الرواية عنه انه يقدم رأي الصحابي على رأيه — أي رأيه الذي يستنبطه من الكتاب أو السنة بالقياس — الا رأي هؤلاء الثلاثة ، وعال ذلك بقوله « أما أنس فاختلف في آخر عمره وكان يمتي من عقله وانا لا أقلد عقله ، واما أبو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير ان يتأمل في المعنى ومن غير ان يعرف الناسخ والمنسوخ » فقد صرح بأنه كان يروي ما سمعه وهذا ينفي اتهامه بأنه يكذب ، وصرح بأنه ما كان يقصد من الرواية استنباط الاحكام منها بالتأمل في معاني الاحاديث والبحث عن الناسخ والمنسوخ منها ليقدم الاول عند التعارض ، وحاصل ذلك انه راو غير مستنبط فيؤخذ بروايته لا برأيه وفهمه . وهذا صحيح فان ابا هريرة كان يقصد بحفظ الحديث اولا روايته والاهتمام به بنفسه ، وثانيا نشر السنة وايصالها الى الناس ليبتدوا بها بحسب اجتهادهم عملا بوصية النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة في خطبة حجة الوداع اذ قال « ليلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو اوعى له منه » وفي رواية « رب مبلغ اوعى من سامع » وكلاهما في البخاري وغيره . وفي معنى هذا الحديث ما رواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت مرفوعا « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه » ورب حامل فقه ليس بفقيه »

والرواية الاخرى عن أبي حنيفة وهي الاشهر انه قال : أقلد من كان من القضاة

المفتين من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعبادة الثلاثة ولا أستجيز خلافهم برأيي الا ثلاثة نفر . — وذكرهم — والمراد بالعبادة الثلاثة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر . وقد ترك الطاعن نقل هذه الرواية من كتاب المؤمل ، لأنها أظهر في المراد الذي بيناه ، وأبعد عن التحريف الذي ادعاه .

وما زعمه من رد الحنفية الاستشهاد بحديث أبي هريرة لاشتباههم في صدق روايته اعتمادا على حكاية محرفة نسبها الى حياة الحيوان فهو باطل ، وهذه كتب الحنفية في الحديث والنقح تكذب هذه الدعوى ، وصاحب الدار أدري . ومذهب السواد الاعظم من الفقهاء المجتهدين ان رأي الصحابة ليس بحجة في الشريعة سواء كانوا فقهاء مستنبطين أو رواة ناقلين ، وإنما الحجة في الرواية اذا صحت .

خلاصة الطعن في أبي هريرة والاجوبة عنه

ينحصر طعنه في أبي هريرة في ثلاثة أشياء — ١ — استكثار بعض الصحابة لروايته ، وقد بينا أسبابها المزيلة لاستغرابها ، — ٢ — توقع أبي هريرة لتكذيب بعض الناس له اذا هو صرح بكل ما سمعه ، وقد بينا ان هذا خاص بما سمعه من أخبار الفتن التي اسر اليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا كثيرا منها ، ومثله في ذلك حذيفه ابن اليان ، وقد ذكر كل منهما بعض ما سمع تصريحا أو تلويحا فوقم كما قالا فكان من دلائل النبوة التي لا تحتمل التأويل — ٣ — ان الحنفية لا يحتجون بروايته وإنهم يعتقدون انه كان كاذبا — وهذه دعوى باطلة تكذيبها بالالوف من كتب المذهب والملايين من أتباعها

ويعارض هذه الشبهات الباطلة إجماع أئمة الفقه ومنهم الاربعة المشهورون على الاحتجاج بما صح عندهم من أحاديث أبي هريرة المرفوعة — وكذا الرسالة عند الجمهور — وثنا كثير من الصحابة ومن بعدهم على سعة حفظه وجودة ضبطه ، وقد ذكرنا بعضها

ومن الغريب ان أبا هريرة اغضب مروان بن الحكم الاموي — الذي كان أمير المدينة ثم صار أمير المؤمنين — وعرض أمامه تعريضا يقرب من التصريح بأن عشيرته هي التي تفسد على المسلمين أمرهم ، ولم يجد مروان كلمة يقولها فيه الا حكاية

قول من قال : أ كثر أبو هريرة . ولما جبهه بتذكيره بنبي النبي صلى الله عليه وسلم
لوالده (الحكم) من المدينة لم يعد الى تلك الكلمة ولا غيرها ، ولو وجد فيه مطعنا لما
قصر في التشنيع عليه به

وقد ورد ان مروان امتحنه لعله يعثر عثرة يؤاخذ به . قال الحافظ في الاصابة :
وقال أبو الزعزعة كاتب مروان : أرسل مروان الى أبي هريرة فجعل يحدثه وكان
اجلسني خاف السريرا كتب ما يحدث به ، حتى اذا كان في رأس الحول أرسل
اليه فسأله وأمرني ان أنظر فما غير حرفاً عن حرف . اهـ

فياليت شعري ماذا كان يقول هذا الطاعن لو نقل أن أبا هريرة غير أو بدل
أوزاد أو نقص في الاحاديث التي حدث بها مروان — واذا العاقبة مروان وشهر به
حتى لا يقبل أحد حديثه — أو لو طعن في دينه وإيمانه غير مروان ؟ بل ماذا يقول
هو وسائر دعاة النصرانية لو نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم طرده كما طرد المسيح
عليه السلام بطرس وسماه شيطانا وهو كبير تلاميذه ورسله ؟ ففي الفصل ١٦ من انجيل
متى انه طوبه وجعله الصخرة التي يبنى عليها كنيسه وقال له (١٩) واعطيك مفاتيح
ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله
على الارض يكون محلولا في السموات (قال متى) ٢٠ حينئذ أوصى تلاميذه ان
لا يقولوا لأحد انه يسوع المسيح ٢١ من ذلك الوقت ابتداء يسوع يظهر لتلاميذه
انه ينبغي ان يذهب الى اورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة
ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم ٢٢ فأخذه بطرس اليه وابتداء ينتهره قائلا حاشاك يا رب
٢٢ فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان ، أنت معثرة لي لأنك لاتهتم بما لله

لكن بما للناس)

فهذه الشهادة على بطرس وهذا اللقب كان على رواية متى بعد تلك المنحة
والخصوصية التي خصه بها ، فهل نسختها أم يجوز الجمع بينهما ؟ نحن نميل حواربي
المسيح ولا تؤمن بهذه الرواية حتى نحتاج الى الجوب عنها . وفي متى (١٤ : ٣١)
ان المسيح قال لبطرس أيضا « يا قليل الايمان » وفي ١٧ : ٢٠ وصف التلاميذ كلهم
(المنار : ج ١) (٧) (المجلد التاسع عشر)

بعدم الإيمان وأنه ليس لهم منه ولا مثل حبة خردل . ومثل هذه الشهادة متعددة في غيره من الاناجيل . حتى ان منها ما جاء بصيغة المستقبل كقوله لهم بعد ما رأوا آية إطعام خمسة آلاف من خمسة أرغفة « انكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون » (يوحنا ٦: ٣٦) وكما وصفهم بعدم الإيمان وصفهم بأنهم أشرار ، روى ذلك لوقا في (١١ : ١٣) من انجيله

ثم ياليت شعري لو وصف النبي صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بمثل هذين الوصفين — أو لو وصف بذلك في كتاب الله المجيد — ماذا كان يقول فيه وفي روايته هذا المبشر المحترم والقس الجدل الذي وضعته جمعيته في أشهر البلاد الإسلامية بالعلم لينصّر المسلمين فيها؟ وهل يقبل منا أن نقول له لماذا تقبل رواية تلاميذ المسيح بلا سند مع وصف المسيح لهم بما ذكر وهو المعصوم من الخطأ — ولا نسمح لنا بقبول رواية أبي هريرة ولم يجرحه من دون المسيح بمثل ذلك ؟ (لارد بقية)



التعريف بكتابي

منازل السائرين — ومدارج السالكين

وترجمته مؤلفهما

(بيان وجه الحاجة الى تحرير التصوف ومكانة الكتابين والشيخين منه)

علماء الاسلام أربعة أصناف : أهل الأثر والمتكلمون والصوفية والفقهاء . والتفسير مشترك بينهم ففي كل صنف منهم مفسرون . ونقول باعتبار آخر : ان علماء الاسلام صنفان علماء الأثر وغيرهم ، أو علماء المنقول وعلماء المعقول ، ومن كل صنف مفسرون وفقهاء . ولا يكاد يكون الأثري متكلماً ، وقد يكون صوفياً في النادر . والأثري الفقيه اذا احتج بالقياس فانما يحتاج بما كانت علته ثابتة في الكتاب أو السنة ثم ان علم الأثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا

بالآخر، فمن اتقن علم الرواية بحفظ الأثر أو الحديث وضبطه ومعرفة رواته وعمله والتمييز بين الصحيح وغيره منه ولم تكن له دراية تامة بفهمه والاستنباط كان جل النفع بعلمه لغيره ، وهو اذا خاض في معاني الحديث بغير استعداد تام للفهم فانه ربما يضل ويضل كثيرا ، وفي مثله ورد الحديث الصحيح « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقير » رواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت . وفي معناه حديث « نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع » رواه احمد والترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود . وأما من لم يتقن علم السنة من المتكلمين والفقهاء والصوفية فضلالهم وإضلالهم أشد

وقد وجد في كل طائفة علماء أعلام خدموا الاسلام أجل خدمة ، فصالحو المتكلمين خدموه بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، على ان بعض الشبه والبدع ما جاءت الامن علمهم المبتدع ، وانما ينتفع بعلمهم من جمع بينه وبين علم السنة . وصالحو الصوفية خدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتربية الاخلاق والآداب ، ولكن البدع التي حدثت من قبلهم أكثر وأرسخ من سائر البدع التي حدثت في الاسلام ، وسبب ذلك الجهل بالسنة .

والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والاحكام المدنية والسياسية والتأديبية ، وقد جنى الجاهلون بالسنن منهم على الاسلام جناية عظيمة بما أحدثوا بأقيستهم البعيدة عن نصوص الشريعة ومقاصدها من الاحكام الكثيرة المنافية ليسر الدين ورفع الحرج منه

تفرق المسلمون بهذه العلوم الى فرق وأحزاب كثيرة كل ينتحل مذهبا ينتصر له ويدافع عنه ، فكانت جناية الخلاف على الاسلام وأهله أشد ضررا مما أخطأ به كل فريق منهم . وقد رد بعضهم على بعض ردودا كان يعدها كل منهم من التعصب أو من باب « من جهل شيئا عاداه » والحق انه قلما يخلو رد طائفة على أخرى من ذلك . ومنشأ الخطأ والضرر الأكبر هو التزام مذهب والرد على مخالفه ، فان هذا هو اتباع الهوى ، وأهله هم أهل الاهواء ، وان سموا أنفسهم بأفضل الاسماء

أما أهل الحق الذين لا يدخلون في عموم (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فهم الذين يعملون كتاب الله تعالى وبما بينه من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فرق الخلاف، بل هو الحكم العدل في الخلاف، لأنه تعالى أخبرنا أنه أنزل الكتاب (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) — وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم — فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)

وأجدر هؤلاء المهديين ببيان التحقيق الذي يزيل الخلاف من كان جامعاً بين المقول والمقول غير متعصب لمذهب من المذاهب التي تعزى إلى أفراد العلماء. ولم نر في هذا الصنف أوسع علماً وأنهمض حجة وأقوى عارضة من شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، وتلميذه الإمام المحقق محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم وأبن قيم الجوزية، فقد جمع الله لكل منهما بين الرسوخ في علوم السنة حفظاً وفهماً واستحضاراً واستنباطاً وبين التمكن من سائر العلوم التي دلت بالعربية ومذاهب الفرق وأدلتها، فيينا في كتبهما المتعة ما أخطأ فيه الذين انحرفوا عن الكتاب والسنة من أهل هذه المذاهب، وقد كان ابن تيمية السابق إلى تحرير تلك المسائل، وتلاه ابن القيم فكان الموضح المكمل لها، والمستدرك المدرك لما فاتته منها

وأهم ما انفرد به ابن القيم فيما نعلم الإطالة بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم بشرحه لكتاب [منازل السائرين] لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي

الصوفية ثلاث: صوفية الأرزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق، وبدع الفريقين المتلدين يعرفها كل من له إلمام بالسنة والفقه. وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رؤوس الفقهاء والتكلمين، فهم في الحقيقة علماء حكماء، ولكن ضل بها دخل في الإسلام من باب فلسفتهم الروحية، أضاعف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية، من إلهية وطبيعية، وسبب ذلك ما بيناه آنفاً من جهل بعض شيوخهم بالسنة النبوية، فمن أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشريعة، وجعل الأمر الكوني القدري كالامر

الشرعى في كون كل منهما يجب الرضاء به والافتعان والاستسلام له ، ومن مفسد هذا الأصل قولهم « من نظر إلى الخلق بعين الشريعة مقتهم ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة هذرم » ومن مفسده الرضاء بدمم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الافراد وحقوق الأمة . ومن مفسده الجبر وسلب الاختيار ونهايك بما يتبعه من المفسد والمضار

ومن أصول الضلالة التي دخلت من ذلك الباب جعل الفرق والحال من قبيل دلائل الشريعة وأصولها ، بل هو عند كثير من غلاتهم الركن الاعظم المقسم على كل ما يمارضه ، ومن فروع هذا الأصل ما ابدعوه من الاذكار والاوراد والسماع وتعميم القبور وجملوه من شعائر الاسلام فان عديتهم فيه انهم ذاقوا ما أثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة في الآخرة ، ومن أمثالهم « من ذاق حرف » وجملوا ان مثل هذا الذوق حاصل للكفار فيما يأتونه في عبادتهم من الاغاني والانشيد وآلات الغزب ، وما يشاهدونه في معابدهم ومقابرهم من الصور والتماثيل التي وضعت لخدعهم من التزيين والكهنة وفيرهم من الصالحين عديم ، فاذا كانت العبادة تشرع بالذوق ، فقد هضم حق الوحي وهدم أساس الشرع

ومن أصول تلك الضلالات دعوى ان لدين ظاهراً وباطناً مخالفاً لما بينهما الجمهور منه ، وهذه الضلالة من ابدع زنادقة الباطنية وقد كانت سبباً لارتداد كثير من المسلمين فسكونت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية البهائية والأزلية وغيرهم

ومنها أصل الأصول عند غلاتهم ، وهو ما يبررون منه بوحدة الوجود بالمعنى الذي يمثله الكتاب المسمى (بالإنسان الكامل) وأمثاله وهذا الأصل يخالف لنصوص القرآن الصريحة ، ولنصوص السنة الصحيحة ، وفيه مفسد كثيرة جداً ، واسكن من الناس من يفهم وحدة الوجود على غير هذا الوجه .

قد افترقت كل فرقة انشقت من جماعة المسلمين وأهل كل مذهب خالفوا السنة وما جرى عليه سلفها الصالح بفتنة أويل ما يخالف مذاهبهم وآراءهم من آيات الكتاب العزيز ومتون الاحاديث ، حتى انهم ليؤولون السنن العملية أو يعارضونها بروايت قولية شاذة أو منكرة ، وغلاة الصوفية أبرم الفرق في التأويل وأشد ماصرافاً

فيه بعد الباطنية الذين يشبهون بهم كثيرا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون في التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكناية ، بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الاشارة وباب الرموز ، ولذلك نرى كلامهم ممزوجا بالآيات والاحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التي تدل عليها في اللغة ، ولا جله ترى كلامهم مقبولا عند الجماهير من غير تأمل ولا تفكر ، حتى ان المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص أو يبتدع في الدين ما لم يكن في الصدر الاول

فمن تدبر ما ذكرنا علم ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا في علم الكتاب والسنة أتم الرسوخ ، وعارفا بالتصوف معرفة علم وذوق وعمل ، وقد ادخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين العارفين الدائمين المفسرين المحدثين — شيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي الانصاري ، ومحقق الاسلام ابن القيم الدمشقي — فالاول عالم أري غلب عليه التصوف ، والثاني صوفي ذائق غلب عليه علم السنة ، جمع الاول زبدة التصوف جمعا موجزا في كتابه [منازل السائرين] وشرحه الثاني وبين ماله وما عليه في كتابه [مدارج السالكين] وهما نحن أولاء نقل من كتب العلماء ترجمة وجيزة لكل من الشيوخين ، وثقفي عليها بالتعريف بكل من الكتابين :

﴿ ترجمة شيخ الاسلام الهروي ﴾

جاء في حوادث سنة ٤٨١ من كتاب (شذرات الذهب) ما نصه :
وفيهما توفي أبو اسماعيل شيخ الاسلام الانصاري الحنبلي عبد الله بن محمد بن علي الهروي الصوفي القدوة الحافظ أحد الاعلام ، توفي في ذي الحجة وله ثمانون سنة وأشهر

سمع من عبد الجبار الجراحي وأبي منصور محمد بن منصور الازدي وخلق كثير وبنيسابور من أبي سعيد الصيرفي وأحمد السليطي صاحب الاصم ، وكان قدي في أعين المتدعة وسيفا على الجهمية. وقد امتحن مرات. وصنف عدة مصنفات، وكان

شيخ خراسان في زمانه غير مدافع ، قاله في العبر
ومن شعره

سبعان من أجمل الحسنى لطالبا حتى اذا ظهرت في عبده مدحا
ليس الكريم الذي يعطي لمدحه ان الكريم الذي يثني بما منحنا
وجاء في أول حرف العين من (الكواكب الدرية) في طبقات الصوفية للمناوي :
« عبدالله بن محمد بن علي شيخ الاسلام ابو اسماعيل الانصاري المروى الحافظ
العالم العارف الصوفي صاحب [منازل السائرين] كان اماما في التفسير والحديث ،
حسن السيرة^(١) في التصوف والعربية والتاريخ والانساب وغير ذلك . وكان لا يخاف
في الله لومة لائم ولذلك^(٢) في هلاكه مرارا فحفظ منهم . وكان آية في التذكير
والوعظ . مات سنة احدى وثمانين وأربعمائة » اهـ

وذكره الحافظ الذهبي في كتاب العلو وجعل عنوانه « شيخ الاسلام الانصاري »
ولقبه بالامام الكبير ، على كونه لم ينقم منه سوى تأليفه لكتاب المنازل وقال فيه مانصه :
« كان ابو اسماعيل آية في التفسير ، رأسا في التذكير ، علما بالحديث وطرقه ،
بصيرا باللغة ، صاحب أحوال ومقامات ، فياليته لا ألف كتاب المنازل ففيه اشياء
منافية للسلف وشمائهم ، قيل انه تقدم على تفسير (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى)
ثلاث مئة وستين مجلسا . وقد هدد بالقتل مرات ليقتصر من مبالغته في إثبات
الصفات ، وليكف عن مخالفته من علماء الكلام ، فلم يرعوا لتهديدهم ، ولا خاف من
وعيدهم ، ومات في سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، وله خمس وثمانون سنة ، سمع
من عبد الجبار الجراحي وابي سعيد الصيرفي وطبقتهما »

﴿ ترجمة محقق الاسلام ابن القيم ﴾

قال العلامة السيد نعمان خير الدين ابن الآلومي البغدادي في كتابه (جلاء
العينين) :

العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي

(١) لعله سقط شيء من هنا (٢) وهنا كلمة ممدوحة في الاصل لها : سمي علماء الكلام

ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر النحوي الاصولي المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية . قال في الشذرات : بل هو المجتهد المطلق . قال ابن رجب : ولد شيخنا سنة احدى وتسعين وستمائة ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه وتفنن في كافة علوم الاسلام وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين واليه فيه المستهى ، والحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يباحق في ذلك ، وبالفقه والاصول والعربية وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام والتصوف . حبس مدة لانكاره جد الرحيل الى قبر الخليل ، وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى ، ولم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان ، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في مثله . وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع شيخه شيخ الاسلام تقي الدين في المرة الاخيرة بالقاعة منفردا عنه ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشغولاً بتلاوة القرآن والتدبر والتفكير ففتح عليه من ذلك خير كثير ، وحصل له جانب عظيم من الاذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والخوض في غوامضهم وتصانيفه بمائة بذلك ، وحنج مرات كثيرة وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يتمجبون من كثرة طوافه وعبادته ، وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة وأشياء من تصانيفه غيرها ، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه ، والى أن مات وانتفوا به . قال القاضي بريحان الدين الزرعي : وما تحت أديم السماء أوسع علماً منه ، ودرس بالصدرية وأم بالجوزية ، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره .

فمن تصانيفه : تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته . وسفر الحجرتين . ومراحل السائرين . والكلام الطيب . وزاد المسافرين ، وزاد المعاد أربع مجلدات ، وهو كتاب جليل . وكتاب نقد المنقول . وكتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين ، ثلاث مجلدات . وكتاب بدائع الفوائد بمجلدان . النونية الشهيرة بالشافعية الكافية . الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة . حادي الارواح الى بلاد الافراح . ونزهة المشتاقين . وكتاب الداء والدواء . وكتاب مفتاح دار السعادة بمجلد ضخيم غريب

الاسلوب . واجتماع الجيوش الاسلامية . وكتاب الطرق الحكيمة . وكتاب عبادة الصائرين وكتاب اغائة الالهقان . كتاب الروح . وكتاب الصراط المستقيم . والفتح القدسي . والتحفة الحكيمة . والفتاوى ، وغير ذلك . توفي ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير بعد ان صلي عليه بموضع عديدة ، وكان قد رأى قبل موته شيخه تقي لدين في النوم وسأله عن منزلته فأشار الى علوها فوق بعض الاكابر ، ثم قال له : وأنت كدت تلحق بنا ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة ، رحمهم الله تعالى . انتهى باقتصار

مكة كتاب منازل السائرين

جاء في كشف الظنون مانصبه :

(منازل السائرين) أوله « الحمد لله الواحد الاحد » الخ . وهو لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن (علي أبو) اسماعيل الانصاري الهروي الحنبلي الصوفي المتوفى سنة ٤٨١ إحدى وثمانين وأربعمائة . وهو كتاب في أحوال السنوك قال فيه : هذه المقامات يجمعها رتب ثلاث : الأولى اخذ المريد في السير ، الثانية دخوله في الغربة ، الثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة الى عين التوحيد . الغه حين سأله جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين الى الحق من أهل هراة فأجاب ، ورتبه لهم فصولاً وأبواباً ، وجعله مائة مقسومة على عشرة أقسام ، كل منها يحتوي على عشرة مقالات ، « وقد شرحه جماعة منهم الشيخ كمال الدين عبد الوزاق الكاشي المتوفى سنة ٧٣٠ ثلاثين وسبعمائة اغياث الدين محمد بن رشيد الدين محمد بن محمد بن طاهر الوزير ، أوله « الحمد لله الذي خص العارفين بمعرفة ما لا يعرفه الا هو » الخ . وذكر الكاشاني ان النسخ كانت مختلفة وألفاظها متباينة حتى ساق اليه القدر نسخة مقرونة على المصنف موشحة بإجازة بخطه ، قل وهو كتاب فاق على كل ما صنف في هذه الطريقة . وشرحه المولى شمس الدين محمد البنادكاني الطوماني المتوفى سنة ٨٩١ إحدى وتسعين وثمانمائة وهو شرح ممزوج بالفارسية سماه (تسنيم المنيريين في شرح منازل السائرين) وشرحه محمود بن محمد الدرگزني المتوفى سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة سماه (تنزل السائرين) ولاحمد بن ابراهيم الواسطي المتوفى سنة ٧١١ إحدى عشرة وسبعمائة شرح نافع (المنار : ج ١) (٨) (المجلد التاسع عشر)

« ولشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة شرح سماه (مدارج السالكين) وهو شرح مبسوط . وعلق عليه أبو طاهر محمد بن أحمد الفيشي المتوفى سنة ٧٤٧ سبع وأربعين وسبعمائة ؛ وترجمه الشيخ مصلح الدين المعروف بابن نور الدين المتوفى سنة ٩٨١ إحدى وثمانين وتسعمائة بالتركية ؛ واختصرته الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية وسمته (الإشارات الخفية في المنازل العلية) وشرحه الشيخ الإمام عبد الغني التلمساني . وشرحه أيضا الشيخ الإمام سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني الصوفي المتوفى سنة ٦٩٠ تسعين وستمائة بأمر الشيخ الزاهد ناصر الدين أبي بكر بن فليح وهو شرح أوله « الحمد لله الذي روحنا بالحمد » الخ اهـ

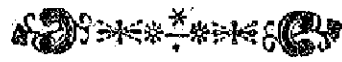
مكانة كتاب مدارج السالكين

مصنفات ابن القيم في كتب علماء الاسلام نادرة ، وكتاب مدارج السالكين في كتب ابن القيم نادرة ، فاذا كان كل كتاب منها ممتازا بتحقيق وإحاطة في مباحث العلوم فلا يستغنى عنه بغيره في الجملة ، فكتاب المدارج أولى بأن لا يستغنى عنه بغيره في الجملة ولا في التفصيل . ذلك بأن مباحث كل كتاب من تلك الكتب قد توجد مجمة أو مفصلة في كتبه الأخرى أو كتب شيخه وغيرهما من المحققين . وأما مباحث لمدارج فما يوجد منها في تلك الكتب قليل جدا ، فهو الكتاب الذي قد انفرد بتحرير علوم الصوفية ، ووزنها بميزان الكتاب العزيز والسنة النبوية ، وما كان عليه صفوة المسلمين في الصدر الأول . قدر الله تعالى أن يجمع مباحثها له إمام من أكبر أئمتهم المعتقدين في أوجز عبارة ، وألطف إشارة ، يعز على غيره الحكم لها وعليها ، بل يقل في الناس من يفهم الغايات التي ترمي إليها ، وإنما أحجم غير ابن القيم من علماء السنة الاعلام عن شرح كتاب المنازل بمثل ما شرحه به ، أو إنشاء كتاب مستقل في موضوعه ، لأن الصوفي القح منهم — وهو قليل — لا يرجى منه احسن مما جاء به الهروي ، والبعيد عن التصوف منهم لا يفهم رموزهم ومقاصدهم ، ولا يدرك أحوالهم وأذواقهم ، فهو إما أن يحكم عليهم بالتضليل ، أو يعذرهم بضرب من التأويل ؛ ألم تر إلى الحافظ الذهبي كيف تمنى لو لم يؤلف الانصاري كتاب المنازل ، ولو لم

يكن من أكبر علماء التفسير والحديث ، ومقاومي الجهمية وغيرهم من أهل التعطيل والتأويل ، لفضله بهذا الكتاب تضييلا

إذا كان لكتاب المدارج عيب يوقيه من المين فعيه أن أكثر ما فيه من الأحاديث غير معزولة إلى مواضعه من دواوين السنة ، خلافا لمادة مؤلفه وأمثاله كأن العدوى سرت إلى مصنفه من كتب التصوف ، ولكن لم يصل فعلها فيه إلى إيراد الأحاديث الموضوعة ، أو الاستدلال بالأحاديث المنكرة والضعيفة ، فإن هذا لا يأتي من آري محقق مثل ابن القيم

وجملة ما نقول في هذا الكتاب أنه أفضل ما عرفنا وسمعنا به من كتب التصوف والأخلاق الدينية ، وقد فند ما ذكرنا وما لم نذكر من دخائل كتب التصوف وبدعها فهو غاية الغايات في هذا الباب ، والله أعلم بالصواب . والحمد لله الذي وفقنا لطبعه ونشره ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ما



أعظم معركة بحرية بين أعظم أساطيل العالم

نشرت الحكومة الانكليزية في ٣ يونيو ١٩١٦ بلاغا رسميا في مصر هذا نصه :
كما نشر في المقطم وغيره :

أعلنت وزارة البحرية البريطانية أنه بعد ظهر يوم الاربعاء في ٣١ مايو حاول الاسطول الالماني الأكبر أن يخترق نطاق الحصار البحري الذي ضربناه على المانيا فجاء من جهة بحركات غات قاصدا دخول البحر الشمال وكان هذا الاسطول مؤلفا من أساطيل الدردنوطات والطرادات الكبرى والطرادات والمدمرات الخ فانبرى له أسطول من الطرادات البريطانية الكبرى تعززه الطرادات والمدمرات واحتدم القتال بين الفريقين وأسفرت المعركة عن خسارة عظيمة من الجانبين وبعد مدة وجيزة وصل أسطول الدردنوطات البريطانية إلى مكان المعركة فبكف العدو عن القتال وعادت بوارجه قاصدة الموانئ الالمانية

وقد اغرقت البوارج الالمانية التالية وهي

بارجة دردنوط من طرز « كيزر » نسفت نسفا وبارجة أخرى من الطرز عينه أغرقت بنار المدافع

أما الطرادات الألمانية الثلاثة الكبرى التي قاتلت في المعركة (و بينها الطراد العظيم لتزوف والطراد العظيم درفلنجر على ما يظن) فقد نسف واحد منها وعطل الثاني ووقف عن الحركة ورؤي الثالث مصابا بعطل كبير

ورؤي طراد الماني من الطرادات الخفيفة وهو يفرق ، ومما يجدر ذكره أن الالمان اعترفوا بضياح ثلاثة من طراداتهم الخفيفة وهي فرونلوب وفسبادن وبومرن وغرقت ست مدمرات ألمانية ونطحت غواصة ألمانية فاغرقت

هذه الخسارة التي أرسل القائد العام للأسطول البريطني خبرها كما رؤيت ولكن ثلاث بوارج ألمانية من البوارج الكبرى أصيبت بعطب كبير والمرجح أن العدو أصيب بخسارة أخرى لم يستطع أسطولنا رؤيتها بسبب صعوبة الرؤية من جراء الأحوال الجوية والظاهر أن المعركة دارت في آخر الأمر والبوارج الألمانية تمجد في السير وقد ساقها البريطنيون أمامهم من السكو الى مصب نهر الالب

أما خسارة الأسطول البريطني فهي من الطرادات الكبرى « كوين ماري » و « انسفيتجايل » و « وأنفسيل » ومن الطرادات « دفتس » و « بلاك برنس » وهذه البوارج الخمس أغرقت ، والطراد « واريور » وقد تعطل فتركناه وشأنه ، ومن المدمرات « تبراري » و « تريولنت » و « فرنشون » و « وسبرهوك » و « أردنت » وثلاث مدمرات أخرى ضاعت . ولم يفرق للبريطانيين شيء من بوارج الدردنوط ولا من الطرادات الخفيفة

وقد وقع عبء القتال قبل وصول الأسطول البريطني الأكبر على قسم من أسطول الطرادات الكبرى البريطانية فقاتل هذا القسم أسطول العدو الأكبر وأصيب بالخسارة المتقدمة وهو يقاتل أسطولا يفوقه كثيرا في قوة البوارج وعددها

وقد شرح كل من المقطم والاهرام هذا البلاغ شرحا صرحا فيه بأن الطرادات الكبرى التي غرقت من نوع الدردنوط أيضا وقد آثرفا شرح الاهرام للخسائر وهذا نصه

خسائر الألمان

جاء في البلاغ البريطاني ان الألمان فقدوا بارجتين من طراز « كيزر »^(١) أحدهما نسفت نسفاً والآخرى اغرت بنار المدافع

ومحمول كل بارجة من هذه البوارج ٢٤٧٠٠ طن وهي من بوارج الدردنوط الألمانية وسلاحها ١٠ مدافع قطر ١٢ بوصة و ١٤ مدفعاً قطر ٦ بوصات و ١٢ مدفعاً قل ٢٤ رطلاً و ٤ ثقل ٢٤ رطلاً وهي لمقاومة الطائرات وفيها ٥ أنابيب للطوربيد (الواحدة ٢٠ بوصة) مغمورة بالمياه ٤ منها في جانبها وواحدة في المؤخرة

وقد بنيت بوارج الدردنوط الألمانية التي من طراز « كيزر » (لقب الامبراطور) سنة ١٩١٢ — ١٩١٣ وعددها خمس وهي « كيزر » و « فردريك درجروس » و « كيزرين » و « برنس رجنر لويتبولد » و « كوينج البرت » فاذا كانت اثنتان قد دمرتاً علي ما جاء في البلاغ يكون الباقي عند الألمان من هذا الطراز ثلاث

وليس عند الألمان أكبر من هذه البوارج سوى ثلاث محمول الواحدة منها ٢٨ ألف طن وهي « أرزاس فردريك الثالث » و « أرزاس ورث » و « T » وأربع محمول الواحدة ٢٥ ألف طن وهي « أرزاس براندنبرج » و « كوينج » و « جروس كورفرست » و « مرجراف »

وأما الطرادات الألمانية التي يقول البلاغ ان منها لتزوف ودرفلنجر فهي من طرادات القتال الكبرى وليس لدى ألمانية منها سوى ثلاثة وهي « درفلنجر » و « لتزوف » و « أرزاس هرثا » ومحمولها ٢٨ ألف طن وسلاحها ٨ مدافع قطر ١٢ بوصة و ١٢ مدفعاً قطر ٦ بوصات و ١٢ مدفعاً ثقل ٢٤ رطلاً و ٥ أنابيب للطوربيد (٢٢ بوصة) مغمورة بالمياه أربعة منها في الجوانب وواحدة في المؤخرة

أما الطرادات الثلاث التي يعترف الألمان بضياعها فهي

١ — بومرن ومحمولها ١٢٢٠٠ طن وسلاحها ٤ مدافع قطر ١١ بوصة و ١٤ مدفعاً قطر ٦ ر٧ بوصة و ٢٠ مدفعاً ثقل ٢٤ رطلاً و ٤ ثقل رطل واحد (أي ثقل

(١) المناخ: تعريب كيزر قيصر ، والألمان بطلون لقب قيصر على عاهلهم كالمروس

مقدونها) وأربع مدافع رشاشة و ٦ أنابيب للطور بيد مغمورة بالمياه في جوانبها وفي المقدمة والمؤخرة . وللأمان من هذا الطراز أربع بوارج أخرى وهي « دتسلند » و « هنوفر » و « شلسويج هولستين » و « شلسين »

٢ — فرونلوب وهو طراز صغير محموله ٢٧١٤ طنا وسلاحه ١٠ مدافع قطر ٤ بوصات و ١٠ مدافع ثقل رطل و ٤ مدافع رشاشة وأنبوبان للطور بيد مغموران تحت الماء

٣ — « وستفالن » وهي دردنوط كبيرة ومن طراز « نساو » ومحمولها ١٨٠٠ طن وسلاحها ١٢ مدفعا قطر ١١ بوصة و ١٢ قطر ٦ بوصات و ١٦ ثقل ٢٤ رطلا و ٦ أنابيب للطور بيد في المقدمة والمؤخرة والجانبين مغمورة تحت الماء ولا لمانيا من هذه الطراز أربع بوارج فقط وهي [وستفالن . ونساو . وبوزن . وريتلاند]

وخسر الألمان عدا ما تقدم ست مدمرات لم تذكر أسماؤها هذه خسارة الاسطول الألماني ولا نستطيع تقدير خسارة الأنفس لعدم التحقق من عدد البوارج والطرادات التي اغرقت تماما بمن فيها على انا اذا سلمنا بأنه لم يفرق سوى بومرن وفرونلوب وستفالن وهي الثلاث التي اعترف الألمان انفسهم بضياعها فلا تقل خسارتهم في الرجال عن الف رجل في وستفالن و ٨٠٠ في بومرن و ٢٥٠ في فرونلوب (أي ٢٠٥٠)

خسارة البريطانيين

أما خسارة الاسطول البريطاني فاذا بحثنا فيها فانما نذكر أمورا صحيحة اعتمادا على البلاغ الذي لدينا فلا وجه للحدس والتخمين ولا للظن والشك وهذا بيان الخسائر على ما جاء في البلاغ وقد ذكرنا سلاحها منذ يومين فلانعود الى ذكره اليوم

| محمولها | سرعتها | عدد |
|-----------------|--------|--------|
| طن | عقدة | رجالها |
| كوبن ماري ٢٨٠٠٠ | ٢٨ | ١٠٠٠ |

| محمولها | سرعتها | عدد |
|------------------|--------|--------|
| طن | عقدة | رجالها |
| انديفانجيل ١٨٧٥٠ | ٢٥ | ٧٩٠ |
| انفنسبل ١٧٢٥٠ | ٢٦ | ٧٨٠ |
| دقنس ١٤٦٠٠ | ٢٣ | ٨٥٠ |
| بلاك برنس ١٣٥٥٠ | ٣٢ | ٧٠٤ |
| وررور ١٣٥٥٠ | ٢٢ | ٧٠٤ |

٤٨٢٨

والبارجة كوين ماري هي من احدث الدردنوطات الكبرى . ولا يوجد أكبر منها في الاسطول البريطاني من حيث المحمول سوى ثلاث قطع وهي البارجة « ثيجر » ومحمولها ٢٨ الف طن والبارجة « وورسبيت » والبارجة « فليانت » والبارجة « كوين اليزابث » ومحمول كل منهما ٢٧٥٠٠ طن على ان « كوين ماري » تمتاز عن الثلاث بوارج الاخيرة بسرعتها فهي تجتاز ٢٨ عقدة في الساعة بينما « كوين اليزابث » و « وورسبيت » و « فليانت » سرعة الواحدة منها لا تزيد على ٢٥ عقدة مثل « كوين ماري » وقد كانت البارجة « كوين ماري » من فرقة الطرادات الكبرى في الاسطول الاكبر

ويظهر ان عبء القتال في هذه المعركة وقع على الاسطول البريطاني الذي كان في البحر الابيض المتوسط وهو الآن في البحر الشمالي فان الطرادات [انديفانجيل] و [انفنسبل] و [دقنس] و [بلاك برنس] و [ووررور] جميعها كانت من هذا الاسطول ولضباط هذه البوارج اصدقاء عديدون في الاسكندرية وبور سعيد والسويس وغيرها من موانئ البحر المتوسط سيحزنون لما أصابهم ويأسفون أشد الاسف لقتلهم. وقد ظل (بلاك برنس) مدة طويلة في مياه البحر الاحمر وخليج السويس بعد شوب هذه الحرب واسر جملة بواخر من بواخر الاعداء في أوائلها أما المدمرات الانكليزية التي غرقت وهي [فرنشوت] و [سباروهوك] و [اردنت] و [تيراري] فهذه جميعها من المدمرات الاوقيانوسية وقد بنيت عام

١٩١٣ وطول الواحدة منها ٢٦٠ قدما ومجموعها ٩٣٥ طنا وسرعتها ٣٠٧ عقدة في الساعة وسلاحها ٣ مدافع قطر ٤ بوصات وانبوبات للطوربيد وعدد رجال الواحدة منها مئة رجل

ولعل الثلاث المدمرات الأخرى التي ضاعت ولم يذكر اسمها في البلاغ من نوعها أيضا فتكون خسارة البريطانيين من الرجال في المدمرات نحو ٧٠٠ ه شرح الأهرام [المنار] ظاهر البلاغ الرسمي ان خسارة الاسطول الانكليزي أكبر من خسارة الاسطول الألماني . وقد ورد في البرقيات ان الألمان تبجحوا وافتخروا بهذه المعركة وخطب قيصرهم خطبة قال فيها الآن ألقينا الرعب في أعماق قلوب أعدائنا . ثم وردت برقيات أخرى بأن خسارة الألمان كانت أعظم مما ورد في البلاغ الانكليزي وفي بلاغاتهم الرسمية . وقد قال ناظر البحرية البريطانية إنه جازم بأن خسارة العدو لم تكن أقل من خسارتهم وان لم يسهل بيان ذلك بالتفصيل . وصرح هو وغيره بما لا مرأ فيه وهو ان الاسطول البريطاني لا يزال صاحب السلطان الأعلى على البحار

المنار

الدعوة الى انتقاده

حرت عادتنا بأن ندعو قراء المنار في أول كل سنة الى انتقاد ما يروونه منتقدا فيه بالشروط التي كررنا بيانها ، ونعني بقراء المنار هنا كل من اطلع عليه وقرأ شيئا فيه لا المشتركين خاصة ، واعد بأن نشر كل ما يكتب اليانا في ذلك بشروطه وأهم الشروط ان ينتقد القارئ للكلام ما يراه خطأ ويبين ذلك بالدليل من غير استطراد ولا تطويل

حجم المنار في هذه السنة

ذكرنا في الجزء الماضي أن قلة الورق اضطررتنا الى ان نجعل كل جزء من أجزاء هذه السنة ثمانية كراريس (ملازم) واننا اذا ظفرنا في أثناء السنة بورق كاف نجعل السنة اثني عشر شهرا فيكون حجم مجلد هذه السنة من سني الحرب كمجلد التي قبلها

مباحث هذا الجزء

ضاحت هذا الجزء عما وعدنا به فيما قبله من كتابة مقالة في حال المسلمين الاجتماعية وحال أغنيائهم وسائر أصنافهم في التعاون على الأعمال النافعة ، وسننشر المقالة ان شاء الله في الجزئين الثاني والثالث

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب.

المجلة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و منارا، كمنار الطريق

مصر ١٥ رمضان ١٣٣٤ — ٢٣ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ش ١٥ يوليو ١٩١٦

العصبية الجنسية التركية

(وعاقبة قتل نابغي العرب بسوريه)

لعلنا قد سبقنا جميع الكتاب الى بيان خطر العصبية الجنسية على الدولة العثمانية في عصر الدستور فأننا أشرنا الى ذلك في أول مقالة كتبناها عند حدوث الانقلاب واعلان الدستور اذ كان جميع العثمانيين يصقون طربا ويحسبون انهم نالوا السعادة صفوا من كل كدر، آمنين من كل خطر . تلك المقالة التي جعلنا عنوانها (عيد الامة العثمانية بنعمة الدستور والحرية) ونشرناها في (ج ٦ م ١١) الذي صدر في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ (٢٨ يوليو و ١٥ تموز) أي بعد اعلان الدستور بأربعة أيام . وقد جاء فيها بعد بيان مزايا هذه النعمة ما نصه :

« ان امامنا عقبات كثيرة (منها) ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية الجميلة التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهيمون بها شغفا (ومنها) ما هو أقرب الى الوقوع — كالنزاع بين الاحرار المستقلين، وبين المتعصبين والمقلدين،

(ومنها) مسألة الجنسية العثمانية ، وما يقف في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، فمن المطالب بالنظر في ذلك ؟ »

ثم أنشأنا بعد شهر مئة أخرى نشرناها في (ج ٧ م ١١) أوضحنا فيها خطر اختلاف الاجناس وشدة الحاجة الى تكوين جنسية عثمانية تتحد فيها جميع الاجناس والمثل ، وبيننا ان الواجب على احرار الترك وعقلائهم ان يبدؤا بالدعوة الى ترك العصبة الجنسية (اللغوية) ولا سيما زعماء جمعية الاتحاد والترقي منهم ، لان دعوتهم هي التي يرجى ان نسمع ويستجاب لها . ثم كررنا الكتابة في ذلك كثيرا

وقد رأى الاتحاديون عقب الانقلاب باظهار الرغبة في الوحدة العثمانية وكراهة العصبة الجنسية فحمدنا ذلك لهم كتابة وخطابة . ولكنهم ما عتصموا ان نزعوا ثوب الرياء الشفاف بعد ان استقرت سلطتهم ، فبذوا الجنسية العثمانية وراء ظهورهم ، ونهضوا بالجنسية التركية بغلو واسراف وعجلة خارجة عن طور العقل . فنصحنا لهم أولا بالكتابة وبيننا لهم أن تحويل العربي عن عربية والألباني عن ألبانيته والارمني عن أرمنيته والرومي عن روميته مما يستحيل في هذا العصر ، وانه لو كان ممكنا لعذرناهم في محاولة تترك جميع الشعوب العثمانية سياسة نادينا

ثم قصدت الى الاستانة للسعي الى منع التفرق بين العرب والترك وتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد فيها ، ونشرت في جرائدها مقالات (العرب والترك) المعروفة اقراء المنار فجعلتها تمهيدا للسعي في الوفاق ومنع سريان التفرق الجنسي ، اذ بينت فيها ضرورة اتحاد هذين العنصرين مع محافظتهما على لغتهما ، وانه يجب أن يكونا كنصري الهواء أو الماء في تكوينهما حقيقة واحدة — اعني الجنسية السياسية العثمانية — وبينت فيها أسباب الخلاف ومشاراتها في الاستانة وما أخطأت به وزارات الدولة وجرائد العاصمة وجمعياتها في ذلك فنقم العرب منها . فكان اول من شكر لي هذا السعي واهتم به ووعد ببذل نفوذه لتلافي الخلاف حسين حلمي باشا الصدر الأعظم في ذلك العهد ، وكان من سوء الحظ ان اجل صدارته لم يطل ، فصرت أراجع في هذه المسألة طالمت بك ناظر الداخلية الذي كانت — ولا تزال — ازمة الحكومة بيده فكان يعدني بتخصيص وقت للبحث معي في هذه المسألة

وانقضت السنة التي قضيتها في الآستانة ولم يف بوعده ، على انه وفي لي بعدة جلسات في داره وفي الباب العالي للنظر في المسألة الاخرى — أي مشروع الملم والارشاد ، ولكن لم يكن لذلك ثمرة

وقد علمت في اواخر ايامي في الآستانة ان الاتحاديين قد صمموا على حل مسألة الجنسيات بالقوة القاهرة وانهم بدأوا بالتنكيل بالارنوط وسيتلوهم الارمن والعرب والاكراد . وقد كان هذا احد الباعثين لي على تلك الحملات الشديدة التي حتمت على جمعية الاتحاد والترقي في المنار ، والباعث الثاني هو الديني ولا بحث فيه الآن لم اكن انا الذي قاومت الجمعية بالكلام وحدي بل كانت المقاومة لهم بالقول والعمل على اشدها في الآستانة وسائر بلاد الترك حتى آلت الى تسلي الاوف من جمعيتهم ، ثم الى قيام الاحزاب في مجلس الامة عليهم ، ثم الى تأييد الجيش لحزب الحرية والائتلاف في اسقاط وزارتهم ، ومما يجب ان يذكر انهم اعترفوا في اثناء ذلك الجهاد وبعده بأنهم كانوا يريدون تترك جميع عناصر الدولة وانهم رجعوا عن ذلك ولما عادت الوزارة اليهم باغتيا ل ناظم باشا ناظر الحرية في الباب العالي والقبض على كامل باشا الصدر الاعظم فيه هالنا الامر وخفنا من وقوع الفوضى في الآستانة والدولة في حال حرب مع البلقان غلبت فيه على أمرها ، ولكن وزارة كامل باشا لم يكن لها حزب يؤيدها ، اذ كان حزب الحرية والائتلاف غير متفق معها ، ثم عقدت الوزارة الاتحادية الصلح وأنشأت تعقد مع الدول الكبرى الاتفاق لتلو الاتفاق على جعل البلاد العثمانية مناطق نفوذ اقتصادي لمن ، وتقترض عشرات الملايين منهم ، وبدأت بالعراق العربي فاعترفت للانكليز فيه بمطالبوا من النفوذ والحقوق ، فانكرنا ذلك عليهم أشد الانكار ، ولم يمنهم ذلك طبعاً من الاتفاق مع فرنسا على نفوذها في سورية الخ على أننا لما رأينا البلقانيين قد انتصروا على الدولة في الحرب حتى كادوا يستولون على الآستانة علمنا ان الخطر على الدولة أقوى وأسرع مما كنا نخشى ، وان الدولة اذا كانت قد عجزت عن حفظ الرومي وهو سياج الآستانة وحصنها امام البلقان ، ومعظم قوتها الحربية هنالك وباقيها على حدود الروس ، فلا بد أن تعجز بالاولى عن الدفاع عن بلادنا العربية ذاهجت عليها دولة قوية ، اذ ليس في بلادنا حصون ولا سلاح ، وكان

هذا الأمر منها لكثير من أهل الفيرة والفهم من العرب إلى ما سبقهم بعض أذكاء الترك إلى الدعوة إليه وهو وجوب جعل إدارة الدولة من نوع اللامركزية لأن ذلك ادعى إلى عمران كل قطر واستعداده للدفاع عن نفسه عند عجز المركز العام عن الدفاع عنه تأسس حزب اللامركزية بمصر في أثناء حرب البلقان وسرت دعوته في المملكة العثمانية كلها ولم يكن للحكومة الاتحادية وجه للشكوى منه لأنه حزب عثماني يحاول الوصول إلى غايته من الطريق القانوني الذي ينتهي إلى مجلس الأمة، وتأسست في أثناء ذلك الجمعية الإصلاحية في بيروت بأذن الحكومة فشذت في موضوع ما طلبته من تعيين مستشارين ومراقبين للحكومة من الأجانب وأنكرنا عليها شذوذها في المنار، ثم أنشئت جمعية أخرى في البصرة صرح رئيسها طالب بك النقيب حكومة الاتحاديين بالإلحاح بالعداء، وقد كادت الجمعية له فحاولت اغتياله فلم تظفر، ثم حاسنته وكلفته السعي للتوفيق بينها وبين الأمير ابن سعود فبذل جهده في ذلك ثم تعلق رغبة كثير من أذكاء العرب بعقد مؤتمر عربي في باريس لإظهار مطالب العرب الإصلاحية للعالم كله، وعهدوا بذلك إلى حزب اللامركزية فعقد المؤتمر وحضره مندوبون من البلاد العربية والجمعيات العربية واختير لرياسته السيد عبد الحميد الزهراوي أحد مندوبي حزب اللامركزية، وكان المؤتمر في غاية الاعتدال في مباحثه وقراراته حينئذ اهتمت جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها بأمر العرب وأوفدت مندوبا من زعمائها إلى باريس للاتفاق مع رئيس المؤتمر على إجابة العرب إلى ما يطلبونه من الإصلاح المعقول، وعقدا ذلك الاتفاق المشهور، ثم قرر مجلس الوكلاء وصدرت الإرادة السلطانية ببعض مواد ذلك الاتفاق مع الوعد بأن تعطى العرب حقوقا أخرى بالتدريج، وكل ذلك مدون في كتاب (المؤتمر العربي الأول) ونشر في المنار وفي الجرائد العربية المشهورة. ولكن ما تقرر من ذلك لم يرض جمهور المطالبين بالإصلاح من العرب، وقد عدده أكثرهم خديعة مؤقتة من الاتحاديين، وكان فريق منهم أشهرهم الزهراوي وعبد الكريم قاسم الخليل يرجحون إخلاص الاتحاديين وعزمهم على إرضاء العرب دائما. وقد كان من إظهار الاتحاديين الميل إلى العرب أن صار أكبر زعمائهم كلفات بك يحضرون الاحتفالات التي يقيمها أعضاء المنتدى الأدبي في الآستانة

هذه خلاصة ما كان من أمر الخلاف والوفاق بين العرب والترك أو الاتحاديين منهم خاصة قبل هذه الحرب ، فلما وقعت الحرب بين الدول الكبرى وعلم طلاب الإصلاح من العرب أن دولتهم تريد أن تستفيد منها وتوقعوا أن تدخل فيها، كفوا جميعاً عن المطالبة بالإصلاح، وأظهروا الميل إلى تأييدها في كل ما تقرره وإن لم يعتقدوا أنه الصواب، حذرا من المنازعات الداخلية ، وقد حبذنا عملهم هذا بمقالة نشرناها في جريدة الاهرام التي صدرت في سادس ذي القعدة ١٣٣٢ (١٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) أي قبل دخول الدولة في الحرب ، ثم في منار ذي الحجة أي بعد دخول الدولة في الحرب . وقد قلنا في أول تلك المقالة وهي خطاب لمسلمي سورية ما نصه: « ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والهمة في الاخلاص والطاعة للدولة ، وبذل الانفس والاموال وثمرات لها ، والكف الموقت عن طلب الإصلاح منها ، وتقديركم الحال الحاضرة قدرها ، حتى انكم ساهتم في هذا أرقى أمم الارض التي سكنت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية » الخ

وماذا جرى بعد ذلك ؟ ولي الاتحاديون جمال باشا أحد زعمائهم منصب القيادة العامة في سورية فأظهر الميل التام الى العرب وصار يقرّب اليه أذكاء المتعلمين منهم ويحثهم على الاستمسك بعروة عربيتهم وعثمانيتهم معاً ، فصدقوه وازدادوا حماسة ورغبة في بذل دمائهم وأموالهم في سبيل الدولة حتى اذا مات له ما أراد من الاختباره نزع عنه ثوب الرياء والمكر ، ولبس لهم جلد النمر ، وقتلهم تقيلاً ، ونكل بهم وبغيرهم تنكيلاً جاءتنا الاخبار في العام الماضي بأن جمال باشا شنق في بيروت احد عشر شاباً من خيار شبان المسلمين منهم النابغة محمد المحمصاني وأخوه وعبد الكريم قاسم الخليل الذي كان رئيس المنتدى الادبي في الاستانة ثم اتصل بالاتحاديين وجعل جل سعيه اقناع العرب بالاخلاص لهم — فلم نصدق الخبر الا بعد ان وصل الى مصر بعض الفارين من الشنق وبعض الاسرى من الجيش واثبتوا لنا الخبر . ولكننا مع ذلك لم نكتب كلمة انكار على جمال باشا ولا على شيعته لاجل العلة التي أشرنا اليها آنفاً

ثم تواترت الانباء بشنق اناس آخرين من دمشق وغيرها بتهمة السياسة وقتل آخرين بالرصاص ونفي بيوت كثيرة الى الاناضول ، فثبت عندنا حينئذ ان

الاتحاديين اغتنموا فرصة الاحكام العرفية في البلاد، والقبض على الارزاق والاعناق، لاجل القضاء المبرم على النهضة العربية واكرام العرب بالقوة القاهرة على ترك لغة أمتهم ودينهم ، وعدم المطالبة بحق من حقوقهم. ولكن الثابت في سنن الاجتماع وتاريخ الامم ان هذه الطريقة من الاضطهاد تؤدي الى ضد ما يراد منها . وقد كنا قلنا من قبل ان الاسلام قد اقامت العصبية الجنسية في بلاد العرب الحضرية فلا يقدر على احيائها أحد الا حكومة الاستانة ، ويمكننا ان نقول الآن انها قد كونت الجنسية العربية الجديدة وجعلتها خالدة، لانها زرعتها في البدو والحضر ، سقتها بالدم ، وبالدنم اسقل من اسقل من جميع الامم ، وكما نخاف منهم هذه العجلة في هذه الايام ، لثلاثي متنافية لمصلحة الاسلام ، إذ يخشى ان تكون هذه القسوة في اضطهاد العرب في سورية شيبا لياأس الأمة العربية كلها من الدولة وجزمهم بأنه يستحيل عليهم ان يحافظوا على وجودهم تحت سيادتها ، وان يحمل ذلك عرب الجزيرة على الخروج عليها ، خوفا ان يحل بهم شرم محال بغيرهم ، فان الترك يحاربون اليمن وعسير ونجد منذ قرون فكل حكامها الحاضرين قد قوتلوا ، وأمير مكة لا ينسى لهم ما فعله معه وهيب بك قبل هذه الحرب اذ حاول الفتك به وسلب امتياز الشرفاء من الحجاز وجعله كولايات الشام ، ولما ظهر عليه الامير اظهرت الدولة الاستياء مما حصل ونسب الى الدقتردار . واسترضى الصدر الاعظم الشريف بالاعتراف له بجميع حقوق امراء مكة التي كانت في عهد السلطان سليم ، ولكن الشريف يعرف ظواهر هذه الامور وبواطنها ، بل لا يخفى على أحد من العقلاء ان الدقتردار لا يجراً على احدث أمر كبير في الحجاز بدون أمر رئيسه (الوالي) وان الوالي لا يجراً عليه بدون أمر الاستانة ، وأوامر الاستانة في عهد الاتحاديين قسماً — أوامر الجمعية وهي الحاكمة ، وأوامر الحكومة وهي المنفذة، على انه يقيس ولاء الحكومة بما كتبه اليه الصدر الاعظم على وفائها العرب بالاتفاق الذي عقد مع رئيس المؤتمر العربي وما قرره في مجلس الوكلاء وصدرت به الادارة السلطانية من المطالب العربية

كان يجب على دولة الاتحاديين في هذا الوقت ان تتودد للعرب أكثر مما كانت تتودد اليهم بعد حرب البلقان، وان تتم بالفعل ما بدأ به أنور باشا من استمالة

امراء الجزيرة بالكتابة . وذلك بارسال السلاح والذخيرة والضباط من العرب اليهم لاجل ان يكونوا ذخرا لها اذا استظهر الروس عليها في الاناضول ، فاذا كان مثل انكنازة وألمانية نحسب الحساب لوصول أعدائها الى بلادها ونعد الآلات والجيش لاجل الدفاع عنها ، أفليس الترك أجدر بذلك وهم لولا الألمان لم يستطيعوا حربا في ميدان ما من ميادين هذه القتال ، وحسبهم انهم فقدوا بحرب البلقان كل ما كان عندهم من ذخيرة وسلاح ، وهل يوجد لهم ملجأ يلجئون اليه اذا غلبوا في بلادهم الا العرب وبلاد العرب ، بل العرب وبلاد العرب هي الملجأ للاسلام . ولذلك جاء في الحديث الصحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » وأنى يبالي بالاسلام وعز الاسلام ، من يذشرون في دار سلطنتهم امثال كتاب [قوم جديد] و [صوك كتاب] التي يفضلون فيها زعائنهم الفاوين ، على الخلف الراشدين ، وعلى من دونهم من الاولياء الكرام ، ومن فوقهم من الانبياء حتى خاتمهم عليهم الصلاة والسلام وأما العرب الذين أوجد الله بهم الاسلام ، فانهم أجدر الناس بالغيرة على المسلمين ودار الاسلام ، ولولا ذلك لما سكتوا على الضيم كل هذا الزمان ، ونخشى ان يكون قد زال ما كانوا يحذرون ، ويثسوا من كل خير كانوا يرجون ، فيبدو للمناقضين ما كانوا يحذرون ، كما نخشى ان تكون عاقبة ذلك لغيرهم وهم لا يشعرون انما يحرص سواد المسلمين الاعظم على حياة هذه الدولة لانه بهم كل مسلم أن يكون للاسلام دولة مستقلة قوية وهي امثل دول المسلمين في ذلك ، وان كانت لا تقوم بدعوة الاسلام ولا تحمي علومه ولا تحمي شعوبه ولا أفرادهم ممن يريد بهم سوءا . ولكن لا يرضي أحدا من المسلمين ان تنجي على لغة القرآن ، وان تضطهد العرب وتذلهم وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » (رواه ابو يعلى من حديث جابر بسند صحيح) وهذا الحديث من معجزات النبي (ص) ظهرت في هذا الزمان ظهورا يدينا . فان الدولة قد تعرضت لخطر الزوال وفقد الاستقلال غير مرة ، وانما كان يقيها منه تنازع أوربة على اقتسامها ، فاذا زال التنازع بزوال التوازن عقب هذه الحرب زالت الدولة بزواله ، وأكبر المصائب على الاسلام حينئذ ان تعد بلاد العرب تابعة لها ، ومعدودة فيما يقسم بين الغالبين من ترانها ، اذ

(المنار: ج ٢) (١١) (المجلد التاسع عشر)

يكون المسلمون حينئذ أدنى حالا من اليهود ، اذ يزول استقلالهم الديني والسياسي وهم في قعر مدقع لا يستطيعون معه عملا ، ولا توجد بقعة في الارض تمثل استقلال الاسلام غير بلاد العرب . ولولا جعل جزيرة العرب تحت سيادة الدولة العثمانية بعضها بالاسم وبعضها بالذعل لما تسنى لها ان تجعل نفسها دولة الخلافة ويعترف لها الناس والدول بذلك

فجملة القول أن مصلحة المسلمين عامة أن تكون بلاد العرب قوية بنفسها ، غير محتاجة الى قوة من خارجها لحمايتها ، (وقد بينا ذلك مرارا) ولا خطر في ذلك على الدولة اذا كان فيها من جرائم الحياة ما يكفي لبقاء استقلالها ، وانما الخطر كل الخطر في إضعاف العرب وجعل بلاد العرب عالة على غيرها ، وستظهر الايام صدق هذا الكلام ، ونسأله تعالى أن يكون بما فيه عز الاسلام .

(حاشية) كتبنا هذه المقالة لجزء الشهر الماضي فلم يتيسر نشرها فيه . ثم جاءنا روتر بنبا اظهر أمير مكة الشريف حسين الاستقلال في الحجاز وسفصل القول فيه في الجزء التالي لهذا ان شاء الله

حكم الصيام

وجناية تاركه على أنفسهم وعلى المسلمين والاسلام

الصيام عبادة روحية جسمية، قد شرع لما فيه من المنافع الشخصية والاجتماعية ، فهو يروض الاجساد ، كما تعطش الزروع وتضمر الجياد ، فيقي الرطوبات والمواد الرواسب فيها ، التي تصلب الشرايين وتعيق حركة الدم فيها ، ويعيد المصعد المصابة بالتمدد الى تقلصها وتغضنها ، حتى قال بعض الاطباء ان صيام شهر واحد (كرمضان) يصلح ما أفسده التمدد طول العام ، ويمرن المرء على احتمال الجوع والعطش بالاختيار ، فيسهل ان عليه اذا ألجأ اليهما الاضطرار ، في سفر أو سجن أو مجاعة أو قتال ، ويشعر الاغنياء المترفين بحاجة الفقراء المعوزين ، ويساوي بينهم في هذه العبادة وآثارها كما يساوي بينهم في سائر شعائر الدين

وهو فوق ذلك المربي الاعظم للارادة ، وانما يتفاضل أعظم الرجال بما في الارادة من قوة العزيمة ، فلولها لما استسهل صعب ، ولا ثبت شجاع في حرب ، ولما أقدم المصلحون على تغيير المنكرات ، ولا سيما مقاومة الظلم والاستبداد ، ولما ثبت عامل على عمل حتى يتقنه ، ولما صبر ذو مصاب على مصابه حتي يأمن خطره ، ولما احتفظ أمين بالامانة ، الا بقدر ما يخاف في الدنيا من عقوبة الخيانة ، وناهيك بأمانة الاعراض ، والمحافظة على شرف النساء .

وهو فوق ذلك مراقبة لله عز وجل ، وتقرب اليه بما يرضه من تزكية النفس ، وتوجه الى الكمال الاعلى ، والحياة الروحية الفضلى ، حياة النبيين والصديقين ، بل الملائكة المقربين .

ان الصائم المسلم هو الذي يحكم سلطان الارادة بقانون الايمان على هوى النفس فيمنعها من التمتع بأعظم الشهوات شأنها عندها ، فينال منه الجوع والطعام بين يديه ، ويبرح به الظم والماء البارد أمام عينيه ، ويشتد شوقه الى ملامسة زوجته وهي منه على طرف الثام وحبل الذراع ، فيعرض عن كل ذلك وينكره بوازع الايمان ، ابتغاء لمرضاة الله تعالى وتحصيلا للفوائد التي شرع لها الصيام .

ألم تر أن الذي يربي ارادته ويحكمها في أشد شهواته وأقواها مدة شهر كامل في كل عام على الاقل جدير بأن لا تنازعه نفسه أكل شيء من أموال الناس بالباطل ولا العبث بشيء من أعراضهم ؟ أو ليس الذي يقدر على ترك أعظم ضرورات الحياة مما أحل الله له وقرب منه متناوله يكون أقدر على ترك ما حرم الله عليه من جنسها ومما هو أدنى منها ، وأجدر بأن يغلب هوى النفس الذي يغريه بها ؟ بلى ! وإن من الامثال الاسلامية المشهورة في بعض الاقطار « ان الذي يزكي لا يسرق » وهذا أمر معقول كسابقه ، فان الذي يخرج المال من جيبه أو صندوقه طائعا مختارا ويؤتيه الفقراء والمساكين ويضعه في غير ذلك من المصارف الشرعية لوجه الله وابتغاء مرضاته بنفع عباده — جدير بأن لا يعصي الله تعالى بتكليف سرقة مال غيره وهو يعلم أن ذلك سبب لسخط الله تعالى ، ولو كان لا يبالي بسخط الله ولا برضوانه بل يؤثر عليه حب المال لحفظ ماله في صندوقه ولم يخرج زكاته فذلك أسهل من إحراز المال بالسرقة

عالم الله تعالى فرض الصيام علينا ، بأنه هو الذي يمدنا ويؤهلنا للتقوى ، فقال
('كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وإنما التقوى
ملكية يقدر صاحبها بوازعها النفسي على اتقاء كل ما يندس نفسه ويدسيها من ترك
واجب ، أو اقتراف محذور ، ولذلك قالوا إنها عبارة عن القيام بالواجبات وترك
المحرمات ، وهذه الملكية كسائر الملكات ، تكتسب بالأعمال النفسية والبدنية التي
يقوى بها سلطان الإرادة على نزعات الأهواء كما سبق القول . وقد فطن لهذا
بعض حكماء الغرب فقال في كتاب صنفه في (تربية الإرادة) انه لا مربي للإرادة
كالصيام ، ولأجل هذا شرع في جميع الأديان

ان أحق الناس بتحصيل هذه الملكية وبسائر فوائدها الصيام الروحية والاجتماعية
والجسدية من جمعوها بين 'حكم الله وحكمته فيه ورعوا ذلك حق رعايته ، فالإسلام
علم وتربية ، بنيا على أساس الحكمة والفلسفة ، وذلك نص قوله تعالى (كما أرسلنا
فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما
لم تكونوا تعلمون) وقد يستفيد كثير من الناس حكمة العبادة ويحسون ممرتها ،
وان لم يتلقوا بالتعاليم أن ذلك هو المصلحة التي شرعت لأجلها ، كما يستفيد بعض
الناس من شيء يأكله أو يشربه ، فيكون من حيث لا يدري شفا من مرض ألم
به ، أو نكس هم الذين أخلصوا دينهم لله فكان لهم من العلم بكل عبادة أنها ترضي
الله تعالى وان تركها يؤدي الى سخطه واستحقاق عذابه

ومن الناس من يؤدي العمل تقليدا ومجارات لمن نشأ فيهم فيكون عادة له كسائر
العادات الشخصية والاجتماعية ، لا ينوي به قرابة ولا يشعر له بفائدة ، ولا يفكر في
حكمة الشارع فيه ، فلا يكون لصيامه أثر كبير في عباداته ولا معاملاته ولا عاداته ،
قد يصوم ولا يصلي ، وقد يصوم ويصلي وهو مصر على المعاصي ، فهو الذي يصدق على
صيامه ما قاله بعض الأوروبيين في تعريف الصيام ، من أنه عبارة عن تغيير مواعيد
الطعام ، بجعلها في الليل بدلا من النهار ، وإنما كمال الصيام بجعله جنسة ووقاية من
جميع الآثام ، قال صلى الله عليه وسلم « الصيام 'جنسة' فإذا كان يوم صوم أحدكم
فلا يرفث ولا يصخب فان شاتم أحد أو قاتله فليقل اني صائم اني صائم » رواه

الشيخان في الصحيحين وأصحاب السنن الأربعة. والرفث صريح الكلام في الوقوع أو ما يتحدث به الزوجان في تلك الحال، والصخب الجلبة والصياح، فإذا كان مثل هذا مما يمنع في الصيام، فما شأن اقتراف كبائر الآثام؟ على أن مثل هذا الصائم خير من تارك الصيام ولا سيما المجاهر به، فإذا كان مثله كمن يبني قصرا ويهدم مصرا، فإن مثل تارك الصيام من أمثاله الفساق كمثل من يهدمون القصور والامصار

يتروك الصيام في هذه البلاد أناس كثيرون من طبقتين أو ثلاث طبقات، تتفق وتختلف في بعض الاعمال والصفات : طبقة تحوت الغوغاء الارذالين، وطبقة أسرى الشهوات المترفين، وطبقة أدعياء المدنية المقلدين، فأما أولئك التحوت السفهاء فانهم لا يشعرون بقيمة لانفسهم يشاركون بها سائر طبقات الامة في شعائهم الدينية، دع ما هو أرقى من ذلك كالشعور بما يجب من شكر رب العالمين الرحمن الرحيم والتقرب اليه والاستعداد للرضوان الاكبر في دار السكرامة عنده، وغاية ما ورثوه من تقاليد الاديان التي كان عليها آباؤهم الاولون والآخرين تعظيم بعض الموتى ذوي الاضرحة التي أخذت سنة الدين بشريف بنائها، وجعلها مساجد يصلى اليها ويطاف بها، وبناء القباب عليها — واحتفالات الموالد التي هي أعياد ومواسم يحشر الناس اليها بجوار تلك القباب، وزيارة الجماهير للمقابر في ليالي الاعياد وجمع رجب وأيام أخرى من السنة، يرحل فيها الى القرافات النساء والرجال والاطفال، مشاة حفاة ركبانا على الحمير والجمال، وما في ذلك من المنكرات الكثيرة المذمومة

وأما هؤلاء المترفون (فمنهم) ملاحدة المتفرنجين الذين هم شرعاً أعداء الامة من كل عدوها (ومنهم) أسرى الشهوات الذين ليس لهم من قوة الارادة ما يقدرن به على مغالبة الهوى وعصيان داعي الذة، أو حبس النفس على عمل شاق، وهم أشد الناس حاجة الى الصيام، فإن هذا الافراط في الترف يضعف البدن كما يضعف النفس. وإذا كثر هؤلاء في أمة فقدت الاستعداد لدفع الأعداء عنها، وللقيام بالاعمال المتعبة التي ترقى بها الامم واثبات عليها، وتضي عليها أن تكون مستعبدة لغيرها، وأي عار على الفتى الجذع، أو الكهل والشيخ الذي لم يدركه الهرم، اكبر من عار

الاعتراف بعدم الطاقة على احتمال الجوع والعطش بضع عشرة ساعة يعدُّ له بعدها الشراب المبرد وألوان الطعام الفاخرة؟ أيها الجذع الناشئ، أيها الكهل القارح، أولى لك فأولى، وغير هذا كان بك أولى، كان أولى بك أيها الفتى أن تفخر بالتبرية على صفات الرجولية، واعتماد الكشف الاختياري في المميشة، ومنه أن لا تسرف في النعيم المباح في ليالي رمضان، وأن تصوم من كل شهر عدة أيام، كان أولى بك أيها الكهل أن تكون قدوة صالحة لولدك وأولاد المسلمين، في المحافظة على شعائر الدين، وعلى الآداب والأعمال، التي يبلغون بها درجة السكّان، وأههما ركوب الصعب، واكتساب ملكة الصبر، وتوطين النفس على مصارعة الحوادث، ومقارعة الكوارث، ألا وإن الصيام جد الصيام أول مقدماتها، وأيسر وسائلها وأما أدعياء المدنية المقادون فهم الذين يفطرون جهرا ليقول فيهم غير المسلمين والمتناقضون من المسلمين أنهم «متمدنون» وهذه الطبقة أخس الطبقات فلا ينتحل لها عذرا ولا يوجه اليها برهان.

عذر الملحد المارق عند نفسه في ترك الصيام أنه فقد الباعث الديني، ولم يرجح عنده باعث تهديبي، وعذر المترف الشهواني عند نفسه، عجزه عن كبح جماح لذاته، لتحكم الهوى فيها، وضعف الوازع الديني عنها، والجهول السافل من تحوت الناس له عذر هذين الفريقين وعذر آخر وراءهما — وهو أنه لا يخطر في باله ولا يصل علمه إلى ما يعلمه كثير من أفرادهما من معنى كون الصيام ركنا للدين الذي ينسب إليه، وشعارا للامة التي هو منها، وإن العاقل الذي يرى لنفسه قيمة في الوجود يرى شرفه بشرفهما، وذله بمهاتهما، وأنه مطالب ديناً وعقلاً بحقوق لهما عليه، وإن دين الامة من مقومات وجودها، فمن فاته الايمان الباعث على اقامة أركانها لاجل سعادة الآخرة لم يسقط عنه احترام شعائره التي هي أقوى روابط الامة؟ فهذا العلم يؤخذ ويطلب كل من أوتي نصيباً منه، وترتفع المؤاخذه عن كان نصيبه منه الجهل المطلق حتى أن نفسه لا تتوجه إلى طلبه، ومنهم من يعتذر بأن الصيام يضره وإن كانوا أصحاء الأجسام، بترك ما اعتادوا من النظام في مواعيد الطعام، والصواب أن ما يتوهمون من الضرر في ذلك هو عين النفع، لأن التزام تلك العادات أضعف أبدانهم

وأنفسهم ، حتى صار تغييرهما يؤلمهم أو يضجرهم ، وإنما هذا الألم والضعف عرضان لمرض الترف ، والصيام علاج له لا « مضاعفة »

إذا صح أن يكون في الأحاد عذر للملحد ، وفي ضعف الإرادة عذر للمترف ، وفي تغيير العادة إيلاام للمهف ، فيألت شعري بم يعذر نفسه أو يعتذر عنها من يجاهر منهم بالفطر ؟ المجاهرة بالذنب شر من ارتكاب الذنب ، لأن ارتكابه سرا يجعل ضرره قاصرا على من اقترعه ، وأما المجاهرة به فضررها يتعدى المذنب الى غيره ، لأنه يكون قدوة سيئة لمن كان مستعدا لاقتراف ذلك الذنب تجرئه على اقترافه .

ولأن في الجهر به إذا كان من الشعائر المالية — كالصيام — احتقارا للملة والامة التي ينسب المفطر اليها ، واضافا لرابطة قوية من الروابط التي تمتاز بها الامة على غيرها ها هنا يضحك القارئ من هؤلاء الملحدين ، لا تضحكوا الا على أنفسكم بل ابكوا عليها ان كنتم تعقلون: يقولون ان الملحد ليس من أهل الملة ولا من أفراد الامة فيرمى به هذا اللوم ويطالب بالاعتذار عن عمل لا يراه واجبا عليه ، وانه يعد الجهر بالافطار في رمضان من الشجاعة الأدبية والاسرار به من الضعف والنفاق . وتقول: كيف يصدق هذا الكلام على ملاحدة بلادنا وكاهنهم منافقون يدعون الاسلام ويلتزمون من احكامه وشعائره وعادات أهله ما لا ينافي أهواءهم ، ولا يعارض شهواتهم ، كالأحكام والشعائر وكذا العادات المتعلقة بالزواج والموت والاعياد ، ويخضعون لشرعيته في أحكام الزواج والارث ، فاذا ادعى أحد منهم الشجاعة المعنوية بهتك شعار الصيام ، فقل له كذبت في دعواك ، فان كنت شجاعا فصرح على رؤوس الأشهاد بالردة عن الاسلام واترك كل ما هو اسلامي ، ولا تنزوج نساء المسلمين ولا تأكل ترانهم ، ولا تتول الأعمال والوظائف الخاصة بهم بدعوى أنك منهم . وأما اخفاء معصية الافطار فليست معصية العقيدة من النفاق ، بل من اخفاء العيوب والعورات قد يقول بعضهم ان الاسلام جنسية اجتماعية كجنسية الامة وجنسية النسب ، وان العقائد الدينية والعبادات البدنية من الشؤون الشخصية التي يجب ان يكون الناس أحرارا فيها ، ولا ينبغي ان يتوقف عليها تحقق الجنسية بعد ان ينالها صاحبها بالوراثة أو بتسمية نفسه مسلما

ونحن نقول أن هذا الكلام مغالطة بديهية البطلان فإن الاسلام في الحقيقة دين وهو جنسية لمن يدينون الله به ولو في الظاهر كاقامة أركانه من صلاة وصيام وزكاة وحج وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، فهو من حيث هو دين لا تحقق له الا بصحة العقيدة وما يتبعها من الاعمال ، ومن حيث هو جنسية يتحقق بالتزام شعائره وأحكامه الظاهرة الا ما يقع من الاخلال بها شذوذا كما كان المناقون يعملون في الصدر الاول ، فمن لا يؤمن بما جاء رسوله ولا يقيم شيئا من أركانه فلا حظ له من جنسيته ، فكيف اذا كان مع هذا مجاهرا بهدم هذه الاركان بلا خوف من الله ولا احترام لاهل هذه الجنسية .

على أن كل منتم الى جنس يجب عليه ان يمد جميع من يشاركونه فيها اخوانا له ، وان يحترم كل ما يشترك فيه معهم من مقومات الجنسية ومشخصاتها ، والا كان عاقلا لها ، مستحقا للطرد والابعاد عنها ، بدلا من مشاركة أهلها في منافعها الصورية والمنووية ، وهؤلاء المجاهرون بالفطر في رمضان لا يشعرون بمعنى الاخوة الاسلامية العامة ، ولا يقومون بشيء من حقوقها ، كما انهم لا يحترمونها الشعائر والاعمال التي لا تعرف الجنسية الاسلامية الا بها .

الحق أقول : ان لبعض الذين يفхарون في رمضان عذرا طبعيا ، ولا يحمد عذر طبعي الا ان يكون شرعيا ، (كعذر المريض والمسافر والعاجز عن الصيام لهم مثلا) . ولكن لا عذر لاحد في الجهر بالافطار ، لانه احتقار للاسلام وإهانة لاهله ، لا تصدر اختيارا الا من عدوله ولهم ، أو ممن لا شعور له بمعنى الامة والملة وشرفهما كبعض الكناسين والزبالين — لا كلهم — وهم يوجد من أمثالهم في المتعلمين المتفردنجين الذين يظنون انهم ممتازون في الامة بارتقائهم في الشؤون الاجتماعية ، وانهم يشعرون من ذلك بما لا يشعر به الجمهور ، وان الخير للامة ان تكون مثلهم في ترك أركان الدين وامتنان شعائره والاهتمام بالتمتع بالشهوات ، وحسبهم شرفا وارتقاء ما يتوهمون من عدم غير المسلمين لهم من « المتدنيين » أو « المتتورين » ، وياشقاء أمة يكثُر فيها أمثال هؤلاء المتنوفين ، فانها لا ترتقي بهم الا الى أسفل سافلين

حال المسلمين الاجتماعية

ومطامير الأغنياء وسائر الطبقات منها (١)

١

الانسان عالم اجتماعي لا يصل فرد من أفراد ولا شعب من شعوبه الى كماله المقدر له الا بالاعمال الاجتماعية التي يتعاون عليها أفراد العشيرة وأهل البلد والوطن وسائر الناس ، وعلى قدر هذا التعاون يكون اقرب من الكمال الاجتماعي والبعد عنه ، فالامم بالافراد والافراد بالامم ، فهنيئنا للامة التي تنسجم بسمعي أفرادها غارب العز والسيادة، وتنسجم ربح القوة والسعادة، ود يا ويح الرجل الذي ليس أمة (٢) وما كل جمع كبير يستحق أن يسمى أمة ، لولا سعة المجاز في الكلام ، كقولنا في صور الناس وتمثيلهم هذا فلان وهذا فلان

المستعملون جمع كبير يطلق عليه اسم « الامة الاسلامية » بحسب صورته أو باعتبار ما كان عليه وان كان لا يقوم بالاعمال الاجتماعية التي تتحقق بهامقومات الامم ومشخصاتها ، وتحفظ بها مصالحها ومنافعها ، والمنار مقالات كثيرة في بيان هذا الموضوع يطلب أقدمها عهدا من المجلد الاول منه. ومن أشهرها مقالة في المجلد التاسع عنونها (حال المسلمين في العالمين ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين) كان لها تأثير في الشرق والغرب ، وترجمها بالتركية أحد فضلاء الآستانة وطبعها في رسالة مستقلة باللغتين

وقد نطلق على المسلمين اسم الامة باعتبار ما نرجو أن توؤل اليه حالهم، فباعتبار ان ذلك الاستعمال من مجاز الكون بينا غير مرة في تلك المقالات أن الاصلاح الاسلامي ينحصر في كلمة « تكوين الامة » اذ لا أمة في الحقيقة ، وباعتبار أن ذلك الاستعمال من مجاز الأول يتسع مجال الاطلاق . وكثيرا ما بينا الكلام على تحقيق الرجاء ، وصرحنا بأن الامة قد ولدت ولادة جديدة ، وأنها الآن في سن الطفولة ، وان ما تصدى له من الاعمال الاجتماعية انما كان صغيرا وعرضة للفشل في الاكثر لانه من

(١) هذه المقالة الموعود بها (٢) هذه الكلمة لتبيننا الاستاذ الامام

قيل أعمال الاطفال ، وقد شرحنا هذا الموضوع في مقالات نشرت في المجلد الثاني وغيره (٥) وذكرنا في المجلد الرابع أمثلة لطفولية الامة ، وقد حدث بعد ذلك ما هو أعظم منها ، وناهيك بسقوط جريدة اللواء العربية وأختيها الفرنسية والانكليزية ، وموت مصطفى كامل باشا مؤسسين بأموال الاعراء والاغنياء غارقا في الدين ، وبيع أثاثه ورياشه بالمزاد ، ثم سقط جريدة المؤيد وموت صاحبها غارقا في الدين أيضا ، ثم سقط (الجريدة) وهي جريدة حزب كبير من الاغنياء

فهذه أكبر الجرائد التي أسسها المسلمون في مصر ، وكان لكل منها شركة وحزب ورأس مال موائ من ألوف الجنيهات وأنصار من أغنياء الامة وأصحاب الاقلام فيها ، وقد بينا وجه العبرة في شأن هذه الجرائد بعد موت الاولى وتبريح الداء بالآخرين في ترجمة الشيخ علي يوسف من المجلد السابع عشر (ص ٦٩)

وما لي لا أذكر وأذكر في هذا المقام بتلك الفاتحة الوجيزة للمنار التي كانت أول ما كتب منه ، ونحمد الله تعالى أنها كانت صورة مصفرة له ، قد ارتسمنا مارسمنه له فيها فلم نخرج عنه ، وقد أشرنا فيها الى سوء حال المسلمين ورغبة سوادهم الاعظم عن ما تقصد اليه بانشاء المنار من الجد والاجتهاد ، والى وجود أفراد تنبعت أنفسهم لاصلاح الخلل ، وتوجهت همهم لمداواة العلل ، والى ان الغرض من انشاء المنار ان يكون لسان حال هؤلاء وحادي ركبتهم في سبيل التجديد المطلوب . ثم ظهر لنا ان رجائنا في هذه الفئة كان أكبر منها في نفسها

تيسر لنا بهذا المنار أن نختبر حال المسلمين اختبارا لا يكاد يتيسر بوسيلة أخرى ، وقد كان هذا الاختبار الطويل والعلم التفصيلي مؤيدا لما كنا عليه قبلها من الوقوف بين الخوف والرجاء وترجيح الامل على اليأس ترجيحاً يبعث على الجهاد والثبات على العمل ، وهو ما صرحنا به في فاتحة المنار في العدد الاول لسنة الاولى كان موضوع ذلك الامل الاول من أيقظتهم حوادث الزمان ، وأثرت في قلوبهم آثار حكيم مصر وحكيم الافغان ، ومن على مشربهما من دعاة الاصلاح ،

(*) راجع مقالة (طفولية الامة وما فيها من الحيرة والغمة) في ص ٧٣٧ م ٢ ومقالة (الحيرة والغمة ومناقشتها في الامة) في ص ٢٧٥٣ م ٢

ثم زاد عدد هؤلاء المحبين للإصلاح بتأثير المنار ، ومنهم صاحب الرسالة التي نشرناها في آخر الجزء الماضي فاستبعت كتابة هذا المقال ، فهو قد اشترك في المنار منذ أنشئ وكان تلميذا في المدارس ، وقد اشرب قلبه حب الإصلاح ، فهو فيه على علم ووجدان وإخلاص ، ولكنه على علمه وسعة اختباره لما في هذا البلاد من الفسق وفساد الأخلاق ، أقوى منار جاء في مسلميها وفي غيرهم ، واننا نخشى ان يضعف ويضمحل هذا الرجاء أو يزول ويحل محله اليأس اذا رأى أن رسالته لم تؤثر ، ودعوته لقومه لم تجب ، فأحيينا أن نذكره بما أشرنا اليه آنفا مما نشرنا في خوالي السنين ، ونؤيده بما في معناه من بيان حقيقة حال المسلمين ، لعل يذهب بغير المبالغ في التفاؤل ، ويمسك رفق الرجاء على المهوي الى اليأس ، وينفخ نسمة الرجاء في اليأس ، فنقول :

ان في المسلمين كثيرا من بقايا الفضائل الموروثة ، التي هي تعد من دلائل الحياة الاجتماعية ، وكثيرا من الرذائل والأمراض الروحية الموروثة والحادثة التي هي سبب ما حل بدولهم وأمهم من الرزايا التي يئن منها كل من شعر بها بقدر شعوره ، وقد استيقظ في بعضهم هذا الشعور منذ مئة سنة أو أكثر ، وتصدى بعض حكاهم وبعض أفرادهم الى إصلاح ما فسد ، وتجديد ما اخلواق وبناء ما انهدم ، كما بينا ذلك في فاتحة المجلد السابع عشر ، وانما لم يفاج أحد منهم لان الحكام القاديين على تنفيذ الإصلاح لا يعرفون طريقه ، والافراد الذين يعرفون كنه الإصلاح لا يقدررون على تنفيذه

إنما تنهض الأمة بالإصلاح اذا وجد الاستعداد في الجمهور ، ووجد الزعيم القادر على استخدام ذلك الاستعداد ، ويمكن بيان هذا الاستعداد العظيم بكلمة واحدة من اصطلاح كتاب الجرائد وغيرهم من المعاصرين وهي (التضحية) وما التضحية الا بذل الاموال والانفس في سبيل المصلحة العامة وهو ما يعبر عنه القرآن بكلمة الجهاد ما قام أمر اجتماعي عظيم كالدين والدولة الا يبذل المال والنفس فن لم يبذل في سبيل دينه أو دولته ووطنه ما يحتاجان اليه من مال أو نفس فلا دين له ولا دولة ولا وطن ، ولذلك جعل الله تعالى هذا الجهاد آية الايمان مثل قوله (٢٩ : ١٥) انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

الله أولئك هم الصادقون)

نحن لسنا بصدد إصلاح بحتاج فيه الى بذل النفس ، والتعرض لاراقة الدم ،
وانما الإصلاح الذي أسس له المنار ثم مدرسة الدعوة والارشاد اصلاح علمي تهذيبي
يقوم بالمال ، وانما أنشأنا هذه المقالة لبيان حال من دعاهم ذلك المخلص الغيور في
رسالته الى النوض بمشروع الدعوة والارشاد ومساعدة المنار

الا وان الاغنياء أول من يخطر بالبال ، في كل مقام يذكر فيه بذل المال ،
وان أكثر اغنياء بلادنا بل أمثنا كلها أغنياء سفهاء الاحلام ، مسرفون في الفسق ،
بخلاء حتى بما وجب من الحق ، أشعة على الخير ، لا يكاد يخرج المال من أيديهم الا
على مائدة قمار ، أو في حانة خمار ، أو لبني وقواد ، أو رشوة لحاكم شرير ، أو تزلفا الى
ساطان أو أمير أو مدير ، فأكثر ما بذله أغنيائنا في هذا العصر للجمعيات الخيرية
أو المدارس أو جمعية الهلال الاحمر أو جمعية الصايب الاحمر فهو رياء ، وتزلف للحكام
والامراء ، وهذا مما يعلمه الكاتب وغير الكاتب علما ضروريا أو كالضروري .

وأما غير الفساق المرائين من الاغنياء فهم كسائر الناس ، والناس فيما نحن
بصدده فريقان : فريق لا يرجي منه خير للاسلام بل يخشى شره ، وفريق قلما
يرجي الخير من غيره . فأما الفريق الاول فتلاثة أصناف : ملاحدة المتفرجين ،
ومناققو المعممين ، وتحت الفقراء الجاهلين ، الذين لا يكادون يفقهون حديثا ، ولا
يعقلون للامة والملة معنى ، وقدينا في فاتحة هذه السنة من الجزء الاول ان من أولئك
الملاحدة والمناققين من تصدى لمقاومة مدرسة الدعوة والارشاد ، بنفث سخوم السعاية
لمنع إعانة وزارة الاوقاف وغير الاوقاف ، كما سعى أمثالهم وأقنابهم من قبل في الجمعية
الخيرية الاسلامية ، حتى زعموا أنها تدميدي السودان بالمال لقتال مصر والدولة البريطانية
وأما الفريق الثاني وهو الوسط في شؤونه العقلية أو النفسية ، أو شؤونه الاجتماعية أو
المعاشية . فيتألف من أصناف يقل فيها الغنى الموسع ، كما يقل فيها الفقر المدقع ،
والاغنياء منه ثلاثة أصناف :

صنف تربي تربية اسلامية بحسب ما عليه جمهور المسلمين في القرون الاخيرة
من مزج السنن بالبدع ، والخرافات بالحقائق ، فهم لا يفقهون من بذل المال في سبيل

البر الابناء مسجد ولو في مكان تزيد فيه المساجد على حاجة المصلين ، (وإنما يكون هذا من الخير إذا لم يبن المسجد على قبر أحد من الصالحين ، والا كان صاحبه مأمونا على لسان خاتم النبيين) - أو وقف أرض تنفق غلتها على تشييد القبور والبناء عليها أو حولها وما يكون من المواسم عندها في الاعياد وجمع رجب ، وكل ذلك من المعاصي وبدع الضلالة المنكرة التي لا يجوز الوقف عليها وإن تضمنت إطعام بعض الفقراء الطعام المبتدع لأجلها ، فهذا الصنف قلما يرجى منه الآن فائدة للأعمال الاصلاحية كشرع الدعوة والارشاد

وصنف آخر تربى أفراد على التفرنج ولكن لم يكونوا كجماهير المتفرنجين الذين لاحظ لهم من حياتهم الا تقليد الافرنج في عاداتهم الخاصة بالزينة والطعام والشراب والتمتع باللذة واللهو واللعب كترية السكالب والسير بها والركوب معاه بل أودع في نفوسهم الميل الى الاقتداء بهم في بذل المال للمنافع العامة ، لا رياء للجماهير ، ولا نزلقا لحاكم أو أمير ، بل لان ذلك عندهم من اللذات النفسية ، أو الشرف والكمال الانساني ، وبهذا ارتفعوا عن جمهور الاغنياء الاغبياء السفهاء ، وأمل هذه البلاد لا تخلو من افراد منهم ، ومن عساه يوجد منهم فقد يبذل المال للمساعدة على تعليم الموسيقى والتصوير أو الالاعاب الرياضية ، وقلما يحفل بالإصلاح الديني العلمي الا ان كان له نزعة دينية أو تهذيبية ، وأتى لجماعة الدعوة والارشاد بالاهتداء الى مثل هذا واقناعه بأن مقصدها الاول من مدرستها بث المرشدين في أنحاء البلاد لتعليم العوام ما يحرهم عن المعاصي والمنكرات ، ويزكيهم من أدران البدع والخرافات ، حتى تستفيد المدرسة من مساعدته ؟

وصنف ثالث هم الوسط الصحيح ، هم الذين أوتوا نصيبا من التريسة الدينية والعلم الاسلامي الصحيح ، ونصيبا من حال هذا العصر وما يحتاج اليه المسلمون فيه من الاصلاح ، والغني في هذا الصنف أندر منه في سائر الاصناف ، والرجاء في مثله لمساعدة الدعوة والارشاد ، أقوى وأشد منه في سائر الناس ، الا أن يذله على دينه وعقله البخل الفاحش والشح المطاع ، وإيثار وعد الشيطان بالفقر على وعد الله بالمغفرة والاخلاق ، وإذا كان الصنفان المذكوران قبل هذا - وهما كالطرفين له - مما يصعب

اقتناع افرادها بوجوب المساعدة على الاصلاح الديني العلمي فهذا الصنف لا يحتاج الى اقتناع ، ولا يخفى عليه وجود ما يوجد منه في البلاد ،

ومن اغنياء هذا الصنف من غلب عليهم الترف ودب الى دينهم الوهن ، فضغفت غيرتهم على اسلامهم الديني ، دون اسلامهم الاجتماعي والسياسي ، فهم يودون اصلاح حال المسلمين ، ويعتقدون أن ذلك لا يرجى الا من طريق الدين ، وإنما يودون أن ينهض بالاصلاح غيرهم ، ولا تسمو بهم الهمة الى المساعدة عليه باموالهم ولا بانفسهم

تلك اصناف الاغنياء الذين يصح أن يتعلق بهم الرجاء ، بما في أنفسهم من هدي الدين أو علو الهمة ، أو العناية بأمر الامة ، وقد علم أن من يرجد في هذه البلاد منهم قليل ، وإن الرجاء في هذا القليل ضعيف .

فلم يبق من فريق المعتدلين الذين يرجى رفدهم الا المستورون الذين لا يقدرّون على مساعدة الاصلاح الا بما يوفرون من كسبهم بالاقتصاد في النفقة اللائقة بامثالهم ، كصاحب الرسالة التي دعوتنا الى كتابة هذا المقال ، ولا غناء في مساعدة هذا الصنف الا اذا كثّر أفراد الباذلين منه ، وفاقا للقاعدة المقررة : [القليل من الكثير كثير] وما أظن أن الظفر بهذا الكثير عندنا ميسور ،

فعلم مما شرحناه أن من يرجى منهم بذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الاصلاح الديني والاجتماعي قليلون ، وإن ما يرجى بذله من هؤلاء القليلين في بلادنا قليل لا غناء فيه ، لأن أكثر الانفس أحضرت الشح ، واستحوذ عليها الصغار والذل ، وكذبت وعد الله بالاخلاق على المنفق ، وصدقت وعد الشيطان له بالفقر . ثم إن بذل المال الكثير في هذه السبيل إنما يصدر عن عرفان ووجدان — عرفان بالمصلحة فيه وشدة الحاجة اليها ، ووجدان إيمان راسخ تنال به سعادة الدنيا والآخرة ، أو وجدان شرف باذخ تنال به سعادة الاولى فقط ، على أن باعث الشرف وباعث الايمان ، قد يتلاقيان ويتصالحان ، وأتني أوضح هذا المقام بأمثال ، أشير بها الى أعظم من رجوت هنا من الرجال

كان أرحم أغنياء مصر عندي لمشروع الدعوة والارشاد ثلاثة أصحح باسم

واحد منهم وهو رياض باشا تغمده الله برحمته، ذلك الرجل الذي انفرد في كبراء مصر وأغنيائها بأنه لم يكن يخيب فيه رجاء، ولا يقوته مساعدة عمل من أعمال الخير، ولو عرف كنه مشروع الدعوة والارشاد لما اكتفى بالتبرع له بمئة جنيه، وإنما عرف منه أنه مدرسة خيرية، فنفعه بمثل ما نفع به مدرسة محمد علي الصناعية، وهي المدرسة التي تولى رياسة جمع الاعانات لها، على ان الحديو وارث ملك محمد علي التي أنشئت المدرسة احياء لاسمه وتذكرا لمرور مئة سنة على ملكه لم ينفعها بأكثر من ذلك. فهذا عذر رياض باشا في عدم صدق رجائي كله في مساعدته لهذا العمل وأما اللذان لا أصرح باسمهما فقد كان رجاؤنا في أحدهما اكبر من رجاؤنا في رياض باشا، وهو أوسع منه ثروة، وفهم من كنه المشروع ما لم يفهمه، بل قال فيه كلاماً يؤثر ويدون له، (منه) انه طالما فكر فيه، وتعجب من احجام المسلمين عن القيام به الى اليوم، وانه يود لو يكون عضوا عاملا فيه، وإنما يمنعه من وضع يده في أيدي أعضاء ادارته عدم ثقته بثباتهم، اللهم الا واحداً منهم، وعلى ذلك بأن أهل بلادنا هذه يقولون ولا يفعلون، ويبدؤن بالاعمال ولا يثبتون، (ومنه) أن هذا العمل سيلقى صعوبات، وتوضع في طريقه العقبات، وانه لا يقول هذا تثبيطا (أي) بل تنبيها، ولا تنصلا من المساعدة فانه سيساعد بالمال، ثم انه أكد هذا الوعد غير مرة لنا، وذكره لغيرنا، وقد كان آخر عهدنا بالسعي لاستنجاهه شهر رجب الماضي

وأما الثالث فهو غني معروف بالعلم والفضل والتدين، وقد كان منذنا أحد أصدقائه بأنه سيتبرع للمدرسة بمئة جنيه غير ما يفرضه على نفسه من الاشتراك السنوي، وذكر لنا صديق آخر له عزمه على المساعدة من غير تحديد. وقد بلغنا ان ما يجب عليه من زكاة النقد كل سنة أضعاف ما يملكه صاحب الرسالة التي فتكلم في موضوعها، وقد ذكرناه في هذا العام بشدة حاجة المدرسة الى ما تنتظر من مساعدته لاقطاع اعانة الاوقاف عنها، ونفاد ما قد جمع لها، فاعتذر بما يعتذر به أكثر الناس في هذا العهد، وهو العسرة التي جاءت بها هذه الحرب

فاذا كان وعد أرجى من نرجو من أغنيائنا، واشتراك من يشترك في مثل هذا المشروع من أفضل فضلائنا، لا يوثق بهما ولا يتكل عليهما في استنجاه دار

لمدرسة خيرية ، قبل يظن (م . ن) صاحب تلك الرسالة أن ما جاء به من النصيحة والتذكير ببسطان الايدي المغلوله ، وينهايان^(١) الانفس المفسولة^(٢) ، فتدقق الدفاتير على مدرسة الدعوة والارشاد اليوم كما تدققت على جمعية الصليب الاحمر بالامس ، وعلى جمعية الهلال الاحمر من قبل ؟ ان كان يظن ذلك فما نحن بظانين ، ولا نحن من فضل الله وحياته المسلمين بيائسين . ولكننا بعد طول الاختبار لا نعتز بوعد واعده ولا بثبات متبرع ولا واهب ، وان كان هذا أو ذاك ، ممن اشتهروا بالسخاء ، فان أكثر أصحاب هذه المظاهر ، مصداق لقول الشاعر

يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما
لكنها خطرات من وساوسه

كلا انه لا يرجى في هذا القطر جمع مال كثير بالتبرع يكون رأس مال لمدرسة كدرستنا أو مدرسة دونها الا بنفوذ الامراء والحكام ، وقد كان بعض هذا ممكنا لنا من قبل ولم نطرق بابه ، وأما اليوم فلا يرجى كله ولا بعضه ، فأما سبب بذل المال تقربا الى الامراء والحكام فعروف ، وأما إمساكه عن المصالح العامة فسيبه ضعف الايمان ، وضعف وجدان الشرف وحب الكمال ، والحرمان مما يولدان من المنافع العالية والآمال العظيمة ، وليس في تربية الامة ما يحيج ذلك في نابتها هذا واننا بعد هذا البيان نقول لصاحب تلك الرسالة وغيره من أهل الغيرة ان هذا المشروع لا يرجى أن ينفذ بحسب نظامه المعروف الا اذا نجحنا فيما سعينا اليه في الآستانة ثم في مصر من تقرير اعانة له كبيرة ثابتة من وزارة الاوقاف فبهذا يستقر ويوثق بثباته واستمراره ويشتهر نفعه في الامصار والاقطار ، ويرجى بعد ذلك أن يتبرع له ويقف عليه العقار والاراضي كثير من أهل الخير ، ولا سيما بعد أن يتخرج في مدرسته من يحسنون القيام بما فرضه الله تعالى على المسلمين بقوله : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) فاذا ظفرنا باعانة ثابتة من وزارة الاوقاف فذاك ، والا جعلنا المدرسة خارجية وأنفقنا عليها مما آتانا الله من كسب ومساعدة أهل المروءة والاخلاص مهتدين بقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدّر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا)

(١) للتنبيه هنا معنيان أحدهما جبل الخامل نبيه الشان وثانيهما إيقاظ الغافل
(٢) المفسول الضعيف الخامل الذي لامروءة له

السنة وصحتها والشرعية ومئاتها

رد على دعاة النصرانية بمصر

٢

﴿ تمة واستدراك — استنكار المتأخرين لبعض متون أبي هريرة ﴾

قد علم مما تقدم أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه راوية ثقة عدل وأنه من نوابغ البشر في الحفظ والضبط لما يحفظ وقوة الذكر (الذاكرة) وعلم أيضا أنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الانكار أو مظنته لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم ببعض المغيبات التي تقع بعده ؛ ويزاد على ذلك أن بعض تلك المتون غريب في نفسه، ولو انفرد بمثله غير صحابي لعد من العلال التي تثبت بها في روايته، كما هو المعهود عند نقاد الحديث أهل الجرح والتعديل ، ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبي هريرة كما رأى القراء في [دروس سنن الكائنات] للدكتور محمد توفيق صدقي ، وأول كلمة طرقت سمعي في ذلك كانت من تلميذ مسلم في مدرسة غير اسلامية ببلاد الشام ، وكان ذلك في أوائل العهد بطليي للعلم . ومن عرف ترجمة أبي هريرة معرفة تامة يحزم بعدالته وبرأته من الكذب على أحد من الناس ، بله الكذب على رسول الله (ص) الذي روى هو وغيره عنه انه قال « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وقد صرحوا بأن هذا الحديث متواتر

ولعل قراء المنار يتذكرون ما علقته على كلام محمد توفيق صدقي في حديث الذباب — وتطرقه فيه الى الارتباب في رواية أبي هريرة — اذ بينت بالابحاز انه لا مجال للظن في أبي هريرة نفسه وأن حديث الذباب وأمثاله مما يستبعد أن يكون مسموعا من النبي (ص) لا يظهر علة نقلها عن أبي هريرة الا اذا أحصيت تلك (المنار: ج ٢) (١٣) (المجلد التاسع عشر)

٩٨ عال الاحاديث الغربية والموقوف الذي له حكم المرفوع [المنار: ج ٢ م ١٩]

الروايات ولا سيما ما انفرد به ابو هريرة منها ، ودقق النظر في أسانيدھا ومتونها ، وما يمكن طروءه من الاحتمالات فيها ، وامهات هذه الاحتمالات أربعة :
(أحدها) أن يكون في رجال السند الى أبي هريرة من هو مجروح وان صحح
(ثانيا) أن يكون ذلك الحديث أو الأثر مرويا عنه بالمعنى وقد وقع الغلط من
أحد الرواة في فهمه فقله كما فهمه

(ثالثها) أن يكون ما روي حديثا رأيا لأبي هريرة أو غيره ممن روى عنه وعنده
بعض الرواة حديثا لا جتهاده بأن مثله لا يقال بالرأي ، فما قاله العلماء من أن قول
الصحابي اذا كان لا يقال مثله بالرأي له حكم المرفوع الى النبي (ص) لا يصح على
إطلاقه ، والناس يتفاوتون في فهم ذلك ، فما يعمده بعضهم منه لا يعمده الآخر منه ،
(رابعها) ان يكون رواه عن أهل الكتاب بالسماع ممن أسلم منهم ككعب
الاحبار أو رآه في كتبهم وهو مما لا مجال للرأي فيه فيعمده من قبيل المرفوع من
يأخذ ذلك القول قاعدة عامة ، وقد ثبت ان أبا هريرة روى عن كعب الاحبار
وأن معاوية قال في كعب الاحبار انهم كانوا يباون (أي يختبرون) عليه الكذب وقد
تقدم ذلك في هذا المقال نقلا عن البخاري ، وانني كنت أسيء الظن في روايات
كعب الاحبار قبل أن أرى مارواه البخاري عن معاوية فيه ، وكذا وهب بن منبه .
ثم انني بعد كتابة ما تقدم وقيل طبعه رأيت في تفسير سورة النمل من تفسير
الحافظ ابن كثير بعد ذكر عدة روايات عن الصحابة في قصة ملكة سبأ مع سليمان
عليه السلام ما نصه :

« والاقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في
صحفهم كروايات كعب ووهب ساجدتهما الله تعالى فيما نقلاه الى هذه الامة من أخبار بني
اسرائيل من الاوابد والغرائب والمعجائب مما كان وما لم يكن ومما حرف وبذل ونسخ ،
وقد أغنانا الله عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ والله الحمد والمنة » اه
فجملة القول في هذه الاحاديث المشككة اذا كانت مرفوعة الى النبي (ص)
أو موقوفة على أحد رواة الصحابة (رض) أبي هريرة أو غيره ان يدقق النظر في
أسانيدھا أولا فاذا كان في الاحتجاج ببعض رجالها مقال كفيينا أمرها وكذا اذا

كان فيها انقطاع أو ارسال، والا نظرنا في غير ذلك من الوجوه التي يكون بها المخرج كغلط الرواة بسبب النقل بالمعنى أو غيره من الاسباب ، وأدهى الدواهي أن يكون الحديث مأخوذاً عن بعض أهل الكتاب بالقبول ولم يميز اليه ، ولا يفرنك قولهم ان مراسيل الصحابة حجة وان الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع ، فاذا ثبت ان أباهريّة مثلاً كان يروي عن كعب الاحبار وأن الكثير من أحاديثه مراسيل فالواجب أن يتروّى في كل غريب لم يصرح فيه بالسماع من النبي (ص) فاذا كان من الاسرائيليات أو ما في معناها احتمال ان يكون قد رواه عن كعب وكان هذا الاحتمال علة مانعة من ترجيح اسناد كلام الى النبي (ص) يوقع في الاشكال .

لا ينسج هذا الموضع لتحرير هذا البحث بالتفصيل ولكننا نذكر أهل العلم بحديث يرون فيه اكبر عبرة في هذا المقام وهو حديث الجساسة الذي حدث به تميم الداري رسول الله (ص) واخرجه مسلم في صحيحه مرفوعاً من طرق يخالف بعضها بعضها في مثته ، فهذا الخلاف في المتن علة من بعض رواة الصحيح ، ولا يظهر حملة على تعدد القصة ، ثم ان رواية الرسول (ص) له عن تميم الداري ان سلم سندها من العمل هل يجعل الحديث ملحقاً بما حدث به النبي (ص) من تلقاء نفسه فيجزم بصدق اصله ، قياساً على اجازته (ص) او تقريره للعمل اذ يدل حله وجوازه؟ الظاهر لنا ان هذا القياس لا محل له هنا ، والنبي (ص) ما كان يعلم الغيب فهو كسائر البشر يحمل كلام الناس على الصدق اذا لم تحف به شبهة، وكثيراً ما صدق المنافقين والكفار في احاديثهم، وحديث العرينين واصحاب بئر معونة مما يدل على ذلك ، وانما كان يعرف كذب بعض الكاذبين بالوحي او ببعض طرق الاختبار او اخبار الثقات ونحو ذلك من طرق العلم البشري، وانما يمتاز الانبياء على غيرهم بالوحي، والعصمة من الكذب وما كان الوحي ينزل الا في امر الدين وما يتعلق بدعوته وحفظه وحفظ من جاء به، وتصديق الكاذب ليس كذباً . وحسبك ان نتأمل في هذا الباب عتاب الله لرسوله اذ اذن لبعض المعتدين من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وما علله به، وهو قوله (عفا الله عنك لم اذنك لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)

واذا جاز على الانبياء المرسلين ان يصدقوا الكاذب فيما لا يخل بأمر الدين ولا

يترتب عليه حكم شرعي ولا شيء ينافي منصب الرسالة ، افلا يجوز على من دونهم ان يصدقوا الكاذب في اي خبر لا تقوم القرينة على كذبه فيه ؟ ومن صدق شيئاً يجوز أن يحدث به من غير عزو الى من سمعه منه . ولكن هذا كان قليلاً في الصدر الاول من الاسلام ، فقد ظل المسلمون عدة قرون ينقلون كل شيء بالرواية وإن كان بيت شعر او كلمة مجنون

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان الاحاديث المشككة الصحيحة الاسناد قليلة فما رواه ابو هريرة منها قليل من قليل ، وما انفرد به منه اقل ذلك القليل ، ولا يتوقف على شيء منها اثبات اصل من اصول الدين ، والحمد لله رب العالمين

﴿ الجملة الخامسة الخاتمة لكلام الطاعن ﴾

﴿ استنتاجه من جملة دعاويه أن الشريعة لا قيمة لها في نفسها ولا في روايتها ﴾
قال بعد سرد ما تقدم عن الشبهات على رواية ابي هريرة ما نصه :

هذا هو الرجل الذي وضع مع ابن عباس اساس الشريعة . ولكن ما هي قيمتها ؟ ان السؤال مهم جداً ، ويطلب الجواب عليه من الثلاث مئة مليون في الوجوديين في العالم . اه بحروقه اشتملت هذه الخاتمة على دعوى باطلة ، واستفهام إنكاري تهكي ، ووجه هذا السؤال فيها الى ثلاث مئة مليون سني^(١) أي الى كل فرد من أفراد أهل السنة الذين يسكنون في جميع الاقطار ، ويتكلمون بعشرات من اللغات ، ولماذا ؟ لان السؤال مهم جداً في نظر القسيس المبشر المتصدي هو وجمعيته لتنصير كل هؤلاء المسلمين بعد عجزهم عن هذا السؤال المهم جداً !! نخرج

الجواب عن الدعوى

هذه الدعوى ظاهرة البطلان عند المسلمين وعند من له أدنى إلمام بشريعتهم

(١) قد اشتهر منذ عشرات من السنين ان المسلمين ثلاث مئة مليون وأول أوربي اشتهر عنه هذا القول عامل ألمانية غليوم الثاني ، والظاهر ان أهل السنة وحدهم صاروا يبلغون هذا العدد كما قالت مجلة الشرق والغرب ، وتم عشرات الملايين من الشيعة وغيرهم

وإنما يفهم من النصارى وغيرهم ، سواء أراد بأساس الشريعة أصول أدلتها التي تستلزم منها - وهو الاقرب - أو أصول مقاصدها وهي العقائد والاحكام والآداب ، واستغني عن بيان ذلك بما قلناه في مسألة أركان الشريعة الذي فندنا به القضية الثالثة من قضايا الجملة الاولى من مقاله (راجع ص ٢٨ ج ١) ثم نقول :

إن أبا هريرة وابن عباس ما وضعوا أساس الشريعة ولا أركانها ، ولا أصولها ولا فروعها ، وإنما روينا لنا كغيرهما من الصحابة الكرام الكثير الطيب من سنة الرسول ، وهي ثابتة الاسس والاصول

وقد بينا أن البخاري خرج لأبي هريرة ٤٤٦ حديثاً في صحيحه ، ونقول هنا انه خرج فيه لابن عباس ٢١٧ حديثاً . وهذا القدر من روايتهما للاصول الموصولة من الاحاديث لم ينفردا به وإنما شاركهما في رواية الكثير من غيرهما ، ولو أحصينا ما انفرد بروايته أبو هريرة وحده من أحاديث الاحكام الشرعية لرأيناه قليلاً جداً ، وعلمنا انه لو لم يروه لما نقصت كتب الاحكام شيئاً كثيراً ، وإن ما عسى أن تنقصه يمكن أن يعرف حكمه من قواعد الشريعة الثابتة وأصولها القطعية ، كقاعدة رفع الحرج والعسر ، وإثبات اليسر وترجيحه ، وقاعدة كون الاصل براءة الذمة ، وكون الاصل في كل الخبائث والمضرات الحرمه ، وفي كل الطيبات الحل ، وكون الضرورات تبيح المحظورات ، وغير ذلك مما لا مجال لتفصيله في هذا الرد

﴿ قيمة الشريعة الاسلامية ﴾

الجواب عن الاستفهام التهمي

لا أرى شياً لسؤال النفس الطاعن عن قيمة الشريعة الاسلامية الا السؤال عن الشمس ما فائدتها للدنيا ؟ وعن العافية ما فائدتها للناس ؟ وعن الماء والهواء ما فائدتهما للنبات والحيوان ؟ سواء كان السؤال سؤال انكار وتهكم أو سؤال استفهام ، وإننا نجيب عن هذا السؤال بجواب مجمل وجيز ، لأن التفصيل لا يأتي الا بتصنيف كتاب كبير ، فنقول :

(١) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ثبتت نبوة من جاء بها

بالبرهان العقلي العلمي الثابت الدائم، وملخصه أنه رجل أمي نشأ بين قوم أميين بلغ الكهولة ولم يقرأ كتاباً، ولم يكتب سطراً ولا حرفاً، ولا قال شعراً ولا ارتجل خطبة، ولا رأس قبيلة ولا ساس قرية، ولا انتحل كهانة ولا عرافة، ولا عرف شيئاً من شرائع الأمم وأديانها - ثم قام في سن الكهولة بدعوى النبوة، وأيد دعواه بكتاب اشتمل على أخبار الغيب الماضية والمستقبلية، وسنن الله في الدين والمدنية، وعلى أصح علوم العقائد الإلهية، المؤيدة بالبراهين العقلية والعلمية، وأصلح علوم الأخلاق والفضائل النفسية، والعبادات الجامعة بين المنافع الروحية والجسدية، وأعدل قواعد الشرائع السياسية والمدنية الخ ثم انه اجتث بهداية هذا الكتاب جرائم الوثنية، وطهر الأمم من الخرافات التقليدية وأخلاق الجاهلية، فكان للناس بذلك دين كامل وشريعة عادلة وأمة مؤلفة من جميع الشعوب والقبائل، ودولة أحييت الحضارة وامتدت من المشرق الى المغرب في جيل واحد

فكان مثل محمد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم كمثل رجل جاء بلداً مصاباً بالآوبئة المجتاحة والأمراض المعضلة، وادعى انه طيب وايد دعواه بكتاب في الطب والعلاج طهر به ذلك البلد كلها من الأمراض والآوبئة، فأصبح أهله متمتعين بكل الصحة والعافية

فكما يجزم كل عاقل بأنه يستحيل على غير الكامل في علم الطب أن يؤلف كتاباً في الطب يزيل بالعمل به الآوبئة ويشفي المرضى - كذلك يستحيل بالاولى أن يقدر رجل أمي على الاتيان بأخبار الغيب وعلوم الدين والشرائع والآداب فيصلح بها أديان أمم كثيرة وآدابها وأخلاقها وأحكامها وسياستها، إلا أن يكون نبياً مؤيداً بوحي الله وعنايته العليا، بل يستحيل صدور مثل هذه العلوم والأعمال من واحد أو من جماعة تعلموا جميع علوم البشر وعلوم الأديان في أعلى مدارس هذا العصر الجامعة. دع إعجاز القرآن ببلاغته وأسلوبه وسائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة الجامعة بين هداية الدين الإلهي

الحق، وبين ثمرات عقول العلماء المجتهدين، الواقفين على مصالح البشر وما يقوم به العدل بينهم، وما سواها فاما ديني محض لا مجال فيه لعقل ولا رأي، واما

وضعي ناقص لا يحترم في السر كما يحترم في الجهر
(٣) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي تواتر كتابها تواترا حقيقيا ،
ورويت سنتها رواية متصلة الاسناد ، ودون تاريخ رواها تدويننا مبني على ركني
النقد والتمحيص ، الذي يميز به بين الصحيح وغير الصحيح ،

(٤) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي حررت البشر وأعتقتهم من
رق رؤساء الدين ، الذي أرهق الغابرين ، فلم نجعل لأحد سيطرة روحية على
أحد ، فليس فيها كنة ولا قسيسون يمتازون بمناصبهم الدينية على غيرهم ، أو
تتوقف اقامة شيء من أمر الدين عليهم ، وإنما خوطب البشر بها على سواء ، فهم
يتفاضلون فيها بعلومهم وأعمالهم الكسبية ، لا بمناصبهم الموروثة ولا أنسابهم الشريفة ،
(٥) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي أعتقت البشر من رق
الملوك المستبدين الذين انتحلوا لانفسهم حق الحكم بمحض الهوى والارادة ، وحق
وضع الشرائع والقوانين بالذات أو بالنيابة ، وحق الامتياز في الحقوق الشرعية على
غيرهم من أفراد الامة ، فجعلت أمر الامة شوري بين أهل الحل والعقد ، من أهل
العلم والرأي ، الذين يولون عليها من يرونها أصلح لتنفيذ شريعتها ، ولم تجعل للخلفاء
أو السلاطين ، امتيازاً على أحد من الفقراء والصعاليك ، لا في حكم من الاحكام المدنية ،
ولا في عقوبة من العقوبات الجزائية ، وقد وافقتها بعض الامم في بعض هذه الاصول
أو اقتبستها منها ، بعد أن ترك المتغلبون على المسلمين اقامتها ، ولكن لم يبلغ احد شأوها
الى هذا اليوم ، وإنما صار بعضهم أقرب اليها ، ممن يسمون أنفسهم أهلها .

(٦) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ساوت بين أهلها المؤمنين بها ،
وبين الكافرين بها اذا تحاكموا اليها ، سواء كانوا من أهل ذمتها ، أو من الاجانب
المعاهدين لحكومتها ، أو الحريين الداخلين في امان احد من أهلها ، فلا فرق في
احكامها القضائية بين أبناء الرسول وامراء المؤمنين ، وبين أضعف أهل الكتاب أو
الوثنيين ، ونحن نرى أرقى الافرنج وأشهرهم بالعدل يميزون أنفسهم على غيرهم ، فلا يرون
المصري والهندي مساويا للانكليزي ، ولا الاسيوي مساويا للامريكي
(٧) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي رفعت شأن النساء وأعطتهن

حقوق الاستقلال التام في التصرف بأموالهن ، وساوت بينهن وبين أزواجهن في جميع الحقوق المعروف ، الا رياسة المنزل وزعامة الاسرة ، وان كلة وجيزة من كلمات القرآن الحكيم في ذلك لا يبلغ من كثير من الاسفار التي ألقت في المطالبة بحقوق النساء أو ما يسمونه تحرير المرأة ، الا وهي قوله عز وجل

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ جِالٌ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ ﴾

وهذه الدرجة التي أعطيت للرجل بحق — وهي رياسة البيت — لانه أقدر على الكسب والحماية ، والمطالب بجميع النفقة ، تشبه الرياسة العامة فيما شرع فيها من الشورى كما يدل عليه قوله عز وجل في مسألة ارضاع الولد وفطامه (فَإِنْ أَرَادَ إِفْصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا) وقد اهتدى كثير من الامم ببعض هدي هذه الشريعة في هذه المزية ولم يبلغ أحد منها شأوها ، ولكن أهلها قصرُوا في إقامتها ، حتى صاروا حجة عليها عند من يجهلها

(٨) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي وضعت للحرب نظاما حرم فيه العدوان والتمثيل والتخريب . وقتل من لا يقاتل من النساء والشيوخ والاطفال والمنقطعين للعبادة ، فجعلتها ضرورة تتقدر بقدرها ، وأمرت بالجنوح للسلم أن جنح العدو لها ، وقد بين المنار فضلها في ذلك على قوانين أوربة وفضل أهلها في حروبهم على الاوربيين في مقالة نشرت في مجلد السنة الماضية . وقد انصفنا أحد حكماء الافرنج بقوله « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب »

فأين منها شريعة التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهي التي أوجبت في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشتراع استعباد جميع أفراد الشعب المسلم الذي يختار الصلح على الحرب ، وقتل جميع ذكور الشعب الذي يحارب عند الظفر به وجعل جميع نسائه وأطفاله وما يملكه غنائم — هذا اذا كان من المدن البعيدة جدا عن شعب التوراة التي لا يسهل عليه سكنائها ، وأما الشعوب القريبة التي يسهل عليه إحتلاك بلادهم فهذا نصها فيهم « ١٦ » وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما »

(٩) هذه هي الشريعة الوحيدة التي فرضت على الاغنياء نصيبا معلوما مما يزيد من أموالهم عن نفقاتهم يصرف لإغاثة الفقراء والمساكين العاجزين عن كسب يكفيهم ، وإساعدة الغارمين على ما يحملون من الغرامات للإصلاح بين الناس ، ولإبناء السبيل الذين يسبحون في الأرض فتتفقد نفقاتهم قبل عودتهم إلى أوطانهم ، وغير ذلك من المصالح العامة ، ولو أقام المسلمون في هذا العصر هذا لركن كما كان يقيمه سلفهم الصالح لما وجد فيهم فقير مهين ، ولكانت حالهم الاجتماعية أفضل من حال أرقى الأمم ، ولما كان السائحون منهم لاكتشاف مجاهل الأرض وخرت بقاعها والاعتبار بأحوال الأمم فيها أكثر من سائح غيرهم من الأمم ، إذ حثهم الله في كتابه العزيز على السياحة النافعة بمثل قوله في سورة الحج (أفلم يسبروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) وقوله في سورة المؤمن (أفلم يسبروا في الأرض فيظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) وقوله في سورة آل عمران (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا) الحج

(١٠) ان هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع الإلهية ، وحكمة ذلك أن الله تعالى قد اكمل بها الدين الحق ، فجعلها جامعة بين مصالح الروح والجسد ، ومنح الأمة حق الاجتهاد واستنباط الاحكام ، بما وهب لها من فضيلة الاستقلال ، بعد أن أعدها لذلك بسنة الارتقاء ، وبهذين كانت موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان ، خلافا لما يجنيه عليها الصديق الجاهل ، وما يتجنأه عليها العدو العاقل ، وقد بينا هذه المسألة في التفسير وفتاوى المنار ومقالاته مرارا ، كمقالات المصلح والمقلد ، والفتاوى الباريزية ، وتفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وتفسير (اليوم أكملت لكم دينكم) وتفسير (لاتسألوا عن أشياء ان تبدل لكم تسؤكم) وطالما قدنا شبهات المنكرين لذلك

فهذه بعض مميزات هذه الشريعة التي يعرف قيمتها المنصفون من غير أهلها .
فان أمكن لهذا المجادل فيها أن يشكك أهلها فيها بما زعمه من ارتياب بعض الناس في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أو بغير ذلك من الدعاوي (وإن يمكن) فلا يجني من ذلك الا انصراف ثلاث مئة مليون سنني ربما يتبعهم زهاء ثلاثين مليونا من الشيعة (المنار: ج ٢) (١٤) (المجلد التاسع عشر)

وسائر الطوائف الاسلامية عن الايمان بأن المسيح عليه السلام رسول الله المعصوم وكلته التي أنقأها الى مريم الطاهرة البتول، الى مثل اعتقاد ملاحدة الاوريين من الانكليز وغيرهم كمؤلف كتاب (نشوء فكرة الله) ومؤلف كتاب (اضرار تعليم التوراة والانجيل) وغيرهم من الماديين الذين يطعنون فيه وفي أمه الطاهرة ، ويزعمون ان آداب انجيله مفسدة للبشر لانها تعلم الناس الذل بالخضوع لكل سلطة وإن كانت أجنبية جائرة ، وإدارة الخلقين لكل من يريد صفعهما ، وتدفعهم الى الفقر بتحريم الادخار والاهتمام بالمستقبل وحرمان الاغنياء من ملكوت السماء .. (مت ٢٣: ١٩)

لو كان الشك في الشريعة الاسلامية يفضي الى تنصر الشاك فيها حتماً لكان للطاعن المشكك فيها — وهو داعية لدينه — عذر ظاهر في التشكيك ، ولكن لا تلازم بين الامرين ، بل علمنا بالتجارب والاختبار أن أكثر الذين يهرقون من الاسلام يكونون ملاحدة معطلين ، وأن الافراد القلائل من المسلمين الذين دخلوا في النصرانية لا يكاد يوجد واحد منهم كان مسلماً حقاً ثم صار نصرانياً ظاهراً وباطناً ، بل هم في الغالب من العوام الفقراء الكسالى الذين يظهرون النصرانية للمبشرين لاجل أن يطعموهم ، وهم على جهلهم بحقيقة الاسلام لا يفضل أحد منهم تقاليد النصرانية على ما عرف من تقاليد قومهم ، وقلاً يفتح لأحد منهم باب الرزق عند المسلمين الا ويفرّ اليه مفضلاً له على الارتزاق بالنفاق ، وطالما سعوا الى ذلك وطرقوا له الابواب وكلما فتح لأحد منهم باب من باب وأناب ، فأين هؤلاء الغوغاء ممن يدخلون في الاسلام من كبراء الانكليز وفضلائهم وغيرهم من نصارى الغرب والشرق كاللورد هديلي

قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : ان المسلم لا يمكن أن يصير مسيحياً — وعلى ذلك بقوله — لان الاسلام مسيحية وزيادة ، أي يتضمن الايمان بالمسيح (ص) وبما جاء به بالاجمال ، والايمان بمحمد (ص) وبما جاء به بالتفصيل . وعلناه نحن بأن دين الله واحد في أصوله من التوحيد والاخلاص والفضيلة ، الا أنه سار كسائر الشؤون المتعلقة بالبشر على سنة النشوء والارتقاء فكان كماله في آخره (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فالمسلم

ينظر الى ملة كل من نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كما ينظر الانكليزي الى القوانين التي كان عليها قومه في القرن السادس عشر والسابع عشر — الى القرن العشرين ، ولكنه لا يترك ما ارتقى اليه من القوانين المناسبة لحال زمنه هذا الى ما ارتقى عنه من قوانين القرون الخالية، ولا يعد نفسه بما ارتقى اليه قد خرج عن كونه انكليزيا . وكذلك المسلم يؤمن بجميع الانبياء وبحقيقة أديانهم وشرائعهم ومناسبتهم لازمانهم وبأن الشريعة المحمدية كانت هي الخاتمة المتممة للمكاملة الناسخة ، والمسلمون يعظمون جميع الرسل (لا يفرق بين احد من رسله) ولكنهم يتبعون الاخير منهم

واننا نرى المبشرين يحاولون اقناع المسلمين بدلالة القرآن على تفضيل عيسى على محمد عليهما الصلاة والسلام ، ولو تم لهم هذا لما أفادهم شيئا ، فان المسلمين لا يفرقون بين الرسل من حيث انهم رسل ، وانما فضل الله بعضهم على بعض بكثرة المزايا ودرجة انتفاع البشر برسالتهم ، وقد فضّلهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعموم بعثته وإكمال الدين المطلق بما جاء به وكثرة من اهتدى به ؛ ونعتقد أن عيسى لم يبعث الا الى خراف إسرائيل الضالة كما قال عن نفسه (مت ١٥: ٢٤) ولو فرضنا ان عيسى أفضل بما امتاز به في خلقه وخصائصه لما كان ذلك موجبا لترك الثابت عندنا من شريعة محمد صلى (ص) العامة المكاملة الخاتمة الناسخة لما قبلها الى ما لم يثبت عندنا من شريعته الخاصة المنسوخة ، وعلماء الاصول منا يفضلون ابراهيم على موسى وعيسى (ص) ولكنهم لا يقولون انه كان يجب على بني اسرائيل ترك شريعة التوراة الى ما خالفها من شريعته كما أن من يفضل محمد علي باشا الكبير على أحفاده بخصائصه الفطرية لا يرى ذلك موجبا لترك قوانينهم الى قوانينه ، على أن القاعدة عندنا أنه قد يوجد في المفضل من المزايا ما لا يوجد في الفاضل كما يفضل بعض أحفاد محمد علي جدهم بالعلم وبعض الاخلاق والاعمال

الحق أقول لكم أيها المبشرون المحترمون ان مجادلاتكم وطريقتكم في دعوة المسلمين الى دينكم قد جاءت الى اليوم بضد ما تريدون وتريد جمعياتكم ، فهي تزيد المسلمين استمساكا بدينهم وبعيدا عن دينكم ، وأكبر ضررها الديني في

المسلمين أنها حملت كثيرا منهم على ضد ما يجب عليهم شرعا من حب سيدنا عيسى وأمه وحواريه وإثناء عليهم بما أثنى الله تعالى ورسوله (ص) فان كثيرا من العوام صاروا يعتقدون مما يسمعون منكم ويقرءون أو يقرأ عليهم من كلامكم ضد ما يقرره الاسلام من كون الرسل اخوة يجب الايمان بهم وحبهم جميعا ، بل أرى هذا التأثير قد دب الى خواص المتعلمين على الطريقة الافرنجية حتى المشهورين منهم بالتساهل الديني

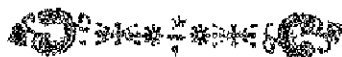
ومن المعجيب ان واحدا من كبار هؤلاء علما ورتبة صرح أمامي بأنكم بغضتم اليه المسيح ... فقلت له لا ينبغي لمثل سماعتك ان يسترسل مع وجدانه الى هذا الحد ، ولا يخفى عليك ان بغض المسيح عليه السلام كفر ، فقال ان هذا قد ثبت في نفسه ولا يستطيع دفعه

أيها المبشرون المحترمون انكم تريدون تشكيك الناس في الشريعة الاسلامية بالطعن في عدالة أبي هريرة ، وقد علمتم ان الطعن في أبي هريرة لو كان صادقا ماحط من قدر هذه الشريعة شيئا فكيف وهو باطل ، ولو لم يخلق أبو هريرة لما نقصت الشريعة شيئا ولكن كثيرا من المسلمين المتعلمين على المنهج الافرنجي يرون ان أكبر الشبهات على الاسلام ما أثنى القرآن والرسول (ص) به على المسيح وأمه عليهما السلام ، حتى اني قلت منذ سنين ان أقوى الحجج للمسيح شهادة القرآن له ، وأقوى الشبهات على القرآن شهادته للمسيح ، فهل رأيتم قول القرآن فيه (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه) قليلا حتى طمعتم باقتناع المسلمين بأن يقولوا كلمة أكبر من ذلك ، ورأيتم قوله فيه (وأيدناه بروح القدس) قليلا أيضا فطمعتم بأن تقول فيه كما تقولون وان لم نقبل ذلك ولم يقم عليه برهان مبين أيها المبشرون الغيورون انكم تعلمون أن اشتغال الناس بالفلسفة المادية والمدنية المادية قد فتن كثيرا من المسلمين بملاحدة الاوربيين الماديين الذين مرقوا من النصرانية وطمعوا فيها أشد الطمع لان تعاليم الاناجيل أشد التعاليم وأقساها على الماديين اذ هي روحانية محضة ، وأما الاسلام فهو دين وسط ، جامع بين حقوق الروح وحقوق الجسد ، فلا تؤثر فيه دعوة النصرانية ، لانه كما تقدم مسيحية وزيادة

وأنما ينجس على الجاهلين بحقيقته من تيار المادية، وحرية الشهوة الحيوانية، فدارسكم
الافرنجية الدينية منها وغير الدينية، هي التي تكفل لكم التشكيك في الاسلام،
لا الطعن في أبي هريرة ولا ابن عباس، فتعالوا تتعاون على مجاهدة هذه تعاليم
المادية، التي كانت آفتها شديدة على الاسلامية ولكنها على النصرانية أشد، ودليل
ذلك انها لم تمنع كثيرا من المعلمين الباحثين من ترك النصرانية الى الاسلام،
وان الملاحظة منا أقل من الملاحظة منكم

مارأيت كلاما لاحد من الاوربيين المستشرقين في الاسلام والمسلمين نبي
على الخبرة والمعرفة كمكلام الدكتور سنوك المولندي، وقد بين في خطبته التي ألقاها
منذ سنين في مدرسة كليفورنية الجامعة في الولايات المتحدة أن القضاء على
الاسلام الديني بالتبشير المسيحي محال، وإن المسلمين لن يكونوا نصارى أبدا، وإن
طريقة اللاتين في بث التعليم المادي في المسلمين، أفل في زلزال الاسلام من طريقة
البروتستانت في بث دعوة الدين، واعتبروا مع هذا ما ترونه من تفضيل أكثر
المسلمين للانكليز والامريكان على اللاتين

انا لأخاف على المسلمين من مجلاتكم ولا من كتبكم ورسائلكم، وأنما أخاف
على المسلمين من الفلسفة المادية والمدنية الشهوانية، ومن مناقبيهم وعباد الشهوات
منهم، فهم الذين ينجسون على دينهم وديانهم، وأنما أوصيكم بأن تتجنبوا فيما تقولون في
مجامعكم التبشيرية، وما تطعمون في رسائلكم وصحفكم الدورية، كل ما يثير العصبية،
ويغشش المودة الوطنية، (٥ : ٥٢ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء
الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم
فينبئكم فيما كنتم فيه تختلفون ١٧٥ : ٨٤ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن
هو أهدى سبيلا)



المجمع اللغوي المأمول

دعوة الى هذه الاممية وخطوة جديدة على ذكرى بلوغ المتنطف سن الاربعين من حياته المديدة

طالما تشوقت انفس أهل العلم والادب من المشغلين بالتصنيف والانشاء والترجمة
 لسان العرب الى انشاء مجمع لغوي للتعاون على خدمة اللغة العربية بالطرق التي
 تقتضيها حال هذا العصر . وطالما تحدثوا بهذا في انديتهم وسماهم . وكثير ما هموا ولم
 يفعلوا وما اقدموا ثم احجموا ، وما بدأوا ثم لم يثبتوا . وقد كان عدم تيسر المكان
 اللائق بهذا العمل من الموانع العائقة لكثير من الذين تمنوه وتحدثوا بشأنه عن
 مواصلة المذاكرة فيه ومعاودة الاجتماع لاجله . فلما انشأ الاساتذة المتخرجون من
 مدرسة دار العلوم ناديتهم منذ سنين قليلة تعالقت آمال كثير من الناس بهم ، وكان
 اختيار حفي بك ناصف رئيسا لناديتهم ، مقويا للرجاء فيهم ، ثم ما عثم هذا النادي ان
 خبت ناره ، واطفئت انواره ، ولكن بعد ترك حفي بك لادارته ، ومناذرتة مدينة
 القاهرة مرتقيا في منصبه

لاح لنا أمس بارق أمل جديد ، عسى أن نصل في نوره الى ما نريد ، فيكون
 ذلك من بركات المتنطف المفيد

صدر الجزء الاول من مجلة المتنطف في مثل هذا اليوم - أول مايو -^(١) من سنة
 ١٨٧٦ قم له امس أربعون سنة . وقد كان مما يخطر ببال كثير من أهل العلم وانصار
 النهضة العربية ان يجعلوا هذا اليوم عيداً للمتنطف يحتفلون به الاحتفال اللائق
 بخدمة العلوم والفنون بهذه اللغة الشريفة التي لا حياة لنا الا بحياتها العلمية والفنية
 ولكن الحرب الاوربية العامة جعلت العالم كله في ماتم ولا تكون المآتم اعياداً

وقد كان في مقدمة الذين شعروا بوجوب الاحتفال بالمتنطف صديقنا الاديب
 الخطيب الشهير اسماعيل بك عاصم الحامي وقد رأى ان ما يمنع من اقامة الاحتفالات

(١) كتبت هذه المقالة في أول شهر مايو الموافق ٢٨ جادى الآخرة ونشرت في المتنظم وله
 كتبت ، ثم في المتنطف ولاجله أنشئت ، وكان المنار موقوفا لعدم الورق ولم يتيسر نشرها في
 الجزء الماضي منه

العامه، لا يمتنع من اجتماع خاص لتهنئة خاصة، فأندأ مس في داره الزاهية مأدبة لصاحبي
المقتطف دعا اليها صاحب الدولة رئيس الوزارة حسين رشدي باشا وصاحب المعالي
عدي باشا يكن وزير المعارف وصاحب الفضيلة الشيخ محمد نجيب مفتي الديار المصرية
وصاحبي السمادة يحيى باشا ابراهيم رئيس الاستئناف الاهلي واحمد زكي باشا كاتب
سر مجلس النظار وحضرة صاحب العزة احمد بك لطفي السيد مدير دار الكتب
السلطانية (١) وبعض اصحاب المجلات العربية المشهورة

انتظم عقد هذه الجماعة عشاء في تلك الدار، المتألقة بالانوار فكانت ساحراً
علمياً من أرقى السمار، افتتحها حضرة صاحب الدعوة بهذه الايات

يابدوراً قد تجلى في سما العليا سماكم
حاكت الافلاك داري حين حياها نداكم
فاقبوا مني دعاء اسعد الله مساكم

وبعد مسامرات كان جلها في مناقب العرب وما سبق لهم من ترقية العلوم
والفنون تحلقوا حول تلك المائدة، فأصابوا مما طيف عليهم به من ألوانها الفاخرة، ثم
نهض الداعي الوفي الكريم فألقى خطبة نفيسة في الشناء على المقتطف المفيد، وعلى
مفتييه الفيلسوفين الكبيرين الدكتور يعقوب معروف والدكتور فارس نمر، بين فيها
خدمته الجليلة للعلم والعربية وذكر انه انشئ في بيروت ثم جذبته مصر اليها، وذكر
مقالتي نشرتا في الجزء الاول كانتا كالمرآة التي تجلى فيها كماله - مقالة في عمل الزجاج
ومقالة في القمر وتشكله منذ يبدو هلالا الى ان يكون بدرأ كاملا (قال) وكذلك
كان المقتطف فانه كالزجاج في صفائه وبهائه، وهو كالقمر بدأ هلالا ثم صار بدرأ كاملا
واسأل الله حفظه من المحاق

ثم ذكر بدء معرفته لمفتي المقتطف من زهاء ثلاثين سنة وذكر من فضلها
وأخلاقها ما هو معروف، وأشار في خطابه الى ما سبق من احتفاله المشكور بلوغ مجلة
المنار عشر سنين، وذكر المنار في سياق الاستدراك على وصف المقتطف بالسبق في

(٢) انما ذكرنا الالقاب الرسمية لهؤلاء الكبراء مخالفين لسنة المنار لان المقالة كتبت
للمقطم كما تقدم

خدمة العلوم. ثم قام كاتب هذه السطور فاستأذن الوزير الأكبر بالقاء كلمة في الموضوع هذه خلاصتها :

ورد في الحديث الشريف « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » وقد رأيت صديقنا الفاضل اسماعيل بك عاصم استدرك دلي وصفه بالمتقطف بأنه المجلة العربية الوحيدة التي قامت بما قامت به من خدمة العلم فذكر المنار وقرنه بالمتقطف وقال ان للمتقطف فضيلة السبق ، وذكر انني اعترف له بذلك ، كما اعترف لابن معط ابن مالك ، اذ قال في فاتحة الالفية :

وهو سبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجيلا

نعم ان اعترف للمتقطف بالسبق والبريز في العلم ، وأزيد على ذلك الاعتراف بأنني قد استفدت من المتقطف من أول عهدي بطلب العلم ولا أزال استفيد منه . اتيت لما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام وذلك أول عهدي بطلب العلم رأيت أستاذنا الشهير الشيخ حسيناً الجسر مشتركاً في المتقطف ومواظباً على قراءته ، فكانت تلك أول معرفتي بالمتقطف وصرت استعيره بعد ذلك وقرأه ، فاستفدت من مباحثه فوائد عقلية وصحية واجتماعية ، ولا أزال اعتمد على ما يكتبه في معرفة أطوار التجدد المعاصر المصري

ان المتقطف في نظري مدرسة جامعة سيارة يستفيد منها العالم العربي في كل بلد يقرأ فيه . فان الذين يتعلمون مبادئ العلوم المصرية باللغة العربية ، يحتاجون الى الوقوف على ما يتجدد فيها بالبلاد العربية . ولا سبيل الى هذا الا بالاطلاع على الكتب والمجلات الاوربية التي تصدر في كل عام وهذا لا يتيسر الا لبعض الاغنياء المثقنين لبعض لغات العلوم الاوربية — فالمتقطف يلخص لنا في كل شهر ما لا يستغني عنه قراء العربية

من حق المتقطف على الامة العربية ان تحتفل به في الوقت المناسب ونرجو ان يكون ذلك على رأس الحسين من حياته النافعة

احتفل فريق من المصنفين ببلوغ مطبعة المعارف سن العشرين في خدمة الصناعة واتقانها فاذا جرينا على سنتهم كان علينا ان نقيم للمتقطف عشرات من

الاحتفالات . كان علي مروجي الصناعة ان يقيموا بالمتقطف مثل هذا الاحتفال لا لأن له مطبعة أخرجت للناس من المطبوعات النافعة ما لم يخرجها غيرها فحسب، بل لأن للصناعة باباً في المتقطف ومُرشد إلى ترقيتها بجميع فروعها. وكان علي المجتهدين في ترقية الزراعة ان يقيموا له احتفالاً آخر لأن للزراعة باباً فيه مثل باب الصناعة، ومثل هذا يقال في كل علم وفن، ولكن صديقنا اسماعيل بك عاصم جمع لنا في هذه الليلة صورة مجلدة لما يجب على الأمة مفصلاً

ان أكبر منقبة للمتقطف ومنشئيه أنها حجة اللغة العربية على من يتوهمون أنها لا تنفع لجميع العلوم المصرية ولا يسهل تعليمها بها . فهذان العالمان الكبيران تعلموا العلوم باللغة العربية واشتغلا بالكتابة والتأليف فيها مدة أربعين سنة فأفادا العلم ما لم يفده أحد من المتعلمين منا باللغات الأجنبية

هذا ملخص ما قلته . ثم أتى أحمد زكي باشا خطبة نفيسة في فضل المتقطف ومنشئيه في خدمة العلم باللغة العربية افتحها بما هو معروف في الفقه الاسلامي من تقسيم الواجب إلى فرض عين وهو ما يطلب من كل فرد من الافراد كالصلاة والصيام، وفرض كفاية وهو ما اذا قام به بعض الافراد سقط الطاب عن الباقين (كالفنون والصناعات التي لا يستغني الناس عنها في معاشهم) . وقال ان صاحبي المتقطف هما اللذان قاما بفرض الكفاية من خدمة العلوم والفنون (١) . ثم ذكر أول عهده بالمتقطف وانه أرسل اليه سوئالاً إلى بيروت ثم عهده بروية منشئيه وما يحمده من صحبته لهما

وقام أيضاً الشاب النجيب اميل أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء فأثنى على المتقطف وذكر انه تلميذ لتلاميذ منشئيه العلامةين وذكر ان والده وهو استاذ الأول كان تلميذهما وكذلك كان اساتذته في المدرسة السككية من تلاميذهما ثم قام صاحب مجلة المقتطح الغراء توفيق أفندي عزوز فخطب خطبة اثني فيها على المتقطف بما هو أهله وذكر استفادته منه كغيره وقال ان منشئيه العلامةين

(١) ان ما يجب على المسلمين وجوباً كفايياً لا يسقط عنهم بقيام غير المسلمين به بل يأثمون بتركه وان كان من الواجبات المعاشية كالطبخ والصناعات

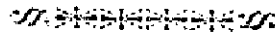
الفاضلين قد افادوا بأخلاقهم كما افادوا بمجملتهم فمهما باتفاقهما وتنكافلهما واخاتهما قدوة
صالحة لهذه الامة التي تشكو من التفرق والاختلاف وقلة الثبات ما هو أعظم عائق
لها عن القيام بالاعمال النافعة

وبعد ذلك قام السلامة الدكتور فارس نمر فألقى خطاباً بليغاً قال في فاتحته إنه
بلسانه ولسان شريكه واخيه الدكتور صروف يشكر أولاً لمعادة اسماعيل بك عاهم
عنايته بهذه الدعوة ويعتب عليه انه جعلها بصورة احتفال ومما قاله :

« ان حضرة رب هذه الوليمة شرف ادارتنا منذ بضعة أيام وهنأنا بمرور أربعين
عاماً على مجملتنا المقتطف ودعانا الى تناول الطعام مع جماعة من علماء مصر وأرباب
المجلات العربية الذين دعاهم احتفالاً بذلك فأبنا لحضرته ان الوقت لا يصلح
للاحتفالات ولا خدمتنا نستحق هذه العناية ولكن ابت مكارمه ومكارمكم أيها
السادة الا ان تخصصونا بالنصيب الاوفر من محاسن هذه الليلة وان نتحفوننا بهذا
المسح الذي لا نستحقه فلحضرة صديقنا الفاضل صديق العلم والادب رب هذه
الدار والدولة الوزير الكبير رئيس الوزراء ولعمالي وزير المعارف والفضيلة مفتي الديار
المصرية ولسماعة رئيس الاستئناف الاهلي ولسماعة سكرتير مجلس النظائر وسائر
الذين تكرموا بالشناء على المقتطف وذكروه بالخير ولبوا هذه الدعوة اكراماً له جزيل
الشكر من هذين الماجزين

ثم قال : « ان المقتطف وان كان قد انشئ في القطر السوري فقد كان معظم
انتشاره في القطر المصري وقد لقي من أعظم مصر أعظم عضد وأرحب صدر حتى
ان وزير مصر الشهير المرحوم رياض باشا كان يكتبه منذ بدء انشائه ولما نقلناه من
سورية الى مصر رحب به رحمه الله كما رحب به الوزير الكبير شريف باشا والعالم
المرحوم شفيق بك منصور وغيرهم من أعظم مصر وأكبر علماءها . والامل وطيد ان
خدمة المقتطف على ما بها من الضعف تهجد من تأييدكم أيها السادة ما يقويها ويزيدها
اضافاً مضاعفة بموازنة سائر المجلات والجرائد العربية في عصر مولانا السلطان
المعظم الذي حقق لنا ان نباهي به سلاطين الشرق والغرب ممأً على حبه للعلم واكرامه
للعلماء ورغبته في اعلاء منار الادب وغيرته على نشر المعارف وجوده في سبيل التربية

أدامه الله للامة العربية فخراً وأدامكم اللغة العربية ذخراً
ثم دارت بعد ذلك المذاكرة في مسائل علمية ولغوية أفضت الى الكلام في
شدة الحاجة الى انشاء مجمع لغوي في مصر فقال احمد لطفي بك السيد مدير دار
الكتب السلطانية ان احمد زكي باشا كان قد اقترح عليّ ان اخصص مكاناً من
دار الكتب لذلك . واني اجبت الى ذلك فلديّ الآن في المكتبة مكان لائق
كانت الجرائد ذكرت اننا فرشناه واعددناه لراغبات المطالعة من السيدات وليس
عندنا سيدات يفشين دار الكتب للمطالعة فنعدّهنّ مكاناً
فسر جميع الحاضرين بهذا وقابلوه بالثناء ورأوا ان قد زالت به عقبة من عقبات
الشروع في تأسيس المجمع اللغوي الذي بينا مكاتبه من النفوس في أول هذه المقالة
وزادهم سروراً ما رأوه من ارتياح الوزير الاكبر ووزير المعارف للشروع في تأسيس
المجمع اللغوي بدار الكتب السلطانية . وأرجو ان نبشر قراء العربية في مقال آخر
بتأسيس هذا المجمع بالفعل
وقد امتد هذا السمر المفيد الى منتصف الليل فانصرف السامرون مثنين على
رب المنزل اطيب الثناء



جمال باشا السفاك

كان جمال باشا من آحاد الضباط الكثيرين المنتمين الى جمعية الاتحاد والترقي
فلم يلبث ان ترقى فوق الهام والروس الى مقام الزعماء على حين قد تدهور أمير
الألاي صادق بك عن منصة الزعامة العليا لها وسقط كثير من الضباط وغيرهم من
مكاناتهم العالية . وانما ترقى جمال بك ببراعته وجريته على سفك دماء خصوم الجمعية،
فهو الذي دبر مكيدة المذبحة الاولى في أدنه اذ كان والياً لها بعد الدستور، وهو
الذي قتل الجلم الفغير من كبراء الأستانة المخالفين للجمعية عقب اغتيال محمود
شوكت باشا ، ولأجل هذا اختارته الجمعية لقيادة فيلق سورية بعد الحرب على كونه
لا يزال ناظراً للبحرية ، وما سمعنا في أخبار دولة من الدول أن أحد وزرائها يعطى

وظيفة دون الوزارة في بلاد بعيدة عن العاصمة فيكون فيها عدة سنين في أشد أوقات الحاجة الى قيامه بشؤونها وتاهيك بوزيري الحربية والبحرية في وقت الحرب ، ولكن زعماء الجمعية يأخذون المناصب العليا بعلومهم في الجمعية لا بخدمتهم للدولة نعم ان الجمعية اختارت جمال باشا لأجل ان يتم تنفيذ ما توعدت به سورية من بضع سنين في جريدتها طنين وعبرت عنه (بالدش البارد) وإنما كانت مذمجة الكرك وتعذيب العرب برضخ رؤسهم بالصخور هي الرشوة الاولى من هذا (الدش) واننا — على علمنا بهذا الانذار وبما هو أشد منه وأوضح وعلى ذكرنا بعض تلك النذر في مقالات (العرب والترك) وغيرها في المئذ — قد ارتبنا في أول خبر بلننا عن شتى جمال باشا لبعض زعمي المسلمين في بيروت . ولا يزال أكثر المصريين يكذبون أخبار التقتيل والنفي التي تكررت بل تواترت . وقد ظفرت جريدة المقطم ببيان لجمال باشا نفسه نشرته في اليوم السابع من شهرنا هذا يصرح فيه بعمله ويحتج له . وهذا ما نشرته :

(بيان من جمال باشا)

نشر جمال باشا القائد العثماني في سورية البيان التالي بامضائه في ٥ رجب سنة ١٣٣٤ الموافق ٧ مايو سنة ١٩١٦ وهذا هو نصه العربي كما نشر بحروفه — :
لا جرى التفصيص على بعض الاشخاص المنسبين الى الحرب المتشكل في مصر والممالك العثمانية تحت تمويه عنوان « حزب اللامركزية » والذين حوكموا في ديوان الحرب العرفي بعاليه كنت كتبت في البيان الذي نشرته في أوائل اوغستوس سنة ١٣٣١ ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق اعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلا

ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب المنيد الذي ألقى القبض عليه أخيراً بعد ان ذكرنا في البيان قراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقائهم الآخرين قد نور المسألة من جميع اطرافها وسبق الى ديوان حرب عاليه الاشخاص الذين ظهر ان لهم علاقة في هذه المسألة بدرجات متفاوتة مع من تبين

ان لهم دخلا في المساعي الخائنة بتنفيذهم ترتيبات الجمعية وتشبثاتها وأعمالها. وفي ختام التحقيقات والمحاکمات التي أجراها الديوان العرفي في غالبه صدرت الاحكام المقتضاة بحق المظنون فيهم من الموقوفين والقارين كل على حسب اشتركه في ترتيبات هذه الجمعية التي غايتها ومقصدها سلخ سورية وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية وجعلها امانة مستقلة. فحكم على شفيق بن احمد مؤيد العظم والامير عمر بن الامير عبد القادر. وعمر بن مصطفى حمد. ورفيق بن موسى رزق سلوم. ومحمد بن حسين الشنطي. وشكري بن بدري علي العلي، وعبد النبي بن محمد العربي. وعارف بن محمد الشهابي. وتوفيق بن احمد البساط. وسيف الدين بن ابي النصر الخطيب، والشيخ احمد بن حسين طباره. وعبد الوهاب ابن احمد الانكليزي، وسعيد بن فاضل عقل. وبتروبولي. وجرجي بن موسى الحداد. وسليم ابن محمد سعيد الجزائري. وعلي بن محمد حاجي عمر. ورشدي بن احمد الشفعة. وامين لطفي بن محمد حافظ. وجلال ابن سليم البخاري. بالاعدام لثبوت اشراكهم في هذه التشبثات بالدرجة الاولى وبصورة فعلية. وعلى من تبين دخولهم في الدسيسة بصورة فرعية. سالم بن مصطفى مظلوم بالاعتقال بالقاعة خمس، سنين وتوفيق بن محمد الناطور ويوسف بن نجيب سليمان بعشر سنين، وحسين بن خليل حيدر بخمس عشرة سنة، وعلي رياض ابن رضا الصلح بنفي مؤبد. وعلى الامير طاهر بن احمد الجزائري بعشر سنين في انكر ياك. وعلى الذين مع كونهم لم يفهموا المقصد والتشبث الحقيقي وثبت وجود مساع لهم مع هذه الجمعية بصورة محسوسة اما بسائق الجهل أو التصلف وانما لم يوجد عليهم وثائق تنور وجدان الهيئة المحاكمة وثبت مجرميتهم واشتراكهم وهم رضا الصلح واسعد حيدر باعادتهما الى منفاهما. وأعطى القرار بمنع محاكمة وبراءة كل من محمد أفندي كامل الهاشم، ابراهيم القاسم. سامي العظم: الشيخ جمال الدين الخطيب. عبد الحميد معلم الرسم. محيي الدين فريجه. البيطار حسين صبري. رشدي الغزي. عاصم بيسو الغزي. عزت الاعظمي، مصطفى الكيلاني. عبيد الرحيم حنون، الدقنور حسام الدين. نجيب شقير. الشيخ فتح الله. الدقنور أحمد قدري. سليم الطيارة. جميل الحسيني. المفتي سعيد أفندي الهاني. سليم الشفعة.

سليم البخاري . فائز الخوري . رشيد الحشيمي . عمر الاتاسي . البكباشي علي رضا .
الدكتور أمين قازما ، سعيد عدوه . الدكتور عبد الحفيظ . اليوزباشي جميل . فريد
باشا اليافي . عثمان المظم

ومن الذين صدر بحقهم حكم الاعدام وهم شفيق المؤيد . الامير عمر . شكري
المسلي . عبد الوهاب الانكليزي . رشدي الشمعة . رفيق رزق . سلوم ، جرى اعدامهم
هذا الصباح في الشام . والآخرون جرى اعدامهم في بيروت ، وسائر المجرمين صار
سوقهم الى منقاهم وحبوسهم وعلى هذه الصورة تقرر اذا في سورية وفلسطين السكون
والامن المحتاج اليهما الى الابد

وها أنا ذا انشر الآن من الوثائق المهمة التي كانت اساساً لهذه التحقيقات
ما يكشف الغطاء عن حزب اللامر كزية الحقيقي وسينشر كتاب حاو جميع الوثائق
على حدة مع اعترافات المجرمين المهمة وتاريخ صغير لهذه المسألة

ومن ايمان النظر في هذه الوثائق يفهم أولاً : ان هؤلاء الاشخاص قد ضحوا
بلا تردد جميع مالهيم من المقدسات الدينية والوطنية لقاء منافعهم الخسيسة والمادية .
ان هؤلاء الاشخاص قد اشركوا مساعيهم ونفوذهم وقدرتهم اعداء الدولة وسعوا في
اعداد الطاعة في الداخل تجاه تجاوزات الاعداء في الخارج

ومما هو جدير بالتقدير ان ادارة هذه التثبثات لم تتسع بالنظر لما جبل عليه
العنصر العربي النجيب من الصداقة والطاعة والصلابة الدينية العارية عن شوائب
الظنون والشكوك بأسرها بل حصرت بين بعض اشخاص مسلمين ومسيحيين
لا أهمية لهم ولا يكاد يتجاوز عددهم المائتين من المحكوم عليهم حديثاً وقديماً وأجاءاً وغياًباً
و بناء على الصلاحية التي تخولني اياها المادة الثانية من القانون المؤرخ في ١٤

مايو سنة ١٣٣١ المتضمن التدابير التي ينبغي للجهة العسكرية التوصل بها في وقت
التنفيذ العام ضد الخارجين على الحكومة واجراآتتها فاني ساع في ابعاد اولئك الاشخاص
الذين يتخذون حقوق الدولة ومقدساتها ملعبة في سبيل منافعهم الشخصية مع من
لهم علاقة معهم من اسرهم وعائلاتهم من قريب أو بعيد الى بعض ولايات
الاناضول . وقد اتخذت الاسباب الكافلة لإعاشة هذه العائلات ورفاهيتهم في

المحال التي ينفون اليها تحت عناية الحكومة السنية وعاطفتها، وسيمطون هناك أراضي وأملاكاً قيمتها تعادل أملاكهم وأراضيهم التي يملكونها في سورية . واني أوصي جميع الاهلين في سورية وفلسطين بالسكينة والطمأنينة . على انه من الآن فصاعداً لم يبق محل لاجراء التعقيبات والابعاد الى الولايات العثمانية في حق احد مطلقاً ما لم تظهر وثائق قوية تدل على خيائته

قومندان الفيلق الرابع وناظر البحريه
أحمد جمال

[المنار] كل ما احتج به جمال باشا لسفك الدماء واجلائه الناس عن أوطانهم أباطيل . وقد قتل بعد من ذكرهم هنا عدداً ليس بقليل ، منهم السيد عبد الحميد الزهراوي الشهير ، وأول أباطيله نسبية القتل برأيه ورأي ديوانه العرفي قصاصاً ! وإنما القصاص في شرع الله أن يقتل الجاني بمن قتله بغير حق . ومعناه في اللغة يدل على المساواة والممانعة .

ثم انه يقول ان التهمة الموجبة للقتل والنفي هي الاشتراك في جمعية غايتها جعل العراق وسورية وفلسطين مملكة مستقلة بعد اخذها من راية الدولة ، ونحن نعتقد بطلان هذه التهمة بأدلة كثيرة (منها) أن الحزب الذي نجده أصلاً بتهمة التي رمى بها هؤلاء الناس له برنامج معروف مطبوع ينطق بكذب تلك التهمة (ومنها) أن هؤلاء الذين اعترف الباشا بقتلهم في هذا البيان لا يوجد فيهم الا واحد أو اثنان من الداخلين في هذا الحزب (ومنها) اننا نعلم باختبارنا لبعضهم واختبار من تثق به للاخرين انهم لا يجمعهم رأي ولا مودة ولا سكوني ولا معرفة فكيف يتفتون مع ذلك على أمر عظيم كالذي اتهموا به ؟ وإنما الجرم الأكبر الذي يجمعهم وبه استحقوا العقاب هو أنهم من أذكاء العرب الذين يقولون بوجوب محافظة قومهم على لغتهم وأن يكون لهم حظ من مشاركة الحكومة في ادارة بلادهم ، وأن لبعضهم ذنوباً سابقة لا يفرها الاتحاديون كاهانة شقيق بك لظلمت بك ، والسعي لعدم اقراض أورية للاتحاديين عشرات من الملايين ، يضيعونها وتبقى البلاد رهينة بها للدائنين ، وتوثيق أعضاء المنتدى الادبي في الاستانة عرى الاخاء بين طلبة العرب في مدارس الحكومة فيها ، واهانتهم لصاحب جريدة اقدم التركية في نشر تلك المقالة التي قال فيها كاتبها ان الطريقة المثلى للتبكيين بعرب الجزيرة اغراء بعضهم بقتال بعض بالمال « لان العرب تبيع كل شيء بالمال حتى المرض والدموس »

ثم انه يعمرح بأنهم أخذوا بالظن فلم تثبت عليهم تلك التهمة باليقين ، ولو ثبتت لما جاز قتل أحد منهم بهما شرعاً ولا قانوناً لانها عبارة عن رأي سياسي لم يدع قائلهم انهم شرعوا في تنقيسها بالخروج على الدولة في أثناء النفي العام الذي حاكمهم بقانونه . وكيف يعقل أن يقوم نفر قليل هؤلاء بالخروج على الدولة والسواد الأعظم من قومهم يخالفهم فيه باعتراف جمال باشا نفسه والدولة تحاكم بلا هم بالاحكام العرفية القاسية وجميع شبان الامة وكهولها جنود مسلحون بين يديها ؟ وباليات شمري ما تلك المنافع المادية الحسية التي ضحى أولئك الأذكاء الفضلاء دينهم ووطنهم لاجلها ؟ ان كانت ما ذكره من غاية جميعهم المزعومة ، فلك غاية سياسية عالية لامادية خسيسة ، وان كانت غيرها فما هي ؟

باب اهل اسلة والمنظرة

الكتب المعزوة الى غير مصنفها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فكثيرا ما طبعت كتب ونسبت الى أكار علماء الاسلام - وهم برآء منها - إما غلط وإما قصدا ، لتكون نافقة في البيع أو لإدخال أشياء في دن الاسلام ليست منه ، ولا يكون لقائلها من ثقة المسلمين به ما يؤهله قبول قوله عندهم ، فيختبئ وراء اسم أحد الأئمة المقبولين عند المسلمين ، وينحله كتابه ، وذلك لما ضاق بلزادة الامر وحضرت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معروفة ، وبين فيها الصحيح من غيره ، فلم يتمكنوا من وضع الاحاديث عايه كما كانوا يفعلون في أول الاسلام قبل تدوين الحديث ، ومفسدة هذه الكتب ظاهرة للعيان

رأيت كل هذا فعزمت بحول الله تعالى وقوته على بيان الاغلاط الواقعة في نسبة بعض الكتب المطبوعة الى غير أهلها نصيحة للمسلمين ، وتزكية لأئمة الدين ، وخدمة للتأريخ ، فكلما عثرت بشيء منها نشرته في مجلة المنار الغراء

ثم اني لا أقصد ببياني هذا طعنا في أحد من طابعي هذه الكتب فلا يخرجهم ذلك فانما قصدي بها وجه الله تعالى والله الموفق لا هادي الا هو

(١) من الكتب الدخيلة الموضوعة قصدا كتاب يسمى (سر العالمين) (١) ألفه أحد الزنادقة من الفرقة الباطنية ، ونحله حجة الاسلام أبا حامد الغزالي رضي الله عنه ، وأدخل فيه كثيرا من عقائد الباطنية التي كان الغزالي أشد أعدائها ، ومن أكثر العلماء ردا على معتقديها ، وأدخل فيه كثيرا من علوم السحر ، ثم أراد أن

يحقق نسبة الكتاب الى الغزالي فصار دائما يحيل في بعض المسائل على كتب الغزالي كالأحياء والرد على الباطنية وغيرهما، ويقول «فما كتبناه في كتاب كذا» أو نحوه، ويذكر كتابا من تصانيف الغزالي، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يفضحه ويبين كذبه كرامة للغزالي وغيره على حجة الاسلام فانه قال في صحيفة (٨٣) من الطبعة المصرية «أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب» الخ وهذا كذب فاضح، فان أبا العلاء المعري مات سنة تسع وأربعين وأربعمائة، أي قبل أن يولد الغزالي بسنة أو سنتين، فانه ولد سنة خمسين وقيل سنة احدى وخمسين وأربعمائة فليحذر الناس من الثقة بهذا الكتاب وأمثاله فهي مفسدة للدين، وليتق الله طبعوها ولا يفرروا بعامة المسلمين، وليتحرر أحدهم صحة نسبة الكتاب الى المنسوب اليه

(٢) ومن الكتب المنسوبة قصدا للتفسيق كتاب يسمى (كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان) ^(١) نسب الى الامام الجليل شمس الدين ابن القيم رضى الله عنه، وهو كتاب لا بأس به فيه فوائد أدبية، ونكتب بلاغية، فصيح العبارة، ويظهر أن مؤلفه كان من الكتاب المنشئين، لا العلماء المحققين — أمثال إمامنا ابن القيم — فان له في بعض المسائل تحقيقات واختيارات سخيفة لا يقو لها من شام للعلم بارقة

لولم يكن لشمس الدين ابن القيم بين أيدينا كتب غير هذا لقلنا كاتب يتسخف ويظن أنه محقق، وأحق يتسكيس ويظن أنه عاقل، ولكن كتب ابن القيم تنادي بقوة نظره، ودقة بحثه، وكثرة علمه، وبعد غوره، والله دره من امام جليل، وحاش لله أن يقول في اعجاز القرآن كما قال مؤلف هذا الكتاب فانه قال في صحيفة (٢٥٥) بعد أن حكى الاقول في وجه الاعجاز مانصه: «قال المصنف عفا الله عنه: والاقرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيح والتحريف والزيادة والنقصان، فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن» هذا اختياره وحكاية مثل هذا تفني عن رده وضرب الامثال على بطلانه ^(٢)

(١) طبع أيضا في مصر سنة ١٣٢٧ (٢) المنار: مزبحة حفظ القرآن من التفسير لم يظهر الا بمرور

الزمن، فلا يتجدد الذي (ص) بها الرب

وأغرب من هذا القول قوله في الصحيفة نفسها بعد أسطر : « وقال قوم اعجازه من جهة أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي و صفة قائمة بالذات وأن العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له ولا تيان بمثله أو بمثل بعضه كافوا ما لا يطاق ومن هذه الجهة وقع عجزهم وهذا القول أيضا حسن » هذا كلامه بنصه واني أترك للقارئ فهم معنى التحدي بالعمدة القديمة فذلك مما يقتصر عقلي عن دركه

وقد اتصل بي أن النسخة الخطية التي طبع منها هذا الكتاب كانت نسبته فيها الى ابن القيم مكتوبة عليها بخط جديد غير خط الاصل فقبل لطابعه لا تنسبه لابن القيم فعمل كاتب هذه لم يتحرر النسبة خصوصا وان الكتاب غير معروف في كتب ابن القيم ، فأبى ونسبه اليه ، فحسبنا الله ونعم الوكيل

(٣) ومما يلحق بهذا وان لم يكن منه تماماً ما وقع في مختصر البخاري لازبيدي المسمى « التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح » فقد كتب على طرته في النسخ المطبوعة بالمطبعة الاميرية والمطبوعة بالمطبعة الخيرية والمطبوعة بالمطبعة الميمنية مانصه « للحسين بن المبارك الزبيدي » وهذا غلط فان مؤلفه هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨٩٣ هجرية . وأما الحسين بن المبارك الزبيدي فشيخ ذكره المؤلف نفسه في خطبة كتابه في اسناده الى البخاري ، وبين المؤلف وبينه ثلاثة شيوخ . والغريب أن كاتب الحواشي التي بهامش النسخة الاميرية ذكر في أول صحيفة منها اسم المؤلف على الصواب ، فلا أدري كيف كتب هذا وغفل عما في طرة الكتاب . وأما المطبعتان الاخيرتان فتبعتا المطبعة الاميرية من غير تحرر ولا نظر . وحصل مثل هذا في نسخة شرح الشرقاوي عليه الذي طبع بالمطبعة الميمنية فانهم طبعوا بهامشه المتن ونسبوه في طرته الى الحسين بن المبارك الزبيدي مع أن الشارح في أول الخطبة ذكر اسم المؤلف على الصواب انتهى

كتبه

ابو الاشبال

عفا الله عنه

دعوة اللجنة التحضيرية

﴿ لمشروع جمعية آداب اللغة العربية بلندن ﴾

تشرف اللجنة التحضيرية لمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » بلندن بتوجيه نظركم الى منافع هذا العمل المسطورة بايجاز في (ذيل) هذا الكتاب آملا من غيرتكم التعضيد المادي والادبي قدر جهديكم حتى اذا اجتمعت الاعانات الضامنة للنجاح منكم ومن أمثالكم أبرز المشروع الى حيز الوجود في القريب العاجل تحت رعاية « الجمعية الملوكية الأسبوية » التي هي من أعظم الهيئات العلمية الباحثة في آداب الشرق . ولا يخفى على حضرتكم المظهر الجليل والفائدة الكبرى من تحقيق هذه الامنية في أكبر عواصم العالم . وقد لاحظنا أن للمعضدين ميولا مختلفة ما بين عامل أدبي أو علمي أو وطني أو ديني ، فلعليكم مدفوعون بعامل أو أكثر من هذه العوامل لخدمة آداب اللغة الفصيحة العربية ، والسعي في نشرها بواسطة هذه الجمعية الدولية التي تعمل اللجنة على تأسيسها وتوطيد دعائها .

هذا ولو أن الظروف الحاضرة الاستثنائية ربما عدت غير ملائمة ، إلا أن فلاح مثل هذا العمل كما تبين لنا بعد درسه يستدعي بذل مجهولات كثيرة تستغرق زمنا غير وجيز فمن الصواب اذن عدم التأجيل . فحبذا لو ظفرنا بموازرتكم لنا ، فجلائل الاعمال انما تقوم بمساعي الجماعة وتساند الافراد ؟

كاتب سر اللجنة
احمد زكي أبو شادي

رئيس اللجنة التحضيرية
د. س. ص. هليم

﴿ مقاصد الجمعية ﴾

- (١) أن تخدم آداب اللغة العربية بجميع الوسائل التي تسمح بها مالية الجمعية
- (٢) أن تشجع تعلم العربية السليمة في بريطانيا العظمى وأن تنمي في أعضاء الجمعية ملكة الترجمة من وإلى العربية وسواها من اللغات حبا في الفائدة العامة .
- (٣) أن تكون واسطة تعارف بين الناطقين بالضاد في بريطانيا العظمى والمستعربين بها ، وكذلك بينهم وبين علماء العربية في جميع أقطارها وبين المستعربين في الممالك الأخرى لتبادل المنفعة الأدبية . اهـ

مصائبنا بالزهرراوي والكيلاني

فجعتنا الجرائد المصرية في يوم واحد بنعي الصديقين الوفيين المصلحين السيدين الجليلين عبد الحميد الزهرراوي شهيد بني الاتحاديين ، ومحمد وجيه الكيلاني شيخ اسلام الفيلبيين . جاءتنا بذلك في أثر تلك الانباء التي شقت المرأى ، واستنفدت الدموع من المهاجر ، أنباء تقتيل جمال باشا لصفوة أبناء سورية وأركان النهضة الاجتماعية فيها ، فالآن الآن قد صار الفؤاد في غشاء من نبال ، فاذا اصابته سهام أخرى تكسرت النصال على النصال

خسرت أمة الاسلام وديار الشام وحزب الاصلاح بالزهرراوي والكيلاني رجلين من أفضل رجال العصر عقلا وذكاء وأخلاقا وعلما وأدبا واهتماما بالمصالح العامة ، وتقديما لها على المصالح الخاصة ، وبهذه المزايا تنهض الأمم ، وبفقدتها تسقط في مهاوي العدم نبت كل منهما في بيت من أكرم بيوتات القطر السوري شرفا وسؤددا وعلما ومجدا ، وتربي كل منهما في نشأته الاولى تربية علمية دينية ، وأوتي نصيبا من العلوم والفنون المصرية ، واختبر حال الزمان وأهله ، وعرف شدة حاجة بلاده الى التأليف بين المختلفين فيها بالاديان والمذاهب والآراء والمشارب ، فكانا ركنين من أركان الوفاق ، وعاملين من أنفع عوامل الاصلاح ،

فهذا ما اتفق معنا فيه هذان الصديقان الكريمان ، وأما ما اختلفت فيه نشأتهما وسيرتهما فهو ان السيد الزهرراوي قد تفرس بالسياسة في أحداثه فغلطته على الاشتغال بغيرها مما كان مستعدا له كالتوسع والتصنيف في الفلسفة وعلوم الاخلاق والاجتماع ، فكان أفضل ما يرجى نفعه فيه ما وصل اليه من انتخاب أهل بلاده إياه نائبا عنهم في مجلس المبعوثين ، ولا أقول ثم تعيين الحكومة إياه عضوا في مجلس الاغنيان ، لان هذا قد كان بعد جعل الاتحاديين مجلس الامة بقسميه آلة لجعل ما تقرره جمعيتهم قوانين نافذة ، وأعمالا منسوبة الى الامة ، وكان الغرض منه خديعته وخداعه العرب به ، الى أن تسنح الفرصة لتنفذ ما قرره الجمعية من قبل من التشكيل

بالعرب والفتك بزعمائهم كما أشرنا اليه في موضع آخر وسنعود الى بيانه
وأما السيد الكيلاني فقد تخرج بالاعمال الادارية الشرعية فكان من موظفي
مشيخة الاسلام في الآستانة ، وبهذا وما سبق من مزاياه كان أفضل من يختار لما
اختبر له من جعله شيخا للاسلام في جزائر الفيلبين ، وكان يتقي شر السياسة بالمفازة
حتى أنه لما عرج على مصر في ذهابه الى الفيلبين تجاهل مهرفة المنار وصاحبه ، وهو
على مذهبه الاصلاحى ومشربه ، لانه كان يرجو المساعدة من الخديو وحكومته ،
وكان الخديو مفضيا لصاحب المنار من بضع سنين . وقد اخبرني بعد ذلك أنه كان
يفضل طلب المنار من صديقنا السيد محمد بن عقيل المقيم في سنغافورة على طلبه من
مصر ، وأنه قد تجدد له من الحاجة اليه في منصبه الجديد ما لم يكن يعلمه من قبل .
وسنعود الى الكلام في سيرة هذين الصديقين ان شاء الله .



مسألة الأزياء والعادات

من مشخصات الامم

زى الامة من مشخصاتها ينبغي لها أن تحافظ عليه وتحترمه وتحتقر من يحتقره كما
تحتقر العلم الذي هو شارة حكومتها ، فالعلم لا يحتقر لشكله ولا لونه أو ألوانه ، وليس من
العقل ولا من الحكمة أن تدم الاعلام أو تمدح لشكلها أو ألوانها ، وكذلك أزياء الامم
من حيث هي أزياءها ، ولكن بين الزى والعلم فرقا واحدا وهو أن الزى يقصده من
المنفعة ما لا يقصد بالعلم ، فاذا اشترك مع العلم في أن كلا منهما مشخص للامة مهما
يكن شكله ولونه وصفته فانهما يفترقان في أن بعض الأزياء لا تفني بما يقصدها من
وقاية الجسم من أذى الحر أو البرد أو سهولة القيام بالاعمال العسكرية والصناعية
والزراعية .

ومن الناس من يرجع في اختيار الأزياء الى مراعاة الذوق والجمال ، ولكن
هذا ليس له قاعدة ثابتة ، وإنما يستحسن جماهير الرجال في كل أمة ما يختاره كبارها
وحكامها ، وإنما ينبغي بالذوق والجمال في الزى النساء وهن في كل آونة يستحدثن

زيا جديدا يطلن به ما كان قبله مستحسننا ، ولا يرجع ذلك الى فضيلة في زي اليوم على زي أمس تثبت بدليل علمي أو عقلي . وانما فائدة الجديد لمن جذب الانظار الى السابقات اليه ، وفائدته المالية لتجار الانسجة وصناعة الخياطة لانخفي ، ويقابل ربح هؤلاء من الأزياء خسارة المسرفات فيها ، فكم من بيوت خربت بمثل هذا الاسراف من أكبر جنائيات الافراد على أمتهم أن يحقر أحد منهم زياها ، ويستبدل به زي أمة أخرى تقليدا وتفضيلا لها ، فاذا كان بعض أزيائها ضارا بها ، فالواجب في استبدال غيره به أن يكون برأي أهل الحل والعقد فيها ، الذين يراعون في التغيير المنفعة دون التقليد الذي يثبت في الامة الشهور بمهائنها وتفضيل غيرها عليها . وقد وفينا هذا الموضوع حقه من البيان في المنار وقبل المنار في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي كتبناه في عهد طلب العلم ، واقتبسنا منه نبذا في المنار اذ طرقتنا باب هذا البحث مرارا .

ولست أبحث الآن في أزيائنا هل يحسن تغيير شيء منها وكيف ينبغي أن يكون التغيير ، وانما أريد أن أقول ان بعض الافرنج ينفرون من أزياء الشرقيين ويكرهون أن يأكل في مطاعمهم الخاصة بهم وبالأغنياء المتفرنجين منا من لا يلتزم عاداتهم وآدابهم في الطعام ، ومنهم من يرى ان كل من لا يلبس الزي الافرنجي لا ينبغي أن يأكل في تلك المطاعم ، ولهم في ذلك أعذار ومارب ، وقد روت جريدة (وادي النيل) الاسكندرية أن اثنين من المعممين دخلا مطعما افرنجيا فطردا منه لانهما معلمان ، وقالت في لومهما انه لا يبعد ان يكونا ذهبا منه الى آخر مثله لعله يقبلهما . وأشارت أيضا الى انتقاد صاحب المطعم الافرنجي . أما نحن فالتنا نخص بالوم فريقين من أمتنا : فريق الذين يتصدون لمواكلة الافرنج في مطاعمهم ، وهم لا يلتزمون آدابهم وعاداتهم . ومنهم من لا يلتزم الآداب الاسلامية التي هي أرقى الآداب ، وفريق المتفرنجين الذين يحقرون زي أمتهم وعاداتها وآدابها ، ويستبدلون بها غيرها تقليدا للاغيار وتفضيلا لهم على أنفسهم ، ويكونون آلة لاضاف مشخصات أمتهم ومقوماتها وهم لا يشعرون ما وراء ذلك كما يشمر به غيرهم . ومن أراد أن يعرف رأي الافرنج في ذلك فليقرأ خطبة الدكتور سنوك المستشرق الهولندي في

الإسلام ومستقبله التي ألقاها في جامعة كولومبيا من الولايات المتحدة ، وقد نشرنا ترجمتها في المجلد السابع عشر من المنار مع تعليق طويل عليها ^(١) ومن أراد أن يعرف قيمة هؤلاء المتفريجين في نفس الأفرنج فليقرأ ما كتبه في شأنهم لورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة)

من أهان أمته باحتقار شيء من مقوماتها أو مشخصاتها بازاء احترام ما يقابل ذلك من أمة أخرى فقد احتقر نفسه أشد الاحتقار ، وما قيمة الرجل الذي ليس له أمة محترمة في نفسه ، ومن ذا الذي يكرم من يحتقر نفسه باحتقار أمته * ومن لم يكرم نفسه لم يكرم *

إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

يجب على كل من أوتي نصيباً من الفهم أو حظاً من الشرف أن يقاوم جهد طاقته كل ما فيه احتقار لأمة ، وما يكن رأي المحتقر وقصده ، ومن ذلك أن لا يأكل أحد من المصريين في مطعم يهين أصحابه مصرياً أزيه أو عاداته أو غير ذلك ، ولا أن يشتروا شيئاً من تاجر يهين مصرياً ، ويجب على أمثال هؤلاء أن يبذلوا جهودهم لمنع الإهانة عن أمتهم وإغنائها عن معاملة كل من يقصر في احترامها ، وإنما يتيسر هذا بتعاقد الاندية والجمعيات الادبية والشركات التجارية

كانت شركات البواخر الافرنجية في الخط الذي بين الهند وخليج فارس وشط العرب تهتقر المسافرين فيها من العرب والفرس ولا تسمح لهم بالاكل على مائدة الدرجة الاولى فلما أنشأ تجار العرب في بومبي شركة البواخر العربية زال ذلك الاحتقار وبطلت تلك المعاملة

واتفق لي منذ بضع عشرة سنة أنني دخلت مطعماً سوريا في القاهرة وقت العشاء وجلست الى مائدة من موائده فطلب رجل انكليزي أن أترك تلك المائدة لانه يجلس اليها للطعام ولا يحب أن يأكل مع شيخ أزهرى ، فلم أبال بطلبه ، فطلب من صاحب المطعم ذلك فاعتذر انيه بأنه لا يمكنه ذلك . وقد سألت عن اسم الرجل وعمله وذكرت ذلك لصديقي مستر منشل أنس الذي كان وكيلاً لنظارة المالية

وقتئذ فالتفت من ذلك وكتب كتابا الى رئيس ذلك الرجل في مصلحة السكة الحديدية كفه فيه ان يارزاه الاعتذار الي، واخذت الكتاب بنفسه وعدت راضيا مكرما ولا يخفى على عاقل أن ما نحتاج الى اقتباسه من علوم أوربة وفنونها وصناعاتها لا يقصر هذا التفرنج الذي قدمه ولا يأتي من طريقه بل ينافيه ، لان التفرنج تقليد في الآرية والعادات يحدث اتفرق في الأمة ونحلال روابطها ، واقتباس العلم النافع والعمل الرافع يجب أن يكون بطريق الاستقلال لا التقليد ، وان تراعى فيه حاجة الأمة في العمل ويقصد به ترقية ثروتها وعزة دولتها ، ولم نره هؤلاء المتفرنجين من الترك والمصريين ساروا على ذلك الدرب ووصلوا الى هذه الغاية ، بل هم الذين نسفوا ثروة بلادهم وقطعوا روابطها حتى وصلت الى ما هي عليه ، وليس في بلادهم شيء من العمران إلا وقد كان يعمل الأجانب ومعظم فائدته لهم ، وانما سار على ذلك شعب اليابانيين الذي شرع في اقتباس الفنون الآرية بعد الترك والمصريين مناه فكان طلاب العلوم منهم في أوربة يتلقون العلوم العملية ، اذ يتلقى الطلاب منا العلوم النظرية والسياسية ، وكانوا مثال الجد والعمل والاقتصاد ، اذ كان أكثر طلابنا مظهر الفسق والسرف والفساد واليك من المبرة هذا المثال : كان بعض الأوربيين والأوريات مع بعض اليابانيين في بلاد اليابان فخلع ياباني نعله في المجلس ، فأنكر عليه ذلك بعض الأوربيين لان خلع النعال أو الجلوس بغير نعالين مستهجن في عاداتهم ولا سيما حيث يوجد النساء . فقال الياباني : انا ياباني لا أوربي وهذه البلاد يابانية لا أوربية فبأي حق تطالبوننا باتباع عاداتكم في بلادنا والواجب عكسه ؟ أوقال كلاما بهذا المعنى . فهذه هي الوطنية لا ما يتشدد به المتفرنجون الذين لا يمتثلون عاقبة ما يأتون وما يدعون قلنا ان اقتباس الفنون النافعة من الغربيين — وكذا ما يستلزمه من اعترافنا بجهلنا وبحاجتنا الى علمهم — لا يعد احتقارا للأمة بل اصلاحا ، ونقول أيضا اننا في حاجة الى الإصلاح في كثير من العادات الضارة ، وأن ذلك لا يعد احتقارا للأمة وطالما كتبنا في ذلك . ومن أبواب المنار الواسعة باب (البدع والخرافات والتقاليد والعادات) وانما الواجب أن نعتمد في هذا الإصلاح على شريعتنا وهي أكمل الشرائع وآداب ديننا وهي أكمل الآداب

المكتبة

١٣١٥

وأولئك هم أولو الألباب

فيقيمون أحسن أولئك الذين هداهم الله

الألباب

فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو

بؤنى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة

قال هامة الصلاة والسلام : ان للاسلام مبرى و « منارا » كنفار الطريق

مصر سابع شوال ١٣٣٤ - ٦ السبيلة (ص ٣) ١٢٩٤ هـ ش ٢٩ أغسطس ١٩١٦

آراء الخواص في المسألة العربية

(واستقلال الشريف في الحجاز)

في ليالى رمضان وأيام عيد الفطر نيسر لي أن أعرف من آراء أهل العلم والرأى
بمصر في المسألة العربية واستقلال الشريف أمير مكة في الحجاز ما لم يكن يقتصر
في وقت آخر من السنة ، لكثرة التزاور في هذه الليالى والأيام ، وتوسع الناس فيها
بالكلام كنوع منهم بانظام ، وقد جرت فيها بيننا وبين كثير من أساتذة الأزهر
والمدارس العليا وكبار القضاة والمحامين والأطباء وغيرهم من أهل الرأى مذاكرات

ومجاورات طويلة في هذه المسألة جدية بأن تنشر وتدون لأنها ربما كانت أهم مسائلنا الحاضرة ، ووقائع تاريخنا التي نحفظها لأهقابنا الآتية ، فرأينا أن ننشر في المنار أطول محاوره منها وأجمعها للمقاصد ، ثم نلخص في الخاتمة صفوة الآراء كلها ، وبذلك تم الفائدة من تلك الأحاديث بنهر تكرار ولا عيب وهذه المحاور كانت بيننا وبين أستاذ معروف بأعذار الفكر واستقلال الرأي ؛ وقد وقفت في اليوم الثاني بعد عيد الفطر ، وهامى ذى - ونمبر من الأستاذ بحرف ذ وهن نفسنا بحرف ذ : ذ - ما رأى الأستاذ في استقلال الشريف أمه مكة بالحجاز ، فاني رأيت كثيراً من إخواننا ومعارفنا لا يعد ذلك أمراً ذالاً ، ومنهم من لم يصدق أخبار الجرائد ، حتى أن أختنا الشيخ أ. قال لي في إحدى ليالي رمضان عقب نشر البلاغ الرسمي عن استقلال الشريف إنه لا يعرف أحداً صدق هذا الخبر من قبل ، وإنه هو لم يصدقه أيضاً إلا بعد نشر البلاغ الرسمي ، وإن من الناس من لا يصدق البلاغ الرسمي نفسه ! وما أظن أن الأستاذ على رأي هؤلاء ، ولا أنك تقول إن هذا الأمر ليس بنى بال

ذ - صدقت ، أن هذا الأمر لذو بال ، وأنه قد شغل مني البال وهيج البال . واننى مخالف لمؤلاء الناس الذين أصبحوا لا يهتمون بشيء من الأشياء ، ولا يصدقون من الأنباء إلا ما يلد لهم ، ولا يقبلون من الآراء إلا ما يوافق أسوأهم ، ولذلك راج بينهم رأى قلعه بالقبول ، وهو أن الشريف لم يعلن الاستقلال إلا لفرضه انتفاذ البلاد من الجماعة التي أوقفها فيها الحصر البحري أو كاد ؛ فقد امتنع بذلك وصول الأنوار إليها من مصر والسودان والهند وجل قوتها من هذه البلاد ، حتى قيل أن أردب القمح صار في مكة ببضعة جنيهات ، فمدر الشريف في انقضاء دهرى الاستقلال جلى ظاهر ، وهو لا يزال مخلصاً للحكومة التركية في الباطن وليس له غرض في إيجاد حكومة عربية ، ولا طمع في خلافة قرشيية ، ولولا ذلك لقاتله الدولة هذا هو رأى الراجح في البلد

أما أنا فلا أجزم بقبول هذا رأى ولا برده ، وإن كان معقولا في نفسه ، لأنى أعلم أنه قد وجد في ظلم السياسة مسألة تسمى المسألة العربية ، ولكن لم أقف على

١٤٦ هل يمكن أن يكون الحجاز موطن ملك مستقل (المنار: ج ٣ م ١٩)

كنها ومبلغ قوتها ، ولا على مكانها من الشريف ومكان الشريف منها ، وأعلم أيضاً أن الحجاز ليس فيه الاستعداد المطلوب لإنشاء دولة ، ولا القوة التي يعوقف عليها استقلال الخلافة ، وحيوة أهل موقوفة على الدولة التي تملك التصرف في البحار والدولة ذات السيادة على بلاد الشام ، فإذا منع هذه القوات من هنا وهناك مات أهل جوعاً ، ثم إن المشهور أن أمراء جزيرة العرب وزعماءها متحاسدون متباغضون « بأسمهم بينهم شديد » ولولا سيطرة الدولة العثمانية عليهم لافقوا بعضهم بعضاً . والشريف - إذا كان يأمن بطش الدولة الآن فهو لا يجهل أنها إذا بقي لها استقلالها بعد هذه الحرب أمكنها الانتقام منه وإزالة أماره الحجاز وجعله ولاية عثمانية محضة . وإذا زال استقلالها وفرضنا أنه أمن على استقلاله من صاحب عسير وصاحب نجد فإنه ليس بالقوي يكون الملك المستقل الذي يطلبه العرب ، ولا بالتدبير مجدد الخلافة الإسلامية التي يحرص على استقلالها جميع مسلمي الأرض ، لأن الاستقلال بأمر الملك والخلافة يعوقف على الثروة والقوة وأين هما من الحجاز وأين الحجاز منها ؟ فلهذه الأفكار تراني مضطرباً في هذه المسألة ، وأنا أعلم أن عند (السيد) من أخبار هذه المسألة والاختبار فيها ما ليس عندي ولا عند أحد من المصريين ، فهو أعلم مناشئون جزيرة العرب وشؤون أمراءها ، وأعلم من أفعال الحركة العربية وباطنها وأحوال أحزابها وجماعاتها . كما أنه أوسع مناعلم بأحوال الدولة العلية وأوسع اختباراً لها وأكثر تنبهاً لما يتجدد من أخبارها ، يعترف لي بهذا من يقرأ بروية وامعان ما يكتبه في هذه المسائل في مجلته ، وإني أود أن أقف على ما عنده في مسألة الحجاز من رأي ورواية بالتفصيل ، وقد تعرضت لهذا غير مرة فلم تكن حالة المجلس أو الوقت ، يسمح للسيد بالافاضة في ذلك ، فمسي أن نستفيد الآن ما فائنا من قبل . - لم أنس أن باب الحديث في هذه المسألة قد فصح بيننا من قبل هذه المرة فكان الكلام فيها وجيزاً لضيق وقته ، على أن الحديث شجون ، والإنسان يفتكر في وقت ما ينساه في آخر ، فإذا ذكره مجدته تذكر ، وإني لا أجهل على الاستعاذ بما عندي في هذه المسألة من رأي أو خبر أرى فيها فائدة له ، فإذا حدثته بشيء لم يره كافها فله أن يستزيدني من الحديث بالسؤال عما يريد منه ، ولا بأس

بإعادة مسمى مما كنا ألمنا به من قبل ، وابدأ بدمان ما عندي في مسألة استقلال الشريف فأقول :

ان الشريف لم يدع ملكا ولا خلافة فلا كلام لنا في ذلك وما ذكرته لي من رأى الذى دار بين كثير من المصريين في سبب استقلاله في الحجاز وتلقوه بالتبول قد سمعته من غيرك أيضا . وهو رأى كما قلت معقول ، وعذر الشريف فيه مقبول ، ولا سيما ان كان الاستقلال عسوريا كما تظنون ، فانه مسئول عنه الله وعند الناس من إنقاذ سكان حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ من الهلاك ، وإزالة الموانع التى منعت أكثر المسلمين من الحج إلى بيت الله الحرام ، ولا سيما إلى هذا وذلك إلا بإزالة الحصر البحرى عن ثغور الحجاز ، الذى كان سببه وجود الجنود التركية فيها ، فان دولة انكسرت كانت صرحت باستثناء سواحل الحجاز من الحصر البحرى الذى ضربته على جميع السواحل العثمانية ، وسمحت بنقل القوات من الهند وغيرها إلى تلك البلاد المقدسة . ثم انها لما هلت بارسال أنور باشا لكثير من الجنود التركية إلى الحجاز منعت إرسال القوات اليه لان الجنود يستفهمون منها ، وقد كان من المستغرب تموينها لبعض بلاد أهدائها ولكن تمويهها لجبهوشها غير معقول ، وإنما المعقول ضده ، ولولا احترامها للبلاد المقدسة لضربت سراحلها بمدايع أسطولها وجمعاتها من مهادين الحرب أيضا ، ولكن إزالة الشريف أمهر مكة للسبب الذى أوجب الحصر ، ومنع القوت والحج ، مناواة للدولة التركية أو الاتحادية لانه قصد لقتال جنودها ، ورفع سيادتها عن البلاد التى هو أميرها ، فالشريف قد اضطر إلى الاستقلال بالامر في الحجاز ونبت سيادة هذه الحكومة الاتحادية ظهريا ونحن نخالف من يرى من المصريين ان هذا الاستقلال صورى وانه كان بالتواطؤ بينه وبين الدولة ، ومن يرى أنه لا يزال مخلصا لهذه الحكومة وأنها هي راضية من فعله وحاذرة له فيه ، لأننا نعلم أن إزالة منع القوت ومنع الحج ليس هو النباث على هذا الاستقلال ولكنه من لوازمه ، وهناك بواعث وأسباب أخرى له سنلم بها في حديثك ذ - اذا لاذا لم يجرى الدولة جيشا لقتاله ؟ ولا اذا حاصر هو الجيش التركى حصارا ولم يهاجزه القتال ؟

و — أما الشريف فيمنحه دينه من الاقدام على سفك الدم في أرض الحرمين الشريفين من غير ضرورة ملجئة لا مندوحة عنها، وأما الدولة فالمانع لها من إرسال جيش جديد لقتاله إما المميز وإما العقل، أما المميز فهو الآن غير موجود، لأن جنود الدولة متفرقون في عدة مهادين من أوربة وعدة مهادين في الاناضول وإيران والعراق وسورية وسيناء فهي لا تستغنى عن جيش كبير يصلح ما عطل من سكة حديد الحجاز ويبقى قسم منه في مواضع متفرقة من الطريق لحمايتها، ويسير قسم منه لانتفاذ حامية المدينة ثم الزحف منها إلى مكة مع حفظ طرق مواصلاته من مراكز نمونه وإمداده في الشام إلى مكة. وأما العقل فيقتضي عدم التصدي لقتال الشريف الآن حتى في حال القدرة وانتفاء المميز، لأن قتاله يضيف الدولة في الميادين الأخرى، وربما يستتبع خروج حرب الجزيرة كالهم أو جلاهم عليها، فيتسع الخرق على الرائق، والسكوت عنه لا يضر الدولة الآن، فإن انتهت الحرب بظفرها مع أحلافها أمكنها أن تنصرف في الحجاز بما تشاء، وإن انكسرت مع أحلافها فلامني لاهتمامها بأمر استقلال الحجاز، إذ يفرق المنتصرون حينئذ شمل وحدتها، ويخشى أن يزيلا ما كان من استقلالها، بل لا يقول أن يمتنى كل مسلم من ترك الدولة كرهها أن تسلم بلاد الحجاز وسائر بلاد العرب من الوقوع تحت تصرف الحلفاء المنتصرين في هذه الحالة، ولولا أن الدولة في أيدي الاتحاديين لرجحنا أن العقل ينعسها من قتال الشريف إن لم ينعسها المميز، وأما الاتحاديون فقد جملوا من أصول سياستهم إضعاف العرب حتى لا يكون لهم حقوق مع الدولة إن بقيت، ولا استعداد للاستقلال بأنفسهم إن سقطت، ولأن حالهم مع العرب في هذه الحالة يقول:

اقتلوني ومالكا واقتلوا مالكا

وقد سمع من أفواههم كثير من طلاب الإصلاح من العرب ما يدل على مثل هذا من مقاصدهم عند ما كانوا يكلمون معهم في حقوق العرب في الدولة، وفي أحوال أخرى، ألا ترى أنهم اتخذوا حالة الحرب ذريعة لتنفيذ مقاصدهم في العرب، فكان المقول أن يثبتوا العرب الولايات صدق وعودهم بالإصلاح ويفوا لهم بهودهم التي عقدوها مع السيد الزهراني عقب عقد المؤتمر العرب، وينزبواهم على ذلك من

الاصلاحات الداخلية ما يمكن به قلوبهم كما ملكوا أبدانهم وأموالهم فاستعملوها في هذه الحرب كما شاؤا ، وفي أمثالنا العربية « عند الشدائد تذهب الاحقاد » وإن كان أمثالنا لا تصدق على طبائعهم وأخلاقهم ، بل تضادها وتناقضها ، فالشدائد كانت عندهم مظهرة للأحقاد في أقبح مظاهرها وأشتع مناظرها ، فبعد أن جندوا جميع شبان سورية والعراق وفرقهم في الميادين البعيدة عن بلادهم كالردنهل والبلقان والناضول - وبعد أن صادروا الاموال والغلال في تلك البلاد ، طفقوا يقتلون أولى العلم والعرفان وكبار الضباط وسائر أرباب العقول والافكار في كل من القطرين (السوري والعراقي) وينفون الكهراء والافنياء ، ويستولون على ديارهم وأموالهم .

وبعد أن رأوا مآربهم هذا قد تحقق بنير معارضة ولا مقاومة ولوا وجوههم شطر الحجاز ، لا لاجل الصلاة إلى المسجد الحرام ، ولا لاجل الطواف بين الركن والمقام ، فإنهم لم يكونوا من الطائفين ولا المصلين ، ولكن ليفعلوا في الحجاز ما فعلوا في العراق والشام ، حتى إذا تم لهم هذا الارب ، أجهزوا على بقية جزيرة العرب ذ - إنى أعلم أن السوء سيء الاعتقاد في دين هؤلاء الاتحاديين وفي سمائهم ، وقد قرأت كل ما كتبه في السنين الخالية عنهم ، ولكننى رأيت قد سكت عن ذلك الطعن الشديد فيهم بعد حرب البلقان ، ثم تدمت عطفه عليهم من بعض ما كتبه قبل دخولهم هذه الحرب وفي أثنائها ، وكنت أظن أنه كجهمور المصريين لم يصدق أخبار المقطم والاهرام ، عن فظائع جمال باشا في بلاد الشام ، حتى قرأت المقالة التي نشرتموها في الشهر الماضى فعلمت أنكم مصدقون لتلك الاخبار ، وتتوقعون أن يكون لها تأثير - بى ، في الحجاز وسائر جزيرة العرب

د - نعم إننى تركت تلك الحملات على الاتحاديين بعد حرب البلقان وفي أثناء هذه الحرب لأن الحملة عليهم تعد حملة على الدولة ولا يذنبى ذلك في أثناء الحرب وإن كان بنية صالحة وبمقصد اصلاح كما بينت ذلك في المقالة التي نصحت بها بمثل هذا المسعى سورية قبل دخول الدولة في الحرب ، ثم اننى صدقت ما أتوه من التضييق بالعرب في الشام ، لأنه ثبت عندي بالتواتر فكشبت تلك المقالة وأطلعت عليها

بعض إخواننا قبل أن نجهنمنا البرقيات بنياً استغلال الشريف وإن نشرت بذلك ، ثم علمت بمدنشرها أن أنور باشا مازار سورية والحجاز في أوائل هذا العام إلا ليتولى بنفسه إرسال الجند والسلاح إلى الحجاز للقضاء على سلطة الشرفاء فيه . وإن قول أنه جاء بصنيعه جميعته الشريف على حيدر من الآستانة إلى الشام أو المدينة ليجهله خلفاً لشريف حسين أو أميراً للحجاز في المدينة . فإذا صح هذا الظاهر فالغرض الصحيح منه أن يضربوا الحديد بالحديد لما في ذلك من المفاسد الكثيرة التي يطلبونها ، فإذا أمكن لشريف حيدر وأخيه الشريف جعفر أن يؤلبا بعض عرب الحجاز على الشريف حسين بمال الدولة الذي يؤبدان به نفوذهما سهل على قائد الجنود التركية بعداضهاف حرب الحجاز أن يستبد بالنفوذ في الحجاز من غير خسارة تذكره ولاصيت قبيل يذشر ، ثم انهم بعد الفتح بالشريف حسين وأولاده يفتكون بالشريفين حيدر وجعفر ، ثم افتكوا بصديق الشريف حيدر (عبدالكريم قاسم الخليل والسيد الزهراوى) إذنوا لوساطة هذا الشريف لما أمكن لعبدالكريم أن يفتح الزهراوى بالمجى ، من باريس إلى الآستانة بمد أن أنذر المرة بعد المرة بأن في ذهابه إليها خطراً على حياته ، ولم يكن الشريف ضامناً له الأمن على حياته فقط بل كان ضامناً له الإصلاح الذى وعد به الأنجاديون وأكثر مما وعدوا ، وقد رغب إلى هو وعبدالكريم أن أكتب إلى الشريف حيدر كتاب شكر لحسن معه في هذه السبيل

إننى على ما أعلم من سوء نية الأنجاديين وخبث ما أضمره للعرب قد كنت أحسنت الظن بأنور باشا عند ما جاءنا المقطم بخبر زيارته لسورية والمدينة المنورة ، ولعل الأعباء يشكر أننى قلت له حينئذ : إن أنور باشا ما جاء سورية وفلسطين والمدينة إلا ليهلح ما أفسده جمال باشا حتى لا يصل سوء تأثيره إلى جزيرة العرب ، وليستعين بعرب الحجاز وغيرهم على هذه الحرب ، فإن أنور باشا هو الذى تولى في أول هذه الأزمات استمالة عرب الجزيرة بما كتبه إلى أمراءهم وزعمائهم من المكتوبات المربية ، المزينة بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وقد اطلعت على صور بعض هذه المكتوبات البامة والخاصة ، ومنها الكهاب الذى حمله رسول خاص إلى عدوهم الذى لم يمتروا به بصفة رسمية قط . أعني السيد الأدريسى . وهو يعظمه فيه ويجهله

ويظهر الثقة به ، ثم علمت في هذه الأيام أنه كان طلب من الشريف أمر مكة المكرمة
فجبهة عربية لمساعدة حملة سيناء على مصر ، وان الشريف أرسل الحملة إلى المدينة
المنورة وهي التي تمحصرها الآن ، فان الشريف لما رأى الجنود التركية نزل إلى
الحجاز بمشيرات الآلاف وتوزع في منبها وثغورها وهو يعلم كما نعلم وقلم الدولة
أن الحجاز ليس عليه أدنى خوف من الدول الأوروبية ، فلم يبق لأرسال الجنود إليه
سبب يقتل - والدولة في أشد الحاجة إلى الجنود - إلا التمسكول بهربه والفتك
يشرفائه انما لم يرفأ مع جمعية الاتحاد والترقي الذي يعرفه الشريف كما نعرفه ،
وقد كانوا حاولوا البدء بالشريف قبل هذه الحرب إذ أرسلوا الضابط وهيب بك
أحد غلاتهم المحمدين خفية إلى الحجاز ، وبعد وصوله إلى مكة أظهر التقليد الرسمي
الذي معه بولاية الحجاز وقيادة حاميتها ، وكان من أمر خذلان عسكريه في العجروش
بقتال العرب ومحاربة الفتك بالشريف ما هو مشهور ، فلما تمحولات الحملة الحجازية
التي ألفت اجابة لطلب أنور باشا لقتال مع جنوده في سيناء إلى حملة تمحصر جنوده
في المدينة المنورة وتماتلهم إذا قاتلوا

ف - إذا كان الشريف عالما من قبل بما نضمه جمعية الاتحاد والترقي للعرب
طامة ، وله ولاهل بيته خاصة ، فلماذا كان ينصر الأنحاديين حتى انه حارب السيد
الادريسي لأجلهم وكاد يحارب أمير نجد ابن السمود كذلك

د - لا أدري متى عرف ذلك معرفة لا تحمل التأويل ، وقد كان أولا يتأول
للأنحاديين ويرجو صلاحهم حتى كان بعض رجال النهضة العربية ينهونه بمشايخهم
وبكراهة السيد الادريسي أن يكون ذا سلطة في هدير ، وينقل عنه وعن أهل بيته
انهم يقولون انهم لا يؤيدون الأنحاديين فيما تقوم به جمعيتهم من الأعمال وإنما
يؤيدون الدولة نفسها فيما تقرره ويرون أن الاهتمام بها وإن جارت على العرب
وغيرهم أرجح من مقاومتها ولو سراً لئلا تفضي المقاومة إلى العزق الذي يوضع
به العرب مع الترك ، وإن الطريقة المثلى لتلافي ما يرى ضاراً من أعمالها انما هي
طريقة السعي لديها والاجتهاد في اقتناها بضرر الضار ونفع النافع ، وهذا الرأي
والملك لم يكن مرضيا عند الاحزاب السياسية العربية من كل وجه ، بل كانوا

برون انه يجب أن يكون الشريف أمير مكة مخلصاً للدولة ومؤيداً لها فيما صار في حيز الأمور التنفيذية فقط إلا قتال العرب ، وأما ما لم يصل إلى حيز التنفيذ فونبغي أن يكون حربه فيه معارضاً لحزب الاتحاديين بعد ظهور عصبيتهم الجفسية وظلمهم للعرب ، واسكن نجله بمهوث مكة المكرمة كان مع صائر مبعوثي الحجاز من الاتحاديين ، وكذلك أخوه الشريف ناصر المصروف في مجلس الاعيان من حزبهم ولم يبق كل هذا شيئاً ، ولا صد الاتحاديين من محاولة تنفيذ ما كانوا يضمرون للشريف الا كبر وأهل بيته ، وإنما يكرهون هذا الشريف وأولاده لأن لهم من النفوذ في حرب الحجاز ما ليس لغيرهم من الشرط ، قلت آنفاً اننا لا ندرى متى عرف الشريف الا كبر حقيقة حالهم وبئس من صلاحهم ، وقد ظهر لنا أنه بئس من بقاء الدولة العثمانية أيضاً وأمله لولا هذا اليأس ما نهض بهذا الأمر

ذ - ان من الناس من يرى ان الدولة ما سلت من خطر اليأس وعظم الرجاء فيها إلا بدخولها في هذه الحرب ، إذ صارت به ركناً من أركان أحد الحالفين العظميين اللذين تقاوت منهما الدول الأوربية الكبرى ومشاييماتها من الدول الصغرى ، وقد نقل إلينا المقطم ان من شروط محالفتها لألمانية ان لا تقبل هذه صالحتاً إلا بشرط حفظ استقلالها ، والصلح لا بد فيه من رضا الفريقين وإن كان أحدهما مطلوباً ، فاستقلال الدولة العلية مضمون على كل حال ، فكيف بمقل أن ييأس منه الشريف وهو من أركان الدولة الذين هم أهل منابجها وبشروط محالفتها التي منها ما ذكر

د - إذا كان في الناس من يرى ان استقلال الدولة مضمون وان تغلبت مع أحلافها في هذه الحرب ، وكان أهداؤهما هم المقررين لشرط الصلح ، فإن في الناس من يرى ان هذا الاستقلال قد زال بالفعل ، وان انقصر الالمان مع أحلافهم ونحكروا في شروط الصلح ، أما بقاء استقلال الدولة بعد انكسارها وانكسار أحلافها فهو منقول ، وأما الرأي الذي يقابله في الغرابة وهو زوال استقلالها في حال انقصارها وانقصارهم فلا صحابه وجه جدير بالغأمل ، وهو أن الدولة قد غرقت في بحر لجي من الديون وخسرت أكثر الشبان العاملين في المملكة ، وأفقرت الأمة كلها بمصادرة أموالها واستنزافها بأسماء متعددة ، وكان شجر ميزانيتها قبل حرب البلقان وهذه

الحرب الثاني أفقرنا وأفقرنا أمنها يسد باقتراض الملايين في كل عام ، وقد زادت ديونها الآن زيادة كبيرة حتى صار لها الديون يستغرق معظم الميزانية التي لا بد أن تقضى عما كانت تقصاً فاحشاً ، ومن البديهي أنها لا تجد بعد الحرب من يقرضها كما كانت تجد قبلها ، وليس أمامها من الأمم الفنية إلا الأمة الألمانية وقد ذهبت قروض الحرب لدواتها ودول أحلافها بمعظم ثروتها ، فلن تقرض دولة وصلت ماليتها إلى حد الإفلاس ما نل به شمسها إلا إذا جعلت مالية الدولة وجميع موارد الثروة في المملكة تحت تصرف دواتها يديرها رجال الألمان المليون والفنيون — فإذا تدبرنا هذا وعلمنا أيضاً أن الدولة قد جعلت حريتها وبحريتها في أيدي الألمان وجعلت تعلم لغتهم إجبارياً في جميع مدارس السلكة الأميرية وغيرها ، وتذكرنا أن الألمان يملكون عشرين كيلومتراً على جانبي سكة حديد بغداد في خط يمتد من ضفاف البوسفور إلى بغداد ، فأى استقلال يكون للدولة بعد قبض الألمان على إدارة المالية والحربية ، والمعادن والمناجم مع امتلاك هذه الأراضي الواسعة التي تضاهي مساحة مملكتهم ؟

كان لبعض الألمان المقيمين في بلجيكا قبل الحرب ملعب أو ملاعب لكرة الملعب فيها أهل البيت والعيال ، فلما اقتحم الجند الألمان بلاد البلجيكي المضمون استقلالها منهم ومن سائر الدول الكبرى ظهر أن ملعب الكرة إنما بنى بطريقة فنية هندسية ليكون مركزاً للمدافع الفخمة المكثوم خبرها عن غير أركان الحرب من الألمان ، وإن المسافة بين الملعب وبين الحصون البلجيكية هي مسافة مرمى تلك المدافع التي دمرت تلك الحصون . فإذا كنا قد استفدنا من عبر هذه الحرب أن ملعب الكرة لعيال الألمان في زمن السلم كان خطراً على الدولة التي ملك الألمان في بلادها ذلك الملعب مع أن دولته ضامنة لاستقلالها ، فهل نقصور أن نسلم من الخطر دولة ملك الألمان التصرف في جميع قواها المالية والحربية والعلمية والفنية ، ويملكون في قلب مملكتهم تلك الألوف من الأموال التي هي محل العمران المنتظر فيها ؟

ولدينا هبة أكبر من هذه الهبة وأظهر وهي ما قبله المينا المتعطف في جزء مارس من هذه السنة من مقالة كونسورك (الأميرة الانكليزية) فنواهبها الملك الافندي وأمبراطور الألمان) قالت فيها هي الملك ادمارد ما نصه :

« وزارني مرة قبل وفاته بثلاثة أشهر لتناول الشاي عندي ، وتكلم عن الإدارة الألمانية فقال « لو كانت بلادنا تدار كإندار ألمانيه لاستفدنا فائدة كبيرة ويأجبنا لو حكمتنا الألمان المدة الكافية لإصلاح إدارتنا » قال ذلك وصمت قليلا ثم قال وهو يضحك « ولكن المصيبة أنهم إذا أتوا ليحكمونا تعذر علينا الخلاص منهم » وهذا آخر حديث جرى لي معه لاني لم أره بعد ذلك » اه واستقدت الامهة بهذا الحديث على أن الملك لم يكن يضرر العداء لألمانيه . وإثبات هذه القضية هو الذي كتبت لاجله مقاله

فإذا كان هذا الملك السياسي العظيم يقول إن دولته التي هي أعز الدول وأعظمها دهاء وتديراً يتعذر عليها الخلاص من الألمان إذا دخلوا عاصمتها لتنظيم الإدارة وهي في جزيرة بمحيطها أقوى أسطول عرفته البحار منذ خلقها الله تعالى ، فهل يقيس للدولة العثمانية الضعيفة الخلاص منهم بعد ما ذكرنا من تعسفهم المنتظر بعد الحرب إن كان لهم الظفر ، وما تصرفهم فيها الآن بقليل ؟

هذا وإن همة الحرب الحثيثة هي القنازع الاستعماري ولم يبق في البلاد القابلة للاستعمار ما يشبع مطامع ألمانها ويتسع مجاله لشعبها الكثير ، وفنونها وصناعاتها إلا البلاد العثمانية ، وقد كانت دول الاخلاف تعارض في استثمارها الاقتصادي مع إبقاء للدولة العثمانية على استقلالها السياسي الصوري ، فإذا انتصرت في هذه الحرب لم يبق لها معارض من الترك ولا من الأوروبيين .

د - والله ان هذا الكلام معقول في نفسه ، ولكن لا يمتثل أن يجهله الاتحاديون فكيف رضوا إذا بموالاته الألمان ؟ أيمتل أن يكون في يد أناس ملك عظيم فيبدلوا دماءهم وأموالهم لاجل إضاعته ؟

د - لو كان رجال البيت السلطاني وكبراء علماء الدولة وسروانها من قدماء الوزراء والاعيان هم الذين قرروا بالتشاور بينهم القتال مع ألمانيه ونحكيمة في الدولة لكان هذا السؤال أكثر اتجاهاً ، والجواب عنه متسراً ولا أقول مقعداً . أما وزعماء الاتحاديين هم القائلون بذلك وهم أوشاب لا تعرف لغير الأسرائيلي الاصل منهم أنساب وصلوا إلى ما وصلوا اليه من الاستبداد بهذا الملك بمساعدة اليهود

الجرمانيين - فاجواب سهل ولاناس فيهم رأيان يؤخذ من كل منها جواب
سبب تسلب الاتحاديين الدولة للامان

(الرأى الأول) رأى مجمع كثرهما من خصومهم، وهو انهم جماعة من طلاب
المال والثروة علمهم أعلم البشر بطرق تحصيلها - وهم اليهود - كيف يكونون من أغنى
أهل المصر بسلب ثروة هذه الدولة ثم يومها لدولة الألمان الفئمة ، ويستشهد أصحاب
هذا الرأى على صحته بأنهم لو كانوا يريدون بقاء الدولة وتميزها لبدوا عليهم
فيها بوضع مالونها على أساس ثابت يكثير به الدخل ويقب الخرج، ولو أرادوا ذلك
لكانوا أقدر الناس عليه بمساعدة أسانذتهم واخوانهم من اليهود الاصليين والدونمه
(الذين منهم جاويد بك الذى جعلوه ناظر المالية وفوضوا اليه عقد القروض) ولكنهم
اغتنموا فرصة ماسموة (حركة الارتجاج) فمزقوا السلطان عبد الحميد ونهبوا من
أمواله وجواهره ونحفه ما تقدر قيمته بالملايين الكثيرة ، وقد حدثني الثقات من
أهل الآستانة انهم كانوا يدخلون قصر (يلدز) فيملئون جيوبهم من تحفه المرمعة
بالجواهر حتى ان بعض ضباطهم روى بعد امتلاء جيوبه يضع العلب والمسدسات
المرمعة وأمثالها في حذائه الطويل (جزمة السوارى) ثم اغتنموا فرصة وصول
جيش البلغار إلى شطاحه فسلبوا ما هو أعظم من ذلك من جواهر ملك آل عثمان
ونحفهم المحفوظة في قصر قسطنطين إذ زعموا انهم انما يريدون اخراجها من مأمنها
وارسالها إلى الاناضول لئلا يدخل البلغار الآستانة فيغنموها ، وقد عقدوا القروض
بمشرات الملايين ولهم من كل قرض سمسة مشهور أمرها وكثر الكلام في
الاستانة فيها ، ثم إن ما يصل إلى الخزينة منها بقصوفون فيه بضروب من العصرف
منها النفقات السرية التى لا تذكر في الميزانية وأعظمها ما يخصص للحربية
والدخاينة ، وهم يشترون السلاح والدخائر والثياب والاحذية للمسكر بشمن
ويعيدونه في دفاتر الحربية بشمن آخر فيربحون من ذلك مبالغ كبيرة ، والدليل
على هذا انهم أنفقوا في فظارة الحربية خمسين مليوناً من الجنيهات قبل حرب البلقان
ثم كان أهم أسباب انكسار جيش الدولة فى البلقان ثلة الدخائر وثلة الطعام وسائر
ما يتوقف عليه القتال وقد أذكرتنا مصادرهم للأمة فى هذه الأيام بما كانوا

بصادرون به الاغنياء منذ صار أمر الدولة في أيديهم — إذ كانوا يبتعدون كل
 فني بالانتقام منه لانه من الحزب الحميدى الارتجاعى إلا أن يفتدى نفسه بما يناسب
 مقدار ثروته ، فأخذوا من على رضا باشا الذى كان ناظر الحربية فى العهد الحميدى
 مئتي ألف ليرة ومن زهدى باشا ٣٠ أو ٤٠ ألف ليرة وعلى ذلك فقس ، ثم اتهم
 فوضوا على كل من دخل جميعهم دفع اثنين فى المئة من جميع دخله وذلك فوق
 ما فرضه الله من الزكاة على الاغنياء فيما فضل عن نفقاتهم وبلغ النصاب وحال هاجه
 الحلول ، نعم ان الالوف من الذين انتسبوا إلى الجمعية كانوا يكتمون عنهم ما يمكن
 كتمانهم من دخالهم ، وبما لا يمكن كتمان شيء منه روائب موظفى الحكومة وقد دخل
 كلهم أوجالهم فى الجمعية ، وقد باعوا البوسنة والهرسك وطرابلس الغرب بمئة ملايين
 فالذين يعرفون سريتهم هذه بالتفصيل يعتقدون أن زعماء الجمعية لا هم لهم
 من حياتهم إلا جمع الثروة وهم لا يضمنون بقاء الدولة لهم ولذريتهم من بعدهم
 فلذلك باعوها للألمان بهذه الصفة التى استعملوا فيها جميع قوى الدولة فى قتال
 أعدائهم ، وستكون كذلك فى أبدى الألمان ان انقصروا يستعملون نفوذ الاتحاديين
 وقوتهم على السلطان ودولته فى استعمار المملكة العثمانية ويؤيدون الاتحاديين على
 خصومهم السياسيين من الترك والعرب إلى أن تنشب براثنهم فى كل شيء ويستغفنون
 عن الاستفادة من اسم الدولة ونفوذها الدينى ويأمنون معارضة الدول فهصرحون
 بإزالة هذا الاستقلال العورى الخادع

(الرأى الثانى) رأى أصدقاء الاتحاديين — وهو مبنى على رواية لا يكاد
 يعرفها إلا قليل منهم ، سندكرها فى بيان هذا الرأى — وهو أنهم لم يبيعوا المملكتين
 بيماء ولم يفرطوا بشيء من حقوقها ، وكل ما أخذوه من الاموال للجمعية تصدرا به ان
 تكون الجمعية غنية لتتمكن بقوة الثروة من الفوز على خصومها من رجال العهد القديم
 المحافظين على العقائد المعهقة المنافية لما يريدون من التجديد المدنى للدولة والامة ،
 وخصوصا من الاحزاب السياسية الخالفة لها فى مذهبها السياسى والاجتماعى ككتريك
 العناصر وغير ذلك ، وأما ما أعطى لبعض زعماء الجمعية كالدكتور ناظم وأحمد رضا
 فهو تعريض ما خسرناه فى سبيل الجمعية ، وما هذا ذلك كسيرة القروض والامتنيازات

فهو قانونى. ولما رأوا أن الدولة ضعيفة فقيرة لا يرجى أن تنهض بنفسها، والأمة التركية جاهلة متعصبة للتقديم ولا سيما إذا كان من أمر الدين فلا يرجى أن يكون نهوض الدولة من قبلها، ولا يمكن ترقيتها هي أيضاً من قبل الدولة والدولة كلها على هذه الحالة - لما رأوا أن الدولة والأمة كما ذكر جزموا بأن العلاج الوحيد للدولة التركية والأمة التركية هو أن تتولى دولة أوربية قوية تنظيم الدولة وترقية الأمة وجعلها كالدول الأوربية والأمم الأوربية من كل وجه، ولم يجدوا دولة من الدول العظمى ترضى بأن تقوم بهذه الخدمة للترك إلا ألمانيا - وهي أرقا من علماً وقوة عسكرية - فإزالوا يخطبون ودها حتى عقدوا معها اتفاقاً سرى قبل هذه الحرب بسنين على تكوين دولة تركية جديدة على طراز الحكومات الألمانية تكون نائمة للاتحاد الألمانى فى السياسة الخارجية والحروب وغيرها مما لم نعلم تفصيله، وإنما نعلم منه بالاجمال أن الترك يكونون من الألمان بمنزلة أبناء عمهم المجر من النسة، ولذلك نكثر جرائمهم من المقاتلة بين الترك والمجر وتقتل ما تقدم أولئك وأخروهم ومن أصل واحد !

ومن المعلوم بالبداية أن مثل هذا الاتفاق لا يمكن تنفيذه بصفة رسمية إلا إذا صديق عليه مجلس الأمة من المبعوثين والأعيان، وإن الاتحاديين ما كانوا يجبرون على عرض على المجلس خوفاً من انتقاض أحكمت أفراد حزبهم عليهم وانضمامهم إلى الأحزاب المعارضة وبذلك يقضى عليهم قضاء لا مرد له، فكانوا يجهدون السبل إلى جعل مثل هذا رسمياً بأعمال كثيرة لا تتم عادة إلا فى سنين كثيرة، لأن السواد الأعظم من الأمة يراه خطراً بل قضاء على استقلال الدولة وعلى دين الأمة، وقد كان المعارضون فى المجلس أقوياء ومظم الأمة على مذهبهم ولذلك أستقطوا الاتحاديين وانزعوا منهم السلطة، ولكن حزب الحرية والائتلاف الذى انفرجها لم يعول أمرها ولا تيسرها أن يكفل وزارى الشيخين مختار باشا وكامل باشا، فذلك تيسر للإتحاديين بقوة ثروتهم وتكافلهم ومساهمة اليهود وألمانهم لم أن يعودوا إلى انزعاج السلطة من وزارة كامل؛ ومن الغريب أن انكسرتهم وروسهم وغرضه المعارضات لسياسة ألمانهم فى الدولة لم ينصرون الأحزاب المعارضة للإتحاديين ولا وزارى مختار

١٥٨ طلب جبل الترك من الألمان كالحجر من النمة (المنار : ج ٣ م ١٩)

باشا وكامل باشا فكان هذا ضمفاً من حيث هو رجحان للسياسة الألمانية في الدولة ، وقد كان الميالون الى تفضيل مودة انكائره ومن عساه يكون معها من الدول على مودة المانية وأحلافها أكثر عدداً وأرسخ في الدولة قدما ، واكنهم خذلوا يخذل الدول التي يميلون اليها للدولة في حرب البلقان .

وهكلام في إيضاح هذا الرأي وتفصيل المسائل التي تتعلق به . يطول فنكتفي منه بما لا يخرج به عن موضوعنا ، وملخصه أن الاتحاديين متفقون مع الألمان من قبل هذه الحرب بسنين على وضع زمام الدولة بأيديهم ليعرفوها بأمرهم وفنونهم العسكرية وغيرها فكانت هذه الحرب وسيلة لتنفيذ ذلك الاتفاق السري الذي كان يظن أنه لا يمكن تفهذه إلا بعد تهيئة السنين الطوال لذلك قلنا آنفاً . واننى قد سمعت خبر هذا الاتفاق السري في الآستانة إذ كنت فيها سنة ١٣٢٨ م من يظن اطلاعهم على مثل ذلك وهم قليل ، والمخالفون منهم للاتحاديين كانوا يظنون أن تنفيذهم مستحيل ولهذا كنت جازماً عند وقوع الحرب بأن الدولة ستدخل فيها قطعاً إذ كان سفير الانكليز في الآستانة ورجال حكومته في لندن يظنون أن بين زعماء الاتحاديين خلافاً في ذلك وأن بعضهم يميل اليهم وإلى أحلافهم — كما استاذك من الكتاب الأبيض بعد ، فكان خداعهم للأحلاف في هذه الحال وخداعهم لفرنسة قبله إذ أقرضتهم هشرات الملايين مما ينتخرون به وما هم في هذا الفخر بملومين

مكان زعماء الاتحاديين من الدين

ذ — يظهر أن زعماء الاتحاديين قد أوتوا حقاً عظيماً من الذكاء فكيف خفي عنهم ما قررت من الخطر على الدولة في تسليم أزمة أمورها للألمان ، وكيف خفي عنهم الفرق بين الترك والمجر حتى طنوا أنهم يمكن أن يكونوا من الألمان بمنزلة المجر من النمة ؟ ألم يعلموا أن المجر يشاركون النموسيين بأعظم المقومات الاجتماعية وهو الدين فلا يمكن أن يصكون الترك المتعصبين في الاسلام الذين تمثل دولتهم انطلاقاً الاسلاميه متعدين بالألمان المتعصبين في دينهم المتعدين في تعصير المسلمين في مستعمراتهم الافريقية ومنع انتشار الاسلام فيها كما علم ذلك من الاوراق التي اكتشفها الانكليز هذا العام في نواصي الحكام الألمان بذلك : وقد تذكرت بها كلاماً لتبصر الألمان في هذا

المنى نشرته الجرائد منذ سنين أظن أنه في الحث على اتفاق مبشرى الألمان
البروتستانت مع الكاثوليك على تنصير المسلمين (١)

د - اعلم أيها الاستاذ أن زعماء الاتحاديين الذين كلامنا فيهم ملاحدة
لا يدينون دين الاسلام ولا غيره ، وهذا ثابت من أقوالهم وأفعالهم يعرفه جماهير
العلماء والكبراء في الاستعانة وغيرها وجميع السياسيين في أوربة ، وهم يتمنون خروج
الشعب التركي من الاسلام ولو بالتدريج الممكن الى الوثنية بشرط أن يبقى تركها ،
لأنهم يظنون أن الاسلام هو العلة المانعة من مساواته للشعب المجري وغيره
من الشعوب الاوربية . وبشاركم في هذا الرأي غيرهم من ملاحدة الترك .
ولما كنت في الاستانة نشرت جريدة (إقدام) الشهيرة - وكانت معارضة
للإتحاديين - مقالة في المقابلة بين الترك والمجر ، ونسأت من سبب ما بينهما
من الفرق في العلم والمدنية مع الاتفاق في النسب ، ورغبت الترك في التشبه بالمجر
وسلك طريقةهم والاتحاد بهم . . وقد رغبت يومئذ الى السيد الزهراوي رحمه
الله تعالى في كتابة ردعائها يقال فيه إن أعظم الفروق بينهما الدين واللغة فهل تنصح
لترك بأن يتركها معا ليكونا كالمجر في كل شيء أو يتركوا الدين الاسلامي أو

(١) المنار : اننا نشرنا في ص ٧٢٠ م ٧ انه كتب اليانا من بعض المستعمرات
الالمانية أن ألمانيه تكره الناس هنالك على التمسك وتفرى الصداقة بين العرب
المهاجرين الى تلك المستعمرة وبين الاهالي لان العرب أشد تمسكا بالاسلام وجنبا
اليه ، وجعلنا هذا العمل مرشدا الى تفضيل انكافرة على ألمانيه . ثم نشرنا في ص
٧٩٩ منه أنه كتب اليانا من دار السلام ان حكومتها الالمانية هدت مسجدين
للمسلمين وتضطهد العرب وتمنعهم من ركوب السيارات الحسنه . ومن الغريب ان
وكالة ألمانيه السعديه بمصر بلفتنا بعد نشر ما ذكر بيضمه أشهر أنها كتبت الى
دار السلام تسأل حكومتها عن حقيقة ما عزي اليها وأنها أجابت بأن منع العرب من ركوب
المركبات لأصله ، وأن هدم المسجد كان بطلب المسلمين لهدمه من بيوتهم ، وأن
الحكومة بدلتهم به مكانا آخر قريبا وأعطتهم مالا وافرا . ولكنها لم تكذب خبر
التنصير بالاكرام الذي نشر في جزئه آخر .

اللغة التركية لاجل ذلك ؟ فقال ان الحكومة لا ترضى بنشر مثل هذا . وكان الاتحاديون يتقربون الى الاوربيين بالاتحاد ويكاشفتهم باعتقادهم أن البقاء على الاسلام مانع من ترقى الترك . واجتهدوا فى استماله نصارى السوريين اليهم بهذا وبايهاهم أن العرب المسلمين لن يثقوا معهم لقمصهم الدينى

أمام مذهب الاتحاديين السياسى فهو افشاء دولة تركية محضة متحدة بالعائلات الالمانى ، وان الترك لا يمكن أن يندغموا فى الالمان بسبب هذا الاتحاد بحيث يفنون فيهم لأن المحافظة على اللغة التركية تمنع من فناء الشعب التركى المؤلف من عشرات الملايين فى الشعب الالمانى أو غيره

فـ أين عشرات الملايين من الترك والمشهور انهم لا يكادون يبلغون فى الدولة ستة ملايين ؟

د - انهم يمدون مسلمى القوقاس وتركستان منهم ويظنون انهم سيأخذون هذه البلاد بقوة المانية ، وانهم لا بد أن يكرهوا جميع الشعوب المانية على ترك لغاتهم الى اللغة التركية حتى لا العرب وبذلك يكون لهم امبراطورية كبيرة منظمة على النمط الالمانى ، ومن أمانتهم فى هذا الخيال أن يملكوا مع الالمان الشرق كله أو المسلم كله ، وأما الخلافة الاسلامية فيستخدعون نفوذها الدينى فى سياساتهم وحروبهم الى أن يتم لهم افناء الأمة العربية وتكثير النابذة التركية التى يربونها على الاتحاد وتحريف الاسلام عن أصله بجعل القرآن تركياً وتفسيره بمثل ما رأيناه فى كتاب (قوم جديد) وغيره من كتبهم ، ويستقنوا عن مخادعة المسلمين والاستفادة منهم باسم الخلافة والاسلام ، فبند ذلك يذبذبوها بين الفواة ، ويجهلون يوم الفاشا عهداً من الأعياد ، فحاجتهم اليها مؤقفة كحاجة أحد ظرفاء السوريين الى البرنيطة ذ - بعيشك فسكنها بخبر برنيطة هذا السورى الظريف لعله يدفع عنى الرعب الذى كاد يساورنى من تصور هذا الخيال التركى الاتحادى الغريب

د - هو الدكتور . . قال انه يابى البرنيطة لأنها تزيد فى ربحه وفى احترامه كما ثبت له ذلك بالتجربة ، وإنه يعنى أن يستغنى عنها ، وقد وعد أصدقائه بأن يدعوم عندما يثبت عنده ذلك الاستغناء إلى احوال عظيم حتى إذا ما انقظم عقد

(المنار: ج ٣ م ١٩) دين الاتحاديين الجديد الذي يدعون الترك اليه ١٩١١

اجتماعهم يوقد ناراً يحرق بها البرنيطة أمامهم وبرئيتها بأحسن مما رثى به الفارياق
حاره ، ويسمى ذلك الاحتفال احتفال احراق البرنيطة

د - أود أن تخبرني ببعض ما لديك من الدلائل التي لا تحتمل التأويل هل
كفر زعماء الاتحاد ، من بعض ما يدل على ذلك قد يحتمل التأويل ، وهذه
مسألة لا يجوز الأخذ فيها إلا بالهتقين

د - إن ما عندي في ذلك كثير جداً إذا أردت بسطه ودفع ما يمكن أن
يورد عليه من الشبهات فلا يتم لي ذلك إلا بتأليف سفر ~~صغير~~ كبير ، وإذا أردت
أن أحصى في هذا الباب جميع ما أعلم من أقوالهم وأفعالهم المنافية لدين ، وما نشره
في كتبهم الجديدة ومصحفهم من المبارات المنفرة عن الاسلام أو الدالة على مذهبهم
السياسي الذي ذكرته آنفاً - فلا بد لي من تأليف عدة أسفار ، ولا بد أن تكون
قد قرأت ما ترجمناه من كتاب (قوم جديد) في - ص ٥٣٩ - ٥٤٤ م ١٧ - سنة
١٣٣٢ من المنار^(١) ورأيت كيف حرف فيه القرآن وجعل الصيام والصلاة والحج
والزكاة والعمل بكتب فقه الأئمة الأربعة هو دين قدماء المسلمين الذين يعبّر
عنهم بكلمة (قوم عتيق) وصرح بعدم جواز العمل بملك المكتب وعلل ذلك
بأنها ملوثة بالنفاق والشقاق ، وبين في مقابل ذلك أركان دين (قوم جديد)
وهي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد مالا وبدناً والسعي لاهداد
لوازم الحرب بالاتحاد تحت راية الخلافة الاسلامية العثمانية . وصرح بكفر جميع
المسلمين من رعايا دول النصراني والذين تحت حمايتهم ، وبأن المسلمين الحقيقيين
هم الذين حاربوا في البلقان « تحت إمرة أنور ورضا وأسمد وجاويد ورؤف
صلى الله تعالى عليهم وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقي المقدسة » ثم صرح بأن
هدد الذين ينتمون الى الجمعية في حرب البلقان لا يعجزون مئة ألف وهم المسلمون
الحقيقيون قال « أما الباقون فكانوا من المرتدين المنتمين الى الائتلاف (أى
حزب الحرية والائتلاف) والبطر كخانات ، وهو يفضل أنور وطلعت وجمال وغيرهم

(١) نشر المقطع مقالة لبعض العرب العثمانيين في هذه السنة ذكر فيها بعض
الجل من هذا الكتاب فظن بعض الناس ان ذلك قول مخترع ، وقد ذكر هذا
الكتاب في الجزء الثاني من منار سنة ١٣٣٢ الذي صدر في يناير سنة ١٩١٤

١٦٢ غرض الأنحاديين من الطعن المشوه في الاسلام (المنار : ج ٣٣ : ١٩)

من زعماء الجمعية على الخلفاء الراشدين وجميع الأئمة والأولياء الصالحين ، بل هو يقدس جميع الترك الثابطين لهؤلاء الزعماء بمثل ما تراه في تلك النبذة المترجمة منه (ص ٥٤ م ١٧) فانه بعد مخاطبته للترك بأن الله قدسهم وبأن تعظيمهم خلفاء العرب ووضع أسمائهم في المساجد يعد إذلالاً للخلفاء الترك «الذين قدسهم الأحاديث النبوية بزعمه ، وبعد إنكاره عليهم تعظيم الأولياء من العرب كالجيلاني والبدوي وغشهم للترك بأنه سيخرج من العرب مهدي ، بعد تفصيل هذا وزعمه إنه تختير للترك قال «أما سميت الآية (والمعاديات ضبحاً) فان الله قدس بهذه الآية الجيوش التركية ، فحمل هذه الجيوش هي أشرف وأقدس أضماً مضاعفة من شرافة وقداصة رؤساء وأشرف الشعوب الأخرى الذين قدسوا ونحترمهم » اهـ وليس هناك رؤساء شعوب كثيرة يحترمهم الترك بل رؤساء شعب واحد وهو الشعب العربي - الذين ذكر انهم يملقون أسمائهم في المساجد وهم : النبي ﷺ والخلفاء الراشدون . الأربعة والحسن والحسين رضوان الله عليهم .

وقد جمل الأنحاديون عبید الله أفندي مؤلف هذا الكتاب مدرساً في جامع آيا صوفية لينشر هذه الأفكار في شهر رمضان وجعلوا حوله الجلاوزة والشرطة (البوايس والضابطة) يحمونه من اعتداء المسلمين عليه ، واسكن من يطعن في جمعيتهم أو يفض زعمائهم فلا جزاء له إلا القتل اغتيالاً أو صبراً أو بحاكمة قضائية أو عرفية ، ذ - ان مؤلف هذا الكتاب مجنون أو معتوه ، ونحريفه للقرآن أشد تشويهاً وأظهر بطلاناً من تحريف الباطنية ، فكيف يظن هو وزعماء الأنحاديين أن مسلمي الأتراك يتلقونه بالقبول فيؤثروا في نفوسهم ؟

د - حقاً ان هذا الرجل يكاد يكون مجنوناً ، وبمقتضى أن يكون سبب غلوه هذا من خبث ودهاء ، والذي يظهر لي أن لهم في مثله غرضين (أحدهما) فتح باب الجراءة لملاحدة الترك على التصريح بالكفر قولاً وكتابة ليكون مجال القول عندهم واسماً في الطعن في النبي ﷺ وفي الخلفاء الراشدين وأئمة آل البيت النبوي وأئمة الفقه والصوفية ، ولهم كتاب آخرون سلكوا غير هذه الطريقة في هذا الباب كالكفور هبدالله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) التركية وأحد مؤسسي

جمعية الاتحاد والترقي الأولى فانه يترجم بالتركية مطاعن (كاتباني) المؤرخ الايطالي في النبي ﷺ ونشر كتابه في هذه السيرة التي شوه جمالها وانقص كمالها بيهتانه وسوء تأويله ، فكان له رواج وتأثير قبيح عند طلبة مدرسة الطب وغيرهم في الآستانه (والفرض الثاني) نشر ذلك بين عوام الترك الذين لا يعرفون من الاسلام إلا اسمه املهم بأنهم يقبلون كل كلام يقر أعليهم في كتاب ، وتؤيد فيه المسائل بما يسند إلى الله ورسوله من الآيات والاحاديث وما تكن محرفة ، والكلام في هذه المسألة يطول فأكتفي منه في هذا المجلس الذي طال علمك بروايين من علماء الآستانه وبعض القضاة الاتحاديين (الرواية الأولى) كان اسماعيل حقي المناستري (رحمه الله تعالى) من أشهر علماء الترك في الآستانه وهو الذي ترجم (الرسالة الحميدة) بالتركية ، وكان واعظا في جامع (آيا صوفية) ودرس في دار الفنون (المدرسة الجامعة التركية) وهو الذي صلى بالسلطان محمد شاد إماما للجمعة في (قصره) عند زيارته لها ، وكان اسماء الاتحاديون بعد الدستور يحضرون محروا في مجلس الاحوان وجعل ولده كاتب السر لطلعت بك ، فكان جمهور علماء الآستانه يصفونه بالتفاق يدعوى أنه مال إلى الاتحاديين وأنه لا ينكر عليهم فيمظن العوام أنه راض عنهم ، ولكن هذا الشيخ الكبري لما عرف في حق المعرفة ووثق في كان لا يبر عن الاتحاديين في الحديث معي بداره إلا بلفظ «الملاحدة» وقد سألتني عن رأيي في فطين اغندي: «مسلم هو أم زنديق ملحد؟ فقلت: ما الذي أثار هذه الشبهة في نفسك حتى شككت في إيمان رجل من أهل العلم؟ فقال: يا سيدي يظهر لنا أن الجمعية تثق به ثقة تامة . فهذا العالم الجليل المحقق لهم حق الاختبار كان يعتقد أنهم لا يثقون ثقة تامة به ومن مسلم أما فطين اغندي هذا فهو من (الصفطاء) طلاب العلوم الدينية وقد عني بالعلوم الرياضية فصار منبرا للبرص والفلكي الذي أفشى في ضواحي الآسقاء وهو ذو همه ونشاطه وحسن فيه أنه كان يريد استخدام نفوذ الجمعية لبعض المقاصد التي يراها نافعة فيخدمها لهذا خدما نافعه ويعتبرهم أنه قد يقوم ببعض اعوجاجها كما يعلم من الواقع التي أقصها عليك: اقيت فطمين اغندي مرة بتكلم مع (الدكتور ناظم) المرخص المسئول للجمعية وأعظم رجالها نفوذا فيها ، فلما أقيمت عليها قال قد كثر هذا فلان يحكم بيننا ، ثم قص علي أنه اخلف مع الدكتور في مسألة مهمه قال: الدكتور يقول إنه يستحيل علينا

الترقى المطلوب إلا إذا نبذنا كل قديم اتبعه خطوات فرنسه (؟) في تجديد شباب الدولة والملة (أي الأمة) وأنا أقول أننا محتاجون إلى انتباس الفنون عن الأوربيين عامة لا من فرنسه خاصة لأجل ترقية صناعتنا وحريةنا وماليتنا ، وأما الأمور المعنوية كالآداب والفضائل والشرائع فإننا نقتبسها من ديننا وما عندنا فهو أكل مما عند غيرنا وهو خير لنا ، ولكن الدكتور قال إن هذا كله قد صار رثا باليالا ينفع فلايد من التجديد في كل شيء ، هذا ملخص حديثها ولا حاجة إلى بيان ما أبدت به رأي فطرت أفندي بل أقول لك إنني أكبرته من ذلك اليوم ، ولكن العبرة في شك الشيخ اسماعيل حتى في عتميدته لأنه رأى أن زعماء الجمعية يثقون به وإن لم يعرف درجة هذه الثقة ، وقد هرقت رأي جمهور علماء الآستانة في اسماعيل حتى هذا ، وكذلك رأيت كثيرون من المحدثين يعتقدون أن زعماء الجمعية كلهم ملاحدة لا دين لهم ، ومن هؤلاء كثيرون كانوا محافظين على الانساب إلى الجمعية برون أن في هذا خيرا لهم أو مصلحة للدولة والأمة ، ومنهم ألوف تركوها إلى حزب الحرية والائتلاف .

(الرواية الثانية) لما جئت بيروت عائداً من الهند إلى مصر من طريق العراق وسوريه زارني قاض من قضاة القرك الاهليين ببيروت اسمه (شوكت بك) كان كثير الهمج بالجامعة الاسلاميه وإيهام مسلمي بيروت وغيرهم أن الاتحاديين يرهون بسماحتهم إلى هذه الجامعة ، وكان ذلك في عهد وزارة مخفار باشا والناس يجاهرون بلعن الاتحاديين ولا سبيل إلى استئناسهم اليهم إلا بإيهامهم أنهم يخدمون الاسلام ويجهدون في جمع كلمة أهله ، فكان أول حديث شوكت بك معي - بعد مجاملة السلام - السؤال عن مسلمي الهند وإظهار الاهتمام بشأنهم . وانتقل من ذلك إلى مسألة الجامعة الاسلاميه وما برزعه من ميل الاتحاديين إليها ، فقلت له : ان فاقد الشيء لا يعطيه ، فإذا كان الاتحاديون أنفسهم ملاحدة غير مسلمين إلا في الاسم فقط فكيف يقومون بهذه الخدمة في الاسلام . قال : إن الحكم عليهم جميعهم بالاحاد فيه مبالغه وامل الملحدون منهم لا يزيدون على ثلاثين في المئة قلت : الظاهر أنك أسوأ ظناً مني فيهم ، فأنا أعني بمن حكمت عليهم بالاحاد زعماءهم لا جميع من انعمى إلى الجبيهه ، فان لي أصدقاء كثيرين ممن دخلوا في هذه الجمعية لا ريب عندي في إسلامهم ولا في

صلاحيهم ، منهم من تركوا بعد العلم بحقيقة حالهم ومنهم من يرى من المصلحة العامة أو انطباعه بقاءه فيها ، وقد صرح لي بذلك كثير منهم . وذكرت له انني اخبرت اكبر اولئك الزعماء بمشقي في الآسقاء ووقفت على ما كان من اخطار اصدقائهم وغير اصدقائهم ظم ، وذكرت له رأي الزعيم الاكبر الدكتور ناظم الذي ذكرته في الرواية الاولى قال نعم ان الزعماء لا دين لهم «دين سر» ولكن مسألة الجامعة الاسلامية تنفيذ الدولة فائدة سياسية عظيمة فهم لذلك يهتمون بأمرها ، قلت : انني اهل انهم يشتغلون بتأسيس جامعة تركية لاسلامية عامه وقت بشوا دعاتهم هذه الجامعة في القوقاز وتركستان ... ولو كانوا يريدون الجامعة الاسلامية لاعتنوا بتعليم الله المربية ونشرها ولكنهم يجتهدون في إيمانها وكيف يتصرف المسلمون بغير لغة يتفاهمون بها ، انني طفت كثيراً من تلك الهند فلم أدخل بلاداً منها إلا ووجدت فيه كثيرين يتكلمون معي بالعربية ، ولا يكاد يوجد فيها أحد يعرف التركية ، ولا توجد داهية تحفزهم لتعلمها ، وأما الله الأمر به فساداً تملأها الدين ، وهي تزداد في هذه الايام انتشاراً في الهند وجاوه الخ

(خلاصة المحاور وفصل الخطاب فيها)

١ - لقد أطلت عليك وأخذت حظاً عظيماً من وقتك ، وقد اقتضت ما كنت منك بأن هؤلاء الاتحاديين ملاحدة لا يدينون بدين وأنهم مقهورون بسوء ظم الضرر أنهم يستعملون أن يهدوا بناء هذه الدولة وهذه الأمة ثم يبنونها بنساء آخر زينة ظم اليهود ووضع رسمه لهم اللسان ، وأن ذلك يتم لهم في سنين معدودات ، ولذلك لم يسلوكوا طريقة القدرج التي مضت بها سنة الله في خلق الارض والسموات ، وأحب أن تلخص لي كلامك بجمل مختصرة

٢ - (١) إن الشريف أمير مكة المكرمه يستمد أن الاتحاديين ملاحدة يكبدون للدين الاسلامي على ما لهم فيه من المنافع السياسية والمالية فمثلهم كمثل المعتصم في حصن عدوه وهو يرى أنه لا بد له من تركه ويخشى أن يصير إلى عدوه فهو على انتقامه بينائه وبما فقه من الخبرات يضع الافام تحته لينصفه عند ارادة تركه

(٢) انه يعلم أيضاً أنهم أشد الناس عداوة للعرب وان بعضهم لهم أشد من بعضهم للروم والارمن لسببين ، أحدهما أنهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ،

وثانيتها أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها هدداً ، وأنه قد وجد في بلادهم الحضارية كثير من أصحاب المعارف المصرية والافكار النيرة وما زالت بوادهم والبلاد التي هي أقرب إلى البداة ذات بأس شديد وقوة حربية لا يستهان بها . فلا يتم لهم ما يتخيّلونه من تأسيس دولة تركية لادين لها لامة تركية محضة إلا إذا أبادوا هذا الشعب العربي الكبير الناصر الاسلام ، ولذلك عقدوا النية على تزيك بلادهم الخصبية المتعلمة بالقوة القاهرة وعلى اذلال أهل الجزيرة العربية الاشياء باضافتهم ونزع السلاح منهم وإلقاء العداوة بينهم ، وجعل بلادهم المقدسة تحت سلطة عسكرية اتحادية لادين لها حتى لا يستطيعوا أو يقوموا بعمل ديني ولا دنيوي

(٣) أن الشعب التركي غيور على الاسلام وشديد التعصب له وقد عرف عنه من المبالغة في التعصب ما لم يعرف مثله عن العرب ولكن خضوعه للقوة التي تسود عاصمة بلاده أنهم من خضوع سائر الشعوب العثمانية ؛ بل هو شعب لا يعمل الا بالقوة العسكرية ولا تعمل به الا القوة العسكرية ، وقد غلب حزب ملاحدة الاتحاديين حزب العلماء وجميع الاحزاب الياسية العثمانية بقوة الجند والمال كما علم من كلامنا السابق ، فلم يعد الشريف يرجو من اسقاط قوة الاتحاديين اهداء الاسلام والعرب بقوة الاحزاب التركية ما كان يرجوه من قبل ، فانحصر وجوب مقاومتهم في العرب وحدهم (٤) أن الشريف يعلم كما يعلم العارفون وكل من له إلمام بأحوال الدولة ان ملاحدة

الاتحاديين قد سلبوا سلطان الدولة وخلفيتها نفوذهم وجميع حقوقه حتى ما هو مدون في قانونهم الاساسي ، فأصبح المسلمون ينهض امام شرعي لاحتياجاتهم مستوف للشروط الشرعية ، ولا متغلب بطاع لفرورة جمع الكامة ، وانما المنصرف في الدولة جمعية الاتحاد والترقي الملحدة ، فالسلطان محمد رشاد لا نفوذ له الآن في المملكة ولا في قصره ، ويصميه أهل الاسفانة (المهر دار) للجمعية ؛ أي صاحب الختم الذي وظيفته أن يختم طما كل ما تأمر بختمه من الاوراق ، وهم لا يسمحون له بأن يفتار رئيس السكك الحديدية وأمين الممر له حديثي بك أحد سرة الاسفانة الكبار عن رجل من أعضاء البيت السلطاني أنه كان يقرب السلطان في حفلة قراءة المولد النبوي الشريف في قصر (ضوله بنجه) فرأى (الباشكاتب) قد جلس مكثاً والسلطان منقصب بنزاة الادب على منته

وكبر سنه فلما رآه السلطان قد اتكأ قال متبرماً : إذا كان هذا ... (فسيت القتب القبيح الذي ذكره به) لا يحترمني أفلا يحترم حضرة فخر الكائنات صلى الله عليه وسلم ؟
(٥) أن الشريف يعلم أن هؤلاء المهودين قد هرضوا استقلال الدولة للزوال ، وأن الخطر عليها في انتصار الألمان أشد من الخطر عليها في انتصار الحلفاء ، فإن الظاهر أن الحلفاء يرضون باستقلال بلاد العرب ، ويظن أيضاً أنهم يرضون بمجمل الولايات التركية إمارة أو سلطنة تركية مستقلة ، فناية انتقامهم من هذه الدولة أن يمحطوها أجزاء بعضها مستقل بنفسه تمام الاستقلال وببعضها مستقل تحت حماية بعض الدول ، كالولايات الأرمنية ، الظاهر أنها تكون تحت حماية روسيه ، ويقال أنهم لابد من أخذ شيء منها لأنفسهم ويختلف الآراء في مصير الآستانه . وليس هذا من موضوع حوارنا
(٦) أن ملاحدة الاتحاديين شرعوا في تنفيذ خطتهم باذلال العرب التي هي مقدمه أو حله لا ذلال الاسلام كما ثبت في الحديث الصحيح عند أبي يعلى « إذا ذلت العرب ذل الاسلام » فبدأوا بالعراق والشام ثم مدوا برأيهم إلى الحجاز ، فاضطر الشريف إلى دفع شرهم عن العرب بمقاومتهم في الحجاز . واستقلاله بالسلطة فيه من دونهم لمجموع ما تقدم من الأسباب .

د - يظهر مما قررته أنه لا يبعد مقاومته للاتحاديين خروجاً على السلطان ولا هداً للدولة نفسها لأنه يرى أنهم جانون على الدولة والسلطان قبل جنائهم على العرب في الحجاز وغيره
د - نعم هذا هو الظاهر بل المتيقن ، ومن وقف على الحقائق يرى أن الشريف قام بأعظم خدمة للاسلام والمسلمين ، وذلك أنه لما رأى الخطر قد أحاط بالدولة كما هو واضح مما شرحناه كان من الضروري أن يخاف وقوع القضاء بها فجأة فيكون حرم الله وحرم رسوله وسياجتهما من جزيرة العرب مما يهبط بسقوطها ، وتزول السلطة الاسلامية منها وعن غيرهما مدة فترة السقوط أو مدة أطول منها يكون الحرمان وغيرهما فيها من قبيل التراث الذي يحكم فيه الفاتحون بما يشاؤون . فهو باستقلاله هذا قد جعل الحجاز تحت سلطة اسلامية خالصة ، وبوشك أن يكون هذا مقدمه لدولة عربية اسلامية كبيرة ، وما ذكره الأستاذ في أوائل حديثه من تعادي

أمراء جزيرة العرب وكونه بحول دون تأسيس دولة عربية عزيزة فهدم مسلم ،
 فالمواد بين أمراء الجزيرة وزعمائها لم تكن منذ قرون كثيرة خيراً منها الآن ، فلم
 يبق بين أحد منهم شيء من ذلك العداء إلا ما بين امام اليمن والسعيد الادريسي
 ويرجى أن يقدر الشريف على تلافى ذلك وعقد اتفاق بين الجميع على قاعدة (اللامركزية)
 وصفوة القول إن استقلاله هذا لا ضرر فيه على الدولة العثمانية ولا على الأمة
 التركية ، وإنما هو كبج لجناح هذه الجمعية الباغية على الاسلام والدولة والعرب ،
 فان سقطت الدولة فى هذه الحرب لم يكن استقلال أمير الحجاز أحد أسباب سقوطها
 وإن سلمت من الحرب ومن هؤلاء الملاحدة رعادت دولة اسلامية قوية لم يكن ما تقدم
 من استقلال الشريف مانعاً من العودة إلى الوفاق والاعتصام ، هذا ما يخص ما عدى
 فى هذه المسألة ، فإذا كان لديك أسئلة أخرى فلتكن فى زيارة أخرى .

انتهت المحاوره مع الاستاذ بما ذكرنا من الاقناع وكذلك المحاورات الأخرى فى الجملة
 فخلاصة ما رتفنا عليه من الآراء فى المسألة العربية واستقلال الشريف الأكبر
 أن المسلمين هنا لا يرتاحون إلى هذا الاستقلال إلا إذا أسكن أن يستقيم تأسيس
 دولة عربية قوية مستقلة تمام الاستقلال لا نفوذ فيها لدولة أجنبية يضعف استقلالها ،
 وإلا كن منهم من يشك فى امكان ذلك ومنهم من يشك فى سهولة حصوله دون امكانه ،
 ولكل منهم دلائل نظريه لا يتسع هذا الجزء لبعثها ان كان من الممكن نشرها
 ثم ان كل فرد من تكلمنا معهم أنصف الشريف فى استحسان وقوفه بهذا الاستقلال
 عند عدم منع الضرر عن أهل الحرمين وغيرهم من العرب عملاً بما ثبت عندنا من قوة
 الاتحاد بين بحيث كان استقلاله غير مضعف لدوله إلا بقدر ما يجنى عليها الاتحاديون
 إذا أرادوا الاستمرار على قتاله بجهوشها المنظمه وتيسر لهم ذلك ، فعمل الشريف يصدق
 عليه أنه إما ان ينفع نفسها ما أو خاصاً بالحجاز وإما أن لا يضر ، ولا يوجد عائق يكره
 هذا أو يذمه ، وكل مسلم عرف كنه سياسة الاتحاديين فى الاسلام صار هذا أمراً ، وأقدم
 أعدائهم فى هذا علماء الآسفانه والمحدثون فيها وفى سائر بلاد الترك سواء كان مسلمو
 العرب إلا متأخرين عنهم فى ذلك . وكل عربي مصري أو غير مصري عرف كنه
 سياستهم فى العرب صار هدواً لهم ، وأقدم من عرف ذلك السورون المسلمون ثم غيرهم

منهم ومن العرب ، ولو كان المصريون يصدقون أخبار المقطم والأهرام عن فظائهم
 في سوريه لأجمعوا على ذلك ، وقد انفتحت لهم أبواب أخرى للاقتناع . وما قلت
 لأحد منهم ان ما أتاه جمال باشا من التفتول والاصلايب والغريب عن الوطن ثبت
 عندي من طريق الأسرى العثمانيين ومن طريق أمريكه وأوربه ، ثم من طريق
 الحجاز إلا قبلوه مدعنين ، ولعنوا جميع الانحاديين ، وسأنى يوم يصدق فيه ،
 الجميع هذه الاخبار ولعله ليس ببعيد .

السيد عبد الحميد الزهراوى

كان الشهيد السيد نابغة من نوابغ السوريين ، لا يكاد يلز به في مجموعة
 من زاياه قرين ، ما عرفت بلاده كنهه ، ولا قدرته قدره ، على ان يلم تقصر في تعليمه
 وتكريمه ، وفي الاحتفال له والحقاوة به أيام سفره وأيام قدومه ، ذا عرف الجمهور
 منه في أواخر سنى حياته كما كان يعرف الآحاد ، انه أحد أشراف البلاد المنصرفين
 لخدمة الأمة بكفاءة واستعداد ، من معرفة المصاحبة وفصاحة اللسان ، وروعة الحججة
 وجراءة الجنان ، وما كان لمقل الجمهور أن يدرك كنهه المزاي والفضائل التي بها كان
 الزهراوى في حقيقة جوهره من الحكمة الربانية ، والفلاسفة الاجتماعيين ، وإن
 قضت عليه الأيام بالانقضاء في سلك السياسيين ، تلك الفضائل التي عرفها له كل
 من عرفه من العقلاء المنصفين ، وهى استقلال الرأى وصدق القول وقوة الارادة
 والاخلاص في العمل وإيثار الحق على الهوى ، وتوجيه الهم والهمة إلى المصالح
 العامة ، وترجيحها عند التعارض على المنافع الخاصة ، بل لم نعلم عنه انه اشتغل في
 طور من أطوار حياته بالمنافع الخاصة ، وإنما فعل عنه انه بدأ حياته العملية منذ
 بلوغ الرشد بأفشاء (جريدة المنير) السرية التي كان يطلبها في حصص عطية الجلالتين
 ويوزعها في البلاد السورية سرّاً لخسمة جملة الأنجاد والترقى الأولى والسوى معها
 لا تقاذ الدولة من الادارة الحمديه المستبدة ، فعلاق بالسياسة من ذلك الحين وظل
 مشغولاً بها طول حياته

كان بيننا وبين هذا الصديق العزيز تشابه في النشأة والتربية ، ومشاكله في

الاستعداد والفرصة ، وتقارب الفكر والرأي ، تعارفنا به بالمكاتبة قبل اللقاء ، ثم كان بعد اللقاء كاللحبة والوداد ، لم يزد بالمعاشرة إلا ثباتاً ورسوخاً ، كان كل منا مهلاً إلى الاشتغال بالأصلاح الديني والاجتماعي وعلاقة ذلك بالسياسة لا تخفى ، ولكن تيسر لكل منا من أمر الاشتغال بالسياسة أو الأصلاح ما لم يتيسر للآخر ، إذ كانت هجرتنا إلى مصر وهجرته إلى الآستانة

وفي سنة ١٣١٥ التي أنشأنا فيها المنار كان هو محرراً في إدارة جريدة (معلومات) العربية في الآستانة ، وكان ما يكتبه فيها موافقاً لمشرب المنار ، ووقع بيننا ما يشبه المناقشة في المسائل الاصلاحية (راجع ص ٩٥٠ من الطبعة الثانية لمجلد المنار الاول) ثم نفثه أفكاره من الآستانة إلى وطنه ، وفي سنة ١٣١٩ كتب وهو في دمشق الشام تحت المراقبة السياسية رسائله الاصلاحية الثلاث (الفقه والتصوف) التي نشرناها ولها في المجلد الرابع من المنار ثم قرظنا فيه المجموع لما طبع على حديثه في مصر ، وقد كانت هذه الرسائل أشد مما كنا نكتبه في موضوعها نقداً على سعة الحربه هنا وشدة الضغط هناك ، فهاجت عليه حملة العمام في دمشق ، وأشد ما أنكروا عليه فيها القول بالاجتهاد وبطلان التقليد ، فبهجوا عليه الحكومة فاعتقله في الشام ثم أرسل إلى الآستانة ، ولم يكن سبب ذلك التشديد عليه ، والاعضاء عن انهموا بالقول بالاجتهاد وبطلان التقليد منه غيرة من الحكومة على الفقه والصوفية ان يوجه اليهما انتقاد ، ولا مجرد الارضاء لمصيبة الحشوية الجامدين في الشام ، وإنما سببه الباطن انه كان نشرف في المقطع مقالته في الخلافه بامضاء (ع. ز) وهو إمضاء الرمزى لاسكل ما كان ينشره بمصر ، وقد رجحت تلك المقالة معه عند القبض عليه وحاول تمزيقها . وقد أشار الاستاذ الامام إلى هذه الواقعة في فصل (الاسلام اليوم) من كتاب (الاسلام والنصرانية) وإننا نذكر عبارته هنا لما فيها من تأييد هذا الصديق الشهيد وهي :

ألم يسمع بأن رجلاً في بلاد اسلاميه غير البلاد المصريه كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه إلى ما ذهب إليه أئمة المسلمين كافة ، ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفيه وقال انه ليس مما لا تنفع به الاسلام بل قد يكون ماززى به ، أو ما يقرب من هذا ، وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبله ، فلما طبع مقاله في مصر تحت اسمه

هاج عليه حملة المأمم ، وسكنة الاثواب المباعب ، وقالوا إنه مرق من الدين ، أو جاء بالافك المبين ، ثم رفع أمره إلى الوالى فقبض عليه وأناه في السجن ، فرفع شكواه إلى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله إلى العاصمة ليثبت براءته بما علق عليه بين يدي عادل لا يجهور ، ومهيمن على الحق لا يحيف ، إلى آخر ما يقال فى الشكوى ، فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله ، فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ، ولم ينف عنه إلا بعد شهر ، مع أنه لم يقل إلا ما يتفق مع أصول الدين ، ولا ينكره الفارى والكاتب ، ولا الآكل والشارب ، اهـ أرسل الرجل إلى الاستانة فاعتقلته السلطة الحميدية هناك أشهراً ، بعد جعله تحت مراقبة الجواسيس زمناً ثم أرسل إلى بلدة (حصص) ليكون مقبلاً فيها تحت المراقبة لا يرحلها (ويسمى مثله فى عرف الدولة الرسمى «مأمور اقامة») فبقى فيها إلى أن فرّ إلى مصر سنة ١٣٢٤ وبقى فيها يشتغل بالتحرير فى المؤيد ثم فى الجريدة إلى أن أعلن الدستور سنة ١٣٢٧ فماد إلى سوريه فانخب مبعوثاً عن لواء حماه وكان من أمره فى المجلس وبده ما كان .

لو كان الزهراوى من طلاب المنافع الشخصية لأمكنه أن ينال منها فى عهد هيد الحميد ما نال من كانوا دونه من أرباب الافكار وحلة الاقلام الذين استألمهم السلطان هيد الحميد وأعوانه وغمروهم بالاموال والرتب وأوسمة الشرف ، ولم يكن جهاده القانونى للاستبداد الذى انقلب إلى جموية الاتحاد والترقى بعد الدستور بأضعف من جهاده للاستبداد الحميدى مع الجمعية فى إبان صلاحها ومع غير الجمعية أيضاً ، نصرها فى الأيام الاولى من عهد الدستور كانصرها قبله ، وجاهدتها بعد أن صار أمر الدولة كله فى يدها ، ولو كان من طلاب المنافع الشخصية لنال بمساعدة الجمعية منها ما كان يعلم أنه لا ينال بمعارضتها ، وما كنت أرى - وأنا لى لآستانة - أحداً من المعارضين للجمعية يرى قوتها فوق ما كانت عليه إلا الزهراوى ، كان من أشدهم معارضة الحزب الجمعية فى المجلس وفى جريدة الحضارة التى أسسها والآستانة ، على كونه من أشدهم انتفاعاً بقوة الخصم وبعداً عن الغرور بما كان يروى عن ضعفه ، فجملة القول فيه أنه بدأ حياته بخدمة الامم والدولة وثبت على ذلك طول حياته ، وإن جلي عمله كان مع جموية الاتحاد والترقى ، فهو بعد تلك المعارضه فى زمن المبعوثية

اعتقد أن الدولة صارت جسد الجمعية ؛ وأنه لا يوجد في الأمة حزب برجى أن ينتزها منها ، فلم يبق من طريق خدمة الدولة والأمة إلا طريقها ، وهذا الاعتقاد هو الذى حمله على قبول منصب الاعيان أخيراً كما سنبينه بالبرهان ، وكان جزاؤه من الجمعية التى أفنى حياته فى خدمتها أن قتلته شر قتلة ، وأبقت جثته مصلوبة فى الشام ١٢ ساعة ، ليعلم كل عربى يراها أو يسمع خبرها كيف تكون عاقبة العربى العالم المنكر ، والخطيب المؤثر ، والكاتب المحرر ، عند هؤلاء القوم الذين جعلوا من أصول سياستهم نحو العربيه من سورية والعراق ، وحم البداوة على عرب الجزيرة وإيقاع الشقاق الدائم بينهم إلى أن يبيد بعضهم بعضاً

كان قبول السيد الزهرراوى لمنصب الاعيان من الحكومة الاتحادية ، ثم الاستياء بجمهورية الطلاب الإصلاح ومحبي الإصلاح الإلهام العربية العثمانية وسبب السوء الظن فيه ، وكثير القول بأنه تمحول من سيرته التى كان عليها طول عمره فأثر منفعة الشخصية على مصالحة أمته العربية ، فتمحول ذلك الجمهور الذى كان ينوره به ويصفق له إلى الخوض فيه ولو كان هزل الجمهور يدرك كنه تلك الفضائل التى وصفناه بها بحق لما صدق أن مثله يتمحول بمد سن الحنين من عمره إلى ضد ما ثبت عليه من أول نشأته ، وما الذنب على العامة فى ذلك وإنما الذنب ذنب خواص الأذكاء والمتعلمين الذين سارعوا إلى الخوض فيه ففهمهم المصامه ، وكان يجب عليهم التروى والتنبت فى أمر هذا الحدث الجديد لهذا العامل المسقط هذر فيه واجتهاد أم لا ؟ ثم التنبت والتروى فى الظن بمثل هذا الرجل منهم إن ثبت لهم أنه مجرم سياسى متعمد ، لا يجتهد مصيب أو مخطئ ، فإنه أول نتائج الظن فى مثله — وقل ان يوجد مثله فى طهارة سيرته الشخصية والسياسية هى زوال ثقة الأمة من زعمائها بقياس أنزه الصادقين على أخس المنافقين ، وما أولئك الطاعنون إلا حاسد ينم من الزهرراوى ما يفتنى مثله لنفسه ، أو نفى ساء ظنه لسوء نيته وفعله ، أو غيور شهيد المصيبة ، قليل الروية ، يبادر إلى ارضاء حقيقته ، ولا يحسب حساباً لعاقبة قوله وعمله لم يكن الزهرراوى من أهل الأهواء الذين يحملون مصالحة الأمة والدولة قبحاً

للأغراض ، وعرضة للمواطن والاعتقاد ، بل كان يجب العمل المبني على القواعد
المقبولة والرائية المأولة ، فلما رأى أن الاتحاديين يحاولون إحاطة أغراضهم الضارة
بالأمة العربية وبوحدة عناصر الدولة - بقوة مجلس المبعوثين أحب أن يحاربهم
بسلحهم فكلم من المؤسسين للحزب الحر المعتدل ثم لحزب الحرية والائتلاف الذى
تكون من هذا الحزب الذى أكثر أفرادهم من العرب ، ومن حزب الاهالى الذى أكثر
أفراده من الترك ، وكان لزهراوى وكل الرئيس في هذا الحزب ، وقد ظفر هذا
الحزب بالاتحاديين فجذب اليه الجهم الغفير من مفكرهم وضباطهم ، ثم استقروا وزارتهم
واستبدل بها وزارة مختار باشا التى لم تكن هي ولا وزارة كامل باشا التى جاءت بعدها
ائتلافية ولا اتحادية ، وإنما كانت على كراهتهما لسيرة الاتحاديين ، غير متعصنين
بعروة الائتلافيين ، ولا واقفين لهم في كل شيء ، ولذلك مهل على الاتحاديين
استقاط وزارة كامل باشا ، وقد أخطأ الائتلافيون بعدم جعل الوزارة من حزبهم
وقعت حرب البلقان في أيام وزارة مختار باشا فأكسرت الدولة فيها وألغت
وزارة كامل باشا القيدارك أمر الدولة بالصلح ، وفي أثناء ذلك جاء الزهراوى مصر قاصداً
الذهاب الى الأستانة لقرب موعد فتح مجلس المبعوثين وقد أقتنعنا بأن لا يعجل
السفر الى بعضى من وقوع العن بالآستانة وقد وقع ما كنا نوقعه بهجوم الاتحاديين على
الباب العالى وقتلهم ناظر الحربية فيه واستقاطهم وزارة كامل باشا والقبض على أرملة
الحكومة ، ولكن صاحبنا كان يصر على السفر ، بظن ظنا كاد أو كان يسميه بقمنا
بأن الاتحاديين لا يثبتون أسبوعاً حتى تسقطهم الأمة وتستبدل بهم غيرهم ، فأقتنعنا بأن
يصبر حتى تصدق الألمان أنه أو تكذبه ، وما اقتنعنا إلا بادل الصدقة على أنه كان
يرجع من رأيه الى رأى صديقه هذا كما نص على ذلك في كتابه الآتى ، وإنما صرحت
بهذا لأنه من مقدمات الجهد التى أذكرها بعد نشر ذلك الكتاب .

وفي أثناء حرب البلقان تأسس حزب الاصرا كزبه بمصر ولم يدخل هو في
الحزب ، لأنه لم يكن ينوي الاقامة بمصر ، وإنما رشحه الحزب لرياسة المؤتمر العربى
لمكانته الطيبة والاجتماعية ، وموافقته للحزب في مقاصده الإصلاحية - فانتخب
رئيساً في باريس ، وعقد معه الاتحاديون ذلك الاتفاق المشهور

كان فى مدة إقامته فى باريس أيام المؤتمر وبمدها يكتب حزب اللامركزية ويعمل برأيه ، ولم يسافر إلى الآستانة إلا بعد إذنه ، فقد استشار الحزب فخير بين مصر والآستانة ، وكان هو يرجح الثانية والحزب يرجح الأولى ، وكان يكتب من الآستانة إلى رئيس الحزب كل ما يدور هناك فى مسألة إعطاء العرب حقوقهم من الإصلاح والوظائف ، ويكتب إلى صديقه (كاتب هذا) مثل ذلك ، وما وراء ذلك مما كان يكتبه من البعض أو من كل أحد كما يعلم من كتابه المطول الآتى .

كان من فضائل الزهراوى الشخصية التى تمتد هيروياً فى السياسيين أنه لحسن نيته وصفاء سريرته يبالغ فى حسن الظن بكل أحد يظهر له إرادة الخير والحق ، فلما نال له الاتحاديون أنهم يترفون بما كان من خطأهم فى تنفيذ العرب منهم وفى محاولتهم ترك جميع العناصر الثمانية وأنهم يرغبون فى إصلاح ما أفسدوا فى ذلك لتوقف تهديد قوة الدولة عليه - صدقهم فى ذلك لأنه معقول عنده ، وعهد توجبهم منصب الاعيان إليه على ما كان من شدة معارضته لهم برهاناً على صدقهم ، وصار يرى أنه ينبغى لطلاب الإصلاح المخلصين أن يمدوا أيديهم إليهم ويساعدوهم على الإصلاح ، وأنهم إذا أحجموا حل محلهم المنافقون وطلاب المنافع ، وكان - وفقاً مع صاحبه عبد الكريم الخطملى على ذهاب صاحب المنار ورفيق بك العظيم إلى الآستانة لهذا الفرض . أما أنا فكان يغلب على ظنى أن جملة من الأعيان أحبولة يريدون بها اصطفاة المخلصين من طلاب الإصلاح فى خارج المملكة ليفتسكوا بهم بعد جلبهم إليهم جملة واحدة ، وأن وجوده وحده هناك واق له ، وفيه فوائد منها أنه تجربة للاتحاديين وحجة عليهم

قبل منصب الاعيان بقلبك النية الصالحة من غير مشاركة للحزب ولا لأحد من أصدقائه ، وإنما أخبرنا بما كان وبنية فيه ، فلما على تمجده ، ولكن الحزب أجاز عمله ، واتفق الرأى على أن يعضى فى هذه التجربة ، وأن لا ينضم إليه أحد من المتيمين خارج المملكة ، وكان أول ما كتب إلى فى ذلك قوله من كتاب مؤرخ فى ٦ صفر سنة ١٣٢٢ (٦ يناير سنة ١٩١٤) ما نصه :

وأخوكم عمن بمون الله وعنايته عضو المجلس الاعيان فبشرونى بأنكم راضون

عن قبولي بها ، والله يشهد إنني إنما قبلت لاتمام العمل وتسلمون قلة الرجال عندنا
يا أخى ، يمترض بعض المسجلين فالامر في هذا متروك لى كمتكم و همتمكم . بل أرى
ان تقديم شكر للصدارة يكون مؤيداً لاتمام العمل ، ومن الله سبحانه التوفيق »

وقد كتب الى الحزب بنحو هذا فأجوب طلبه لان فرض الحزب الاصلاح
لا المشاغبة ولا عداوة الدولة ، ولكن لم يكن يحسن الظن بالأتصاديين أحد . وقد دار
بيننا وبين هذا الصديق في هذه المسألة وما يتعلق بها مكاتبات ومما قبلت لم تخل
من عدة مناقشات ، و اننى انشر الآن منها كتاباً مطولاً كعبه في ١٦ صفر سنة ١٣٣٢
وكتب في أعلاه « مكتوم كله من كل أحد » وهذا نصه بعد العنوان

﴿ كتاب سرى من السيد الزهراوي ﴾

سعدى الأخ الرشيد الولي الحليم الحميد

تحية من الله ومن أخيك ولا برحت المكرمات تحييك لقد هضم شوقى إليها
الأخ ومضت الايام وأنا أمنى النفس بقرب التلاقى وما زلت راجياً ذلك
يظهر يا عزيزى أن هتبك على تأخرى هنا هظلم عرفت هذا من كتابك
الى الاخ الاستاذ . . . ويظهر أن قطعت الكتاب عنى عمد ، استنبطت هذا
من طول مدة القطع ، وقد حملت هذا على كثرة عمالك التى أهرقها ، ثم تذكرت
ما أههد من وفرة نشاطك والحمد لله ، وأن كثرة عمالك مع تلك الوفرة من النشاط
لا تنفق في سبيل ما تهزم عليه ، فاستنتجت من هذا القياس - سبحانه الله - الى رأى
ابن حزم - أنك تعمدت عدم الدزم فى الكتابة أو هزمت على عدم الكتابة
وقد ظهرت هنا شائمة أن اللاصركزيين فى مصر مشتمزون من بقائى هنا ، وأنهم
قطعوا هلاقهم بى ومكالبتهم لى ، أنا لم أصدق هذه الشائمة وانما خشيت أن يكون
بعض الجوانب هناك بصرح نمة مثل هذه التصريحات وكدت أخشى أن يكون
. . . مثلاً قد شاهد شيئاً من تأففكم لتأخرى فبنى على مشاهدته كلاماً كعبه
الى بعض معارفه هنا فشطر ههنا وخمس

هذه كلها ظنون واستغفر الله تعالى منها ، وأرجوكم مسامحتى عليها ، ومن الشرح

يظهر لكم سر تقديمها بين يدي هذه التفاصيل المهمة التى جاء أوانها :

كنت قد فصلت لكم إذ جئت باريس كيف وجدت أمر مؤسسى فكرة المؤتمر فرضى وكيف تعبنا فى ستر الأمر وإيجاد المؤتمر مرونقا بتوفيق من الله تعالى فوق أنامل، وبعد انقضاء المؤتمر تفرق الجمع الذى لفق تلقىقا، ثم بعد قليل نفذ صبر البهيم تهين فذهبوا إلى بلادهم عن طريق استانبول، وبقيت يا عزيزى وحدى أمثل الفكرة، وبقي خليل زينية وأيوب ثابت وهما لم يرشفا من مشرب الجامعة العربية ولا نظرة واحدة، حتى ولا من الجامعة السورية، وإنما همها بيروت وحدها لا شريك لها ولكن لأنها مقلدان سايرانى وسابرتها وتوادينا جيداً حتى سفرى؛ ولم يكن مثل هذا الفواد ولا ربه بينهما وبين رفقتهم البيرونيين المسلمين

لو عجبت تلك الأيام ورجعت على الفور إلى مصر لبعيت المسألة مقطوعة بنراء، إذاً يكثر استهزاء الأفراد والجماعات والأقوام بأشخاصنا وبجماعتنا وقومنا، لكن الله سبحانه سلم من هذا، وأقدرنى على الصبر هناك ممثلاً لفكرة مدة خمسة أشهر - وما هى بالقليلة ولا بالكثيرة - ونمت المدة كانت، وقفت فيها على كثير، وعظم فيها اختبارى لأوربا، وما أخرجنا إلى مثل هذا الاختبار - جئت بعد ذلك إلى استانبول لأرى ما جد فيها لأن المعرفة بالقديم لا تنفى، والمعرفة عن بعد كثير من ما أخذها فهو صحيح، وما أضر العلم المبني على مأخذ غير صحيح

بعد وصولى بقليل عرفت كثيراً من الأحوال الحاضرة هنا، وبعد مدة أخرى عرفت أكثر وكدت أظننى اكتفيت وأحطت كل الأحاطة ولكن الآن تبين لى أنه لولا الصبر والقانى إلا أن مكنتى الفاطر سبحانه منهما لرجعت بمعرفة غير كافية ولذلك أصبحت لا أجسر أن أقول نمت إحاطتى وإنما أقول أصبحت يجوز لى أن أفصل وأشرح بشئ من الطمانينة، وإن تأخير هذا التفصيل والشرح كان أنفع وجاء اليوم فى وقته.

الشرح هنا بملق بثلاثة مواضع (أو موضوعات) (١) أوربا والعثمانية (٢) الاتحاديون وغيرهم (٣) رجال الإصلاح الحقوقي وأبناء العرب هنا وفى الجهات الأخرى. وإنى أبدأ لكم بالاول نقصر البحث فيه وأشفع بالثانى وأخرت الثالث لطوله وطولته اتوقف التفاهم وكثير من أعمالنا على الاحاطة بهذه الحقائق المشروحة فيها (أوربا والعثمانية) لقد كشفت أوربا آخر استقرار من ستر السياسة فى المسألة

العثمانية وقررت القداخل فى سائر شئونها وإنما لايزالون مختلفين بعض الاختلاف فى كيفية هذا القداخل وكميته وصورة توزيعه فيما بينهم ؛ وليس فى أوروبا اليوم موضوع مقدم على هذا الموضوع ، ولا يمتدى ثلاثة أشهر حتى تلامخض الليالى فقلد ذلك الشكل الجديد الذى يفتقون عليه ، والذى أظنه ان الدولة ستبقى بعد ذلك وتميش أحسن مما كانت هائشة لأن بعض القداخل طب ولست مغالياً إذا ذهبت إلى أن الموت أقرب إليها مع هدم القداخل البتة منه مع شئ من ذلك ، فانا إذا قلنا بدم القداخل البتة فحينئذ تخلق كل واحدة سبباً لانشاب الحرب عليها فتؤخذ بدهاء السكة دفعة واحدة .

الاتحاديون وغيرهم : الاتحاديون معروفون فمن غيرهم ؟ لا يوجد الآن حزب سياسى آخر إلا أن يكون خفياً ولم أشم شيئاً من هذا ، وحينئذ لا نجد مقابل الاتحاديين إلا جماعات الأجناس كجماعات الروم وجماعات الأرمن وجماعات العرب

فمرف أن الروم جماعات وللأرمن جماعات فهل للعرب مثل هذا ؟ هلم ننظر : أولاً - الروم كلهم جماعة واحدة برأسهم البطرك ولكلها يستبد ربطوه بمجلىين روحانى وجسمانى ، وهكذا الأرمن ، أما العرب فليس لهم مثل ذلك وثانها الروم والأرمن لهم جماعات سياسية منظمة مرتبة غنية وليس للعرب مثل ذلك ، اللهم إلا جماعتنا فى مصر وجماعتنا فى بيروت ، إذن غير الاتحاديين هم الروم والأرمن وجماعتنا فى مصر وجماعتنا فى بيروت .

فالاتحاديون هم أولياء الأمر مباشرة وهم اليوم يتسلحون بمزائم شديدة ماضية وناوون نية قاطمة أن يجددوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف ، ويشتهون أن يخلص اليهم العرب ويساعدوهم فضلاً عن فى هذا السبيل ، ويعترفون بنقصاتهم الماضية وينوون أن لا يعودوا إلى مثلها بقدر الامكان ، أنا مؤمن بنيتهم وأقولهم هذه كل الايمان لأدلة كثيرة ظهرت لى ، والسكنى مراقب من جهة قابليتهم لتطبيق العمل على النية ، وعلى كل حال أرى أن عدم تركهم وحدهم خير من تركهم ، ويرجى به أن تقوى قابليتهم ، فان شئتم أن نخططون بتحسين الظان إلى هذه الدرجة - كما أشرتم إلى ذلك فى كتاب ... فاني لا أخطئكم بالتخطيط لأنى أجمل رأيكم أكثر

من رأيي ، وإنما أرجو أن يكون في خطأي شيء من البركة ، أرجو ذلك من مصداق قوله سبحانه « فمسي أن تذكرها شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » . هذا وصف الاتحاديين بما هم عليه اليوم . أما الروم فقد قلوا في المملكة وقصارهم أن يحافظوا على ما بيدهم من امتيازات البطريركية وحق المبعوثية وسبق الالتماس إليهم ، وأما الأرمن فهم اليوم آلة بيد روسية وسينتم لهم في المبعوثية حظ قريب مما يأملون ، وأما نحن معشر العرب فإن أخاكم الآن يعتبر ممثلا لجماعتنا وقد فعلت ما تم لي يدي في الكتاب الذي أرسلته إلى الأخ الرفيق في البريد الماضي وههنا سأزيد

(٢) رجال الإصلاح الحقيقي وأبناء العرب هنا وفي الجهات الأخرى :

ما أظنكم - استغفر الله - ما أعتقد أنكم في حاجة إلى بيان أن رجال الإصلاح الحقيقيين غير كثيرين ، وما أعتقد أنكم تعرفون منهم أكثر من ثلاثة أربعة ، أعني رجال الإصلاح الحقيقيين من جموع في موضوع الإصلاح بين صدق النظر وصدق العمل ، من كثرت تجارتهم ومرت رويتهم وصحت عزيمتهم وشهد ماضيمهم من كثر اختلاطهم بمختلف الطبقات ، ووقوفهم على متباين النزعات ، وصبرهم على متنوع العقبات ، من امتزجت روحهم بحب النظام الذي يحبه الله وكره الفساد الذي يكرهه الله ، وامتزجت سيرتهم بأخبار مما مع الجهاد الإصلاحي . من اشربت أفكارهم فهم معنى الرابطة وأفقدتهم محبتها وتمسكها ، فاجن لقله هؤلاء واقعون أمام حاجتين عظيمين - الحاجة إلى تكثيرهم ، والحاجة إلى اشتغال هؤلاء مع من ليس من جنسهم وطبيعتهم . ثم نحن مع قلوبهم وصعوبة اشتغالهم مع غيرهم أمام مشكلتين عظيمين ، الأول السبات الذي الأمة فيه والثاني الجسم الذي أوربا فيه أتوك تفصيل هذا الأجمال لحكمكم وحسبناهي في كل موضوع ، وأخذ الآن بحكاية حال أبناء العرب هنا لأنكم علقتم الأمل مرارا على صنف منهم ههنا

العرب هنا ثلاثة أصناف : متاجرون ومنتحلون ومأمورون ، فالصنف الأول لافي الغير ولا في النكير من جهة السياسة والإصلاح ، ثم هو في غاية القلة ، والصنف الثاني أولاد في ناشئة العمر لا يلقون للسياسة ولا تليق لهم ، والصنف الثالث أربعة

أقسام الضباط والمأمورون المنصوبون في بعض الوظائف والمأمورون المتقاعدون المقيمون هنا والمأمورون المعزولون الذين جاءوا لينصبوا :

فأما الضباط فلا تجربة لهم في هذه المسالك البتة والاولى عدم دخولهم فيها فان هذه التجربة القليلة التي ساقصها الان زهدتني في كل سياسة يشترك فيها الضباط منا: ذلك أن ... ناظم اليوم على الحكومة فيشتهى لاجل هذا عزة الدولة ونسبها نسفاً، وهو لاجل ذلك ناظم على ائتلافنا مع الحكومة ومضاده لانه على زعمه يؤخر حركات العرب، ولا أدري ما هي حركات العرب وأين تسير وأين ترسى وهذا يجتهد أن يجمع حوله بعض أولئك الاولاد وينفهم منا ومن صديقنا ولكن لا ينجح بحوله تعالى، ومن جهة أخرى هو يحافظ على ظاهر الصداقة بيننا، وقد أردت اختباره فوجدته ينجح إلى مصالحة أولياء الأمور وحينئذ يرضى من كل شيء فانظر يا عزيزي إلى الذين يمدون أنفسهم في مصاف رجالنا .

أما المأمورون المتقاعدون فتعلم كمثل العجائز لا يرضين شيء ولا يستطعن عمل شيء .. وأما المأمورون المنصوبون فلا هم لهم الا حفظ المنصب

وأما طلاب المأموريات فخياع مساكين لا يفهمون من الاصلاح المأمورية، إن جاءت فقد جاء الاصلاح وإن لم تجيء فقد منع الاصلاح ومن هذا التفصيل يظهر لك أن العاصمة في حالتها الحاضرة ليس فيها أبناء عرب تستطيع جهاتنا أن تعتمد على أحد منهم، أو أن تعمل صلة وراصلة مع أحد منهم، اللهم الا أن يكون (فلان وفلان) وكل ما أخبركم منه (فلان) فهو مراب ببيعة جاءه أخوكم الظمان فلم يجده شيئاً . وبعض أولئك الاولاد يحسدون الشاب عبد الكريم وبعضهم لم يتمكن من انالهم أربا لا يبرهم أو أخيههم أو ابن مهمهم مثلاً، فن هنا أكثروا عليه من قيل وقال وكله هراء وهواء

وأما العرب في الجهات الأخرى فهم أهل سورية وأهل العراق وأهل الجزيرة الخالص والسوريون والعراقيون حضرة قد ألفوا الذل وتعودوا الاستخذاء والاستكانة لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا، لا يساعدون ولا ينوون أن يساعدوا، الا يهبون ولا يروق لهم أن يوقظوا . وأما أهل الجزيرة الخالص فهم الاهل وفاهم الله الخبير

١٨٠ طلب الزهراوى تمضيدها له فى امامته بالاسقانة (المنار: ج ٣ ص ١٩)

وشد سواهم، أولئك بحسب وصل الرابطة بهم من غير أن نقطعها من الحضر على قلة
فنائهم . وقد فهمت من كهاب الأخ (فلان) كثيرا واستنبطت كثيرا ولو كان فى وسع
البشر أن تنوزع أرواحهم على أمكنة متعددة لكانت روى أوزاعا على اليمن وهسهه
والخجاز ونجد وحضرموت ولكن نظرية الصوفية فى هذا الباب لا يمكن تطبيقةا (١)
أنظر يا عزيزى أنا لازم لك كما تشير ولازم الى هنا فان هنا محل عمل ليس
بقليل ، فاني أوجب أن يكثر بوجدى هنا عدد رجالنا الذين يعتمد عليهم فان رضيت
من هذا الرأى فملكك عملان ممكنان وعمل يمشى مع الزمان وأنا ملك فيه على
بد المقت ، فالأول من المجولين تبشيري بغيراف من رضائك خاصة وهو الالم ،
ورضاء الرفاق عامة وهو مهم ، والثانى منهما ملك الرفاق على تقديم نافرار للصدارة
يحبذون فيه هذا التعميم ويجعلونه دليل إقدامهم على تنفيذ الرغائب كلها بعبارة
رقيقة تشويقية ، أما الثالث فهو ما بيننا من أصا إيجاد الرجال الذين يعتمد عليهم
ونوز بهم بقدر ما يساعد الزمان والمكان لبث الاصلاح العلمى والعملى
وإن لم ترض عن هذا الرأى فاكعب الى مفصلا ومبيننا كل جهة من جهات
الموضوع ، وأنا من عهدت من بدع رأيه أنيرا الى رأى وليه . . .

هذه هى الخلاصة المفصلة وإليك خلاصة الخلاصة ، وهى أن المأس لا يجوز
بها من الاحوال ، ولكن الأمة فى كل أطرافها ليست بحالة يعتمد عليها فى شيء
وأنه مع هذا لا يجوز اهمالها ، وكذا لا يجوز اهمال من يهدم أصا المملكة وتركهم
وعدم ، وأنه لابد لنا من رجال ههنا ، وأن أكثر ما يقصر به الرواة من الاخبار
فهم صريح ، وإنى منتظر أصكم بسرعة ، وأن شوقى عظيم

والسلام على الأخ السيد صالح وجميع المعارف سلم الله تعالى الجميع ؟

هبد الحميد الزهراوى

(١) كنت كتبت الى الأخ الذى أشار اليه ثم اليه هو أن عرب الجزيرة هم صفوة
العرب وأهمهم استمداداً فان كان هناك اصلاح عربى فيجب أن يكون لهم حظ منه ، وأن
نعنى بشأنهم أكثر من غيرهم

(المنار) من هذا الكتاب وكتب أخرى عنه يعلم رأى الرجل الذى يتى عليه
استهاديه ، ومنه أنه مؤمن بحسن نية الاتحاديين ، وتنبهم الاتفاق مع العرب ، وبهذا
كان يحاول إقناعنا ، ولم يكن يخفى هذا على الاتحاديين ، ولذلك نجزم بأنهم قالوا لأنه
من أنجب نجباء العرب لا لذنوب آخر (والله عزير ذو انتقام)

وإنما نشرت هذا الكتاب السرى من كتبه بنصه فلم أحذف منه إلا أسماء
الأحياء ليكون حجة على فريقين من الناس - فريق الذين قد يظنون أن
الاتحاديين ما قتلوا مثل هذا السيد الجليل بعد أن رفعوه إلى مقام الأعيان إلا
لأنهم هو قوا له ذنباً كبيراً كأنه يائنه للدولة أو لأجتماعه المتصرفه فى الدولة . وفريق
الذين ظنوا أنه خان قومه العرب بتركه الدفاع عن حقوقهم بمنصب الأعيان الذى
رشاه به الاتحاديون ، وإنما يتم ظهور هذه الحجة ، ببيان ما كان بينى وبين هذا
الصديق الصدوق من الصلة والرابطة

يرى قارىء كتابه أنه قال لى فيه عن نفسه « وأنا من ههنا من يدع رأيه
أخيراً إلى رأى وليه » وقد أشرت إلى هذه الكلمة فى المقدمة التى قدمتها على هذا
الكتاب وأقول إنه يبنى بهذا اتنى إذا حتمت بمد المناقشة منه فى الموضوع وجوب
ترك المنصب الأعيان واشتغاله بعمل آخر فى غير الاستقانة فانه يقبل ذلك .

وقد كانت طريقتنا فيما يختلف رأينا فيه أن يدلى كل منا بحجته ، فن نهضت
منا بحجته قبلها الآخر ، فإذا لم ترجح إحدى الحجتين وكانت المسألة مما يترتب عليها
عمل يرجع هو فى العمل إلى رأى أخيه . ويدل على مكانة هذا الاخ عنده جملة
ورضاه عنه فى هذا الامر أهم من رضاه الحزب الذى كان سبب ذلك ، وهو صادق
فى قوله هذا وقوله ذاك لا ريب عندى فى صدقه ، وما قلت هذا فى بيان كلمته إلا
ليعلم المطالع عليه أن الرجل لو كان يكذب ويخدع لم يكن يكذب على ولا يخدعنى ،
ولو كان يفعل ذلك لماول إرضائى بأنه يمايل الاتحاديين بمثل ما يمايلوننا به من
التخليه السياسيه ليستفيد منهم فى طور ضعفهم وحاجتهم إلى استرضاء العرب بعض
اللقوى ، وما كان يكذب إلى - وهو متفقد اتنى ساخط عليه ، ومعه نرك
الكتاب اليوم - انه مؤمن بحسن نية الاتحاديين وصدقهم فى هذه المرة ، ولكنه كتب

هذا وهو يعلم أننى أعدده مذاجة منه وغلوأ فى حسن الظن
وأزبد على هذا اننى عاتبته على بعض ما جاء فى هذا الكتاب وفيه عتبا ثمة
جاءت فيه كلمة جارحة فكسب إلى رقة أودعها كتابا لا قال فيها مانصه :
« كلمات بيننا »

« فى كتابكم الاول كلمة لا أكنم عنكم أنها كسرت قلبي ، إذ لو كنتم هذا
لكان خيانة للاخاء النظيف الصافي ، ذلك أنكم بنيت على نظرية إغراقى بحسن الظن
بالقوم أن هواء الاستعانة طمس على عقلى وقلبي
وأخوكم بإعزى قد عرفتموه بعد أن كان عاش فى هذا البلد سنين ، وعرفتموه
فى الاستعانة نفسها ، فلولا ذلك لرجعت الى نفسى لأرى تغافل أثر البوسفور فيها
« ولكن كما لم أكنتم هذه الحقيقة أتحدث أمامكم بما من الله تعالى به من حل
حديثكم للعلمية هذه على ما يشبهها من حديثكم الانسانية التى نأفس بها أنفسنا بحكمكم
الذى هو أغلب وأصدق دلالة على كرم قلبكم . على اننى أؤكد بشرفكم أن انكسار
القلب الذى أشرت اليه كان آنيا . وأعقبه تذكر حقيقةكم العالية . أما تأخير كتبنا
فقد كان عاماً حتى شمل الوالد ، فلا نحموه على ذلك السبب ولكن أبى كرمكم إلا
يطالب القلب فأخصكم بشكر على هذا ، اهـ

فمن كان بينهما مثل هذه الحرية فى الخطاب والعقاب لا يقش أحدهما الآخر
لو كان من دأبهما النفس . وأحمد الله تعالى اننى لم أبطل بهذه الرذيلة ، واننى أبرئ
منها صديقى الشهيد السعيد كما أبرئ نفسى .

هذا واننى لم أكنف بما دار بينى وبينه قدس الله روحه من المكاتبات فى هذه
المسألة بل دهوته إلى زيارتنا بمصر فأجاب ، وكنتم أهدد معه مجلسين لمدة ثمة فى
كل يوم وإملة : مجلساً قبل النوم ومجلساً فى الصباح . فرأيت بعد ذلك كله معتقداً
أن الاتحاديين هازنون على إرضاء العرب ، وأنه يجب مسابقة العقلاء منا لهم على
ذلك ، واننا ننال بهذا من الحقوق ما لا يرجى أن نناله بالسعى مع مجاهدين

وقد وافقته على بقاءه فى منصب الاعيان والاسمرار على هذا السعى لانه إما

أن ينفذ وإما أن لا يضر

المشانق في سورية - شفق الزهراوي

جاء في جريدة الإهرام تحت هذا العنوان مانصه :

تلقت الممنوعات التي يوثق بروايتها أن السيد عبد الحميد الزهراوي حوكم في دمشق أمام المجلس العسكري فحكم عليه بالموت شنقا فشنق . ولربما خفف من لوعة الألم عليه شفق من تقدموه من عطاء الأمة السورية وأمراء المسلمين على وجه الخصوص كالأمير عمر الجزائري ابن الأمير عبد القادر وشفق بك المؤيد من أكبر رجال سورية ورشدي بك الشمة من صفوة أعيانها وشكري بك المولى وعبد الوهاب بك ومحمد الحمصاني وسليم بك الجزائري وعبد الغنى المريسي الخ ولكن الزهراوي كان يمثل طائفة خاصة وفكرة نابذة وحياة جديدة تتراوح بين طائفة علماء الدين الاسلامي وغيرها من الطوائف الراقية، والبحث في شؤون طائفة الزهراوي في سورية وبلاد العرب من المباحث الخطيرة الجليلة التي تبين الصلة بين الماضي والحاضر والقديم والحديث ، بل تظهر التدرج الذي كان ينقصر على يد أولئك الذين أزهقت الحبال أرواحهم ، وأودت بعمالهم وعلمهم ، وأما نت غرسهم قبل أن ينبت ويما نبت منه قبل أن يزهر ويثمر

فالمسلمون في سوريا تأخروا عن إخوانهم النصارى واليهود والدروز في طلب العلم . لأن القدماء من أكابرهم وأغنيائهم كانوا يعتقدون أن طلب العلم إنما يراد لطلب الرزق ، والوجيه الكبير المتوافر رزقه كان يمد من المار هلى أبناءه أن يطلبوا العلم للارتزاق « من شق القمصية » وضاعف في ذلك أن المدارس كلها كانت فصرانية ، إما للأجانب وإما للمسيحيين الذين تأدبوا بأداب الأوروبيين فخذوا حذوهم وساروا في العلم سيرتهم . وقد نقيت هذه الفكرة تشجيعا من الحكومة بل ربما غرست الحكومة نفسها هذه الفكرة في الصدور حتى يظل المسلمون على حالهم فلا يطالبون إصلاحا ولا يطالبون بحق ، وليس لهم مسيحيين وسواهم ممن يعملون تأثير أو نفوذ لأنهم الأقلية ، ولهذا السبب لم يتمتع أحد من أبناء مسلمي سورية بذلك الانعام الذي أنعم به إبراهيم باشا بن محمد علي باشا على لبنان وسورية بأن يعلم طائفة

منهم في مدارس مصر العالية ، وانحصرت تلك النعمة حتى هدد الاحتلال بأبناء
المسيحيين السوريين وحدم

وظلت الحال على هذا المنوال ولا مدارس ولا مكاتب للمسلمين في سورية
حتى ان دخل أوقاف المدارس والمكاتب فيها كان يجبي للأسفانه إلى أن زاد
احكامك القوم بالأوربيين ورأوا بأهمهم ومسوا بأيديهم فائدة التعليم فطلبوه لا ينالهم
إما في مدارس الأجانب في بلادهم ، وإما في مدارس الأسفانه ، حتى ان بعض طلبة
العلوم الدينية سبوا إلى ذلك سوام أو ماشوم في هذا السبيل ولكن على غير رغبة
الحكومة وإرادتها ، فكانت تسبغ النعم على من يندم العلم وهذه الأجانب كالشيخ
النهباني الشهير بدم مدارس النصارى .

ومن هؤلاء الطلبة الدينيين السيد عبد الحميد الزهراوي من أشرف حص
وسلالة بيوتهما الكبيرة . بدأ علمه في بلده وأتمه في الأسفانه ، وتعلم هناك من
السطاء الترك الاهتمام بالشؤون السياسية والاجتماعية ، فكان أول ظهوره برسالة
ألقها في المعتقد الديني لم ترق في هيون مشايخ الطرق ، فسموا به إلى السلطان عبد
الحميد حتى نفاه وأقصاه إلى دمشق^(١) ولكن الوسطاء توسعوا له - وكان الظلم
في ذلك العهد يدفع بالوساطة خلافا لما نراه اليوم - فتركه حراً ، وأطلقه من كل
يحد ، فعاد السيد الزهراوي إلى الأسفانه واشترك بالمظاهرة الودية التي قام بها فريق
من العلماء والكتاب أمام السفارة الانكليزية بعد انقصار الانكليز على البوير
في الترغفال فلم يغفر له ولرفاقه السلطان عبد الحميد تلك المظاهرة لالانهم هناؤا
انكليزاً بنصرها ، بل لالانهم مثلوا الامة العثمانية والشعب ولم يكن يغضبه أمر كذا
الامر ، حتى أن رقباء الصحف والمطبوعات (المكتوبجية) حذفوا من قوائمها كلمة
كلمة (وطن) و (شعب) و (أمة) و (جمهور) الخ وما شاكل ذلك من الانقضاء ،
فصور السلطان على أولئك المتظاهرين مدة ثم فرق شملهم وأرسل كل واحد منهم
إلى جهة إلى أن تمكن السوء الزهراوي من الفرار إلى مصر كما فر قبله السوء عبد
الرحمن الكواكبي وكل حر في تلك البلاد من عربي وتركى وغيرهم

وبما تاز الزهراوى وأمثاله من رجال الدين المصلحين على سواهم من المصلحين أنهم خير صفة بين طوائف الشعب وفرقة فهم يحذرون العقائد المقدسة لكل طائفة وهم في الوقت ذاته يؤيدون المصلحين في اصلاحهم، فقد كانت طائفة الاممالية في سورية وهم المشور والندور وترسلها الى أغان خان في الهندلان معقد هاومندها يقضى عليها بذلك، فحدث بعد إعلان الدستور ان هذه الطائفة الصغيرة جمعت ما تبلغ قيمته نحو عشرة آلاف ليرة فصادرتها الحكومة ولكن السيد الزهراوى الذى كان يومئذ من أعضاء مجلس النواب انتصر لتلك الطائفة وقاوم الحكومة وجاهد في هذا السبيل حتى قرر مجلس النواب أن تنفق تلك الاموال في تعليم تلك الطائفة ولا تصدر خزانة الحكومة كما فعلت وزارة الداخلية ولكن القرار لم يعجوز الورق وكان السيد الزهراوى يقول باتحاد الطوائف العربية بمامل الله والمنفعة والاصل والسلافة فأنشأ جريدة الحضارة لهذا الغرض، وكان من محررى جريدته رزق افندى سلام الذى شفق في دمشق وهو فقي من حصن كان قد رهب ولكنه خلع ثوب الرهبنة وسار الى آثار موطنه بحة ووجد الاثنان كلتهما في هذا السبيل فكانهما جملساين دينيين على دعوة واحدة وطنية وكان الزهراوى ككرا أدب في بلاده اتحاديا بمقتضى مذهب الاتحاديين الاولين الذين نالوا الدستور « للاتحاد والتمزيق والتمساح » ولكن لما ذهب أولئك الاتحاديون الأولون ومزق شملهم وخولقت مبادئهم ومذاهبهم اتفق مع الطوافة شكرى أفندى الذى توفي في مصر منذ عهد قريب على تأليف حزب الاهالى، ثم ضمت الفرق كلها وألفت منها حزب الائتلاف على قواعد ومذاهب فرقة الاتحاد والتمزيق كما كانت هي عهد زمامة سادق بك واخوانه وأقرانه، إلى أن فشلوا في مهمتهم، فوجه نظره لشطر العرب حيث لا أحزاب ولا فرق بل مطالب اصلاحية فاهدتها انتفاع البلاد بما يحبب منها من الضرائب وياوقافها، فرأس المؤثر العربى الذى هقد في باريس - لانه لم يسمع لهم بقصد في بلاد الدولة - وهناك كتب الوثيقة المشهورة مع مندوبى الاتحاديين وعاد الى الاسكندرية مع رسول الاتحاديين هبة الكريم قاسم الخليل الذى كان أول المشوقين في سوريا والهادى الذى تلامه والشيخ أحمد طباره الذى حكم عليه بالاعدام، فبين الزهراوى

في مجلس الألمان إلى أن شنق

وبما امتاز به هؤلاء جميعا شدة عصبونهم المربية ، وشدة عصبونهم الجفيفية
العثمانية ، حتى كان الزهراوى يقول عند ذكر مطمع دولة من الدول في أملاك
الدولة العثمانية « ان هذا ينال منا بعد أن نزهق أرواحنا » وله في ذلك مناقشات
شديدة مع أصدق أصدقائه (الصواب مع بعض معارفه لا أصدق أصدقائه)

نقول هذا لأننا بينما للشهد الزهراوى بل بياناً للحقيقة عن تلك البلاد وأهلها
ويقول زعمائها الذين ذهبوا جملة لا لجريرة إلا أنهم طلبوا إصلاحاً يقيم البلاد واتقاء
مطامع الطامعين في أرضهم وبلادهم ، حتى أن الشيخ أحمد طباره لما عاد من أوروبا
غير متبرج سوانسه وبعد أن كان يتمنى لذكر المدينة الأوربية أخذ يكتب ويبحث
أمنه على الانتباس من محاسنها فكان يكرر قوله : « إنا لا نقدر بلادنا ووطننا إلا
بالسهر على مناهجهم » تلك طائفة ذهبت اليوم واكن هذه الطائفة مذاهب ومبادئه
إذا بقي قومها وعشيرتها من يحبها ويعمل بها قد تكون نتيجةها خيراً وإلا فقد ذهبت
الرؤوس وبقي القوم كالقطيع من الأغنام بدون راع تساق فتسحق إلى حيث يراد منها
لا إلى حيث تريد لأنها بعد قطع رؤوسها باتت بلا إرادة

(المنار)

هذا ما نشر في جريدة الأهرام عند وصول نبأ شنق السيد الزهراوى إلى مصر
وفي بعضه نظر أو إبهام ، تختلف فيه الافهام ، وقد رأينا من حق صديقنا رفيق
رزق سلوم الذى ذكرته الأهرام في كلامها عن السيد الزهراوى أن تقول في
نشأته كلمة وجيزة تحفظ في تاريخه ويظهر بها سبب شفته وشنق جورج الحداد من
شبان نصارى سوريه مع من شنق من زعماء المسلمين ونايغهم بنهمة السياسة المربية

﴿ رفيق رزق سلوم المحامى ﴾

نبت هذا الفتى في بيت من أكرم بيوت الروم الأرثوذكس في حصص وتلقى
التعليم الابتدائى في إحدى مدارس الطائفة فيها ، ثم أرسل إلى دير البلمند بالكورة
(لبنان) فألبس لباس خدمة الدين ودخل مدرسة الدير الدينيّة ولكنه لم يخلق

مستعداً للرهبانية والخدمة الكنيسية ؛ وإنما خاق كبير الاستعداد لحماية الاجتماعيه
السياسية ، فلم يتم مدة المدرسة بل خرج منها ودخل المدرسة الكاوية الأمريكية في
بيروت ، ثم سافر إلى الآستانه بعد الاقلاب العثماني فدخل أحد مدارسها الإعدادية
ثم مدرسة الحقوق وقد أخذ الشهادة الدراسة منها واختار أن يكون محامياً

كان رفيق مريدا وتلميذا الزهراوي في أفكاره الاجتماعيه ، عاشره فلم منه
وهو أنبغ رجل من أشرف بيت ف ، حص أن في مسلمي البلاد فئة تسعى للإصلاح
الوطني سعيها لاشائبة فيه للمصبيات والاحقاد الدينيه ، ولما جاء الاستانة بمساعدة
الزهراوي رأى جميع طلبة المدارس الرسمية العاليه وكاهم من المسلمين على هذا
المشرب الذي شرب كأسه الأولى من يد الزهراوي فانتظم في ذلك أعضاء المنقدي
الأدبي وانعخب وكهلاً للرئيس فيه ، وكان حظه من اللغة العربية أوفر من حظوظ
جمهور إخوانه أعضاء المنقدي الذين لم يتعلموا شيئاً في غير مدارس الدولة ، فكان
خطوباً مفوهاً وشاعراً مؤثراً ، ورغبه السيد الزهراوي في الكتابة إنشاءً وترجمة
وكان يصصح له ما ينشره في جريدة الحضارة فحسنت كتابته

تمكنت النزعة العربية من نفس هذا الشاب المذهب بما كان يسقى غرسها في نفسه
بما كان يسمعه من كلام مدرسي الترك وطلابهم في مدارس العاصمة من الحث على
المصبيه التركيه ، وما يقولون في العرب والعربية ، وما كان يقرأه في جرائدهم وكتبهم ؛
وما يقف عليه من أخبار جمعياتهم ، فكان يقابل غلو متهمبي الترك بمجنون بيزخان
وهلاكو خان المفسدين الذين دمروا المدنية العربية الاسلاميه بنظم التصائد في مدح
النبي العربي الأعظم ﷺ وإنشادها في احتفال المولد النبوي الشريف في المنقدي
الأدبي ، فهذا هو السبب الحامل لجمال باشا السفاك الانحدادي على شفق رفوق رزق
سلموم مع السيد الزهراوي وإخوانه وأخذانه من مصاحبي العرب ، ولا نعلم له ذنباً
إلا هذا ، فإنه قضى حياته السياسية كلها في الآستانه ، وكان على رأى أستاذه الزهراوي
في وجوب السعي إلى ترقى العرب في حجر الدولة العثمانية . وكان جورج حداد على
هذا المشرب أيضاً . ولكنه كان من أعضاء حزب اللاه كزوية ، وكفى بذلك ذنباً
هذه جهال باشا يقتضي القتل والعقاب

البلاغ الانكليزي الى سبي في شأن العرب والسلطة الاسلامية

أرسل قلم المطبوعات البلاغ الآتي الى الجرائد في القطر المصري

مصر في ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦

نشر في لندن اليوم البلاغ التالي :

« منذ سنين والعرب المندوبون بسوء الحكم التركي ينتظرون اليوم الذي يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة وقد قاموا في الماضي بثورات عديدة ضد الاستبداد التركي في البلاد العربية

« وقد أدى سوء تصرف الحكومة الحالية في الآستانه وخضوعها التام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة في حرب مشؤومة أوصلت الاحوال فيها الى حد النهاية ، فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء في البلاد العربية أن الاوان قد آن لخلع النير التركي من أعناقهم والمناداة باستقلالهم

« وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائما على العرب في أمانيهم ولكن صداقتها التقليدية لتركيا اضطررتها في الماضي الى البقاء على الحياد . أما الآن وقد انضمت تركيا الى صف الدول الوسطى فقد أصبحت بريطانيا العظمى حرة في اظهار عطفها على أولئك العرب الذين انخرطوا في جانب الحلفاء ضد العدو المشترك

« على أن بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها الثابتة في الابتعاد عن أية مداخل في الشؤون الدينية ، وعلى بذل جهدها في بقاء الاماكن المقدسة أمينة من كل طارئ خارجي

« ومن النقط التي لا تقبل التغيير والتبديل في سياسة بريطانيا العظمى

هو أن تبقى هذه الاماكن المقدسة في أيدي حكومة اسلامية مستقلة
« ولا ينبغي ان أحوال الحرب الحاضرة تخلق العقبات الكثيرة والاضطراب في سبيل الراغبين في القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذي قام به شريف مكة يجعل

الامل كبيراً في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن الحجاج في المستقبل من زيارة الاراضي المقدسة بسلام واطمئنان، اهـ

(المنار) قد أجمعنا العاصمة البريطانية هذه أصوات في المسألة العربية والبلاد الاسلامية المقدسة كان أولها برقية لروزر يؤكد فيها أن انكثرة لا تتوى أن تأخذ شيئاً من بلاد العرب، ولا تسمح لأحد بالاعتداء على شيء من البلاد الاسلامية المقدسة. ثم دار في هذا المعنى وفي مسألة الخلافة كلام كثير بين أعضاء مجلس الاعوان والنواب، ولكن لم يكن شيء من ذلك بلاغا رسمياً في معنى قطعي يوثق بعدم الرجوع عنه كالبلاغ الذي نشرناه اليوم دون جمع ماسبقه مما هو جدير بأن يحفظ أيضاً وإن لم يبلغ درجة هذا البلاغ في الاعتبار

في هذا البلاغ تصریح قلنا يصدر من دولة، وهو قد صدر عن أدنى الدول في تحرير العبارات الرسمية وجعلها مقيدة لغيرها بقيود قلما يستطيع العقل متها مع بقائها هي في عالم الاطلاق. ألا وهو التصريح بأن من أصول السياسة البريطانية التي لا قبل التغيير والتبديل بقاء الاماكن الاسلامية المقدسة في يد حكومة إسلامية مسقطة. ومعنى كون هذا لا يقبل التغيير والتبديل أنه متفق عليه من جميع أحزاب الامة لا أنه رأي الحكومة الحاضرة، أو حزبها - حزب الاحرار - وحده فيكون عرضة للرجوع عنه بتغير الوزارة أو تحولها إلى حزب المحافظين. وبهذا التغيير يظهر غلط الذين قالوا إنه لا يوجد في السياسة شيء لا يقبل التغيير والتبديل، فيكون هذا النص لنوا لا معنى له حتى نشر به. وقول هؤلاء حسناً أنه لا تغيير ولا يتبدل إلا بتغير رأي الامة الانكليزية كلها وهي أثبتت الامم وأبطالها جميعاً ونحوها في كل شيء.

على أن أم ما في هذا التصريح فهو لا نص، وأهني بضمه اعتراف الدولة البريطانية باستقلال الدولة الاسلامية التي تستولى على هذه البلاد إذ زالت سيادة الدولة العثمانية عنها بما ينشئ أن يحل بها من قدر الله تعالى، فهو يتناول مسألة السلطة الاسلامية في هذه الحالة وهي أم ما بهم جميع مسلمي الارض، وسنكتب فيها مثالا نبين فيه ما يسمح لنا الوقت ببيانته إن شاء الله تعالى

الانتقاد على المنار

سيدى الأستاذ محرو « المنار »

اطلعت على دعويتكم الى نقد « المنار » وعلى فائحة المجلد التاسع عشر فلم يسعنى إلا تحرير هذا الكتاب لفصيلتكم ورائدى الاخلاص وتضيد ما ينفع الناس .

فأما من نقد « المنار » فحسبى أن أقول إن المجلة التى كادت تبلغ ربع قرن من حياتها لا بد وأن تكون قد جمعت من أسباب الحياة ما فيه الكفاية وإن ما ألم بها أخيراً من العسر المالى الذى يرجع بعضه إلى أزمة الحرب ليس فيه مجرد مرض عاوى إذا عولج علاجاً فاجماً طادت إلى المجلة نضرتها السابعة ، وعندى أن هذا المرض معصور فى اضطراب إدارة المجلة وفى عدم تشبها مع الزمن بخلاف عاداتها فى سالف السنين ، ولبيان ذلك أقول أن إدارة المجلة على ما يظهر لى كثرة التساهل مع المشتركين فأنى لا أتذكر أنى تلقيت أخيراً من حضرة مدير « المنار » طلباً يدفع الاشتراك كما هى عادة جميع المجلات الراقية عربية كانت أم أجنبية . وقد كنت أباهى بشدة ندقيقى فى حسابى ولكن شواغل الحياة متى تعددت أصابت الانسان بالنسيان وسلبه بعض نظامه مهما يكن يقظاً ، فبت ولا أدرى بماذا أدبى الحكم . والنقطة التى تنفقونها فى سهول تدكير كل مشترك مرة فى السنة بموعده تجديد اشتراكه لا يساوى شيئاً فى جنب الفائدة المادية التى يحصلون عليها . ولولا أن هذه الطريقة الادارية ذات نتيجة محسوسة لما استعمرت على انبعاث جميع الصحف المعبرة زد على ما تقدم أن المجلة لا ترسل الى بائع نظام وهذا ضار بمصلحتها ، لأنى إذا كنت لا أنرود لحظة فى دفع ما تطلبون إلى دفعه حتى ولو استلمت عدداً واحداً فقط منها فى السنة كلها معتمداً على جمع بقية الأعداد منكم متى عدت الى القاهرة ، فلا شك عندى أن كثيرين غيرى يتصلون من الدفع بهذه الحجة فهكون خسارتكم حينئذ غير قليلة . هذه نقطة جوهرية بحسن بسيادتك النظر فيها لأن نظام العمل من أقوى الدعائم لنجاحه .

مباحث المجلة فى تعريفكم ليست قاصرة على فلسفة الدين بل هى تشمل أيضاً

شؤون الاجتماع والعمران ، ولكنكم فلما تطبقون ذلك . لا أنكر أنكم أحسنتم كثيراً
بنشر المقالات الصحفية المفيدة التي وضعها الدكتور توفيق صدقي ، كما أن لكم
جولات رائقة في غير مباحث الدين ، ولكني لا أعرف لكم أبواباً ثابتة في كل
عدد سوى باب تفسير القرآن ، بخلاف ما أشاهده في مجلات المجلات الدينية المسيحية الراقية التي تعدو
أو «الهلل» ، وبخلاف ما أشاهده في المجلات الدينية المسيحية الراقية التي تعدو
بالانكليزية ، حتى كأن تلك المجلات الدينية تفحوص في كل علم وترى إلى تطبيق
العلم على الدين . ومثل هذا التطبيق في رأى بعض المفكرين تضليل . ولكني
لا أرى ذلك إذا كان المطبق مخلصاً في عمله ، لأن رجل الدين متى اعتقد أن العلم
هو أحد أركان الدين وجب عليه أن يجمع بينهما حتى يخلص المعتقدات الدينية من
خرافات الجاهل المدعين الذين يتاجرون باسمها أو يبنون شهرتهم الكاذبة على
حسابها ، وقد لاحظ كثير من تلاميذكم أيضاً «المنار» بالصورة حتى رسوم من فوقوا
من علماء الاسلام فعد ذلك دليلاً على كره الاسلام للتصوير في العصر الحاضر أيضاً

وأما من دار الدعوة والارشاد التي تصدون بها تربية أساتذة تهذيب العامة
ونشر المبادئ الأدبية النافعة والقضاء على أباطيل الأولين ، فلا يحاربها رجل بمهيد
النظر حتى ولا من أنكر ذات الخالق ، لاني إذا قلت أن الطبقة المتعلمة من الأمة
قد تجردت من تلاميذها العالی المبادئ الأدبية الكافية لصيانة أخلاقها ولو كانت غير
مقدسة بدين سماوي ، فيصعب على جداً أن أتصور جواز هذا الحكم على
غاية الناس الذين لا تثمر مبادئ الاتحاد بينهم إلا فوضى أدبية مريضة . فيجب
إذن تمضيده رؤساء الأديان الذين يسعون بها دائماً إلى الامام وقصد المصلح
والتربية : وإذا عد نفر من الناس أن صلاح العالم هو في القضاء على الأديان فلا
أدري كم بعد مئات من السنين يتحقق هذا الحلم . فإذا فرضنا أن نحققه في حكم
المستطاع — والناس كثيراً ما يخلفون حتى على البهيميات . وفي خلال كل هذا الزمن
يلبث الدين قرين الأمة من شخصيات الأمة ومظهر من مظاهرها — فخرى بكل
ذی وطنیة صحیحہ أن یمن النظر فی هذه المسألة الجیوبة .

هذا وإنی لأذهب مذهب مكاتبكم الفاضل في خاتمة المجلد السابق بل لا

أثنت في حسن مستقبل الشرق ؛ ولسلك أمة دور من صعود وهبوط ، ولا خوف
عندي على مثل « المنار » أو « دار الدعوة والارشاد » فلا بد أن يأتي وقت
قريب يعطى فيه خليفة الامام محمد عبده حبه من الانصاف على ماخدم به الامم
الاسلاميه من الارشاد النافع حتى صارت فتاويه مرجع كل مصلح اجتماعي جرى .
وبات « تفسير المنار » معدوداً أعظم تفسير للقرآن الشريف لجمعه بين علوم السلف
والخلف ، ولما تضمنه من خلاصة العلوم الحديثة التي يجب أن تكون هدى المفسر
لكتاب بهد قانون الله الذي خلق الكون ودبره . فما العلوم الطبيعية إلا خلاصة
ما وصل اليه العقل الانساني في درس سنن الكائنات بتدقيق وأمانة . لهذا
كانت تفاسير القرآن التي خطها الجاهلون بهذه العلوم أولى بالتلف منها بالصيانة ،
فأبها عار لعلم والدين معاً

فاسمح لي إذا يا سيدي الأستاذ أن أهنيكم على استقبال « المنار » لسنة
جديدة من سني حماته المباركة ، راجياً أن تكون فاتحة رقي ومتواصله ونجاح ثابت
ونصرة لفضيلة والآداب

أحمد زكي أبوشادي
(طبيب)

نادي مستشفى سانت جورج
بلندن

(المنار) نشرنا رسالتكم بمرمتها وان كان موضوع باب الانتقاد على المنار خاصاً
بانقضاء مسائله دون إدارته . ونشكر لكم تهنئكم وثناءكم وكل ما كنتم بمداد الاستقلال
والاخلاص ، ولا أنكر ما عرض من الخلل على إدارة المنار ولا سيما إهمال التحصيل ،
وأذكر من سببه خيانة بعض الوكلاء وقرى الاشراف عليها ، ونمدد من تولى
أمرها منذ الانقلاب العثماني الذي فتح لي أبواب الاسفار الى سورية ثم الاسفانة
ثم الهند وعمان والعراق ، والاشتغال بمشروع الدعوة والارشاد ، وسعود إلى
الانتظام في هذا العام إن شاء الله تعالى

وأما سبب قلة تنوع موضوعات المنار كتنوع غيره من المجلات فهو أن محرره
واحد له اعمال كثيرة أخرى ومحرروها كثيرون . ولا يتسع هذا الجزء لمخوض معكم
في سائر المسائل التي أود بتموها في رسالتكم المفيدة

المسحاة

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

فبشر عبادي الذين يستهون بالقول فَيَقْبِضُوا
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أَُولُو الْأَبْوَابِ

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ ذي القعدة ١٣٣٤ هـ - الميزان (خ ١) ١٢٩٥ هـ ث ٢٨ سبتمبر ١٩١٦

مناسك الحج

أحكامه وحكمه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَقَدْ عَلَّمْنَا عَلَى النَّاسِ حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيْرٌ عَنِ الْعَالَمِينَ (سورة آل عمران - ٩٦: ٣)
إِنَّ الصَّلَاةَ وَالزَّكَاةَ وَالْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا (سورة البقرة ١٥٣: ٢)
الْحَجَّ أَشْهُرَ مَعَاوِمَاتٍ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزُودُوا
فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (سورة البقرة ٩٣: ٢)
أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد صلى الله عليه
وسلم فيقول محمد رشيد بن علي رضا صاحب مجلة المنار: أتتني في شهر ذي
القعدة سنة ١٣٣٤ عزمتم على أداء فريضة الحج في خدمة والدتي، وكنت
أتمنى ذلك منذ سنين ولم يتيسر لي، لوانع بعضها من قبلها وبعضها من
قبلي، وقد خضرت لي قبل السفر من مصر بثلاث ليال أن أكتب شيئاً
مختصراً في أحكام المناسك وحكمها سهل العبارة، مأخوذاً مما صح في
السنة، مع الإشارة إلى أقوى مسائل الخلاف، وأن أطبعه وأوزعه على

من أسافر بصحبته من الحجاج ، تعلما للجاهل ، وتذكيرا للغافل ، ولكن لم يتيسر لي الشروع فيه إلا في منتصف النهار من اليوم الثاني والعشرين من الشهر — وموعد السفر ٢٤ منه —

﴿ الحج والعمرة ﴾

الحج أحد أركان الاسلام الخمسة ، وهو عبادة بدنية مالية ، والصلاة عبادة بدنية فقط وكذلك الصيام ، والزكاة عبادة مالية فقط ، ومعناه القصد الى بيت الله الحرام بمكة المكرمة لاداء النسك فيه وفيما جاوره من الاماكن الشريفة ، وهذا نسك منه أركان وواجبات ، وسنن مندوبات ومستحبات والعمرة كالحج في أركانه وواجباته وسننه الا الوقوف بعرفة فانه ركن من الحج غير مشروع في العمرة ، وتكون في أشهره وفي غير أشهره كما سيأتي . وهي واجبة عند بعض أئمة العلم وسنة عند الآخرين ويجوز الجمع بين الحج والعمرة بأن ينويهما ويلبي الله تعالى بهما معا عند الاحرام ، ويسمى هذا [قرانا] وأن ينوي الحج وحده ويلبي به ثم يدخل عليه العمرة ، ويسمى [إفرادا] وأن ينوي العمرة وحدها أو مع الحج ثم يتحلل منها بعد أداء أركانها ، ثم يحرم بالحج بمكة ، ويسمى هذا [تمتعا] لان صاحبه يتمتع بعد التحلل من احرامه بها بما يتمتع به غير المحرم من لبس الثياب والطيب وغير ذلك من محرمات الاحرام ، وعليه فدية وهي ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام اذا رجع من الحج أو اطعام ستة مساكين من أوسط طعامه ، ككفارة اليمين وزكاة الفطر واختلف علماء السلف والخلف في الافضل ، وأقوى الأقوال في ذلك أن التمتع أفضل مطلقا أو لمن لم يسق [الهدى] الى الحرم .

و [المهدي] ما يهدي الى الحرم من الانعام ليزبح فيه تقربا الى الله تعالى، فمن ساقه من بلده أو طريقه فالأفضل له القران. وعلى هذا يكون التمتع هو الأفضل والايسر لامثالنا — من الحجاج المصريين وغيرهم ممن لا يسوق معه هديا — أن يحرم بالعمرة وحدها أو مع الحج ثم يأتي بأركان العمرة كما يأتي بيانه، ثم تحلل منها فنستبيح كل ما يباح لغير المحرم، ونذبح شاة حتى اذا كان يوم [التروية] — وهو الذي قبل يوم عرفة — نحرم بالحج من مكة، ولن أحرم بالحج وحده أو بالحج والعمرة معا أن يتحلل بعمرة ثم يحرم بالحج كذلك

﴿ الاحرام والتلبية ﴾

الكل قطر من الأقطار مكان يسمى [ميقات الاحرام] لا يجوز تجاوزه بغير احرام لحاج ولا لمعتمر، وفي غيرها كقاصد الحرم للتجارة خلاف، فتى بلغ الميقات أحرم عنده بأن ينوي الحج والعمرة أو أحدهما، ويلبي بما نواه بأن يقول: لبيك اللهم عمرة أو بعمرة، أو لبيك اللهم حجاً، أو لبيك اللهم حجاً وعمرة، أو بحج وعمرة. وتقدم أن الأفضل لامثالنا الاحرام بالعمرة فقط. ومن أحرم احراماً مطلقاً قاصداً النسك الذي فرضه الله تعالى في حرمه من حيث الجملة جاهلاً بهذا التفصيل صح احرامه، وعند اداء المناسك يأتي بواحد من الثلاثة التي ذكرناها. والاحرام بالمعنى الذي ذكرناه — وهو نية النسك من حج وعمرة فرض فيهما وهو ركن عند الجمهور وشرط على الراجح عند الحنفية

ويستحب الاغتسال للاحرام ولو لحائض ونفساء، وكذلك التطيب قبله، وأن يكون بعد صلاة إما صلاة فرض وإما صلاة تطوع، وأن

يحرم في ثوبين نظيفين—وكونهما أبيضين أفضل—وفي ثملين لا يستران الكعبين، وان يكون أحد الثوبين ازارا يلف على النصف الاسفل من البدن والآخر رداء يوضع على العاتق ويستر النصف الاعلى منه دون الرأس فان ستره حرام على الرجال. فلا يجوز للمحرم لبس العمامة ولا غيرها مما يوضع على الرأس ولا لبس القميص والقباء (القفطان) والبرنس والجبة والسراويل والخلف والحذاء الذي يسمى الجزمة أو الكندرة. ولا ما في معنى ذلك من الثياب المفصلة الخيطة ومن لم يجد الازار والرداء أو النعائر لبس ما وجد؛ ففي صحيح مسلم عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب بعرفات يقول « السراويل لمن لم يجد الازار والخفان لمن لم يجد النملين » ولا فدية عليه عند الشافعي وأحمد لانه لبس ذلك للضرورة فاذا زالت الضرورة في أثناء النسك بأن وجد الازار والنملين وجب عليه تزع السراويل والخلف ونحوهما، فان لم ينزعهما وجبت عليه الفدية وهي شاة يذبحها. وعند أبي حنيفة ومالك تجب عليه الفدية وان لبس ذلك للضرورة. ولا بأس بشد المنطقة أو الهميان الذي توضع فيه النقود في الوسط. ولا بأس بعقد الازار في وسطه أيضاً واذا كان يخاف سقوطه بغير عقد يتأكد العقد

والاصل في هذه المسألة حديث ابن عمر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يلبس المحرم من الثياب فقال « لا يلبس القميص ولا العمام ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف الا أحد لا يجد ثملين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين. لا تلبسوا شيئاً من الثياب مسه الزعفران ولا الورس » هذا لفظ مسلم. وفي حديث ابن

عباس المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم لم يشترط في ترخيصه بفلس ابنه لمن لم يجد النعلين قطعهما . فبعض النساء حثي هذا الاطلاق على حديث ابن عمر وقل لا بد من قطعهما ، وبعضهم قال ان حديث ابن عباس ناسخ لحديث ابن عمر لانه بعده

ولا يجب على الرجل كشف غير الرأس من بدنه ، ويجوز له أن يستظل بالمظلة (كالشمسية) وغيرها مما لا يمس رأسه ، ولكن يستحب له أن يعرض رأسه للشمس ما لم يتأذ بذلك ، لان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يستظلون في الاحرام ، وقد رأى ابن عمر رجلا ظلل عليه فقال له : ايها المحرم أضح لمن أحرمت له . أي أبرز للشمس لاجل من أحرمت له . يقال ضحى الرجل يضحى ضحىً ، وضحا يضحو ضحواً وضحياً اذا برز للشمس أو أصابته الشمس .

وأما المرأة فلم ينهها النبي صلى الله عليه وسلم الا عن وضع النقاب على الوجه وليس التقازين في اليدين فاحرامها في وجهها ويديها . والنقاب ما تستر به المرأة وجهها فلا يبدو منه الا محاجر العينين ومثله البرقع . قال العنقاء فان سترت وجهها بشيء لا يمسه فلا بأس . وأما ستره عن الرجال بمظلة ونحوها فلا شبهة في جوازها ، ويجب اذا خيفت الفتنة من النظر . ومن أضره لباس الاحرام فله أن يتقي الضرر ولو بتغطية الرأس ومتى زالت الحاجة الى ذلك تركه

وأما التلبية فصيغتها المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » وكان صلى الله عليه وسلم يلبي من حين يحرم يرفع بها

صوته ، فرفع الصوت سنة للرجل ، فيرفع المحرم صوته بحيث لا يجهده نفسه ، والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع نفسها وكذا جارتها ومعنى التلبية المبالغة في إجابة دعوة الداعي الى الحج ، ولا يزال العرب يجيبون من يدعوهم الى شيء بكلمة ابيك ، وأول من دعا الناس بأمر الله الى هذه العبادة ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام . وذلك قوله تعالى له (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) والرجال هنا جمع راجل وهو الماشي على رجله ، أي يأتوك مشاة وراكبين على الرواحل الضامرة البطون التي تأتي من الفجاج والطرق البعيدة . فمعنى « لبيك اللهم » اني أجيب الدعوة الى هذا النسك خاضعاً لامرك متوجهاً اليك مقبلاً لخدمتك المرة بعد المرة . والتلبية واجبة عند المالكية ومسنونة عند الجمهور

وهذه التلبية المأثورة هي العبادة القولية التي تتكرر من أول الاحرام بالنسك الى الانتهاء منه . ويستحب تجديدها بتجدد الشؤون والاحوال كالصعود والهبوط والركوب والتزول واجتماع الناس وتلاقي الرفاق

﴿ دخول مكة والطواف ﴾

يستحب الاغتسال لدخول مكة ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يغتسل له ، وكان يبيت بـ [ذي طوى] وهو موضع عند الآبار التي يقال لها آبار الزاهر ، فمن تيسر له المبيت فيه والاغتسال فقد أصاب السنة . والافضل دخول مكة نهراً ، وان يقصد المسجد الحرام ترواً ، والافضل أن يدخل من باب بني شيبه ، وروي في حديث ضعيف ان النبي (ص) كان يقول اذا رأى البيت (أي الكعبة المعظمة) « اللهم زد هذا البيت

تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه بمن حجه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا » وروي ان عمر رضي الله عنه كان اذا نظر الى البيت قال : اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام » واعلم أن ما يذكر في المناسك من الدعاء والثناء وما يلقيه المطوفون للحجاج قلما يصح فيه حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه ما هو من أقوال الصحابة وغيرهم من سلف الامة .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع أصحابه يدعون الله تعالى ويثنون عليه في النسك بما يلهمهم الله تعالى فيقرهم على ذلك . فعلم من ذلك أن ما لم يصح عن النبي (ص) من ذلك لا يكلفه أحد ولا يمنع منه ، ولكن لا يجعل شعارا عاما يلقيه كل الحجاج ويلتزمونه دائما بصفة خاصة ، لأن الشعائر لا تثبت الا بنص الشارع ، والظاهر ان الشارع ترك هذا الامر للناس ليدعو كل منهم ويثني بما يلهمه الله ويخشع له قلبه . ويسن أن يصلي بعد الطواف ركعتين

والثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد الحرام يبدأ بالطواف ، والطواف الاول من الحاج أو المعتمر يسمى طواف القدوم وهو واجب عند المالكية وسنة عند الأئمة الثلاثة

ويراعي في الطواف شروط الصلاة كالوضوء وطهارة البدن والثياب وستر العورة لما رواه الشافعي والترمذي — واللفظ له — من حديث ابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم « الطواف بالبيت مثل الصلاة الا انكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم الا بخير » ووردت آثار في النهي عن كثرة الكلام في الطواف أي وان كان بخير لم تمس اليه

الحاجة ، لأنه يشغل القلب عن الخشوع في هذه العبادة
ولما كانت الطهارة شرطاً لصحة الطواف امتنع الطواف على الخائض
والنفساء فهي تؤدي جميع أعمال الحج سواء فتر بص به الى أن تطهر ،
ويبتدىء من الحجر الاسود : يستقبله ويستلمه ويقبله ان أمكن من غير
إيذاء نفسه أو إيذاء أحد بالمزاحمة والا اكتفى باستلامه بيده - أي مسحه
بها - وتقبيلها فان لم يمكن أشار اليه بيده . ثم يشرع في الطواف فيجمل
البيت عن يساره فيطوف به سبعة أشواط أي مرات . ويستلم من
الاركان الركنين اليمانيين لانهما على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام
دون الشاميين لانهما في داخل البيت

والركنان اليمانيان هما الجنوبيان ويسمى الذي فيه الحجر الاسود منهما
[الركن الاسود] اذا ذكر وحده واذا ذكر الآخر وحده قيل الركن اليماني .
والشاميان هما الشماليان فاذا ذكر كل منهما وحده قيل [الركن الشامي] وهو
المقابل لبلاد الشام [والركن العراقي] وهو المقابل لبلاد العراق ، وانما يقال
في تثنيتهم اليمانيان والشاميان من باب التغليب

هذا وإن في الحج ثلاثة أطوفة : طواف القدوم الذي ذكرناه ،
وطواف الافاعة وهو ركن من أركان الحج باتفاق الائمة ووقته بعد
الوقوف بعرفة ، وطواف الوداع وهو واجب عند الجمهور ومندوب عند
المالكية . والحاج وغيره أن يكثّر من طواف التطوّع ما استطاع

﴿ السمي بين الصفا والمروة ﴾

السمي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الجمهور ،
وعند الحنفية واجب غير ركن ، ويشترط أن يكون بعد الطواف . وعند

المالكية يجب ذلك وليس بشرط ، ويجب عندهم الموالاة بينه وبين الطواف ، وقال الجمهور انه سنة لا واجب . ويطلق على السعي اسم الطواف والنظوف كما ثبت في القرآن والاحاديث ؛ واختار الفقهاء اسم السعي للفرقة بينه وبين الطواف بالبيت

وكيفيته أن يبدأ بالصفا فيصعد اليها ويستقبل البيت (الكعبة) فيهل ويكبر ويدعو الله تعالى ثم ينزل ويذهب الى المروة فاذا انتهى اليها توجه الى جهة المسمى ليكون مستقبلاً للبيت ويدعو الله تعالى كما دعاه عند الصفا ؛ فهذه مرة ، ثم يعود الى الصفا ثم الى المروة الى أن يتم سبعة أشواط يرمل في ثلاثة منهن بين الميادين الأخضرين (وهما عمودان في جدار الحرم) والرمل سرعة في السعي ، ولا يشترط في السعي ما يشترط في الطواف من الطهارة ولكن يستحب ، ويجوز السعي راكباً ومشياً والمشى أفضل للقادر عليه .

روى مسلم وغيره من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال « أبدأ بما بدأ الله به (وفي حديثه عند النسائي « ابدؤا بما بدأ الله به ») فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى اذا رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : « لا إله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : لا إله الا الله وحده . أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا بعد ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة — الحديث ؛ وفيه انه فعل في المروة كما فعل في الصفا . فينبغي ان يحفظ هذا وان يدعو الساعي بعده بما يفتح الله به عليه لنفسه وأهله واخوانه وأُمَّته

(تذيه) ان المكان الذي كان يرفى النبي صلى الله عليه وسلم اليه على
الصف قد بني عليه والصعود اليه ليس شرطا لصحة السعي فمن وصل الى
أسفل البناء هنالك وسعى ولم يصعده أجزاء ذلك ولكن الافضل ان
يصعده لموافقة السنة في الصعود

﴿الوقوف بعرفة﴾

يخرج الحاج من مكة يوم التروية (وهو الذي قبل عرفة ويسميه العوام بمصر
والشام [يوم العرفة] ويسمون يوم عرفة [يوم الوقفة] محرمين لان من كان متمتعا
يحرم في ذلك اليوم كاحرامه من الميقات ، والسنة أن يحرم كل واحد من المكان
الذي هو نازل فيه ، وله أن يحرم من خارج مكة ان كان غير مكى فان المكى انما يحرم
من أهله ، والسنة أن يبيتوا بمنى ولا يخرجوا منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي صلى
الله عليه وسلم ، وأن يسبروا منها الى [نمرة] عن طريق [ضب] من بين الطريق
وهو موضع في حدود عرفة بـ [بطن عرنة] . فيقيموا فيها الى الزوال ثم يسبروا منها الى
بطن الوادي وهو الذي صلى النبي صلى الله عليه وسلم فيه الظهر والمصر قصيرا وجما
وخطب ، فيصليها الحاج كذلك ويخطب بهم الامام . وهناك مسجد يقال له
مسجد ابراهيم بنى في أول دولة بني العباس ثم يذهبون الى عرفات والهدول عن
هذه الطريق الى طريق [المأزمين] ودخول [عرقة] قبل الزوال كلاهما مخالف للسنة
ولكن لا يجب به شيء ، لانه ليس تركا لشيء من واجبات الاحرام .

ويقفون بعرفات الى غروب الشمس فاذا غربت خرجوا من بين العلمين
أو من جانبيهما . ويجتهد الحاج في الذكر والدعاء في هذه العشة فهي أفضل الاوقات
لها وأرجاها للمغفرة والرحمة . ولم يسم النبي صلى الله عليه وسلم لعرقة دعاء ولا ذكرا
ليجتهد كل انسان في ذلك بقدر معرفته وحسب حاجته . فيهلل ويكبر ويدعو
ما شاء الله من الادعية الشرعية . ويسن الغسل يوم عرفة ، ولا يسن الصعود الى
الجبل الذي هنالك الذي يسمى جبل الرحمة ، وهو جبل إلال -- ولا دخول
القبة التي فوقه التي يقال لها قبة آدم ولا الصلاة فيها . والسنة أن يفوضوا من عرفات

عند الخروج على طريق [المأزمين] فإن النبي (ص) خرج منها على هذه الطريق لأنه دخلها من طريق [ضب] فسنته في المناسك كسنته في الاعمال والموااسم ، اذا جاء من طريق رجع من أخرى ، كما كان يدخل المسجد من [باب شيبة] ويخرج بعد الوداع من [باب حرورة]

﴿ المبيت بمُزْدَلَفَة ورمي الجمار بمنى ﴾

يسن المبيت بمزدلفة بعد عرفة فهي المشعر الحرام الذي قال الله فيه (فاذا أفضت من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) والوقوف عند [جبل قزح] أفضل ، ثم يفيضون من المزدلفة بعد صلاة الفجر فاذا أتوا منى رموا [جرة العقبة] بسبع حصيات ولا يرمون يوم النحر غيرها . وكيفية الرمي ان يستقبل الجرة بحيث يكون البيت عن يساره ومنى عن يمينه ويرفع يديه بالرمي ويكبر مع كل حصاة . وان شاء قال مع ذلك : اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعيّاً مشكوراً وذنباً مغفوراً . ويستحب تكرار التلبية بين المشاعر كالذهاب من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى ، ولم يصح في السنة التلبية في عرفة ولا مزدلفة ، فاذا شرع في رمي الجرة استقبل التكبير بالتلبية — أي جعل التكبير للعيد بدلا من التلبية للحج ، لانه حينئذ بشرع في التحلل الذي تنتهي به المناسك . ومتى رمى جرة العقبة نحر هديه ان كان معه هدي . وكل ماسيق من الانعام من الحل الى الحرم فهو هدي بالاتفاق ويسمى أضحية أيضا ، وأما ما يذبح يوم النحر في الحل فانه أضحية وليس بهدي . وأما ما يشتري في منى أو غيرها من أرض الحرم ويذبح فيها فهو ليس بهدي عند المالكية وعند الأئمة الثلاثة يسمى هديا . ويقول عند نحر الابل وذبح غيرها : بسم الله والله أكبر اللهم ملكك والى الله تقبل مني كما تقبلت من ابراهيم خليلك .

﴿ الحلق أو التقصير ﴾

بعد رمي جرة العقبة يحلق الرجل شعر رأسه أو يقصره بأن يقص منه مقدار الأئمة أو أقل أو أكثر ، وتقص المرأة ولا تهلق ولا تزيد على قدر الأئمة . والاتفاق أو التقصير ركن من أركان الحج لا يتم الا به في مذهب الشافعي وعند الجمهور

واجب لاركن . وبالحاق أو التقصير يكون التحال الاول من الاحرام فيحل به للمحرم ما كان محرما عليه بالاحرام الا النساء
وبعد هذا يأتي الحاج مكة فيطوف طواف الافاضة الذي هو طواف الركن كما تقدم فاذا طاف هذا الطواف حل له كل شيء مما ذكر حتى النساء
ثم يرجع الى منى فيرمي بقية الجمرات ، والافضل ان يرميها في أيام التشريق الثلاثة وله ان يرميها في يومين لقوله تعالى (واذكروا الله في أيام معلومات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى)
ويستحب في رمي الجمار ان يكون بعد الزوال وان يبدأ بالاولى وان يكبر مع كل حصاة . ويدعو فيطيل الدعاء . واذا قال في دعائه : اللهم اجعله حججا مبرورا وسعييا مشكورا وذنبنا مغفورا — فهو حسن

﴿ طواف الوداع ﴾

تقدم حكمه وينبغي ان يكون هذا الطواف آخر عهد حجاج الآفاق بمكة ليكون مسك الحتام
انتهت الاحكام ولم نشأ نشر [حكم المناسك واسرارها] في هذا الجزء من المنار لانها منشورة في [باب الفتوى] من المجلد السادس عشر فليرجع اليها من شاء في ص ٦٧٥

مَدَامُ لَنَسْتِيَتْ دَارُ الدَّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق هادي

١٢

Tuberculosis الدرن

يراد بهذا الداء تكون أجسام صغيرة في عضو أو أكثر من أعضاء الجسم^(١) ويسمي الأطباء المحدثون هذه الجسيمات بالدرنات أو الدرن^(٢) وهي تنشأ من باسيل اكتشفه العلامة الألماني كوخ سنة ١٨٨٢ ميلادية

أوصاف هذا الباسيل — هو عصيات مستقيمة أو منحنية قليلا طولها نحو ٣ ميكرونات وعرضها ٥ وه من الميكرن، ذات أطراف مستديرة في كل منها نقطة لامعة أو أكثر ظن سابقا أنها حبيبات للميكروب، والحقيقة أنه لا يتوالد إلا بالانقسام وهو عديم الحركة ولا أهداب له (خلافا لما ذهب إليه بعض الباحثين) ويعيش في الهواء وفي غيره من الغازات بل في الفراغ، وأحسن حرارة تناسبه ما كانت درجتها ٣٧ سنتجراد ولكن نموه بطيء جدا

تركيب الدرن — تتكون كل درنة من خلايا تحيط بها تشبه كريات الدم البيضاء وفي داخلها خلايا تشبه خلايا البشرة وفي مركزها خلية أو أكثر كبيرة ذات نويات عديدة . وقد يوجد بين هذه الخلايا منسوج آخر دقيق جدا يؤلف بينها . ويوجد الميكروب بين هذه الخلايا أو فيها خصوصا حول الخلية المركزية الكبرى أوفيا كما في درن الحيوانات . وفي بعض الأحوال تكون هذه الخلية

(١) قد يصيب أي عضو من الجسم أو أي جزء منه وتكثر أصابته للرئتين ويقل للشغاف (الغشاء المحيط بالقلب) (٢) أصل معنى الدرن في اللغة الوسخ (المنار: ج ٤) (٢٩) (المجلد التاسع عشر)

معدومة وفي البعض الآخر تكون الخلايا البشرية كذلك معدومة فتتكون الدرنه من خلايا كالكريات البيضاء فقط . وقطر الدرنه الواحدة عادة مليمتر واحد أو اثنان . ونشاهد الدرنات في هذا المرض بوضوح في الرئتين أو الكبد أو الكليتين وكلما كبرت الدرنه مات وسطها وذلك اما لعدم وصول أوعية الدم إليه أو لسوء الميكروب أو للسببين معاً فإذا مات الوسط صار مصفراً وقوامه كالجبين وهذا الوسط الميت يزداد اتساعاً بينما يحيط الدرنه يُغِير على ما أحاط به من الأنسجة وهلم جرا . وهذه الدرنات تنشأ بسبب تهيج العضو بالميكروب فتتكاثر الخلايا حوله بانقسامها الى عدة أقسام . وتهرع اليها الكريات البيضاء لمقاتلتها فتحيط بها فيصيرها ماذكر . وباجتماع هذه الدرنات بعضها مع بعض تتكون درنات كبرى فينشأ من ذلك أخرجه (جمع خراج) في العضو المصاب

وقد تتحول الدرنه الى مادة كلسية (جيرية) يرسوب فسفات الكالسيوم فيها على الاكثر فيموت الباسيل ويشفى العليل وهذه الدرنات تحدث تهيجاً في الاعضاء وقد يكثر حولها المنسوج اللينى الضام . ويجوز أن يغير هذا المنسوج على الدرنه ويطبق عليها فتضمحل وتنقص حتى تستحيل الى نقطة ليفية وبذلك يشفى الدرن أيضاً أما اذا كانت قوى المريض ضعيفة فتلتهب الأنسجة حول الدرنات وتزداد حالة العليل سوءاً فوق سوء ، وفي آخر الامر تتقيح الدرنات وما حولها ويشترك مع هذا الميكروب ميكروبات أخرى فتتكون أخرجه وكوف كما يحصل كثيراً في رئة السلوان

الاسباب — ميكروب هذا الداء منتشر كثيراً بين الناس وبعض الحيوانات . ولمعرفة كيفية العدوى به يجب أن نقسم البحث هنا الى مسألتين : —
(الاولى) الاستعداد الشخصي : للوراثة تأثير عظيم في العدوى بهذا الداء فانه يغلب حدوث هذا المرض في أولاد السلوان . ولا يتوهم أحد أن الذي ينتقل من الوالد الى ولده هو الميكروب بل استعداد خاص فقط اللهم الا في أحوال نادرة جداً ، ولذلك كثيراً ما يولد الولد في صحة لا بأس بها أو جيدة ثم يصاب بعد ذلك بالدرن

وهناك مهيئات كثيرة للعدوى تسبب نهاكة القوى فيضعف الشخص عن مقاومة الميكروب فيقهره ، وأهم هذه المهيئات (أ) الازدحام وفساد الهواء بأي سبب كان (ب) قلة الاغذية (ج) اجهاد قوى الجسم فوق طاقته بأي عمل كان ككثرة العدو أو الانهماك في الجماع أو في السهر أو جلد عميرة أو المطالعات الطويلة والمباحث العقالية العنيفة خصوصا اذا صاحبها الفقر وفساد الهواء (د) كثرة الحمل والولادة أو الارضاع (هـ) كثرة التردد الى الأماكن الرطبة المظلمة التي ينذر دخول الشمس فيها (و) الحمى التيفودية (ز) الاسراف في شرب الخمر (ح) البؤال السكرى (ط) الزهري اذا أهمل حتى أفسد البنية

هذه هي المهيئات العامة وهناك مهيئات أخرى خاصة بالعضو المصاب ويسمونها بالمهيئات الموضعية مثل كثرة النزلات الشعبية أو الرئوية وتهيج الرئة ببعض الغازات أو بغبار بعض الممادن وغيرها كما يحصل في المصانع

وللعمر تأثير كبير أيضا في العدوى فترى ان الدرن كثيرا ما يصيب الصغار ففي الاطفال تشاهد كثيرا إصابتهم بدرن السحايا أو البريتون أو الفصد المعفاوية أو العظام أو المفاصل ، وفي الشبان كثيرا ما تشاهد الدرن الرئوي (وهو المسمى بالمرية السيل أو الهلاس) وأما الاشخاص الذين عمرهم فوق الأربعين فقل إصابتهم بالدرن ولا ينافي ذلك أنه يصيب الشيوخ أحيانا قليلة وفي تلك الحال يغلب أن تكون إصابتهم مزمنة أي ان المرض بدأ فيهم قبل الأربعين

(المسألة الثمانية) مدخل الميكروب : يدخل الميكروب الجسم من طريق الجلد أو الرئتين أو القناة الهضمية

(أ) طريق الجلد وهو نادر الوقوع غير انه يشاهد أحيانا ثؤلول في أيدي المشرحين لجثث المسلولين ، وفي هذا الثؤلول توجد ميكروبات الدرن وقد تنتشر منه الى الرئتين أو غيرها

وهناك درن يصيب الجلد يسميه الافرنج [لوپس Lupus] اخذا من كلمة لاتينية معناها [الذئب] لان هذا الداء يصيب كثيرا الوجه فتأكل أجزاء كثيرة منه تأكلا يشبه نهش الذئب . ولكن هذا الدرن الجلدي قل أن ينتشر

ميكروبه في الاحشاء . وهذا الطريق الجلدي غير مهم في الغالب
 (ب) طريق الرئة وهو طريق مهم جدا . ولا يكفي لحصول الداء من هذا
 الطريق مجرد استنشاق بعض نفس المسلول أحيانا ، ولكن يحدث المرض اذا كثر
 الاختلاط بالمريض والقرب منه حتى يشتد شق الانسان الهواء المشتمل على ذرات
 تخرج من صدر المسلول أثناء سعاله فتنتشر في الهواء المحيط به ، أما نفسه الهادئ
 فلا يوجد فيه الميكروب . واذا بصق المريض على الارض أو غيرها وجف البصاق
 تطايرت منه أجزاء فيها الميكروب وتكون خطرا شديدا على مستنشقيها
 ويكثر وجود الذرات التي فيها الميكروب على بعد نصف متر من فم المصاب
 فاذا بعدت عنه مترا ونصف متر قتل أن يصيبك منها شيء
 وهناك بعض الحيوانات الداجنة التي تصاب بالدرن كالبيضاء وتكون أيضا
 سببا في العدوى بهذا الداء من هذا الطريق
 ومن الحيوانات الاخرى الداجنة التي تكثر اصابتها به الخيل ويقل وجوده
 في الكلاب والقطط
 (ج) طريق القناة الهضمية وهو أهم الطرق فان كثيرا من الحيوانات التي
 تؤكل يوجد فيها هذا الداء اذ انه كثيرا ما يصيب البقر والخنازير والدجاج والارانب
 وخنازير الهند ، أما المعز فقل أن تصاب به وكذلك الضأن
 وابن هذه الحيوانات يشتمل كثيرا على باسيل الدرن اذا أصيبت ضرعها به ،
 ولما كانت معرفة الضرع المصابة عسيرة في أول الامر كان من الواجب اتقاء شرب
 اللبن الا بعد غليه مدة خمس دقائق على الأقل . وقد يوجد الميكروب في لحم هذه
 الحيوانات وأحشائها . ونظرا لانتشار الدرن في البقر يشاهد هذا الداء كثيرا في
 بطون الاطفال الذين ير بون بلبنها . وقد دلت التجارب أن الحيوانات الصغيرة اذا
 ابتلعت ميكروب الدرن نفدت في جدر أمعائها وأصاب غدد المساريقا فينشأ عنه
 مرض هذه الغدد أو تدرن معوي أو بري توني وقد يصل بعد مضي زمن الى أجزاء
 الجسم الاخرى فيصيب الغدد العنقية ويحدث داء الخنازير وقليل ما يصيب رثي
 الصغار . أما الشبان فاذا نفذ الميكروب خلال أمعائهم لم يصيبها شيء حتى يصل

إلى الرئتين فيحدث السل الرئوي . وهذا الفرق يشاهد أيضا بين الصغار والشبان إذا حقنوا بذرات من الكربون (الفحم) فتبقى في بطن الصغار وتصل إلى رئة الكبار . ومن ذلك استدلل بعض العلماء على أن الرئتين قد تصابان بالسل من طريق البطن إذا أكل الشخص لحما أو لبنا مصابا بل رجح هؤلاء العلماء أن إصابة الرئتين بالسل من هذا الطريق هي أكثر حدوثا من طريق التنفس

وفي أكثر الأحوال تكون الإصابة بالدرن موضعية في أول الأمر يعني أنها تكون قاصرة على عضو واحد ومن ثم قد تنتشر تدريجيا إلى الأعضاء الأخرى إما بسير الميكروب خلال الأنسجة أو بسيره في الأوعية اللمفاوية . وهناك درن عام تصاب به فجأة أعضاء كثيرة من الجسم دفعة واحدة ولكن يكثر في مثل هذا النوع أن يكون مسبوقا أيضا بإصابة صغيرة موضعية كدرن الخصية مثلا أو غدد العنق أو غير ذلك

ومما سبق يعلم أن أهم أنواع الدرن اثنان — الدرن العام والدرن الرئوي :

الدرن العام أو الدخني

سمي هذا النوع بهذا الاسم لأن الدرنات تكون منتشرة في جميع أجزاء الجسم تقريبا وتشبه حبات الدخن إذا نثرت فيها

الأعراض — هذه الأعراض تكون في أول الأمر مبهمه فيشتكي المريض من ضعف عام وخفاقة واقمء (فقد شهوة الطعام) وصداع وحى وقد يوجد آثر من الزلال في البول وتسوء حال المريض شيئا فشيئا ثم تظهر أعراض أخرى تعين إصابة الرئتين ككثرة السعال والبصق أو يصاب الشخص بأعراض تعين إصابة البطن كالاسهال المتعاصي والمنغص أو بأعراض أخرى تعين إصابة السحايا كالتشنجات والشلل . والمراد بذلك أن تكون أعراض انتشار الدرن في الأعضاء المذكورة أظهر من انتشارها في غيرها وإن كانت كلها مصابة به

ويحصل الموت في مدة تتراوح بين ٣ أسابيع إلى ١٠ ولا يعلم باليقين أن أحدا أصيب بهذا الداء وشفي منه

المعالجة — عديمة الجدوى وإنما تعالج الاعراض فقط ، ويعطى المريض السوائل المغذية وبعض المنعشات مع بعض مركبات الافيون لتسكين الألم والسعال ، ومن المنعشات النافعة جدا النوشادر ، ويجب أيضا ان تكون سكنى المريض في الاماكن التي تكون طليقة الهواء وتمخلها الشمس كثيرا

الدرن الرئوي أو السل

هذا الداء يصيب الرئتين بسبب تهيج باسيله المنسوجها فتكون الدرنات ويلتهب ما حولها فيتصلب منسوج الرئة ثم يتقيح ويتحول الى تجاويف مملئة بمدة وصديد تسمى بالكهوف . ويكون ميكروب الدرن مصحوبا بميكروبات أخرى من الانواع البزيرية غالبا اذا حدثت هذه التغيرات المذكورة أخيرا فانها تساعد في احداثها

الاعراض — سير هذا الداء مختلف فبعضه يكون سريعا والبعض الآخر يكون بطيئا فيمكث عادة من ستة أشهر الى بضع سنين

وأهم أعراضه السعال وضيق النفس والبصق الصديدي والنحافة الزائدة والحى وزف الدم من الصدر

وتبدأ هذه الاعراض بطرق مختلفة ، ففي كثير من الاصابات تبدأ بالسعال وبصق المخاط مع الصديد زمنا ما ، وكثيرا ما يتوهم الشخص أن داءه من البرد فلا يعبأ به كثيرا في أول الامر ، وفي حالات أخرى تبدأ بالنزف الرئوي ، وفي هذه الحالات قد يكون الشخص متمتعا بالصحة فيندهش بمفاجأة النزف الرئوي له بعد سعال خفيف فيخرج منه بضعة دراهم أو أوقية وقد يزيد الدم الى نصف لتر وبعد زمن تظهر باقي الاعراض ، وقد يعاوده النزف عدة مرات . وفي حالات قليلة يبدأ المرض بشكل التهاب رئوي أو التهاب بليوراوي مع انسكاب في الصدر . وهناك بعض الحالات التي تبدأ باضطراب في الجهاز الهضمي فيصاب الشخص بالاقهَاء مع القيء المتكرر والنحافة ثم تتم باقي الاعراض المذكورة

مضاعفات هذا الداء

الجهاز التنفسي — يصاب بالتهاب الحنجرة ، فيصح صوت المريض وفي بعض

الاحوال النادرة قد يكون ذلك أول ما يلاحظ على المريض . ويصاب هذا الجهاز أيضا بالتهاب البلبورا كما سبق مع الانسكاب المصلي أو الانسكاب الصديدي أو الدموي أو تخرق الرئة فبدخل الهواء في تجويف الصدر وبذلك يعطل تنفس الرئة المصابة الجهاز الدوري — يصاب القلب بالضمف والتدد في الاحوال المزمنة . وقد يصيب الدرن بعض شرايين الرئة فيفجرها ويحصل بسبب ذلك نزف شديد قد يكون سببا في الموت العاجل

الجهاز الهضمي — يصاب كما قلنا بالإقياء والغثيان والقيء وعسر الهضم والاسهال وهو كثير الحصول في درجات المرض الاخيرة . وقد يصاب البريتون أيضا بالتدرن ، وقد تصاب الكبد والطحال والكليتان والامعاء بتغير مخصوص في أنسجتها يسمى عند الاطباء [الارتشاح الشمعي Waxy degeneration]
و يشاهد أحيانا ناسور في الشرج بسبب هذا الداء أيضا

الجهاز العصبي — قد يصاب بدرن في السحايا وقد تصاب أعضاء أخرى بالدرن فتزيد المرض شدة فوق شدته
نهاية المرض — يحصل الموت بهذا الداء بالطرائق الآتية : نهاكة القوى أو النزف أو اختراق الرئة أو التهاب السحايا أو انتقاب الامعاء أو التسمم البولي
الانذار — اذا اكتشف هذا الداء في أول درجاته فقد ينجح فيه العلاج ويشفي منه المريض غير أن أثر الدرنات يبقى في الرئة . وفي بعض الاحوال يسرع الموت الى المريض في أشهر قليلة وقد يمكث المصاب به عدة سنين قد تمتد الى الخمسين

المعالجة — لا يوجد دواء لهذا الداء محقق النفع ، وإنما يتلخص العلاج في الكلمات الآتية : يوضع المريض في أصح الاهوية وأجودها وأكثرها تعرضا للشمس ، ويكثر من الراحة والنوم لتوفير قواه وكذلك يكثر من الاغذية الجيدة السهلة الهضم كاللبن والبيض والحب والحموم بأنواعها الى غير ذلك ، واذا اشتدت الحمى أو أصاب المريض الاسهال وجب عليه الاقتصار على الاغذية السائلة . وبالاختصار يجب اتباع جميع القوانين الصحيحة حتى تقوى البنية فتغلب على المرض

ويعطى للمريض الادوية المتقوية كزيت السمك والحديد بشرط ان لا تكون حرارة المريض مرتفعة جدا) والزرنيخ والكينين وغير ذلك ، وهناك ادوية مطهرة المصدر يعرفها الاطباء فلا حاجة لذكرها هنا

ويجب أثناء المرض ان يبادر الطبيب بعلاج كافة الاعراض والمضاعفات بجميع الوسائل الممكنة السريعة التأثير حتى لا تنهك قوى المريض

الوقاية — تكون بما يأتي : —

(١) يتجنب المريض البصق على الارض أو في أي مكان يمكن أن يتصل منه الميكروب الى الاصحاء . ومن أحسن الوسائل أن يكلف المريض بالبصق في مباحق خاصة (منها ما يحمل في الجيب) ويوضع فيها محلول مطهر كحامض الفنيك بنسبة ١ من الماء . وإذا بصق في منديل وجب حرقه أو غليه غليا طويلا قبل أن يمسسه أحد

(٢) يجب على كل شخص أن يتقي القرب من المريض حتى لا يكون في طريق الذرات التي تتطاير منه أثناء السعال وغيره ، فلا يجوز النوم معه في الفراش أو الجلوس بالقرب منه . ويجب على المريض أن يتحاشى الزواج خدمة لنفسه حتى لا تضعف قواه ولا يأتي بنسل ضعيف وخدمة للامة بعدم عدوى النساء وعدم إيجاد ولد له يكون ضعيفا أو مصابا بالسل مثله

(٣) يجب تهوية الاماكن التي يسكنها المسلولون وتعرضها لشعاع الشمس كثيرا وتنظيفها دائما بالمحاليل المطهرة وغلي كل ما فيها من أواني وملاآت وغيرها

(٤) يجب ان تتقي الامهات المسلولات ارضاع أبنائهن

(٥) يجب على الناس كافة طبخ لحوم الحيوانات طبخا جيدا وتقطيع اللحم الى قطع صغيرة مع اطالة مدة الغلي حتى تصل الحرارة إلى ما قد يكون في باطنها من ميكروب الداء ، فقد ثبت أنه اذا زادت قطعة اللحم عن ستة أرطال فلا تكون درجة الحرارة في باطنها كافية لقتله . وكذلك يجب غلي اللبن غليا جيدا مدة خمس دقائق على الأقل . واذا علم أن حيوانا مصابا بالدرن وجب اجتنابه وتحاشي أكله أو شرب لبنه وإبعاده عن الحيوانات الأخرى السليمة . وهناك طريقة لتمييز الحيوانات المصابة

بالدور عن غيرها ، وذلك باستعمال (التيوبركيواين) وسيأتي الكلام على ذلك تفصيلا . وإلاحظ عدم الغلو في غلي اللبن كأن يوضع في اناء مغلق وتطول مدة الغلي فانه قد ثبت أن ذلك يفسد بعض مواده الضرورية لحياة الجسم ، فاذا اقتصر الشخص على شرب مثل هذا اللبن المبالغ في تعقيمه كالاطفال مثلا فقد يصاب بداء الكساح أو بالاسكربوط ، فلذا يجب الاعتدال في تطهير اللبن

وإذا خيف على الطفل من هذين الداءين فيحسن تغذيته بالاشياء الآتية مع اللبن وهي القشدة وزيت السمك وعصير البرتقال المحلى بالسكر أو بالعسل ومرق اللحم ، وإذا كان للطفل بعض أسنان فلا بأس في اعطائه قليلا من الموز بعد عجنه ولو باليد النظيفة

(٦) يجب على كل شخص أن يتجنب كل ما ينهك القوى ويفسد الصحة كالسكنى في اماكن الفاسدة لهواء أو الالهيك في الدخول الى الاماكن المكتظة بجماهير الناس كالمسارح و[دور الصور المتحركة] ونحو ذلك ويتجنب السهر الطويل واجهاد الجسم أو العقل وكثرة الجماع أو جلد عميرة وادمن الخمر ، وينبغي الاكثار من الرياضات البدنية مع الاعتدال واستنشاق الأهوية القوية — كاني في الفلوات والبحار — وتعاطي الاغذية الجيدة السهلة الهضم والاكثار من النوم واتقاء شرب الدخان واستنشاق الغزازات والابخرة المتصاعدة من النيران والمصانع وغيرها ، وبالجملة فالواجب التزام قواعد الصحة كافة وعدم التهاون في شيء منها .

العرب والاسلام

والترك الاتحاديون

ان قراء المنار بعد الانقلاب العثماني يعلمون أن الجرائد الاسلامية الهندية أول من رمى الاتحاديين بالكفر والإلحاد ، وان المنار كان أول الصحف الاسلامية دافعا عنهم ، ولما كثرت الخلاف في أمرهم رحلنا الى الآستانة بعد تمهيد مع جمعية الاتحاد والترقي المركزية للقيام بمشروع الدعوة والارشاد في الآستانة وللسعي في التوفيق (المنار: ج ٤) (٣٥) (المجلد التاسع عشر)

بين الترك والعرب وكانت نواجم الخلاف والتخاصم قد نجمت وامتدت من العاصمة الى الولايات . وقد اقيمت في الآستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا أزال أرى في كل سنة من الآيات ما يؤيده وتقنعي بأنني قد سبقت الى إدراك ما لم يدركه كله العثمانيون ولا لاجانب

ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه بالمال والجاه كالشيخ عبد العزيز جاووش لأمكنني ان أنال في الآستانة من الاتحاديين أنفسهم ما لا مطمع لغيري في نيل مثله . فقد مناني الاتحاديون أعظم الاماني لانهم كانوا يظنون انني مادافمت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالكفر والالحاد وفساد هذه الدولة الا لان اسلامي سياسي يدور مع المنفعة الشخصية اني دارت

ويعلم قراء المنار انني قد حملت على الاتحاديين بعد عودتي من الآستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم أحد بثلمها في الشدة ، كما يعلمون انني لم أكتب شيئا يذ في مصلحة ثدولة العثمانية نفسها ، ولا شيئا ينافي الإخاء الديني بين العرب والترك ، فأنا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضائح الاتحاديين . بل أعتقد أن كل ما كتبه كان خدمة للاسلام وللدولة ، وان الموافقين لي عليه من علماء الترك وجمهور المتدينين فيهم أضعاف الموافقين لي عليه من العرب ، لان الذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الالحادية من العرب قليلين جدا واعلم لم يكثروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب في سورية مصلوبين في أعظم مدنها عمرانا وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الاكبر أمير مكة المكرمة

وقد كتب بعض العرب العثمانيين من اسرى الحرب وغيرهم مقالات في متاصد الاتحاديين وعداوتهم للعرب وللإسلام نشروها في المقطم والاهرام فظن كثير من المصريين انها مقالات مصنوعة افتحراها كتاب الجريدتين حتى ان منهم من لم يصدق ما نقل عن كتاب [قوم جديد] وكتاب [اتحاد اسلام] وأما لم يصدق هؤلاء هذه الاخبار لانهم لا يريدون ان يصدقوا ما لا يلد لهم تصديقه ، ولو كانوا ذوي خبرة على الدولة والدين وحرص على بقائهما كحرصهم على لذتهم وراحة بلهم لتحرروا وبحشوا عن أصل كل ما يقال في هذا الموضوع ليكونوا على بصيرة من أمر

أعظم الاشياء موقعا من أنفسهم وأهمها لديهم
كان مقصد الاتحاديين خفيا ثم عرف رويدا رويدا ، ثم اشتهر وتواترت أخباره
في جميع الامم . واننا ننقل من ذلك عن جريدة الاهرام ما يأتي :

الاسلام والجامعة الطورانية

كيف يسمى الاتحاديون للاشاة الحضارة الاسلامية (*)

كتب مراسل شركة [سنترا نيوز] الخاص يقول :

في خلال بضع السنوات الاخيرة بدت في بلاد تركيا طلائع حركة جديدة
تعرف بنهضة « بني طوران » أو [الطورانية الحديثة] وغرضها هدم المدنية الاسلامية
واحياء العصبة التركية على انتاضها والجمع بين العناصر التركية الثورية والشعوب
المنتمية اليها ومنها الامة البلغارية . أما القائلون بهذه الحركة فهم قوم مشهورون بعدائهم
للالاسلام وتعصبهم عليه ، وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بذلك الكره بحجة ان
الاسلام يسمى لقتل العصبة القومية ويجعل دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم
يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال

وبما يقولونه أيضا ان الاسلام لا محل له في المدنية ولا يمكن ان يعيش طويلا
الا اذا أدخلت عليه تقييدات عديدة تلائم المذاهب التركية القومية

ولهذه النهضة وجهتان احدهما أدبية والاخرى سياسية . فغاية الوجهة الاولى
تمجيد الشعوب الطورانية ونشر تاريخها المجيد . وغاية الوجهة الثانية القضاء على
العصبة العربية . فبحكم حال هو في نظري نموذج الملوك ورجال السياسة فكل مملكة
ينشؤونها يجب ان تقوم على المثال الذي رسمه . وأما العرب في نظري فهم مصيبة
على الاتراك . ولذلك يجب القضاء عليهم أو ادماجهم في العنصر التركي حتى ينسى
العالم تاريخهم وتقاليدهم . أما لغتهم فلا بد من محوها واحلال اللغة التركية محلها في
كل صقع وناد

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم الخميس ١٦ ذي القعدة

والغريب ان كتاب الاتراك الحاليين الذين يدعون بأنهم وطنيون بكل معنى الكلمة ينشرون اليوم المقالات الضافية ويحثون أبناء قومهم على الطواف بجميع أنحاء السلطنة للمناداة بهذه البدعة الجديدة ومن أغرب ما يروى من هذا القبيل ان أحد الاتراك طاف حديثا بسوريا وهو ينادي بهذه الضلالة

والحكومة الاتحادية تؤيد الآن جمعية « بني طوران » وتعززها بالاعانات المالية العديدة وتسمي تلك الاعانات « باعانات المليّة التركية » وجميع كبار الاتحاديين أعضاء فيها وهم يعيدون عن الاسلام بعد الارض عن السماء. والمسلمون ينكرونهم لما يرون منهم من الاعتداء على حدود الشريعة الغراء

ولا يخفى ان الالمان هم الذين يؤيدون الاتحاديين في هذه السياسة الخرقاء فقد ثبت لهم الآن انهم لا يستطيعون الخضاع الاسلام لسياستهم ولا هم نجحوا في اثارة المسلمين الخاضعين لفرنسا وانكاثرا على هاتين الحكومتين. فانقلب زعمهم العطف على الاسلام الى كره شديد له وأخذوا يسعون ضده مستعينين على ذلك بالجامعة الطورانية الجديدة. وقد علم العالم أجمع ما كان من أمر المذشورات الالمانية التي اكتشفها الجنرال [سمطس] في موشي والتي كان غرضها سحق الاسلام في المستعمرات الالمانية، ولذلك فالمانيا هي أكبر خطر على الاسلام مع انها تتظاهر بالغيرة على المسلمين

«*»

ليس من ينكر فضل الاسلام على العالم وما كان لمدنيته من الآثار المجيدة. أما الشعوب الطورانية فليس في التاريخ ما يدل على انها عملت عملا واحدا أفاد الإنسانية بل بالعكس كانت جميع أعمالها تدميرا وتخريبا فالطورانيون لم يستنبطوا شيئا للمنفعة بل كانوا حينما حلوا آخر بوا معالم المدنية ومحووا آثارها واستعبدوا الشعوب التي يقهرونها بأساليب هي في غاية الهمجية

أما أدعاء دعاة الجامعة الطورانية بأن الاسلام قد حال دون نشوء المدنية التركية فغير صحيح. ولا يخفى ان المدنية العثمانية هي خليط من آثار المدنيات العربية والفارسية والبيزنطية والشعوب الطورانية التي لم تدخل في الاسلام لا مدنية لها هلى الاطلاق وانما هي استعارت شيئا من نمالة الحضارة الصينية ولو ان السلطنة العثمانية قد

اعتمدت على المدنية التركية وكانت قد أصبحت في خبر كان منذ أجيال عديدة لان المدنية التركية كما قلنا هي تخريرية لا تعبيرية والشئ الوحيد الذي يفوق به الطوراني غيره هو الظلم والجور واضطهاد جميع العناصر التي لا تسبح بحمد الطورانية وتحمل . وبسبب ذلك اعتقاده بأن جميع تلك العناصر وقفت حائلا بينه وبين تركان آذربيجان والقوقاز .

هذه رسالة شركة سنترال نيوز وقد نشرت الصحف الانكليزية كلها هذه الرسالة وبسطت فيها الكلام بسطا اضافيا

الاسلام والطورانية الحديثة

ما يفعله الاتحاديون لمقاومة الاسلام (*)

نشرنا منذ بضعة أيام فصلا عن الاسلام والطورانية الحديثة ضمناه ما نشرته الصحف الانكليزية نقلا عن شركة « سنترال نيوز » الصحافية . وقد وقفنا الآن على مقالة اضافية في هذا الموضوع نشرتها مجلة الشرق الاذن فرأينا أن نورد خلاصتها لحضرات القراء قال الكاتب :

بدت طلائع الطورانية الحديثة في الاستانة في عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة في جميع انحاء السلطة العثمانية . وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الاصلي الانفصال عن الاسلام ولها أغراض أخرى عديدة ينحصر أهمها في ما يأتي :

- (١) جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام
- (٢) ترقية الروح العسكري في الاتراك
- (٣) انشاء علاقات تجارية وغيرها مع مسلمي آذربيجان وروسيا الامسيوية وروسيا الجنوبية

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم السبت ١٨ ذي القعدة

١٩٦٠ سبتمبر

(٤) تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربي أو فارسي
 (٥) نحو الجنسية العربية وادماجها في الجنسيات الأخرى
 ويرمي القائمون بهذه الحركة إلى جعل التركي يعتقد أنه تركي قبل كل شيء
 ومسلم بعد ذلك . ويقوم بمساعدة هذه النهضة جمعية « الملة التركية » التي تؤيدها
 الحكومة الاتحادية . بالأعانات المالية . ومن مبادئ هذه النهضة تربية الأجيال
 الحاضرة والمستقبل على الروح الطوراني بإنشاء مدارس طورانية بحتة . وبناء عليه
 يجب التوسع في تعليم التاريخ باللغة التركية وإنشاء فرقة كشافة (سكوتس) من
 الأولاد الأتراك تحت إشراف أنور باشا . وقد أنشئت الآن هذه الفرقة وشرع
 الأولاد الذين فيها يتربون تربية عسكرية توطئة لدخولهم في الجيش . أما شارات
 الفرقة وراياتها فأخوذة عن رموز ترجع إلى ما قبل الإسلام . والأولاد الذين لهم
 أسماء عربية تستبدل أسمائهم بأسماء تركية بحتة

ولهذه النهضة وجهة لغوية أيضا ولذلك أخذ زعماءها يترجمون كثيرا من
 المؤلفات العلمية والتاريخية إلى اللغة التركية البسيطة وقد كان في نيتهم أن يترجموا
 القرآن أيضا ولكن علماء الإسلام قاوموا تلك الفكرة بكل عزم وحالوا دون تنفيذها
 ويعزى نشوء هذه النهضة إلى عدة أسباب نذكر منها السببين الآتين وهما :
 (١) اللغة

لا يخفى أن أحرف اللغة التركية مأخوذة عن الأحرف العربية والاصطلاحات
 التركية تزداد كل يوم نمقا وصعوبة في نظر الطبقة الساذجة
 (٢) كتاب المسيو [ليون كاهون] عن تاريخ الترك والمغول من أقدم الأزمنة
 إلى سنة ١٤٠٥ للميلاد وقد توجت الأكاديمية الفرنسية هذا الكتاب ، واتفق أن
 ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي العام قرأ هذا الكتاب فوضع أساسات
 النهضة الطورانية التي نحن بصددتها

ولاشك أن نهضة كهذه مما تهتم العالم الإسلامي قاطبة وتهم أيضا انكلترا
 وفرنسا وروسيا وإيطاليا اللواتي يحكمن على الملايين من المسلمين . والذي يشجع
 الاتحاديين على ترويج هذه النهضة اعتقادهم صحة النظرية التي ابتدعها [فبيري] وهي

أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية . فالانحاديون يقولون ان الاسلام بالانحداد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الاتراك « مسلمين ليفانتين » وحال دون نشوء حضارتهم . على أن هذه الدعوى هي عكس الحقيقة تماماً فان الاتراك الذين جاءوا أصلاً من حدود الصين وانتشروا في مجاهل آسيا حتى ضفاف [الايكسوس] لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لانهم كانوا قبائل رحل يؤجرون سيوفهم لسلطان من يطلب معاونتهم . ولم يحاول أحد من قواد الاتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان [جنكيز خان] كان يحلم بنشر سلطته عليها ولكنه لم يفعل . وقد اشتهر بأنه كان يقتبس عن الصين والمجسم والعربية وبيزنطة وجرمانيا كل ما كان يروقه فيها من آثار الحضارة . ولا شك أن أهم ما اقتبسه هو الاسلام فالاسلام لم يحل دون نشوء الحضارة التركية إذ لم يكن للاتراك حضارة خاصة بهم وكل ما لدى الاتراك من حضارة هو بفضل الاسلام . ولما كانت التركي مشهوراً بروح الخضوع العسكري لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفاً في قبضة الاسلام ان العنصر الطوراني لم يشتهر بشيء من قوة الابتداء . وما تاريخه سوى تاريخ وتدمير . قبائل [بوئي] أخرجت مستعمرات بكثريا اليونانية . وقبائل [الهون] اجتاحت رومية الشرقية ورومية الغربية اجتياحاً همجياً وقبائل [أفار] سعت لسحق الشعوب السلافية في مهابها . و [هولاكور] ردم أبقية بابل وجعل أخصب بقاع الدنيا بلاداً قاحلة حتى الآن ، والعثمانيون أبادوا الحضارة البيزنطية التي ربوا عليها واكتسبوا منها شيئاً من العلم والمعرفة . هذه هي القبائل الطورانية التي تباهي « باتيلا » الذي كانت تقمة الله على العالم ، وجنكيزخان الذي سمي نفسه « غضب الله تعالى » ولما شرع الالمان بحاربون البالجيك وغيرها من دول أوروبا أن يقتبسوا أساليب جنكيز وأتيلا وتيمورلنك



ومما يدل على ان العقل التركي ليس عقلاً مستنبطاً انه لم يات بمستحدث في الاسلام . بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو . ولو كان مخلوقاً ممكراً لرايناه بعد انتحاله الاسلامية يزيد عليه أو ينقص منه ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك لمعجز مخيلته عن الاختراع

امبراطورية تركية

ومما تسعى اليه نهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية حرية واسعة الارحاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا أو لاية دولة اخرى. «أما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها في الجنسية التركية المحضة لانها خطر كبير على الجنسية التركية. ومن أمثله الاتراك من هذا القبيل قولهم : واذا لم نعامل العرب كما نريد عاملونا بما نستحق » لذلك نراهم يسعون « لتريك » العناصر العسرية بحسب الاساليب البروسية

ومما يستحق الذكر أن جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير قال في كتاب حديث الفه ما يأتي : « ان بسلاط العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين. ومما لامندوحة لنا عنه للدفاع عن كيانتنا أن نحول جميع الاقطار العربية الى اقطار تركية لان الجبل العربي الحديث قد صار يشعر الآن بعصيته وهو يهددنا بنكة عظيمة فيجب أن نمحط الامر من الآن »

وكتب أحمد شريف بك مقالة في [طابن] جاء فيها ما يأتي : «لابزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجولون اللغة التركية جهلا تاما كأنهم ليسوا تحت حكم الاتراك. فمن واجبات [لباب العالي] أن يجهلهم ينسون لغتهم ويجهلهم على تعلم لغة الامة التي تحكمهم. فاذا أهل الباب العالي هذا الواجب كان كمن يحفر قبره بيديه لأن العرب ان ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم. بل سيسعون لاسترجاع مجد مملكتهم واعادة ترميمها على انقاض دولة الاتراك »

وجاء في نبذة وزعها الاتراك في القوقاز. « ان العرب هم بليسة علينا مع أن حصان التركي خير من أي نبي ظهر في العالم »

هذا وقد عاقت لجنة الشرق الأدنى على هذه المقالة بتوجيه نظر العالم الاسلامي الى الخطر الذي يهددهم ان هم تباطأوا عن الاحتياط لدرء ذلك الخطر

منشور شريف مكة وأميرها

أنشرت الجرائد المصرية اليومية في آخر الشهر الماضي منشور شريف مكة وأميرها الذي وجهه الى العالم الاسلامي ، وانه منشور كتب بمداد الحكمة واصالة الرأي وشرف الغاية . ولاحظه ان الشرفاء (أمراء مكة المكرمة) كانوا أول من اعترف بسلطة سلاطين آل عثمان الكرام لما كانت أحكام دولتهم قائمة على أساس اشع الاسلامي حبا في الوحدة الاسلامية وكراهة للشقاق وتفرق الحكمة ، وان صاحب المنشور نفسه قد بالغ في الاستمساك بعروة الدولة حتى انه حمل بجنده من العرب على العرب وقتلهم لاجل الدولة

ثم انتقل من ذلك الى سيرة فئة الاتحاديين الباغية فبين انها قد جنت على الدين والدولة والامة فاحرفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغبرت أحكام القرآن ، وحجرت على السلطان حتى منعه من التصرف بشؤون خاصته وقصره ، ونكأت بالامة ، فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهود الذمة ، وخصت العرب بالاضطهاد فصابت في التام كثيرا من أدل العلم ولرأي والفضل ، واستحلت مصادرة الاموال واخراج النساء المحاررات والاطفل من ديارهم وأموالهم ونفتهم الى بلاد الاناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعي . ثم ذكر تقحمهم بالدولة في هذه الحرب وتعريضهم اياها للخطر واجنوه على البلاد بذلك ، وذكر ما حل بالحجاز من جراء ذلك وان الضيق قد بلغ بأهل الدرجة الوسطى الى بيع أثاثهم ثم بيع خشب بيوتهم حتى الابواب والسقف

ثم بين ان بلاد الحجاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاسد العامة التي احدثتها لاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جنسيتها العربية لان الاتحاديين يتعمدون فساد هذا الدين ومحو هذه الامة العربية من لوح الوجود . وذكر ان المامسة التي وضعها الاتحاديون بمكة أرادت الاستئتم من أهل البلاد فأنتم قد انت من مدائنهم من حصن حجاب على الحرم الشريف فأنصابت بيت الله عز وجل وقتلت كثيرا من الطائفين والمصلين فيه

قل « وحسبنا برهاناً على ما تكلمه صدورهم نحو الدين والعرب ومبهم للبيت العتيق الذي أضافته العزة الاحدية لذاتها السبحانية في قوله تعالى ﴿ وَطُورِ بَيْتِ اللَّطَّافِينَ ﴾ وهي قبة المسلمين وكعبة الموحدين بقبليتين من قبل مدافعهم التي يحصن جواد أثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها وتمت احداثها فوق الحجر الاسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعد عنه بمقدار ثلاثة أذرع التهيبت بذاتها أستار البيت حتى هرع الألوف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضحيج والنحيب واضطربهم الحال الى فتح باب البيت والصمود الى سطحه لئلا يمكن من اطفاء للهب ، وما انتهى أمرهم بهذا حتى عززوا الاثنين بثلة في مقام ابراهيم ، وهذا ددما ما وقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غلب مقدرفاتهم بالقتال والرمصاص ، وما زالوا يقاتلون الثلاثة والاربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تمذرع على العباد القرب من البيت ، وفي هذا من الاستخفاف والازدراء بالبيت ونعظمه وحرمة ما ترك القول والحكم فيه أيضا لعموم المسلمين في مشارق الارض ومغاربها »

وهذا المنشور يؤيد ما شرحناه مرارا في المنار من سيرة هذه الجمعية الباغية في الدولة والامة ، ومن اطلع عليه من قراء المنار يجب ان يرى أكثر مسائله في المحاورة التي نشرناها في الجزء الماضي ، وسبب ذلك انها حقائق يعرفها جميع خواص العثمانيين وكثير من عوامهم فكيف تخفى على أمير مكة المكرمة على مكانته في الدروة العليا من الامة والدولة ، وأهل بيته منهم الاعضاء في مجلس المبعوثين كمنجله الشريف عبد الله وفي مجلس الاعيان كأخيه الشريف ناصر

وقد أعجب أهل الفضل بنزاهة المنشور ومحافظته على كرامة الدولة العثمانية وسلطينها العظام وكرامة الشعب التركي أيضا وحصره السيئات التي يشكو منها جميع العثمانيين وكل غيور على الدولة في سيرة الاتحاديين فيها

ومن حكم لروية والانصاف في سيرة الاتحاديين يستدل من موقفه هذا المنشور لكثير من المطاعن التي قيلت فيهم على أن أخبارها قد بلغت حد التواتر بدعة مصادرها فالشريف الاكبر لم يستمد ما ذكره في منشوره من الجرائد المصرية ولا الاوربية ولعله لم يطلع على شيء منها قبل كتابته ، بل يستمد بيناته من الاقوال

ولاعمال الرسمية . مثال ذلك ما ذكره من الشواهد على جنائتهم على الدين وجرائمهم على هدم أركانه والمعبد بأحكامه . فانه ذكر منه أمر سلطتهم العسكرية بالزام جنودهم النقيصة في الحجاز وغيره من الامصار الفطر في رمضان وأمرهم تقاضي مكة بهدم الاعتداد بشهادة المسلمين بعضهم على بعض الا ما كتب منها في محكمته ، وأما أخبار فتكمهم بأعمال الفضل والنبل من مسلمي سورية تقيلا وتصليا ومصادرة الاموال وفي الذماء والاطفال فلا شك في أخذه إياه من الجرائد السورية الرسمية وغير الرسمية وإن لم يصرح بذلك . ودللي على ذلك ان أول كتاب جاءني من وكيل المنار في الحجاز قد نقل فيه عن تلك الجرائد أسماء من قتلوا وصلبوا في الشام من كبراء العرب ومنهم السيد الزهراوي وشفيق بك المؤيد وغيرهما

وقد ذكرت بهذا أنه لما ذكرت الجرائد المصرية أول نبأ عن صلب فضلاء العرب ببغروت وهم الاحد عشر الذين منهم النابغة محمد المحمصاني وعبد الكريم قاسم الخليل أرسل لي فؤاد الخطيب برقية من الخرطوم ذكر فيها ارتياعه واستغفائه للخبر وشكه في صحته والرغبة التي في ارسال برقية اليه يبيان رأي فيه وقال انه لا يثق به الا اذا كنت مصدقا له . فأرسلت اليه برقية قلت فيها اني لا أثق بشيء من ذلك . ثم جاءت جرائد أوربة فجرائد أمريكة نشرت الخبر ، وفي جرائد أمريكة العربية السورية نقل له عن جرائد سورية . ثم انني كنت مارا مرة بنظارة الحربية فرأيت فيها رجلا قد أسره الانكليز من سيناء فسأته عن بلده وعن أخبار سورية فقال انه من القدس ، وأخبرني بخبر الذين صلبوا في بغروت ، فقلت هل تعرفهم قال لا بل أعرف بعضهم بالاسم ، قلت ممن علمت بخبر شفقتهم ؟ قال من جريدة القدس الرسمية . لاجل هذا قلت في المحاوراة التي نشرت في الجزء الثالث ان خبر صلب من صلب في سورية قد ثبت عندي بالتواتر

لقيت أول من أمس صديقا لي من رجال القانون أعرف منه استقلال الرأي فتكلمنا في هذا الموضوع فقال انه يحب ان يجعل نفسه كالتقاضي في هذه القضية فلا يحكم فيها . قلت بل يجب ان يجعل نفسك بمكان المؤرخ المنصف الذي يحصى الاخبار ، ثم يجزم بالنفي أو الاثبات ، فأنا لم أكن خصما للانكليز بل كنت صديقا

لم قبل الدستور وبعده ، وكنت أول من دافع عنهم لما حملت عليهم جرائم الهند
الاسلامية ورتبهم بالكفر والاطداد ، واسطة خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد لاجل
ابطال الحكم الاسلامي ، ولما شاع أمر حبشهم بالدين وتقصيرهم على العرب وغيرهم
تثبت في الحكم عليهم وذهبت الى الآمنة فأقت فيها سنة كاملة معهم ساعيا في
خدمة الاسلام عامة وفي التأليف بين الترك والعرب وحملت بالاختبار الطويل ان كل
ما قيل فيهم دون الواقع كما يتة في التار

وجلة القول ان منشور الشريف الذي كان قبل استقلاله في الحجاز أعظم
الامراء العثمانيين هو أعظم الحجاج على ملاحة الاتحاديين ، كما أنه تأيد من سيد
العرب لطلاب الإصلاح من العرب ، لاسم بنوا معهم على أساس المحافظة على
الدولة العثمانية ، ومن قورهم ان لا يكونوا سببا من أسباب ضعف الدولة ولا تخزيق
وحدتها . وقد انسلخ من الدولة عدة ممالك وولايات بسوء سياسة الاتحاديين :
البوسنة وهرسك وطرابلس الغرب وألبانية ومكدونية : كريت وجزائر الارخبيل
الرومي ، - دوع ولاية البصرة . ولولايات الارمنية والاناضولية التي ذهبت في
هذه الحرب - ولم يكن العرب سببا في زوال شي منها . فلهذا أكبر حجبنا على
هؤلاء المحرمين

باب الامر اسلة والمناظرة

حال المسلمين الاجتماعية

(وفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

للفاضل القيود - م . ن - صاحب الرسالة التي نشرت (في ج ١٠ م ١٨)

حضرة حاكم الاسلام السيد الامام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب

مجلة التار الاسلامية ١

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فلست صحفيا ولا من المشتغلين بالتحريير ولا ببيع وقت فراغي كتابة المقالات ، وتنسيق العبارات ، فان في أعمالي اليومية اشغلا شاغلا . فان اكتب اليكم فانما اكتب مدفوعا بمامل القيام بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » التي عفا أثرها من بين المسلمين . اذ لولا صوت المنار الحلي المرتفع الذي يدوي في الآفاق فيفتق أغشية الآذان ، ويرقق حجب القلوب ويفتح الأذهان ، ويوقظ النائم ، وينبه الغافل — لولا ذلك الصوت المنعش للنفوس المحركة للهم ، لصح أن يقال ، ولا عتب في المقال : ان الامة الاسلامية شيخ بلا روح

كتبت رسالتي الماضية في موضوع الدعوة والارشاد ولم يكن لي غرض سوى العمل بهذه الفريضة واقامة الحجبة امام الله تعالى على المسلمين الذين نهانوا فيه وفي كل عمل اسلامي . وانه وان لم يكن الذي كبير أمل في أن يقدم المسلمون في الحال ، ما يحتاج اليه لمشروع من المال ، فقد كان رجائي نظما في النجاح التدريجي الذي يؤدي الى النجاح التام . ولكني ما كنت أظن أن يكون نصيب هذه الدعوة الصمت والجمود اللذان يدلان على شدة ما تمناني الامة الاسلامية من أدائها الاجتماعية .

اذلكت حديثي نفسي بعد طول الانتظار بأن أبعث اليكم بهذه الرسالة الثانية زيادة في التدكير ، وتأكيذا للانذار والتحذير ، ولأبين ان المسلمين غير معذورين في البقاء في هذه البؤرة الفتنة ، وان وسائل النجاة والحياة في أيديهم والامر كله متعلق بمشيتهم . وهذه هي الرسالة :

دعوت المسلمين في رسالتي الماضية لتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وما كنت لأدعهم الا الى حق وأرضحت لهم خطورة الحالة التي نحن فيها وما كان لي أن أكذب ، وأقمت لهم الدليل على أن المشروع كافل لاصلاح الحال ، وما كنت الا صادقا . وانتظرت ماذا يكون من أمر هؤلاء وأطلت الانتظار فألفيتهم صموا عن النداء ، واختاروا البقاء في الشقاء ، وما كنت مكرها لهم على ما ثقلت عنه نفوسهم ولا اكراه في الحق

انه ليحزني أن تخيب دعوتي وليس ذلك لانها صادرة مني فما هي الاصدى
لاصوات صاحب المشرع ومن نصره فيه من قبلي . وانما حزني وأسفني لحرمان
الامة الاسلامية من الخير العظيم الذي كان ينتظرها ان هي اجابتهاء ، ولكن ما حيلتي
وقد دعوت ونصحت وما فرطت ، والامة أعرضت وجحدت واستكبرت . وقد
فشلت دعوة الكثيرين من أهل الغيبة والاخلاص من قبل فلم ينقص إعراض
الناس عنها من قدر الحق ولا من قيمة مادعوا اليه شيئا ، اذ الحق حي بذاته لا يضره
أن يكفر الناس به كما لا يرفعه أن يغفلوا فيه . وان في ضياع صوت أستاذنا العظيم في
فضاء غفلة هذه الامة الجاهلة امرة وذكرى للمتشائمين المتسرعين

انه يقع الانسان في الحيرة ويأخذه العجب لخبيسة دعوة الحق بين المدايين
وفيها خيرهم وفلاحهم ونجاح دعوة الشرفيهم وفي اجابتهاء هلاكهم وشدة وهم . فما أشد
ظلمهم لاهل الحق الذين يغارون على الامة ويريدون لها الرشاد وظلمهم لانفسهم
باتباعهم أهل الضلال الذين يسمعون في الارض بالفساد . ولقد ود المصلحون لو
أن الامة عرفتهم فأترلتهم منزلتهم وسمعت لقولهم واقفت أثرهم فنهضت بهم .
لا بسأل هؤلاء الامة أجرا على عملهم فالحق والعمل الصالح أعلا من أن يقوما بشيء
من حطام الدنيا . وان أخذوا أجرا في الظاهر فليس هو في الحقيقة بأجر وما هو من
قبل من شيء . مباع ولكنه مال يسدون به عوزهم ويستعينون به على عملهم الذي يقيمون
به الخير الامة وسعادتها . انما أجروهم على الذي فطروهم وهو وحده الذي يـ ر عملهم
ويكافئهم عليه في دار غير هذه الدار . أما أهل الباطل والضلال فهم يفتشون السم
في النفوس والارواح بما ينشرون من رأي ، ويدعون اليه من عمل ؛ ويسلبون أموال
الامة أجرا على هذه الفضالات ، انهم لا يرجون عند الله ثوابا ولا بعد هذه الحياة
حياة . فهم انذلك يمحطون على جمع المال بأي وسيلة تمكنهم منه ، فهو غرضهم الذي
اليه ينتهي الامل ، والسبب الوحيد الذي يحركهم للعمل . هؤلاء هم رسل الشهوات
وأعوان الهوى وأولياء الشيطان ، وأولئك هم دعاة الفضيلة وانصروا الحق وحزب الرحمن .
فيا ليت شعري أي الفريقين خير مقاما وأهدى سبيلا . ومن منهما أولى
بالاتباع وأقوم عملا وأحسن قبلا ؟ فياخلف خير أمة أخرجت للناس أنسبدلون

الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ وتندفعون الى الاوهام والضلالات مختارين
وتسلمون الى الشر؟

وذكر كثير من الناس لو يعرفون سبب هذا الجفاء بين المسلمين وأهل الحق
والصلاح وهم المحبون الصادقون، وعلة هذه المودة بينهم وبين أهل الباطل والفساد
وهم الأعداء الظاهرون. فإنه لا بد لذلك من سبب ومضى عرف السبب زال العجب.
ليس العيب الذي تقدم ذكره هو الوحيد في المسلمين. والا فلماذا يمادي
هؤلاء المسلمون أنفسهم ويهبطون على أعدائهم؟ ولماذا يمرضون عن مصالحهم
ويسارعون الى هلاكهم؟ وما الذي حسن اليهم الباطل وبغضهم في الحق؟ وأي
شيء سوغ اليهم ارتكاب السيئات وترك الحسنات؟ ولأي سبب يصالحون الشيطان
وبغضون الرحمن؟ وما السبب الذي هبط بهذه النفس الانسانية الى درك الحيوانية؟
انه يوشك أن تكون جميع تصرفات المسلمين مخافة للمقل والنقل وأحوالهم
مرذولة غريبة الشكل. وإنما هذه التصرفات والاحوال هي أعراض للمرض العام
الذي سكن في جسم هذه الامة فأضعف قوتها الحيوية وأسدل الحجب على بصيرتها
قبحت ما ليس بالقبيح ورأت حسنا ما ليس بحسن. فرض الامة هو سبب كل
ما تنكر من مبولها وحركاتها وسكناتها. فإذا عرف المرض عرف السبب

المرض أو السبب هو كما قال السيد الامام هو ضعف استعداد الامة وحرمانها
من الزعيم. وهو قول حق لا ريب فيه، اذ لو وجد الاستعداد والزعيم معالمتهم
الامة من كيوتهما وحييت حياتهما الطيبة وفارقها الشقاء، وزال عنها ما نزل بها من البلاء،
ولكن الى متى نسكت على هذا الضعف فينا ولا نباشر علاج أنفسنا؟ الآن وقد
عرف كنه المرض الذي أصابنا وسبب الضعف الذي أنهك قوانا فمن السهل معرفة
علاج هذه الحالة أيضا. إنه وقد أمكن تشخيص الداء فما علينا الا أن نصف الدواء.
للعلاج ضعف استعداد الامة لا في أمر واحد وهو العلاج القديم الذي
ثبت صلاحه وتأكد نجاحه رابع في كل زمان وفي كل مكان وسار على سننه
الانبياء عليهم الصلاة والسلام في تبليغ رسالات ربهم عز وجل، وكذلك الصالحون
من بعدهم. ذلك العلاج هو اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

أن الناس أفلحوا وسعدوا ما عملوا بهذه الفريضة ونخابوا وشقوا ما أهملوها .
فكما أن دأبنا في تركها كذلك علاجنا في إقامتها . وقد جعل الله تعالى العمل بهذه
الفريضة شرطاً ضرورياً لصحة الإيمان وهي أعظم ما فرض العالم الحكيم على أتباع
أنبيائه عليهم السلام ، فكانت ولا تزال إقامتها عنواناً على هداية الناس وسعادتهم ،
وأهمها دليلاً على صلاحهم وخسرتهم واستحقاقهم للمنة « لتأمرن بالمعروف وتنبين
عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » (لن
الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا
وكانوا يعبدون » كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفتعلون)

تركت الأمة الإسلامية العمل بفريضة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »
من عدة أجيال فتفقدت بذلك قوتها الحقيقية التي كانت تنجي بها الأموال والأعراض
والعقول والقلوب والأخلاق والدين من فتك الشهوات وهجمات الشياطين . وماذا
يفعل الاعزل من السلاح ، في ميدان النزاع والكفاح ؟ صار أفراد المسلمين بعد
ذلك — وقد خفت صوت الأمة وارتفع صوت الشهوات والهوى والشيطان ،
كالعقد الذي تبعثرت حباته أركذرات الرمال التي تتجاذبها الرياح والأهواء المختلفة
فضل الناس في الفهم والرأي والعمل ولا منكر ولا مرشد ، وانحلت الرابطة
وتفرقت الكلمة ، وتناكرت العقول والقلوب ، وضاعت الفضيلة ، وحلت محلها الرذيلة ،
وأنشأ الجاهل بالعلم ، وأوشك أن يكون الدين المعمول به عند الجماهير الآن ،
مجموعة خرافات وأوهام وضلالات ، وبدع ومنكرات وتقاليد وعادات ، وبالجملة
أن الحال قد تحول إلى ما يرى كل إنسان ، وليس الخبر كالعيان . تلك عاقبة الذين نسوا
حظاً مما ذكروا به بأهمهم هذه الفريضة فتولدت بذلك في الأمة الأمراض والعلل ،
التي أضعفت اعتمادها للفهم والعمل ، فضل فيها صوت المصلح ، وخابت دعوة
الحق ، وما ربك بظلام للعبيد

وان تعجب فعجب أن يعتذر القادرون على الإصلاح عن إغفالهم ذلك الواجب
العظيم بأعراض الأمة عن الحق والخير وانصراف عقول أفرادها وقلوبهم إلى الباطل
والشر ، ونسوا أن الأمة ما سقطت في هذه الهوة السحيقة ، إلا بسبب إهمال هذه

الفريضة . كما غفلوا عن كونها أحوج الى الارشاد في هذه الحالة منها في سواها !
 ان ما وقع من الامة من التفريط في جنب الله لا ينبغي أن يُستل عنه
 سواها وان عليها ان تتحمل وحدها أثقله وتتجرع مرارة (ولا نزر وازرة وزر
 أخرى) . فلا يصح ان يؤدي تفريط الامة في واجبها الى تفريط المؤمن في واجب
 « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي فرضه الله عليه ، ولا يسقط عنه الا بأدائه ،
 سواء استجاب له الناس أم لم يستجيبوا . ما كان ضعف استعداد الامة للحياة أو
 بعبارة ثلثة ضعف قوتها الحيوية الذي هو نتيجة طبيعية لما كسبت أيديها كما تقدم
 ليغير من موقف المصلح أمامها ، فهو مطالب على الدوام بأن يصدع بالحق وان كان
 غريبا عن عقول وقلوب أكثر سامعيه ، وان يقرر الحقيقة وان لم يقبها الا نفر قليل
 منهم ، ولد عوته مع ذلك حجة على الطائعات والفاسق ، وما الاخير لقلّة استمداده بمذور
 (كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * وقالوا قلونا غاف بل لعنهم الله بكفرهم فقليل
 ما يؤمنون * ايس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء * ما على الرسول الا البلاغ)
 وقد دعا كثير من أنبياء بني اسرائيل قومهم الى الحق فكذبوهم وقتلوهم . وما
 كذبوهم وما قتلوهم الا لانهم لم يفتحوا دعوتهم أو لم يقبلوها . وكذلك كان شأن
 الناس مع كثير من المصلحين . فما من دعوة الى حق الا وصادفت في أول أمرها
 إعراضا عظيما ومقاومة كبيرة ممن جاءتهم ، حتى قيل انه لا أمل في قبولها . ومع ذلك
 لم يكن ذلك الاعراض وذلك التكذيب وتلك الشدائد لوثر في همة أولئك الهداة
 وعزمهم ، أو ترجعهم عن قصدهم ، فمن ذا الذي يحسم ان يقول ان عملهم كان لغوا
 لان الناس لم يكونوا مستعدين له ؟ كلا بل هو كل الحق والصواب وعين ما أمر
 الله به وأوجبه عليهم وهو سبب كل ما وجد وما يوجد من خير واصلاح في العالمين
 وعلة الحركة والحياة في الناس أجمعين .

ان كل دعوة لحق نصيب الغرض سواء أجيبت في الحال أم لم تنجب وسواء
 أدرك لداعي نجاح دعوته في حياته ، أم حصل النجاح بعد وفاته ، فهي محدثة أثرها
 على كل حال . فمثل الحكم الطيب والعمل الصالح وتأثيرهما في النفوس كمثل
 التفاعلات الكيماوية سواء بسواء ، فان التفاعل الكيماوي حاصل وان كان أحيانا
 (المنار : ج ٤) (٣٢) (المجلد التاسع عشر)

يسير ببطء تبعاً لحالة المود وطبيعتها وقوة تأثيرها بعضها في البعض الآخر . وكثيراً ما تجري الحوادث الكونية بحيث لا تدرکها الابصار ولا تناولها الحواس . فاذما مضت الايام أو الشهور أو السنون أو القرون فوجئ العاقلون بالتأجج الصغبرة أو الكبيرة التي نشأت عنها ، وبالجملة انه كما ان لكل حركة أثر في مجموع ما يحيط بها من الاشياء كذلك لكل طيبة أو كلة خبيثة فعلها في ردع الناس عن الشر أو اغرائهم به . أفليس من الوجوب علينا الاكثار من الكلام الطيب دعوة للخير ومقاومة لدعوة الشر التي كثرت واستفعل أمرها ؟

ان الباطل عدو الحق كما أن الحق عدو الباطل . وهذه المداوة قديمة من عهد ان عرف حق وباطل وتبقى مستمرة الى ما شاء الله تعالى . فعلينا ان نفههم هذه الحقيقة ولا يطعن أحد في التوفيق بين عدوين هما أكبر خصمين في الوجود . انه لا ضرر على الحق من هذه المداوة أو المخاصمة التي لا مفر منها ، فالباطل أضعف من ان يقف امام حق والحق أقوى من ان يتأزل . باطلا وما كان لباطل ان يوجد مع حق في ساحة فأين وجد حق لا يوجد باطل وان الباطل ليتضائل امام أشعة الحق كلما اقرب منه كما تتضائل الظلمة امام الضوء . ان الحق ثابت بنفسه والباطل ساقط بذاته أو بعبارة أخرى ان حياة الحق مستقلة باستقلال الحق ولا حياة للباطل الا باستناده الى الحق فهو أشبه بالخيال منه بالحقيقة . انه لا يطلب الباطل الا الحق فالباطل قوي ما غاب عنه الحق وكما انه لا سلطان لحق على حق كذلك لا نفوذ لباطل على باطل وكما ان الباطل يذهب بتدوم الحق فانه لا يترك مكانه لباطل مثله . فيلزم مواجهة الباطل بالحق على الدوام فموت الباطل في قرب الحق منه وحياة الحق في خفاء الباطل . ان الحق حق ولا يمكن ان يكون الاحقاء والباطل باطل ولا سبيل الى جملة حقا ، فلا بد من الخلاف والتصادم بينهما . ولما كانت مهمة الحق ازهاق الباطل ودأب الباطل الفرار من امام الحق والانتشار في الساحات التي لا سلطان له فيها ، وجب ان يتعقب الحق الباطل أينما حل وسار ، لينه له الانتصار .

لا عيب في الحق وانما العيب فيمن يدهون اتهم أهله اذا قصرُوا في القيام به ونصره ، والا فقيم يفتشى أهل الحق أهل الباطل وهو لاء ضمقاء بضمف ما لديهم

من باطل ، وأولئك أقوياء بما لديهم من الحق ؛ لا يجوز لأهل الحق ان يدعوا هؤلاء المبطلين آمنين مغرورين بزخرف الباطل مفتونين بظواهره الكاذبة حتى لا يكون ذلك اقرا راً منهم لباطلهم ، بل ان الواجب اطلاق بلهم وقذفهم بالحق دائماً بدون رافة أينما ذهبوا أو حلوا أو وجدوا ، في غدوهم ورواحهم ، في نومهم ويقظتهم ، في أعمالهم وراحتهم ، الى ان يذهب نور الحق بظلمة الباطل ، ويعرفوا انهم لم يكونوا الا واهمين . ان نور الحق متى ظهر للناس لا يستطيعون نكرانه وان استطاعوا انكاره فلا يقدرون على المجاهرة به . وان الاصرار على الباطل بعد أن يفضحه الحق قليل في الناس ، وإنما يصر الا كثرون منهم على ما يصرون جهلاً منهم ونوهما أنهم على حق ، لا عذر في السكوت على الباطل فيجب أن لا يصد داعياً الى الحق صاد مهماً عظمت المهمة وبعدت الشقة ، وإذا بعد الناس عن الحق أو قل عدد الراغبين فيه منهم أو فقدوا في بعض الازمة أو الامكنة فان ذلك لا يجعل الحق غير حق ، ولا ينبغي ان يكون مانعاً من الدعوة اليه اذ الباطل لا يصح ان يرضى به على أي حال .

ان الحالة قاضية بتنبيه المسلمين الى الخطر المحدق بهم ، وأن يقال لهم في وجوههم بصوت جهوري : انكم في هوة انحطاط سحيقة تجب للمبادرة الى انقاذ أنفسكم منها . ولا يمكن أن يقال لهم غير ذلك . ينبغي أن يقال للمسلمين : « يامعشر النساء ويامعشر الرجال أنتم على باطل وضلال . وأن تقاليدكم وعاداتكم التي تدينون بها وتحرسون غاية الحرص عليها إنما هي من مخترعاتكم ومخترعات آبائكم ، وأن العمل يشكرها وشرع الله يتبرأ منها . وهذه القبور وما حوت من عظام الاشجار والاحجار لا يمكن أن تتخذ وسيلة الى العالم الملام ، ولا سبباً لنفساء الحاجات أو شفاء الاسقام ، وهذه الافكار الفلسفية والنزعات المادية التي اتبستم فيها سفهاء الافرنج بدعوى المدنية لم تكن الا نزغات شياطين . وهذا الفسق والفجور والعصيان من عمل الشيطان ولا يتفق مع رضاء الرحمن . وأن خطتكم التي تسبرون عليها الخطاة عوجاً ، وهي سبب ما نزل بكم من البلاء . فارجعوا الى أصل الدين تكونوا من المهتدين » يجب أن يقال ذلك وما شاكاه للمسلمين وأن يبين لهم ما يقال تقريرا للعقول والافهام . فمن قام بذلك فقد قام بواجبه وليس عليه أن يبحث في مبلغ تأثير

كلامه في نفوسهم فليس عليه هداهم وإنما الهدى هدى الله .
 قد يفقه المسلمون القول ويدركون الغرض المقصود منه في الجملة فيهمون أن
 يفتحوا عيونهم للنظر ويتحركوا للعمل ولكن قد تغلبهم الشهوات فيعرضون ،
 ويؤسوس لهم الشيطان فينكصون ، وعن اتباع الحق يعدلون . انهم عصوا لضعف
 استعدادهم ولكن ما حيلة الداعي وأمر استعدادهم بأيديهم ان شاؤا أصلحوه وان
 شاؤا زادوه ضعفا ؟ وما ذنبه والمراء لا ينفعه زجر زاجر ما لم يكن له من نفسه وازع
 (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ان الناس مسؤولون عن ضعف استعدادهم كما أنهم مسؤولون عن ضياع كلمة
 الحق بينهم . وان ضعف استعداد الامة ناشئ عما ارتكبته من السيئات ، فيكفي منها
 الاقلاع عنها وعمل الصالحات ليبدلها الله تعالى من فضله حسنات . ما عذر هؤلاء
 المسلمين في هذا الانحطاط الذي انفردوا به وفيهم كتاب الله تعالى ، وأمامهم سنة
 رسوله (ص) وبن أيديهم آثار أهل الحق ورجال الإصلاح ، وتحت أنظارهم
 الامثال الحسية على قيمة العمل وعلو الهمة فيما يشاهدونه حولهم من المجهودات
 العظيمة التي تقوم بها الامم العريضة القوية ؛ ان المريض وان اشتد به المرض قد
 يجد الى الشفاء سبيلا باتباع أوامر الطبيب والعمل بإرشاده . فلماذا لا تطلب هذه
 الامة شفاءها في القرآن الذي ما فرط الله فيه من شيء ففيه شفاء للناس ؟ ولم لا
 تستوضح ما أشكل عليها من سنة الرسول (ص) والمأثور عن السلف الصالح ؟ كل
 ذلك ميسورها سهل عليها . بل ما الذي يمنعها من الاصغاء لنداء أهل الحق
 والإصلاح الذين يمن الله تعالى بهم على المسلمين من وقت الى آخر رحمة بهم اذا
 اشتدت الحاجة اليهم وزاد الكرب وضاع الألب وبلغت الروح التراقي ؟ لقد رزق الله
 الامة الاسلانية من هؤلاء في أقل من نصف قرن ثلاثة أقطاب كل واحد منهم يكفي
 للنهوض بالامة واسعادها لو وجدوا منها مسمية او ناصرا ومطيعا . انه قضى منهم اثنان وهما هو
 ذا الثالث يتزع بالحجة ويصدع بالحق تسعة عشر عاما فهل وزن قوله بميزانه وعرف
 له حتى الآن قدره ؟ ان صوت المنارة وحجة الله الناطقة في الناس في هذا العصر وأنه
 وان ضاع حتى الآن بين أهل هذا الزمان فإنه لا يضيع عند الله ولا في مستقبل الأزمان

أفلا ينظر المسلمون الى حالتهم ويرجعون الى أنفسهم ليجدوا أنهم ضلوا ضلالاً بعيداً ! وهل شيء أدل على ضعف دينهم وانحلال قوتهم من قيام قسيس في هذين اليومين يطعن في السنة وأشهر رواياتها وحملتها وينشر شبهته في مجلة سيارة ويدعو الى الرد عليها ثلثمائة مليون من المسلمين ؟

فأي برهان على فقر الامة من الرجال أقوى وأظهر من سكوت علمائها عن رد مزاعمه وإبطال شبهاته سوى رجل الاصلاح الاوحد ناصر الاسلام السيد الامام ؟ ان القسيس ما كان ليتحدى برسالة صاحب المنار فهو يعرف من هو ، وكان يتمنى طبعاً لو لم يرد عليه بحرف واحد . فهل الامة كلها صاحب المنار ؟ وهل عدم المسلمون وهم يمدون بمئات الملايين من يستطيع ابطال الشبهة ورد الفرية سواء ؟ قديكون ذلك صحيحاً . وبالله الاسف وقد لا يكون صحيحاً . ولكن الذي يلزم الاعتراف به هو ان الامة سكمت لمن ادعى انه هدم الاصل الثاني من اصول دينها وهو السنة النبوية وقد وقف أمامها يدعوا افرادها كافة الى الكلام ، ويطلب منهم وهو فرد ضعيف الخروج جميعاً الى الميدان ! فهل نصدق بعد هذا دعاوي من تصدروا لارشاد الامة وسموا أنفسهم رجال الدين وأئمة ؟ وهل يغتر الغافلون بتظاهر أهل المآثم والفرجات من علماء هذا الزمان بالتقوى والصلاح والخيرة على الدين والعمل لمصلحة المسلمين ؟ ألايت شعري بما ذا يعملون سكوتهم وقد وجب النطق واستنصر الحق ؟ وبأي شيء يؤولون اهلهم فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهم اولى الناس باقامتها ؟

لا جواب على ذلك الا ان الهم مصروفة الى غير تلك السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل لم تفقد الامة الاسلامية استعدادها للعمل فقد تآماً اذ هي لا تخلو من استعداد لقبول دعوة الخير الى حدماً والا كانت شرّاً محضاً . ولا يوجد في الكون محض شر والا لزال على الفور . فالذي نشكوه وعناه السيد الامام هو ضعف الاستعداد لا فقد تآماً . وانما ترفض الامة الضعيفة الاستعداد دعوة الحق ولا تلبها في وقتها لقصر في النظر وقلة في الفهم ، وضعف في القلب . وليست معذورة في ترك العمل لضعف استعدادها وحرمانها من الزعيم أو الزعماء كما تقدم ، فان ذلك الضعف وذلك الحرمان منها وهي التي ولدتهما كما تلد الام ولدها

ألا ان الاستعداد لا يوجد في الامة من نفسه ولا يوهب لها كما يوهب المتاع . ولكن الامة هي التي توجد بتعميد الاسباب له كما ان وجود الزعماء تابع لحركة الحياة فيها ، فهم أبناؤها وهي التي تلدهم . فالامة هي التي توجد استعدادها كما تلد زعماءها ، وقد يكون الزعيم موجودا وهي لا تراه لعله في باصرتها أو بصيرتها فإذا زالت العلة بتقوية الاستعداد للاصلاح والتوجه لطلبه وجدته بين يديها وأمام عينها فالامر كله راجع الى الامة وهي التي عليها أن تحضر الدواء وهي التي عليها أن تتمطاه . فهي المريض ومنها الطبيب . وبعبارة ثانية ان الامة متى وجد فيها الاستعداد للحياة أوجدت طبيبها واستعدت لقبول دوائه ، فهي المطالبة بأعداد الطبيب أو الاطباء وهي المطالبة بتجهيز الدواء وباستعماله في مقاومة الداء . انها هي المطالبة وحدها بإقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فإن عجزت فقد عجزت عن الحياة ولا دواء ولا شفاء

لست أعني بهذا اني شئت من حياة هذه الامة ، بل مرادي أن أقول ان حياتها لا تكون الا في العمل بهذه الفريضة التي هي العلاج الوحيد لمرضها . انه ما كان للسيد الامام وهو طبيب الامة الا وحده أن يباشر علاجها الا من هذا الطريق الطبيعي الامين ، وان يستعمل سلاحا لقطع عرق الفساد من أصوله غير ذلك السلاح الماضي . فلقد أحيا هذه الفريضة ونصرها بلسان المنار الذي أنشأه وبلسانه على منابر الخطابة وفي الجمعيات والملتقات وفي مجالسه العامة والخاصة وقد ربي المنار رجالا يحبون الاصلاح ولكنه على ارتفاع صوته وعظيم قوته المستمدة من قوة الحق لا يزال عدد من رباهم قليلا واستعدادهم ناقصا . ولا يدل ذلك على تقصير المنار بل هو علامة على استفحال الداء في جسم الامة . ولما رأى الرجل زاده الله علما وهدى أن تيار الفساد يشتد اشتدادا ، وأعوان الضلال وأولياء الشيطان يزدادون ازديادا ، أدرك أن الامر يقضي بتريسة فئة من المسلمين تربية عملية أخلاقية دينية عصرية ليكمل منهم سدا امام ذلك السيل الجارف الذي ينذر بأمر خطير وشر مستطير . انه أراد بتأسيسه [جمعية الدعوة والارشاد] أن يهب الامة كنزا ثميننا لا تنقاد له لتأخذ منه على الدوام حاجتها من الرجال القادرين على إقامة

هذه الفريضة التي لا قوام لها بدونها .

انه كان حقيقا بالمسلمين وقد أصبحوا على حافة الهاوية ان يشتروا حياتهم باحياء هذا المشروع . ان الحياة أغلا من ان تقوم بال . فهل كثر على المسلمين ان يشتروا حياتهم بفلس لو قسم على كل فرد منهم ما أصاب الفرد بارة واحدة ؟ لهم بخلو هذه العريهمات ولذلك مات المشروع فمات بموته آمال عظام . انه مات صدقا ولكن ذلك لا يفرعنا فسيخلفه الله خائفا جديدا وما ذلك عليه بعزير . نعم مات المشروع بعد ان عاش أربع سنين عيشة مضطربة ، ولكنه سيعود باذن الله تعالى على أيدي أناس آخرين جديرين باحراز فخر القيام به . انه مات ولكنه في الحقيقة لم يمت ، فقد مات بشكله الذي انشأ عليه وعاد للحياة بعد تحوير في شكله الاول بقدر ما سمحت به الوسائل لصاحبه وسيبقى ما شاء الله تعالى حاكما على الامة بالضعف وللإستاذ بملو الهمة والاختلاص . مات المشروع ليحيا المشروع . مات وحقيقة الامر انه حي لانه من الحق والحق لا يموت ابدا . ليكن مات في الظاهر ولكن صاحبه بفضل الله لم يمت وسيبقى بتوفيق الله تعالى بالرغم من حسد الحاسدين سيما مسلولا فوق رقاب المفسدين ، وحجة لله تعالى على المجرمين ،

ليس غرضي الآن ان أعود فادعوك لى نصرة المشروع وقد رفضتم الدعوة من قبل وما أغتكم النذر ، وانه أدعوك الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فانظروا ماذا أنتم صانعون . اني أطلبكم باقامة هذه الفريضة التي لا مجال فيها للتأويل ، ولا للقل والقليل ، انه في اقامة هذه الفريضة علاجكم الوحيد فلا يصح ان تتوانوا في طلبه والا فقدتم حياتكم .

ان الحالة وان اشتدت وتماظمت لا يجوز ان ييأس باشتدادها المؤمنون ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

نعم أنكم قطعتم في سبيل الضلال شوطا بعيدا وسطقتم في مهواة الخلية والخسران سقوطا شديدا ، وصرتم أحط أهل الشرق والغرب ، وضجت من أفعالكم الارض واستغاثت السماء وفضب الرب ، ولكن العلاج لا زال ممكنا وطريق السلامة أراه مفتوحا آمنا . ولا يهزكم لا السرعة في العمل ، قبل ضياع الأمل . فان نار الشهوات

والهوى التي أحرقت أجسامكم وأرواحكم تكاد تأكل ما بقي من رفق فيكم، فاحفظوا هذا الرفق وانجسوا بأنفسكم ولا هلكتم كما هلك من كان قبلكم وما أنتم بمعجزين .
يؤمني انه اذا دعا المسلمين داع لا يعرفون من المقصود منهم بالكلام فكل ينتحل نفسه الاصدار ويرى انه غير معني بقول ولا مكلف بعمل ! ذلك بأنه لا جماعة تجمعهم ولا سائل ولا مسؤول ! ولكن الله يعلم ورسوله وملائكته وأهل الحق يعلمون ان لا وظائف في الاسلام ولا رسوم ، فكل مسلم مخاطب بكلمة الحق مطالب بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والامة كلها متضامنة في مسؤولية الرضاء بالحالة الحاضرة ، وعلى ذلك فأنا أوجه خطابي الى الامة جميعها ، وأعني به كل فرد من أفرادها ، واقصد بنوع خاص أهل العتل والفهم الذين لهم آذان يسمعون بها وقلوب يقيمون بها ، اني أدعو هذه الامة الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي من المنكر » وأخاطب في شخصها المسلمين كافة صغيرهم وكبيرهم سواء منهم المعم والمطربش ، الكبير والحقير ، الغني والفقير ، التاجر والصانع ، صاحب الملك والمزارع ، الظاهري والباطني ، البدوي والحضري ، العربي والمجبي ، اني اطالبكم جميعا باقامة هذه الفريضة فان أجبتكم فان الله يعدكم من لذه مغفرة وأجرا عظيما وان يرفع عنكم هذا البلاء ، ويفيض عليكم رزقا ورحمة من السماء ، وان تولوا فحسبكم ما أنتم فيه جزاء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

أدعوك أيها المسلمون الى اقامة هذه الفريضة ولا أخبركم بين اجابة الدعوة ورفضها لانه ما كان لي أن أخبركم بين الصحة والاعتلال ، والهدى والضلال . ولكم فيما عدا ذلك أن تعدوا ومائل العمل بحسب ما يروق لكم . ولكن ذلك لا يمنعني أن أكرر النصيح لكم بأن أقرب الطرق الى اقامتها على وجهها هو تنفيذ مشروع [الدعوة والارشاد] الذي دعوتكم الى تعظيمه في رسائلي الماضية . فان كنتم في ريب منه فأتوا بمشروع خير منه أو مثله للقيام بهذا الواجب الاكبر ، وتخليص الامة من هذا الكرب العظيم ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا وان تفعلوا فاعلموا أن مادعاكم اليه امامكم هو الحق المبين واني لم أكن في ترديد دعوته غير ناصح أمين .

نشرنا هذه الرسالة ومنشئها النارقذ ذهب الى اداء فريضة الحج فتوجه اليها نظر المسلمين ونحس صاحب (الانتقاد على المنار) ص ١٩٠ ج ٣
صالح رضا

المسحاة

١٣١٥

يقضي الحكمة من يتاه ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٤ — ٤ المقرب (خ ٢) ١٢٩٥ هـ ش ٢٧ أكتوبر ١٩١٦

فوائد شتى (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالحديث الصحيح

قال السندي في حواشيه على فتح القدير من كتب الخفية : الحديث حجة في نفسه ، واحتمال النسخ لا يضر فان من سمع الحديث الصحيح فعمل به وهو منسوخ فهو معذور الى ان يبلغه الناسخ ، ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح : لا يعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وفلان ، فانما يقال له : انظر هل هو منسوخ أم لا . أما اذا كان الحديث قد اختلف في نسخه فاعامل به في غاية العذر ، فان تطرق الاحتمال الى خطأ المفتي أقوى من تطرق الاحتمال الى نسخ ما سمعه من الحديث . قال ابن عبد البر : يجب على كل من بلغه شيء أن يستعمله على عمومته حتى يثبت عنده ما يخصه أو ينسخه ، وأيضا فان المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عده بعضهم احدا وعشرين حديثا ، واذا كان العامي يسوغ له الاخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال خطأ المفتي كيف لا يسوغ له الاخذ بالحديث اذا فهم معناه وان احتمل النسخ . ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من ابطال الباطل ، وقد أقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الامة ولا يعرض احتمال الخطأ لمن عمل بالحديث وأقوى به بعد فهمه الا وأضعاف أضعافه حاصل لمن أقى بتقليد من لا يعلم خطاؤه من صوابه ويجري عليه التناقض والاختلال ويتول القول ويرجع عنه ويحكي عنه في المسألة عدة أقوال

وهذا كله فيمن له نوع أهلية أما اذا لم يكن له أهلية ففرضه ما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) واذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتبه له المفتي من كلامه أو كلام شيخه وان علا فلأن يجوز اعتماد الرجل على ما يكتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالجواز ولو قدروا أنه لم يفهم (*) من جمع الشيخ أحمد شاكر بن الشيخ محمد شاكر والحواشي والعناوين من وضع صالح رضا

[المنار: ج ٥ م ١٩] الفقه والاجتهاد. السؤال عما لم يقع. حديث ان الله الخ ٢٤٧

الحديث فكما لو لم يفهم فتوى المفتي يسأل من يعرفها فكذلك الحديث . انتهى كلام السندي مخلصا وقد أطلال من هذا النفس العالي رحمه الله تعالى ورضي عنه الفقه في الدين والاجتهاد

قال الامام تقي الدين ابن دقيق العيد من أئمة الشافعية في خطبة [شرح الامام] كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته : ان الفقه في الدين منزلة لا يخفى شرفها وعلاها ، ولا تحتجب عن العقول طواعيها وأضواها ، وأرفعها بعد فهم كتاب الله المنزل ، البحث عن معاني حديث نبيه المرسل ، اذ بذلك تثبت القواعد ويستقر الاساس ، وعنه يقوم الاجماع وبصدر القياس ، لكن شرط ذلك عندنا أن يحفظ هذا النظام ، ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام ، وترد المذاهب اليه ، وترد الآراء المنتشرة حتى تقف بين يديه ، واما ان يجعل الفرع أصلا ويرد النص اليه بالتكلف والتحجبل ، ويجعل على أبعاد المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل ، ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والذلول ، ويحتمل من التأويلات ما تنفر منه النفوس وتستنكره العقول ، فذلك عندنا من أردأ مذاهب وأوسوأ طريقة ، ولا نعتمد أنه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة ، وكيف يقع أمر مع رجلين منافيه ؟ وأتى بصح الوزن بميزان مال أحد الجانبين فيه ؟ ومتى ينصف حاكم ملكته غلبة صبية ، وأين يقع الحق من خاطر أخذته المزة بالحمية الخ (الفتوى في الاسلام ص ٤٤)

السؤال عما لم يقع

قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للموام المسألة عما لم يكن ولم يعض به كتاب ولا سنة ، وكرهوا للمسؤول الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما أبيض للضرورة ، ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا يغنيهم ما مضى من الاجتهاد ، واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « من حسن اسلام المرء تركه ما لا يغنيه » انتهى (الفتوى في الاسلام ص ٤٥)

معنى حديث ان الله خلق آدم على صورته

سئل أحمد بن عطاء أبو عبد الله الروزبادي المتوفى سنة ٣٦٩ قال الحافظ ابن

عساكر وفي مروياته أحاديث وهم فيها وغلط غلطا فاحشا عن قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » فقال : ان الله جل ثناؤه خلق الخلق مرتبة بعد مرتبة ونقله من حال الى حال كما قال (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين — الى قوله — فبارك الله أحسن الخالقين) وخلق آدم ليس على هذه الاحوال وانما خلق صورته كما هي ثم نفخ فيه من روحه فلا جله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اهـ (مختصر تاريخ ابن عساكر جزء ١ صحيفة ٣٩٤)

نشوء علم الفلسفة

قال الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ في آخر الكلام على الطبقة السادسة من طبقاتهم : وكان في زمان هؤلاء خلائق من أئمة الحديث ومن أئمة المقرئين كورش واليزيدي والكسائي واسماعيل بن عبيد الله المكي القسطنطيني ، وخلق من الفقهاء كفضيلة العراقي محمد بن الحسن وفضيلة مصر عبد الرحمن بن القاسم ، وخلق من مشايخ القوم كشمس الدين البجلي وصالح المري الواعظ والفضيل والدولة لهرون الرشيد والبرامكة ثم بعدهم اضطربت الامور وضعف أمر الدولة بخلافة الامين رحمه الله فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائتين نجم التشيع وأبدى صفحته وبرز فجر الكلام وعربت حكمة الارائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الامة منه في عافية ، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ؛ ان من البلاء أن تعرف ما كنت تنكر وتنكر ما كنت تعرف ، وتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل ، ويمارى في القرآن ويتبهم بالسنن والآثار وتقع في الخيرة ، فالفرار الفرار قبل حلول الدمار وياك ومضلات الاهواء ومجارات العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم (تذكرة الحفاظ جزء ١ ص ٣٠٠)

كتاب المذهب للذهبي

وجدت بدار الكتب المصرية كتاب [المذهب] للذهبي بخطه وعلى ظهر المجلد

الاول مانصه بخطه رحمه الله تعالى " المجلد الاول من كتاب المذهب في اختصار السنن الكبير تأليف الامام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي رحمه الله تعالى اختصار كتابه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي غفر الله له، ونحت ذلك بخطه رضي الله عنه أيضا مانصه

وقال ابن الذهبي : لم أختصر من أحاديث الكتاب شيئا بل اختصرت الاسانيد فان بها طال الكتاب ، وبقيت من السند ما يعرف به يخرج الحديث وما حذف من السند الا ما قد صح الى المذكور فاما متونه فأثبت بها الا في مواضع قليلة جدا من المكرر قد أ حذفها اذا قرب الباب من الباب وآتى ببعض المتن وقد تكلمت على كثير من الاسانيد بحسب اجتهادي والله الموفق، وقد رمرت على الحديث بمن خرجه من الائمة الستة [خ م د ت س ق] ولم أعم هذا فان فسح الله في الاجل طالعت عليه الاطراف لشيخنا أبي الحجاج الحافظ ان شاء الله تعالى، وهذا امر بين هين كل من هو محدث فانه يقدر على رمز أحاديث الكتاب من الاطراف وما خرج عن الكتب الستة فقد بينت لك اسناده وخرجه فاكشف عليه ان شئت من كتب الجرح والتعديل فالرجال ثلاثة اما موثق مقبول واما مضعف غير حجة واما مجهول، لكن كل قسم من الثلاثة على مراتب في القوة واللين والجهالة، انتهى . والنسخة نفيسة جدا كلها بخطه خمسة مجلدات تنقص الثاني والموجود منها أربعة وفق الله لنا من يطبعه وينشره آمين

كتاب الجمع بين الصحيحين

وجدت بدار كتب رواق الاروام بالازهر جزء من الجمع بين الصحيحين للحميدي وهو السادس وقد أحبت نقل خاتمه لما فيها من النفائس قال رحمه الله تعالى : —

« تم جميع الكتاب بحمد الله وعونه ، نسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه انه ولي التوفيق وهو على كل شيء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل » ثم قال عقب ذلك

« وهذه الاصول تتصل بآخر ما في الصحيحين من مسند الصحابة رضي الله عنهم

وهو آخر ما قصدنا اليه من الجمع بين الصحيحين وتميز ما اتفقا عليه من المتن
 المخرجة فيهما وما انفرد به أحدهما منها مستقصى على شرطنا مرتباً على ما بدأنا به
 وبيناه مع الاختصار الممين على سرعة الحفظ والتذكّار، ولم يبق للباحث المجتهد الا
 النظر فيها والتفقه في معانيها ومراعاة حفظها واقامة الحجّة بهاء فالى هذا قصد المتقدمون
 من أئمة الدين في حفظ اسنادها للتأخرين لتكون حاكمة بين المختلفين وشواهد
 صدق المتناظرين رضي الله عنهم أجمعين ووفق التابعين لهم باحسان الى يوم
 الدين . فأما اسنادنا في هذين الكتابين فقد روينا كتاب الامام أبي عبد الله
 البخاري بالمغرب عن غير واحد من شيوخنا بأسانيد مختلفة تنصل بأبي عبد الله محمد
 ابن يوسف بن مطر الفربري عن البخاري، ثم قرأته بمكة أعزها الله على المرأة الصالحة
 كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزي غير مرة لعلوا اسنادها فيه كأنا قرأناه
 على أبي ذر عبد بن أحمد الهروي عن أبي الهيثم بن المكّي بن محمد بن زُرّاع
 الكشميني عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن شير بن
 ابراهيم الفربري عن أبي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري رحمة الله عليه وأما كتاب
 الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فسمعناه بالفسطاط قراءة على الشيخ
 الصالح أبي عبد الله محمد بن الفرج بن عبد الولي الانصاري وهو روايته عن أبي العباس
 أحمد بن الحسن الحافظ الرازي سمعته منه بمكة سنة ست وأربعمائة قال : ثنا أبو
 أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه بن منصور الجلودي قال : أنا الفقيه أبو اسحق
 ابراهيم ابن محمد بن سفيان النيسابوري، قال : سمعته من الامام أبي الحسين مسلم بن
 الحجاج النيسابوري رضي الله عنه

فصل

« وقد استشرف بعض الطالبين الى معرفة الاسباب الموجبة للاختلاف بين
 الأئمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين مع اجماعهم على الاصل المتفق المستبين حتى
 احتجيج الى تكلف التصحيح في طلب الصحيح وقرّبتُ على هذا الطالب معرفة
 بعض العذر في اختلاف المتأخرين ابعدهم عن المشاهدة وانما تعذر عليه معرفة الوجه

في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم مع مشاهدتهم نزول التنزيل وأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وحرصهم على الحضور أدنيه والكون بين يديه والاخذ عنه والاعتباس منه ، وهذا الذي وقع لهذا الطالب الباحث قد وقع لمن قبله الخوض فيه والبحث عنه ، وخرج في هذا المعنى بعض الأئمة من علماء الأمة فصلا رأينا اثباته ههنا (كذا) ^(١) هذا الشبه عن هذا الطالب الباحث وعن غيره ممن يخفى ذلك عليه ويتطلع الى معرفة الوجه فيه وبهذا الفصل يتصور (كذا) لك كل ^(٢) صورة وقوع ذلك منهم وكيفية اتفائه لهم ، حتى كأنه شاهده معهم .

وهذا أول الفصل المخرج في ذلك أوردناه بلفظ مصنفه رحمه الله عليه : « قال لنا الفقيه الحافظ أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد البزدي الفارسي رضي الله عنه في بيان أصل الاختلاف الشرعي وأسبابه »
سبب التورن والفتيا بما يخالف القرآن أو السنة

« بطلت النفس بعد تيقنها أن الأصل المتفق عليه المرجوع اليه أصل واحد لا يختلف وهو ما جاء عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم أما في القرآن وأما من فعله أو قوله الذي لا ينطق عن الهوى فيه لما رأت وشاهدت من اختلاف علماء الأمة في ماسيله واحدة وأصله غير مختلف فبحثت عن السبب الموجب للاختلاف ولترك من ترك كثيرا مما صح من السنن فوضح لها بعد التفتيش والبحث أن كل واحد من العلماء ينسب كما ينسب البشر ، وقد يحفظ الرجل الحديث ولا يحضره ذكره حتى يفتي بخلافه وقد يمرض هذا في آي القرآن

« ألا ترى أن عمر رضي الله عنه أمر على المنبر ألا يزداد في مهور النساء على عدد ذكره ميلا الى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على ذلك العدد في مهور نسائه حتى ذكرته امرأة من جانب المسجد بقول الله عز وجل (وآتينم احداهن قنطارا) فترك قوله وقال : كل أحد أعلم منك حتى النساء . وفي رواية أخرى : امرأة أصابت ورجل أخطأ . علما منه رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم وإن كاد لم يزد

(١) ربما سقط من الأصل كلمة هي « لازالة » أو ما في معناها وإن « هذا » يحرف عن « هذه »

(٢) لعل كلمة « كل » زائدة من النسخ

في مهور النساء فإنه لم يجمع مما سواه والآية أعم، وكذلك أمر رضي الله عنه برجاء امرأة ولدت لستة أشهر فذكره عليّ قول الله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) مع قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) فرجم عن الأمر برجاءها وهم أن يسطو بميمنة بن حصن إذ جفا عليه حتى ذكره الحر بن قيس بقول الله عز وجل (وأعرض عن الجاهلين) فأمسك عمر . وقال رضي الله عنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله مامات رسول الله ولا يموت حتى يكون آخرنا حتى قرئت عليه (انك ميت وانهم ميتون) فرجم عن ذلك ، وقد كان علم الآية ولكنه نسبها لمظيم الخطب الوارد عليه فهذا وجه عمدته ^(١) (كذا) الخلاف للآية أو للسنة بنسيان لا بقصد

«وقد يذكر العامل الآية أو السنة لكن يتأول فيها تأويلا من خصوص أو نسخ أو معنى ماء، وإن كان كل ذلك يحتاج الى دليل ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بالمدينة حوله عليه السلام مجتمعين ، وكانوا ذوق معاش يطلبونها وفي ضحك من القوت فمن متحرف في الاسواق ومن قائم على نخله وبحضره عليه السلام في كل وقت منهم طائفة اذا وجدوا أدنى فراغ مما هم بسبيله ، وقد نص على ذلك أبو هريرة رضي الله عنه فقال : ان اخواني من المهاجرين كانت يشغلهم الصفق بالاسواق وان اخواني من الانصار كان يشغلهم القيام على نخلهم وكنت أمرا مسكينا أصحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على مل بطي . وقد قال عمر رضي الله عنه : ألهاني الصفق بالاسواق في حديث استئذان أبي موسى ، فكان عليه السلام يسأل عن المسئلة ويحكم بالحكم ويأمر بالشيء ويفعل الشيء فيحفظه من حضره ويغيب عن من غاب عنه فلما مات عليه السلام وولي أبو بكر رضي الله عنه كانت اذا جاءت القضية ليس عنده فيها نص سأل من بحضرته من الصحابة فيها فان وجد هندهم نصا رجع اليه والا اجتهد في الحكم فيها ، ووجه اجتهاده واجتهاد غيره منهم رضي الله عنهم رجوع الى نص عام أو الى أصل الباحة متقدمة أو الى نوع من هذا يرجع الى أصل ، ولا يجوز أن يظن أحدا أن اجتهاد أحد منهم هو أن يشرع شريعة

باجتهاده أو يخترع حكماً لأصل له، حاشي لهم من ذلك، فلما ولي عمر رضي الله عنه فتحت
الأمصار وتفرق الصحابة في الأقطار فكانت الحكومة تنزل بمكة أو بغيرها من البلاد
فإن كان عند الصحابة الحاضرين لها نص حكم به والا اجتهدوا في ذلك - وقد يكون
في تلك القضية نص موجود عند صاحب آخر في بلد آخر - وقد حضر المدني ما لم
يحضر المصري وحضر المصري ما لم يحضر الشامي وحضر الشامي ما لم يحضر
البصري وحضر البصري ما لم يحضر الكوفي وحضر الكوفي ما لم يحضر المدني
كل هذا موجود في الآثار وتقتضيه الحالة التي ذكرنا من مفيب بعضهم عن
مجاسه عليه السلام في بعض الأوقات وحضور غيره ثم مفيب الذي حضر وحضور
الذي غاب فيدري كل واحد منهم ما حضره ويفوته ما غاب عنه وقد كان علم
التيهم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالوا: لا يقيم الجنب ولو
لم يجرد الماء هرين، وكان حكم المسح على الخفين عند علي وحذيفة ولم تعلمه
عائشة ولا ابن عمر ولا أبو هريرة على أنهم مدنيون، وكان توريث بنت الابن مع
البنت عند ابن مسعود وغاب عن أبي موسى، وكان حكم الاستئذان عند أبي
موسى وأبي وغاب عن عمر، وكان حكم الاذن للحائض في أن تنفر قبل أن
تطوف عند ابن عباس وأم سلمة ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت، وكان حكم تحريم
المتعة والجر الأهلية عند علي وغيره ولم يعلمه ابن عباس، وكان حكم الصرف عند
عمر وأبي سعيد وغيرهما وغاب ذلك عن طلحة وابن عباس وابن عمر، وكذلك حكم
اجلاء أهل الذمة من بلاد العرب كان عند ابن عباس وعمر ففسيه عمر سنين
فتركهم حتى ذكر بذلك فذكره فأجلاهم. ومثل هذا كثير. فمضى الصحابة رضي الله
عنهم على هذا

ثم خاف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي
ذكرنا فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتمدون فتاويهم، لا
تقليدا لهم، ولكن لانهم أخذوا ورووا عنهم، الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان في
بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم، كاتباع أهل المدينة في الأكثر فتاوى ابن عمر،
واتباع أهل مكة فتاوى ابن عباس، واتباع أهل الكوفة في الأكثر فتاوى ابن مسعود،
(المجلد التاسع عشر) (٣٥) (المار: ج ٥)

ثم أتى من بعد التابعين فقهاء الامصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريح بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعثمان البتي وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام والليث بمصر فجروا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد عن التابعين من أهل بلده وتأبعوهم عن الصحابة رضوان الله عليهم في ما كان عندهم وفي اجتهداهم فيما ليس عندهم وهو موجود عند غيرهم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها. وكل من ذكرنا مأجور على ما أصاب فيه أجر بن وماجور فيما خفي عليه ولم يبلغه أجرا واحدا. قال الله تعالى (لا نذكركم به ومن بلغ)

وقد يبلغ الرجل ممن ذكرنا نصان ظاهرها التعارض فيميل الى أحدهما بضرب من الترجيحات ويميل غيره الى النص الذي ترك الآخر بضرب من الترجيحات أيضا كما روي عن عثمان في الجمع بين الاختين: أحلتها آية وحرمتها آية. وكما مال ابن عمر الى تحريم نساء أهل الكتاب جملة بقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال: لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربها. وغلب ذلك على الاباحة المنصوصة في الآية الاخرى ، ومثل هذا كثير

فعلى هذه الوجوه ترك بعض العلماء ما تركوا من الحديث ومن الآيات، وعلى هذه الوجوه خالفهم نظراؤهم فأخذ هؤلاء ما ترك أولئك وأخذ أولئك ما ترك هؤلاء ، لا قصدا الى خلاف النصوص ولا تركا لطاعتها كذا، ولكن لأحد الاعذار التي ذكرنا - إمام نسيان وأما أنها لم تبلغهم وأما لتأويل ما وأما لاخذ بخبر ضعيف لم يعلم الاخذ به ضعف رواته وعلمه غيره فأخذ بخبر آخر أصبح منه أو بظاهر آية وقد يشبه بعضهم في النصوص الواردة الى معنى ويلوح له حكم بدليل ما ويفيب كذا غيره . ثم كثرت الرحل الى الآفاق وتداخل الناس واتقذبت أقوام لجمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وضمه وتقييده ، ووصل من البلاد البعيدة الى من لم يكن عنده وقامت الحجة على من بلغه شيء منه ، وجمعت الاحاديث المينة لصحة أحد التأويلات المتأولة في الحديث ، وعرف الصحيح من السقيم ، وزيف الاجتهاد المؤدي الى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى ترك عمله ، وسقط العذر عن مخالف ما بلغه من السنن يلوونها اليه ، وقيام

الحجة بها عليه، فلم يبق الا العناد والتقليد
وعلى هذه الطريقة كان الصحابة رضوان الله عليهم وكثير من التابعين يرحلون
في طلب الحديث الايام الكثيرة طالبا للسنن والتزاما لها، وقد رحل أبو أيوب من
المدينة الى مصر في طلب حديث واحد الى عتبة بن عامر، وقد رحل علقمة والاسود
الى عائشة وعمر، ورحل علقمة الى أبي الدرداء بالشام، وكتب معاوية الى المغيرة
اكتب الي بما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثل هذا كثير.
(قال أبو عبد الله) فقد بينا والحمد لله وجه من ترك بعض الحديث والسبب
الموجب للاختلاف وشفينا النفس مما اعترض فيها ورفعنا الاشكال عنها والله عز
وجل المعين على البحث والهادي الى الرشد بمنه
وبهذا البيان الذي كشف به هذا الامام في هذا الفصل صورة الحال في أسباب
الاختلاف الواقع بين الصحابة فمن دونهم صح الأئمة المتقدمين رضي الله عنهم
أجمعين وجوب طلب التصحيح للنصوص الواردة في شرائع الدين، لتقوم الحجة بما
صح منها على المختلفين، وقد قام الكل منهم في ذلك بما قدر عليه، وانتهت
استطاعته اليه، الى أن انفرد بالزينة في الاجتهاد، والرحلة الى البلاد، في جمع هذا
النوع من الاسناد، بعد التبع والانتقاد، الامامان أبو عبد الله البخاري وأبو الحسين
مسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنهما، فحازا قصب السبق فيه في وقتها، ولفرط
عنايتهما وبلوغهما غاية السعي والتشمير فيه قويت همهما في الاقدام على تسمية
كتايبهما بالصحيح، وعلم الله عز وجل صدق نيتهما فيه ومشقة قيامهما به وحسن
انتقادهما له، فبارك لهما فيه ورزقهما القبول شرقا وغربا، وصرف القلوب الى التعويل
عليهما والتفضيل لهما، والافتداء في شروط الصحيح بهما، وتلك عادة الله فيمن أحبه
أن يضع له القبول في الارض كما جاء في الخبر الصادق عن المبعوث الحق صلى الله
عليه وسلم، فهيننا لهما، ولمن اهتدى في ذلك بهما، والواجب علينا وعلى من فهم
الاسلام، وعرف قدر ما حفظا من الشرائع والاحكام، أن يخلص الدعاء ^(١) لهما،
ولسائر الأئمة الناقلين اليهما والينا قواعد هذا الدين، وشواهد أحكام المسلمين. ونحن

نبتل الى الله تعالى في تعجيل الغفران لها ولهم ، وتحديد الرحمة والرضوان عليهما
وعليهم ، وأن يوتئ الكل منهم في أعلى درجات الكرامات ، من غرفات الجنات ،
وأن يوفقنا أجمعين للاقتداء بهم ، والسلوك في سبيلهم ، والدعاء اليه والى رسوله ، والالتقاد
لحكمت تنزيله ، والتفقه في دينه ، والاخلاص في عبادته ، والالتقاط اليه ، وصدق
التوكل عليه ، حتى يتوفانا مسلمين مسلمين ، غير مبدلين ولا مغيرين ، وأن يغفر لنا
ولآبائنا ولجميع المسلمين .

تم الجزء السادس وبتمامه تم الكتاب . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا
محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه . وافق الفراغ من نسخه لخمس ليال بقين من ذي
القعدة سنة ثلاث وعشرين وثمانئة

فَتَاوَى الْمُنَارِ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على
السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه
بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واتنا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا
وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير
مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة
فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

(س ١ - ٧) من صاحب الامضاء بأبي زعل (من القليوبية)

استاذي الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو وقد
علمنا وهم الناس انكم حفظكم الله خليفة الاستاذ الامام في القيام بأمر الدين الخالص
ودحض الباطل عنه ، فان العلم الدليل ، وليس العلم بالكلم الطويل ، وقد طوحتني

المقادير الى بلدة ألح بلاد الله تربة ، يسكنها قوم أحلامهم دقاق ، ودينهم نفاق ، يأخذون من العلم القشور ، ومن الاخبار الموضوعة ومن العقائد الخرافية ، فهم أشباه الرجال ولارجال ، يكفرون من قال بالمعراج بالروح ، ومن أنكر وجود الجنة والنار ، ومن نفى رؤية الإله في الآخرة ، ومن منع رجوع الشمس بعد مغيبها عند إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقدوم العير ، وعدم مجيء بيت المقدس بين يديه (ص) وعدم وجود الزناة وأكاسة الربا بين مكة وبيت المقدس ورؤية النبي (ص) لهم ليلة الاسراء كل ذلك لحجج عنده من أن هذه عقائد لا تثبت الا بالقطع ، وبعض هذه الاشياء لم يجد (كذا) فيه دليل أصلا ، وبعضها قام عليه دليل غير يقيني مع قيام دليل العقل على خلافه ، ولما كنتم بارك الله فيكم أوقفتم أنفسكم على تحقيق مثل هذه المسائل نفعا للامة وخدمة للدين وقد شاهدنا غزارة علمكم وسعة فكم وكثرة اطلاعكم ورسوخ ملكتكم العلمية التي قل ان توجد لاحد من معاصريكم - رجوت أن تكشف لي بقيت أبدا (؟) عن فطاء هذه المسائل وترجمها الى أصولها وتبرزها في صورتها الحقيقية غير مشوبة بخرافات المخرفين ، بأداتها من العقل أو الكتاب أو السنة المتواترة أو المشهورة كما هو شأنكم في جميع المسائل ، لازت ينتفع به الاسلام والمسلمون

نحريرا في يوم الثلاثاء ٥ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ
 كاتبه

ولدكم محمد عليوه

[المنار] يؤخذ من هذا الكتاب بضع مسائل ينبغي بيان الحق فيها ، وها نحن أولاء نتكلم عليها واضمين لكل واحدة منها عنوانا

١ - تكفير المسلم بما لم يصح عنده من مسائل الدين ﴿

قد اعتاد الناس الجراءة على التكفير بغير علم حتى ان بعض المؤلفين في الفقه توسعوا في المكفرات فزادوا الناس جرأة على تكفير من يخالف مذاهبهم وتقاليدهم وان لم تكن من الدين في شيء . وقد بينا من قبل أن الاصل في ارتداد المسلم عن دينه هو جعده أو تكذيبه شيئا أو شكه في حقيقة شيء يعلم أن النبي (ص) جاء به من أمر الدين ، اذ يكون بذلك غير مؤمن بما جاء به الرسول (ص) ولما كان الجهل في

دار الاسلام غير عذر جمل العلماء أمور الدين قسمين [أحدهما] ما لا يعذر أحد في دار الاسلام بمجهله وان كان عاميا وهو المجمع عليه المعلوم من أمر الدين بالضرورة كفرضية الصلاة والزكاة والحج وكبحریم الفواحش ما ظهر منها وما بطن كالقتل والزنا وشرب الخمر والسرقة والكذب والخيانة . فمن جحد من هذا القسم شيئا كفر وعد مرتدا عن دين الاسلام . وانما يعذر بجمل بعض هذه المسائل من كان قريب عهد بالاسلام لم يمر عليه من الزمن بعد اسلامه ما يكفي لوقوفه على ذلك، ومن نشأ بعيدا عن دار الاسلام كشاهق جبل (كما يقولون)

[الثاني] ما شأنه أن لا يعرفه الا المشتغلون بعلم الدين من فروع المسائل وأصول الاحكام وأدلتها ، فهؤلاء العلماء يؤخذون بحسب علمهم ، فمن جحد منهم شيئا من الدين يعلم أنه ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله أو أجمع عليه الصحابة ولم يكن متأولا في جحدته كان بذلك مرتدا كما هو ظاهر

واما من جحد أو أنكر شيئا مختلفا في أصله أو دليله أو في دلالة ذلك الدليل عليه لانه لم يصح عنده أو لمعارض رآه أرجح منه بضرب من التأويل فلا يعد مرتدا بذلك، ولكنه اذا انتهى به التأويل الى مخالفة جماعة السلف الصالح من أهل الصدر الاول عد مبتدعا وان كان موحدا مقبلا لاركان الاسلام

ولم يكفر أهل السنة من أنكر خبر المعراج ولا من قال إنه كان الروح فقط بل قال بذلك بعض أهل السنة ولا من قال إن الجنة والنار لم يخلقا بعد وإنما يخلقان يوم القيامة ، ولا من قال ان المؤمنين لا يرون ربهم في الجنة، فقد قال بذلك جمهور من الجهمية والمعتزلة ولم يكفرهم علماء السلف به كما ترونه في أشهر كتب العقائد التي تدرس في الأزهر وغيره من المدارس الاسلامية في جميع الاقطار

واذا كان لا يكفرون من ينكر أصل المعراج الا اذا انكر الاسماء المنصوص في القرآن ولا يكفرون من ينكر رؤية الباري تعالى في الآخرة المصرح بها في الاحاديث المتفق عليها فكيف يكفرون من ينكر رجوع الشمس لئيلي (ص) بعد غروبها والحديث فيه غير صحيح أو ينكر بحج بيت المقدس الى الحجاز وكون المؤمنين الذين رآهم النبي (ص) يمدبون كانوا موجودين باجسادهم بين مكة وبيت

المقدس ولا نص على هذا في كتاب ولا سنة وما عهدنا احدا من علماء المسلمين
بجعله من عقائد الدين ، وسرى معنى ذلك في المسائل الآتية

﴿ ٢ - المراج روي أم جسدني ﴾

قد فصلنا القول في مسألة المراج في المجلد الرابع عشر من المنار فيراجع في
ص ٦٦٤ و ٧٣٢ منه وفيه ان عمدة من قال ان المراج كان في المنام حديث شريك
عند البخاري

﴿ ٣ - رؤية النبي (ص) بيت المقدس ﴾

ان رؤية النبي (ص) لبيت المقدس ووصفه اياه للمشركين وهو بمكة ليس
معناه ان بيت المقدس انتقل الى مكة وإنما معناه أنه مثل له كما مثلت له الجنة في
عرض الحائط ولفظ الحديث في ذلك كما ورد في حديث جابر في الصحيحين أنه سمع
رسول الله (ص) يقول « لما كذبني قريش قت في الحجر فحلى الله لي بيت المقدس
فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » هذا نص حديث الشيخين ومعنى جلالة
أظهره ، وقال بعض العلماء : معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته . قال الحافظ
في الفتح : ووقع في حديث أم هانئ عند ابن سعد « فحلى لي بيت المقدس »^(١) فطفقت
أخبرهم عن آياته » فان لم يكن مغيرا من قوله « فحلى » وكان ثابتا احتمل أن يكون
المراد أنه مثل قريبا منه كما قدم نظيره في حديث « أريت الجنة والنار » وتاول قوله
« جيء بالمسجد »^(٢) أي جيء بمثاله — والله أعلم . ووقع في حديث شداد بن أوس
ما يؤيد الاحتمال الاول ، ففيه « ثم مررت بمسيرة لقريش » — فذكر القصة —
ثم أتيت أصحابي قبل الصبح فأتاني أبو بكر فقال : أين كنت الليلة ؟ فقال « اني
أتيت بيت المقدس » فقال انه مسيرة شهر فصفه لي ، قال « ففتح لي صراط كأنني
أنظر اليه لا يسألني عن شيء الا أنبأته عنه » اه المراد من عبارة الفتح . وأما لفظ
حديث أم سلمة عند مسلم « فرفع الله لي بيت المقدس أنظر اليه » فيتفق مع

(١) غيل اليه بمعنى مثل له أي رأى خياله ومثاله . وفي رواية لها عند أبي يعلى وابن عساكر
« فأتاه جبريل فصوره له في جناحه » (٢) أي في حديث ابن عباس الذي ذكره قبل ذلك
وهو عند أحمد والنسائي والبيهقي وفيه انه جيء بالمسجد حتى وضع دون دار غليل

ما تقدم بمعنى انه رفع اليه مثاله ، وقد غفل من زعم أن بيت المقدس نقل من مكانه الى مكة عما يترتب على ذلك من استحالة وجوده عند دار عقيل كما ورد في رواية ابن عباس لان وضع الجسم الكبير في المكان الصغير الذي لا يبلغ عشرة محال ، ومن كون وجوده بمكة يستلزم أن يراه جميع الناس ولو وقع ذلك لتواتر ، ومن كون نقله يستلزم علم جميع أهله ومن حولهم به ولو وقع ذلك لتواتر نقله عنهم . وقد غفل من مال الى ترجيح ذلك اللفظ على ما هو أصح منه وأقرب الى المعقول عن كل ذلك واكتفى بأن هذا أبلغ في المعجزة وأن الله قادر عليه ، وهو لم يكن مما وقع به من التحدي ولا ترتب عليه إيمان أحد . فهل يبطل الله تعالى سنته في الكون عبثاً ؟ وهذا التوجيه يحتاج اليه في رؤية بيت المقدس من اعتماد قول الجمهور ان الاسراء فقط أو الاسراء والمعراج مما كانا في حال اليقظة بالروح والجسد كما قال ان ذلك رؤيا منامية أو مشاهدة روحية وقعت حال اليقظة ، لأن سؤال قریش النبي (ص) أن يصف لهم بيت المقدس إنما كان في اليقظة قطعا بغير خلاف

﴿ ٤ - رؤية النبي (ص) المذنبين يعذبون ﴾

إذا كانت رؤية النبي لبيت المقدس من قبيل الكشف الذي يحصل بإدراك النفس للشيء بغير واسطة العينين أو يجعل الله تعالى مثال ذلك أمام العينين فالظاهر ان رؤية من رآهم يعذبون بذنوبهم من قبيل رؤية المثال بالاولى ، لان بيت المقدس من عالم الشهادة وعذاب المذنبين بما روي في الحديث من عالم الغيب ليس له مكان في الدنيا يشاهد بين مكة وبيت المقدس . وكل ذلك من آيات الله التي أراه إياها في ليلة الاسراء . ومن هذا القبيل رؤيته الجنة والنار وهو يخاطب كما روي في الصحيحين . وتعبيره عن ذلك في بعض الروايات بأنهما مثلتا له في الجدار . وقد وصفت الجنة في القرآن بقوله تعالى (كهرض السموات والارض) فهل تجتمع هي والنار في جدار المسجد ؟ وورد أن من أولئك المعذبين من تتأقل رؤوسهم عن أداء الصلوات — والصلاة لم تكن شرعت — فقد تمثل له (ص) عذابهم قبل وتوابعه بالنسبة الى أمته

ان رؤية البشر الروحية لبعض الموجودات الغائبة عن أبصارهم قد ثبتت بالتجارب الكثيرة في جميع الاقطار ، ومنها ما ثبت للدكتور شبلي شميل من علماء العصر الماديين ، وقد ذكرنا في بعض مجلدات المنار خبره مع المريض الذي كان يعالجه ويسمع منه الاخبار الكثيرة عما يدركه بنفسه غائبا عن حسه كإخباره عن قريب له في الاسكندرية بأنه سافر منها الى القاهرة في القطار الذي يتحرك من الاسكندرية في ساعة كذا ثم إخباره بوصوله الى محطة القاهرة وركوبه العربة منها قاصدا دار المريض ثم بوصوله الى باب الدار ، وكان الامر كما قال

وأذكر مما وقع لي من ذلك في الصغر أنني هربت مرة من الكتاب واختبأت في بستان لجدي أم والدتي وكنا نحن مصطافين في بستان لنا يبعد عن هذا البستان مسافة زهاء ربع ساعة وكانت جدي في بستاننا فتمثلت لي خارجة منه حتى كأني أنظر اليها متبعا خطواتها من أول الطريق الى آخره حتى إنني ناديتها عند ما وصلت الى مدخل بستانها وقبل أن تدخله ويقع بصري عليها فأجابتي وكنت أعتقد أنها تحمل الي ما يطيب لي أكله فكان كذلك . ومثل هذا كثير

ولكن ما يقع للانبياء من ذلك فوق ما يقع لبعض البشر كذلك المريض وبعض الصوفية وأكمل منه لانه يشمل عالم الغيب وما لا يصل اليه غيرهم من عالم الشهادة

﴿ ٥ — رجوع الشمس بعد غروبها أو وقوفها للنبي (ص) ﴾

يرى السائل تفصيل القول في هذه المسألة في ص ٧٠ من مجلد المنار التاسع وحسبك منه قولنا هنالك « ان مسألة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم قد ورد في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج ، وورد في رواية أقوى منها في مناقب علي كرم الله وجهه . وهذه الرواية وثقها الطحاوي في [مشكل الآثار] وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتعقبه في الآتي » فان شئت الزيادة وما قيل في الطعن في الرواية فارجع الى المجلد التاسع أو الى الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للإمام الشوكاني

﴿ ٦ — وجود الجنة والنار ﴾

ظواهر نصوص الكتاب العزيز والاحاديث الصحيحة المتفق عليها تدل على

أن الجنة والنار دارى الجزاء للابرار والفجار هما عالمان مخلوقان ، ولا نرى ما يعارض هذه الظواهر من الدلائل العقلية ولا القلبية ، فان كان لدى السائل ما يعارض ذلك فيلذكره لنا لنبين رأينا فيه

٧ - رؤية الباري سبحانه وتعالى في الآخرة ﴿

إن من أصول العقائد القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ان نسيم الآخرة قسمان روحاني وجسماني لان البشر لا تنقلب حقيقتهم في الآخرة بل يبقون بشرا أولي أرواح وأجساد ولكن الروحانية تكون هي الغالبة على أهل الجنة، فيكون النعيم الروحاني عندهم أعلى من النعيم الجسماني. ومن الثابت بالاختبار والتجارب أن العلماء الراسخين والحكماء الربانيين والفلاسفة الماديون^(١) والرؤساء السياسيين كلهم يفضلون الذات العقلية الروحية والحياة المعنوية على الذات المادية الجسدية، فترى أحدهم يزهد في أطيب الطعام، وكؤوس المدام ، ويتجافى جنبه عن مضجعه ، ذاهلا عن حقوق حليته ، تلذذا بحل مشكلات المسائل واكتشاف أسرار الكون ، أو بالنفث في عقد السياسة ، وما تقتضيه أعباء الرياسة ، ألا وان أعلى العلوم العقلية والمعارف الروحية في هذه الدنيا هو معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بمظاهر أسمائه وصفاته في خلقه والوقوف على سننه وأسراره فيها، وكشف المحجب عما أودع فيها من الجلال والجلال، وفي النظام الذي قامت به من آيات الكمال، التي هي مجلى صفات بارئها متعنى الجلال والجلال والكمال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ،

وما زال أصحاب الهمم العالية من العلماء والحكماء يستدلون بما ظهر لهم من تلك السنن والآيات على كمال مبدعها ومبدئها ومصرفها ، وتتطلع عيون عقولهم الى كيفية صدور الوجود الممكن الحادث، (وهو مجموع هذه العوالم العالوية والسفلية) عن الوجود الازلي الواجب، ويهتمون بارتقاء الاسباب للوصول الى معرفة أول موجود ممكن منها، وكيف ابتدأت سلسلة الاسباب بعد ذلك بتحول البسائط وتولد بعضها من بعض ، قبل وجود هذه المركبات المعروفة من السماء والارض ، طمعا في معرفة حقيقة ذلك

(١) أي وكذا الفلاسفة الماديون. وهو استعمال يمد علينا اذا كان لما رفع خصوصية في السياق ككون الماديين هنا مظنة لمخالفة الروحانيين . ويقابل هذا الاستعمال في نصب ما هو في مقام الرفع ما نصب على الاختصاص أو المدح والذم

الوجود الاعلى ، على عجزهم عن ادراك كنهه أدنى هذه الموجودات السفلى ، وقد اختلف الحكماء في امكان وصول العلم البشري الى حقيقة الوجود الاول الازلي وكيفية صدور الموجودات الممكنة عنه - فقال بعضهم بامكان ذلك وتوقع حصوله في يوم من الايام ، وقال آخرون بأنه فوق استعداد الانام ،

والحق في ذلك ما هدانا اليه دين الله الحق ، وهو أن ادراك أبصار الخلق له سبحانه وتعالى وإحاطة علمهم به من المحال الذي لا مطمع فيه (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ولكن المعجز عن الادراك والاحاطة ، لا يستلزم المعجزهما دون ذلك من العلم والمعرفة ، التي ترتقي الى الدرجة التي عبر عنها بالتعجلي والرؤية ، فان كانت ظواهر الآيات في ذلك متعارضة ، فالاحاديث والآثار الصحيحة المبينة له جليلة واضحة انما وقع المراء بين المتكلمين والمتفلسفين وبين علماء الآثار في كلمة «الرؤية» فأثبتها أهل الأثر لدلالة ظواهر القرآن ونصوص الاحاديث عليها ، ومنعوا قياس رؤية الباري تعالى على رؤية المخلوقات ، بدعوى استلزامها التحيز والحدود وغير ذلك من صفات الاجسام ، وقالوا اننا لا نبحث في كيفيتها كما اننا لا نبحث في كيفية ذاته ولا صفاته تعالى ، فاننا نمحرم بأن له علما وقدرة وسمعا وبصرا ولكن علمه ليس كعلمنا ناشئاعن انطباع صورة المعلومات في النفس ، ومكتسبا لها بالحواس أو الفكر ، وكذلك قدرته وسائر صفاته ، فنحن نجتمع بين الايمان بالنصوص في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر شؤونه ، وبين تنزيهه عما لا يليق به من مشابهة خلقه الممنوعة بدلائل النقل والعقل ، كما قال عز وجل (ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير)

ونفاها أهل الكلام والفلسفة بناء على قياس الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق ودعوى منافية الرؤية للتنزيه الذي هو أصل العقيدة وركنها الركين . ولكنهم لا يستطيعون انكار الحقيقة التي أثبتتها أهل السنة والجماعة اذا عبر عنها بغير لفظ الرؤية كأن يقال ان أعلى نعيم أهل الجنة لقاء الله تعالى بتجليه عليهم تجليا يحصل لهم به أعلى ما استعدت له أنفسهم وأرواحهم من المعرفة ، وأن أعظم عقاب لأهل النار حجبتهم عن ربهم وحرمانهم من هذا التجلي والعرفان ، الخالص بدار الكرامة والرضوان ،

فانهم لا يمتنون بتأويل مثل قوله تعالى في المتقين (يحيتهم يوم يلقونه سلام) وقوله في الكافرين (كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) كما يمتنون بتأويل قوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بأن النظر معناه الانتظار والرجاء، وما رد به بعضهم على بعض في الآية يطلب من الكشف والبيضاوي وحواشيها وساير كتب التفسير ومن كتب الكلام وشروح الاحاديث

وكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمال تنازع

ومن غرائب جدهم ان كلا منهم يستدل على مذهبه بطلب موسى عليه السلام رؤية ربه وقوله تعالى (لن تراني...) الآية فأهل السنة يستدلون على جواز الرؤية بسؤال الكلبي اياها وعدم انكار الباري تعالى عليه هذا السؤال كما أنكر على نوح عليه السلام سؤاله نجاه ولده الكافر بناء على أنه من أهله الذين وعده بنجاتهم — وتعليق الرؤية على جائز وهو استقرار الجبل، والمعتزلة يستدلون بالآية على عدم الرؤية بعدم اجابة الكلبي اليها وتعليقها على ما علم الله أنه لا يكون واذا كانت الآيات التي استدلت بها كل فريق ليست نصا قاطعا في مذهبه ففي الاحاديث المتفق عليها ما هو نص قاطع لا يحتمل التأويل في الرؤية وتشبيها برؤية البدر والشمس في الجلاء والظهور وكونها لامضارة فيها ولا تضام ولا ازدحام. وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري احد عشر حديثا في ذلك، وجمع ابن القيم في [حادي الارواح] ما ورد في ذلك من الاحاديث فكان ثلاثين حديثا. قال الحافظ ابن حجر عند اشارته الى ذلك: وأكثرها جياذ. وزاد ابن القيم ما ورد عن الصحابة والتابعين وأئمة علماء الامصار في ذلك وحملهم اياه على ظاهره مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات، ولكن بعض مثبتي الرؤية من أهل السنة اختلفوا في معناها فكان بعض ما قالوه تأويلا أبعد من تأويل المنكرين

قال الحافظ في الكلام على تفسير (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) من شرح كتاب التوحيد من البخاري ما نصه: واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم بحصل للرأي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المراتيات، وهو على رفق قوله في حديث الباب « كما ترون القمر » إلا أنه منزه عن الجهة والكيفية وذلك

أمر زائد على العلم . وقال بعضهم ان المراد بالرؤية العلم ، وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الانسان نسبتها الى ذاته المخصوصة نسبة الابصار الى المرئيات . وقال بعضهم : رؤية المؤمن لله نوع كشف وعلم الا أنه أنم وأوضح من العلم . وهذا أقرب الى الصواب من الاول اهـ

ثم ذكر ماتعقب به من قال ان المراد بالرؤية العلم . وإنما قال في القول الأخير انه أقرب الى الصواب لما فيه من التفويض وعدم التحديد ، وهذا المعنى هو الذي قال به الغزالي وأوضحه في كتاب المحبة من الأحياء بما يعهد من قرأ الأحياء من بيانه وفصاحته هذا وان احصاء ما ورد في هذا الباب مما استدلل به على الرؤية اثباتاً ونفياً من الآيات والاحاديث وسرد كلام المثبتين والنفاة وبيان الراجح منه والمرجوح يستغرق عدة أجزاء من المنار ، ولن يرضى ذلك منا أكثر القراء ، وجملة القول في المسألة ان الآيات القرآنية فيها ليس فيها نص قاطع لا يحتمل التأويل ، ولكن الاحاديث الصحيحة والحسنة صريحة في ذلك لا تحتمل التأويل ، والمرفوع منها مروى عن أكثر من عشرين صحابياً دع الموقوف والآثار ، ولم يرد في معارضتها شيء أصرح من حديث عائشة المتفق عليه عن مسروق قال قلت لعائشة (رض) يا أمته هل رأى محمد (ص) ربه ليلة المعراج ؟ فقالت : لقد قفت شهري مما قلت ! أين أنت من « ثلاث من حدثكن فقد كذب » من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب ، وفي رواية « فقد أعظم على الله الفرية » ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) ومن حدثك أنه كنتم (أي أن النبي (ص) كنتم شيئاً من الدين) فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) — الآية — ولكن رأى جبريل في صورته مرتين . اهـ

وقد ذكر النووي في شرح مسلم ان عائشة لم تنف وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة الخ وذكر الحافظ في الفتح انه قال ذلك تبعا لابن خزيمة

ذاهلا عما ورد في صحيح مسلم الذي شرحه ، وذكر ان في حديث مسروق عنده زيادة عما ذكرناه من لفظ البخاري وهي : — قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت ألم يقل الله (ولقد رآه نزلةً أخرى) فقالت أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله (ص) عن ذلك فقال « إنما هو جبريل » الخ

فعلم من هذا ان عائشة تنفي دلالة سورة النجم على رؤية النبي (ص) لربه بالحديث المرفوع وتنفي جواز الرؤية مطلقا أو في هذه الحياة الدنيا بالاستدلال بقوله تعالى (لا تدركه الابصار) وقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ويعارض هذا الاستدلال انه ليس نصا في النفي حتى يرجح على الاحاديث الصريحة في الرؤية وقد قال بها بعض علماء الصحابة . وقال بعض العلماء ان عائشة ليست أعلم عندنا من ابن عباس الذي أثبت الرؤية للنبي ليلة المعراج ، وفي هذا القول بحث فان ابن عباس استنبط اثبات الرؤية في الدنيا من الآيات وقد انفرد بذلك دون سائر الصحابة . وأما من روي عنهم إثبات الرؤية في الآخرة فليس فيهم أحد يقال انه أعلم من عائشة الا والدها الصديق وعلي المرتضى وزيد بن ثابت وقد يذكر في طبقتها منهم المبادلة . ولكن الحديث عن أبي بكر وزيد بن ثابت في هذا الباب ضعيف وعن علي موضوع حتى ان ماروي عنها نفسها فيه أقوى سنداً . ويقول النفاة لو رأى النبي (ص) ربه ليلة المعراج لما خفي بأذلك عن عائشة مع ما علم من حرصها على العلم ، وسؤالها اياه عن آية النجم ؟ وقد يقول النفاة أيضا : لو كانت الرؤية في الآخرة عقيدة يطالب المسلمون بالايان بها لما جهلتها عائشة . ولكن هذا القول لا ينهض لمعارضة اثبات المثبتين لها بالاحاديث الصريحة ، وانما قصاره ان يعد دليلا على أن المسألة من أمور الآخرة التي كان يذكرها النبي (ص) أحيانا لبعض الخواص اذ لا يفسر العامة جهلها ، فلم يقصد أن تكون عقيدة يدعى اليها مع التوحيد .

وأحسن ما يجاب به عن استنباط عائشة وأقوامه المثبتين أن يقال أنها تريد به نفي الرؤية في الدنيا كما قال بذلك الجمهور ولا تقاس شؤون البشر في الآخرة على شؤونهم في الدنيا لان ذلك العالم سننا ونواميس تخالف سنن هذا العالم ونواميسه حتى في الامور المادية كالاكل والشرب والمأكول والمشروب . فناء الجنة غير آسن فلا يتغير كماء الدنيا بما

بخالطه أو يجاوره في مقره أو جوده، وخمرها ليس فيها غول يقتال العقل ولا يسهدهون عنها ولا ينزفون، ولبنها لا يعنیه فساد ولا تخالطه (ميكروبات) أمراض ، وكذلك فاكيتها وثمراتها هي على كونها أعلى وأشهى مما في الدنيا لا تفسد . قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الاسماء . وكذلك أمزجة أهلها ، هي أصح وأسلم من أمزجة أهل الدنيا حتى أنهم يأكلون ويشربون فيكون هضمهم بالتبخر ورشح العرق ، ففي الحديث الصحيح انه جشاء ورشح لها ريح المسك . ولا عجب في ذلك فان علماء العصر الذين يظنون ان في كوكب المريخ أحياء عقلاء كالشجر يهزمون بأنهم لا بد ان يكونوا أكبر منا أجساما وأسرع من الخيل المادية في حركتهم المادية ، هذا وعالم المريخ لا يعرف فيه من الحياة الروحية العالية مثل ما ورد في حياة الجنة ، ولكن ما ذكره علماء العصر في شأنه يقرب تصور ما ورد في صفة الآخرة من الأذهان المقيدة بالمألوفات ، فان بعض الناس انما ينكرون أخبار الآخرة لانها مخالفة لما جردوا عليه من المألوفات، ولوانهم أخبروا بما اكتشف من أسرار الكون في هذا العصر كخواص الكهرباء والراديو قبل ان يصير مشهودا مقطوعا به لما صدقوه . قال الله عز وجل في بيان جزاء المؤمنين القائمين بأعمال الإيمان حق القيام (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) ووضح ذلك رسوله (ص) في حديث قدسي رواه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال (ص) « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وروى أهل الكتاب مثل هذا عن سيدنا عيسى (ص) فاذا ثبت لنا ان كل ما في دار الكرامة أعلى وأسمى مما في الدنيا حتى الاجسام وصفات الناس وفرائضهم وانه لا يشارك ما في الدنيا إلا بالاسم ، الذي عبر به لضرورة تقريب تلك المعاني الغيبية من الفهم ، فهل يصح بعد ذلك أن نعد إلى أعلى ما هنالك من الشؤون الالهية المعنوية فتشبهه بشؤون الدنيا فنجعل تعجيب الرب سبحانه وتعالى لأولئك العباد المكرمين الذين رقام وكلمهم وأهلهم الكمال معرفته تعجيزا ومشابهة الخلق ؟ ونجعل ما يحصل لهم من ذلك التعجيب من العلم الاكل والمعرفة العليا التي نستغرق أرواحهم وجميع مشاعرهم الظاهرة والباطنة إدراكا لكنه عز وجل واحاطة

علم به تعالى عن ذلك ؟ ثم نمذر أنفسنا على هذا الجهل بأن ذلك قد سمي رؤية ومعاينة ولا بد ان تكون الرؤية هنالك كرويتنا التي نعهدها هنا ؟

سبحان الله ! أليكون كل ما هنالك من أعيان الخلوقات وصفاتها وأحوالها مخالفا لما له اسمه منها هنا الا ما يتعلق بشأن الخالق عز وجل فهو الذي يجب ان يكون مشابها لشؤون الخلقين بعضهم مع بعض ؟ أهذا هو المذهب الذي يدعي أصحابه اتباع العقول ، ويسخرون من أهل السنة بزعمهم انهم جحدوا على بعض أحاديث الآحاد من المنقول ؟ وهم الذين قد جحدوا على مادون ذلك من الالفاظ العربية التي استعملت في صفات الباري تعالى وشؤونه وأخبار عالم الغيب فتراهم يصرفونها عن معانيها ويعطلون مدلولاتها المقصودة اتوهمهم انها لا تكون صحيحة الا اذا كانت مدلولاتها في عالم الغيب كمدلولاتها في هذا العالم من كل وجه. ثم نحكموا فأثبتوا بعض صفات الباري تعالى بدون تأويل كالعلم والقدرة والارادة وأولوا أكثرها كالعلم والرحمة والمحبة والغضب والرضا والعلو والوجه واليدين الخ وهذا عين التشبيه ، وهذا عين التعطيل — وأهل السنة يثبتون له تعالى كل ما أثبتته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) وينزهونه فيه كله عن مشابهة خلقه ولا يرون فرقا بين العلم والرحمة والكلام فكلمها من صفات الكمال الثابتة له مع التنزيه — فعلمه ليس كعلم البشر مستزعا من صور المعلومات بالحس أو الفكر — وكلامه ليس كيفية عرضية تحصل بتموج الهواء بتأثير الصوت الذي يخرج من الفم — وكذلك سائر شؤونه تعالى ، فتجلبيه لخواص خلقه في دار كرامته ليس كظهور بعضهم لبعض ، وما يحصل لهم من رؤيته ومعرفة وسماع كلامه لا يشابه ما يكون من بعضهم لبعض ، واذا كنا قد عرفنا بالمشاهدة في عالم الحس ان إيقاد مصباح زيت الزيتون أو زيت البترول لا يشبه إيقاد مصباح الكهرباء بوجه من الوجوه ولا يشترط في الثاني ما يشترط في الاول — ونجزم بأن هذا الفرق لا يمكن ان يتصوره من لم يعرف الكهرباء البتة — فيجب علينا ان لا نستغرب ما هو أبعد من هذا الفرق بين عالم الغيب والشهادة في اختلاف الكيفية لحقيقة واحدة كالرؤية. ومن كان له حظ من معرفة الله تعالى في الدنيا لا يحتاج الى الامثال ، وحسب المحروم منها ان ينتفع بالامثال ، (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

مَدِينَةُ
دَارُ الدُّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صديقي

١٤

التيوبوركيولين Tuberculin

زيادة الياء والنون في هذا اللفظ اللاتيني هي --- كما قلنا --- للدلالة على المادة
أولاً أصل الفعل في الدرن [Tubercle] أعني أنه اسم مبالغة تستخرج من باسيل
الدرن نفسه أو مما يربي فيه . فهي نوعان نوع يسمى بالتيوبوركيولين العتيق والآخر
بالتيوبوركيولين الجديد . وأول من أدخل هذا الصنف من العلاج في الطب هو
العلامة كوخ سنة ١٨٩٠ محاولاً بذلك إيجاد دواء شاف للدرن بكافة أنواعه ، ولكنه
لم يتحقق غرضه إلى الآن

أما التيوبوركيولين العتيق فهو عبارة عن السموم التي يفرزها ميكروب الدرن في
السائل الذي يربي فيه كالمرق مع الجلسرين ، ويتحصل عليه بالتصفية خلال المرشحات
لفصل الميكروب عنه فهو في الحقيقة سموم الميكروب التي تخرج من جسمه في السائل
المذكور ، ويكون لونه أصفر أداكن وقوامه غليظاً . وفائدة الجلسرين حفظه من الفساد
وإذا حقن هذا السائل في الشخص السليم لا يحدث منه شيء ، ولكن إذا
حقن في إنسان أو حيوان مصاب بدرن في أي عضو من جسمه ارتفعت حرارته
وأصابته رعشة وأحس بتوعك وآلام في مفاصله وقد يفرز زلال في بوله أو يظهر
طفح على جلده ويلتهب المكان المصاب بالدرن . ونظراً لشدة هذه الأعراض لم
يستحسن الأطباء معالجة الدرن بهذه الطريقة ، واقتصر بعضهم على استعمالها في
معالجة الدرن الجلدي المسمى لويس (داء الذئب) لأن ما يصيب الجلد من الحقن
(المنار : ج ٥) (٣٧) (المجلد التاسع عشر)

يمكن مراقبته وتلافيه . زد على ذلك ان تنبيه الجلد المريض بهذا الداء قد يكون نافعا فيه ، ومع ذلك يأبى كثير من الاطباء استعماله حتى في هذا الداء . فاقترنت فائدة التيوب بريولين على استعماله في تشخيص الدرن في الانعام كالبقرة فان السليم منها اذا حقن به لم يصبه شيء ، ولكن اذا حقنت البقرة المسالولة ارتفعت حرارتها أي أصابتها الحمى . واستعماله لتشخيص الدرن في الانسان لا مسوغ له مع ان هناك طرقا أخرى تفضله

أما التيوب بريولين الجديد فهو عبارة عن خلاصة تستخرج من نفس جسم الميكروبات الدرنية ، وبعبارة أخرى هو السم الكامن في أجسامها فهو غير السم الذي تفرزه في السائل الذي تربي فيه . واذا حقن هذا التيوب بريولين الجديد أيضا في السليم لا يحدث منه شيء ، واذا حقن في المريض حدثت أعراض كالاعراض المذكورة آنفاً غير أنها لا تكون عادة مصحوبة بالانفعال الموضعي في مكان الدرن فلا يتنبه ولا ياتهب . وهو قليل الاستعمال لتشخيص مرض الانعام ، ولكن بعض الاطباء يستعملونه في معالجة الدرن الانساني وان خالفهم الآخرون في نفعه ، بل منهم من يرى ان ضرره أكبر من نفعه

واذا حقن تحت الجلد حدث منه خراج ، ولذلك اضطر بعض المصانع الى ازالة بعض المواد التي تشبه الدهن منه وهي التي يظنون انها السبب في التقيح وفي عسر امتصاصه

وهناك عدة طرائق لاستعمال التيوب بريولين العتيق للأشخيص أشهرها أربع وهي : —

(١) الحقن تحت الجلد (٢) وضعه على الملتحمة عند الموق ويبقى الجفنان مفتوحين بضع دقائق فاذا كان في جسم الشخص أي درن احمرت ملتحمة الجفن الاسفل وكذلك اللحمة الدمية التي في الموق بعد ثلاث ساعات ويزداد الاحتقان بعد ست ساعات وترم اللحمة ويذكر الدمع وتغطي العين ببعض الإفراز (الرمص) ويصل هذا الالتهاب الى أقصاه بين ٦ ساعات و١٣ ساعة ثم يأخذ في الزوال بعد يومين أو أكثر ، وهذه الطريقة ليست خالية من الخطر على العين . ومحلول التيوب بريولين الذي

يستعمل فيها يكون بنسبة ٥ ر . في المائة من الماء المقطر العقيم
(٣) بطريق الجلد وذلك بتلقيح الجلد كما ياتح لاجل الوقاية من الجدري
فيحصل التفاعل باحمرار الجلد وتورمه في ٢٤ ساعة ويشند بعد يومين ، وفي اليوم
الثالث يبدأ في الزوال ويتم ذلك في اليوم الرابع . وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في
الاطفال الذين يقل عمرهم عن خمس سنوات

(٤) يعمل مرهم من التيوبركولين مع [اللانولين Lanoline]^(١) (دهن
يستخرج من صوف الغنم) بنسبة (١ الى ١) ويدهن به جزء من الجلد فيلتهب بعد
يوم أو اثنين وقد يظهر فيه دم تل أو بثرة . واعلم انه قد يتأثر الحيوان من التيوبركولين
ويكون سليما اذا سبقت اصابته بالدرن وشفي منه . واذا حقن تحت الجلد بمقدار كبير
(١ ر . الستيمتر المكعب) ولم يحصل انفعال دل على السلامة من المرض مطلقا أو على
الاقل من المرض الفعال في البنية فلا ينافي ذلك وجود مرض سابق شفي منه المحقون

الجمرة الخبيثة Anthrax

يعرف هذا المرض في الحيوانات باسم (الحمى الطحالية) وهو يصيب الانسان
أيضا . وينشأ من ميكروب باسيلي يوجد في العضو المصاب وفي الدم والاحشاء
والافرازات ، ولا حركة له ، وطوله يختلف من ٥ مك^(٢) الى ٢٠ مك وقد يكون
مستقيما أو منحنيا قليلا ويتكاثر بالانقسام ويتكون في داخله أيضا حبيبات ، وهذه اذا
انفصلت منه استطالت ونشأ منها الباسيل ، ولكن التكاثر بهذه الطريقة الحبيبية
لا يحصل الا في خارج أجسام الحيوانات . وهذه الحبيبات تقاوم درجات كبيرة جدا
من الحرارة فلا يسهل قتلها ولو بالغلي الا بعد بضع دقائق

يصيب هذا الداء الحيوانات اذا لقحت بالميكروب بالعض أو بالذغ الحشرات ،
وقد تصاب أيضا به اذا أكلت من مرعى تلوث ببراز الحيوانات المريضة

أما إصابة الانسان به فتكون اما من الحيوانات الحية ، ولذلك تصاب به الرعاة كثيرا ،
واما من جثث الموتي بهذا الداء — وهو الأكثر — كما يحصل للتصايب (الجزارين)

(١) كلمة لاتينية معناها حرقا « دهن الصوف » (٢) مك مختصر كلمة ميكرون

والدباغين بتلقيح أجسامهم بالميكروب اذا مست شيئا من جثة الحيوان . وقد تحصل العدوى من أكل اللحم المصاب أو من مس الصوف والشعر المأخوذين من الحيوانات المريضة، وقد يصل أيضا هذا الداء بطريق التنفس بأن يستنشق ميكروبه مع التراب والغبار الذي يتطاير من البضائع الصوفية ونحوها اذا لم يطهر الصوف قبل صناعته ومن النادر ان ينتقل هذا المرض من انسان الى آخر بمجرد اللمس ، وقد

شاهد المرض بين تجار الخرق البالية التي تستعمل في صناعة الورق والحيوانات التي تصاب به هي الانسان والغنم والمعز والارانب وخنازير الهند والفيران وكذلك الخيل والخنازير، أما الكلاب والقطط فلا تصاب به

الاعراض — لهذا المرض ثلاثة أشكال (١) الشكل الموضعي (٢) الشكل الداخلي الرئوي (٣) الشكل الداخلي المعدي المعوي. وفي كلا الشكلين الاخيرين قد يصاب ظاهر الجسم أيضا، وإنما نشأت هذه الاشكال المختلفة بحسب مدخل الميكروب فانه قد يدخل من الجلد أو من الرئة في الهواء المستنشق أو من الجهاز الهضمي مع الطعام أو الشراب

أما الشكل الاول فيشاهد كثيرا في الوجه أو العنق أو الايدي بعد جرح أو سحيج (خدش) فبعد زمن التفريح الذي يتراوح بين بضعة أيام وبضع ساعات يحدث أكلان وظيف في المكان الملقح ، ويظهر دمل صغير يمتلئ بسائل رقيق ثم ينفجر ويموت قاعدة هذا الدمل فتكون سوداء اللون ويتلب ما حوله من الجلد فيحمر ويرم ويتصلب ويمتد تورمه الى [بوصة] ونصف أو بوصتين أو أكثر، ويتكون حول البقعة السوداء ققاعات صغيرة تشتمل على مصل ، وتضخم الغدد اللمفاوية القريبة وتلتهب . وقد يستمر الشخص في عمله ثلاثة أيام أو خمسة ثم يشعر بالحكة مع الضعف والانحلال . وقد يعتريه الهذيان أو العرق الغزير أو الاسهال وينتهي أمره بالموت الذي يسبقه هود شديد

أما الشكل الداخلي فتختلف أعراضه باختلاف الجهاز المصاب ، ويتقدمه اضطراب وضيق تنفس واضع، حلال وآلام في الاطراف ، ثم ترتفع الحرارة فجأة مع أعراضها المعروفة . فان كانت الرئتان مصابتين أصابه ضيق شديد في التنفس مع

احساس بالاختناق ، ويزرق جسمه ، وتخور قواه ، ولكن يكون السعال خفيفا ، وإذا بصق فقد يكون البصاق ملوثا بالدم ، ثم يعتره الهذيان والغيبوبة فيموت . وفي بعض الحالات قد يبقى ادراك المريض الى النهاية . وإذا كان الجهاز الهضمي هو المصاب حدث قي ، وألم بالبطن واسهال وخرج بالبراز دم وقد يحصل عسر في الازدراد أو نزف من الحلقوم والفم ، وتكون الحمى غير عالية ، ويزرق جسم المريض أيضا ويضيق نفسه ويصاب بالضجر وقد يتخبط كالمصروع قبل الوفاة

الانذار — هو سيء جدا خصوصا في الاشكال الباطنية

المعالجة — تعالج الجمة الظاهرية باستئصالها كلها وكى موضعها إما بالنار وإما بالادوية الكاوية مثل كلوريد الزنك (الخارصين) أو بالفنيك النقي فتتحسن حالة المريض وقد يشفى سريعا

أما الشكل الداخلي فعلاجه قليل الجدوى . ويعالج بالكينين والمنعشات والسوائل المغذية

الوقاية — تكون بالابتعاد عن المصاب وحرق أو تطهير مفرزاته وكل ما لامسه وخصوصا صوف الاغنام وملابس المرضى ، وبقتل الحيوانات المصابة بأيسر الطرق ثم احراق جثثها أو دفنها في مكان عميق مع وضع الجير حولها ومما تجب العناية به ان لا يؤذن للعمال في مصانع الصوف أو الجلود بمس شيء منهما الا بعد تطهيره بالطرق الطبية كأن يطهر الصوف مثلا في أفران البخار وتطهر الجلود بوضعها في بعض المحاليل المطهرة التي لا تضر بها . واعلم ان كلامنا هذا في مس الجلود قبل دبحها فان الدبغ وحده كاف لتطهيرها ويجب على الممرض ومن شاكله تطهير يديه جيدا قبل الطعام والشراب وتغيير الملابس قبل ذهابه الى منزله أو مخالطته الاصحاء

السقاوة والسراجة Glanders

مرض عرف قديما حتى وصفه أطباء اليونان والرومان في كتبهم وهو يصيب الخيل والبغال والحمير وبعض الحيوانات الاخرى الداخلة ومنها ينتقل الى الانسان

أيضا . وسببه ميكروب مستقيم الشكل اكتشف سنة ١٨٨٢ م يعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره، وطوله يختلف من ميكروبيين الى خمسة وهذا الداء قلما يصيب الانسان وأكثر من يصاب به خدمة الخيل أو الاصطبلات . وكيفية العدوى به أن يلتصق أي جزء من جلد الانسان بميكروب هذا الداء في أثناء تنظيف الخيل المصابة أو كشط جلود الموتى منها، وقد يصاب الشخص بسبب عض حيوان له وتلقيحه بلعابه ، أو يصاب بسبب عطاس الحيوان في وجهه فيدخل جزء من مخاط أنفه في عين الانسان أو أنفه أو فمه . وقيل إنه ينتقل أيضا بأكل اللحوم النيئة من الحيوانات المصابة . ومن الجائز أن ينتقل هذا الداء من شخص الى آخر

الأعراض — لهذا الداء شكلان : —

(الشكل الاول) الحاد وهو المسمى بالعريية السقاوة . يبتدىء ظهور أعراضه بتوعك وصداع وغثيان وآلام في الاطراف حتى قد يظن أن الداء هو الرئبة [الروماتزم] أو الحمى التيفودية وقد يوجد ألم بالجانب وضيق في التنفس . وإذا كان الميكروب دخل من الجلد التهاب مدخله وورم وصار مؤلما حتى يشبه الجلد مريض الجفرة ثم يتقرح وتضخم الغدد اللمفاوية القربية، وبعد اسبوع أو أكثر يظهر طفح من دمايل صغيرة حمراء تعلوها فقاعات ، وهذه تكبر حتى تصبح نفاخات كبيرة أو بثور مختلفة الحجم يسيل منها دم ومدة وصديد، وتلتهم قاعدة هذه البثور وما حولها ثم تسقط قشورها فيتكون منها قروح . وقد تكون عقد تحت الجلد تستحيل الى خراجات غالبا . وكثيرا ما تظهر هذه العقد أيضا في العضلات

وقد يصيب الداء أيضا الأغشية المخاطية وتكون أعراضه سيلان مخاط رقيق في أول الامر ثم يغلظ وتصحبه المدة أو الدم وتكون رائحته متنة ، ويكون في الأغشية أيضا عقد تنقرح حتى تنقب بعض الاجزاء أو تأكل كل بعض العظام الرقيقة كما يحصل في داخل الانف . وقد يصاب أيضا بالتهيج أو الخنجر أو أغشية الشعب وغير ذلك . وتكون حرارة المريض عالية جدا مصحوبة بأعراض الحمى المعتادة ، ولكن ارتفاعها قد يتذبذب، ويفرز زلال في البول ويصاب المريض بالهسديان

والارتعاش فالغيبوبة فالموت . ومدة الداء من أسبوعين الى ثلاثة
ويكثر وجود باسيل المرض في العقد المذكورة وفي القروح وما يسيل منها ،
فأعظم الخطر منها في العدوى

(أما الشكل الثاني) فهو المزمن ويسمى بالسراجة وتكون أعراضه قاصرة على
الاصابات الموضعية على الأكثر كأن تظهر قروح أوخراجات حول المفاصل أو تلتهب
مواضع مختلفة تحت الجلد أو في العضلات ، وإذا حدثت بثور كان تكونها بطيئا . وقد
تصاب أنف الخنازير . وفي بعض الحالات ينحف المريض ويبح صوته
ويصيبه السعال أو النزف الرئوي . ومدة هذا الشكل المزمن قد تكون أربعة أشهر
الانذار — غير حميد . وفي الاحوال الحادة لا ينجو الا القليل ، ويشفى نحو
نصف الحالات المزمنة

المعالجة — لا يوجد لهذا الداء دواء مقطوع بنجاحه وإنما تعالج الاعراض

كالمعتاد

الرئية السيلانية أو الروماتزم السيلاني

سبق الكلام على مرض السيلان في الجزء الاول وإنما نريد أن نصف هنا
ميكروبه واعراض اصابته للمفاصل

أما ميكروبه فهو من الشكل البزري ويسمى بالفرنسية [Gonococcus]
ومعناها حرفيا في اليونانية [بزور المتى] فهي من الاسماء التي أخطأوا في أصل وضعها .
يوجد هذا الميكروب كثيرا في افراز الاحليل اذا كان الشخص مصابا بالسيلان
ويشاهد على الأكثر داخل الكريات الصديدية البيضاء وهو من الميكروبات التي
تعمر زرعها في الخارج ، ويميش بوجود الهواء أو بغيره وفي البيئة القلوية قليلا أو
الحضية ولكنه لا يعيش خارج الانسان الا ببعض الوسائل الصناعية العلمية الدقيقة .
ولا يصيب هذا الداء غير الانسان . ويشاهد ميكروبه في افراز الاحليل والفرج
وقل مشاهدته في إفراز الرحم ويندرأ ولا يشاهد مطلقا وجوده في افراز المهبل . أما في
الذكر فيوجد أولا في إحليله وقد يمتد منه الى الخصيتين أو المثانة أو الغدد الاربعة

(فينشأ منه الخبرجل) وفي بعض الحالات قد يصل الميكروب في الذكر والانثى الى الاعضاء الباطنية كالمبيضين أو البليورا أو البريتون أو الغشاء المبطن للقلب أو الاغشية الزلالية المبطنة للمفاصل وغير ذلك كثير واصابة المفاصل هي المقصودة بالكلام هنا

تبدأ هذه الاصابة بعد ١٤ يوما أو ٣ أو ٤ أسابيع من مبدأ ظهور سيلان الاحليل حينما يكون هذا السيلان قيحا أو حينما يكون صديدا (رقيقا) وهو الاكثر أي في زمن [النقطة العسكرية] ^(١)

الاعراض — في الحالات الحادة تصاب عدة مفاصل في أول الامر بالألم والوزم، وبعد قليل يقتصر المرض على مفصل واحد وهو المرفق في الغالب وقد يكون الركبة أو الرسغ أو غير ذلك . ويمتد احمرار المفصل الى مسافة بعيدة وترم المنسوجات في تلك المسافة كلها حتى قد يظن أن بها خراجا . ويتألم المريض ألما شديدا عند أقل حركة ولكن تكون الحمى غير شديدة . ويزول الالتهاب بالتدريج البطيء جدا ويترك وراءه يدا في المفصل . وقل أن يتقيح . ومن النادر أن تصاب أغشية القلب ، وهذا الداء يصيب الذكور والاناث على حد سواء .

وهذه اصابات بهذا المرض أخف مما ذكر فيكون احمرار المفاصل فيها أقل وكذلك ورمها ، ولكن تصاب عدة مفاصل في وقت واحد خصوصا الركبتين والمرفقين والرسغين وكثيرا ما يكون هناك آلام في الصفاقات وفي الاغشية المغلقة لأوتار العضلات ، وتغلب اصابة صفاق اخمص القدم . وقد تصاب أيضا الملتحمة بالالتهاب وكذلك الصلبة وغيرها . وفي تلك الحالات الخفيفة يكون زوال لالتهاب أيضا تدريجيا وقد تطول مدته الى ثلاثة أسابيع أو أكثر ويخلفه كذلك يدرس في المفاصل

وسبب تلك الالتهابات كلها هو وجود ميكروب السيلان في الاعضاء الملتبئة وقد تصاحبه أيضا ميكروبات الصديد وذلك اذا وجدت المدة

(١) اصطلاح يراد به السيلان المزمن كما يحصل لكثير من الجنود وهو عسير الشفاء جدا يكاد يكون ممتدرا

حال المسلمين الاجتماعية

ومطامير الرغبات ووسائل الطبقات منها^(*)

وفيه بيان حال مشتركى المنار ومساعديه ورأى الاستاذ الامام والشيخ علي يوسف فيه

٢

قد فصلنا القول في المقالة الاولى في الفرض الاول الذي رمى اليه (م . ن) في رسالته وهو اعانة جماعة الدعوة والارشاد . واما الفرض الثاني مما رمى اليه وهو مساعدة المنار فقد علم رأينا فيه مما علقناه على رسالته ، وهو أننا لا نقبل تبرعه للمجلة ولا تبرع غيره لانفسنا ، فمساعدة المنار تنحصر في أمرين أدناهما أن يؤدي كل مشترك ما عليه من قيمة الاشتراك في كل سنة ، وأعلاهما الدعوة الى الاشتراك فيه واقتناء مجلداته وأداء حقه الذي هو عبارة عن قيمة الاشتراك

وقد وجد أفراداً قاموا بما تيسر لهم من أعلى المساعدة كالناطقة الشهير السيد محمد بن يحيى بن عقيل في سنغافورة ، وشهيد العربية السيد الزهراوي الشهير وصديقه الشيخ أحمد نهبان من علماء حمص وفضلائها في بلاد سورية ، والكاتب اللوذعي الهادي السبعي في تونس ، والفاضل الغيور محمد افندي عمر في القطر المصري . وانما ذكرت الهادي السبعي وقد كان وكلاء المنار بالعمولة لأنه من الأفراد الذين يقل نظيرهم في علو الهمة وقوة التأثير ، واننا لم نأسف لاضطرارنا الى ترك معاملته أحد أسفنا لاضطرارنا الى ترك معاملته لتأخير المحاسبة والمكاتبه عن أوقاتها زمننا طويلاً على أننا لم نهتد بعده سبيلاً الى تحصيل حقوق المنار من أكثر التونسيين ، على ما تفضل به من التبرع بتحصيلها الوجه الامثل عبد الجليل الزاوش

وأما أدنى المساعدة وهي أداء حق المنار فمن المشتركين السابقون بالوفاء وهم الذين يؤدون الاشتراك في كل عام وأفضلهم الذين يؤدونه في أوائل السنين وإن لم يطالبوا أو يذكروا ، ويليهما الذين اذا ذكروا أو طوبوا أدوا ، وإن تركوا نسوا أو

(*) تابع لما نشر في الجزء الثاني ص ٨٩

تناسوا ، ومنهم الذين يلوون ويمطلون ، ومنهم من لا يخرج الحق من يده الى أمثالنا في حسن التقاضي الانكدا ، وقد يكون أبسط الناس لمن يخاف أذاه أو هجومه يدا ، وقد ينأ من قبل أحسن أقطار المسلمين وأصنافهم وفاء وأشدّها مطالاً وانما التقاسي من مطل الناس أو هضمهم للحق ما هو أوضح برهان على انحطاط أمتنا ، وضعف تأثير العلم الديني والديني في نفوس أفرادها ، فلا ينبغي أن يغتر أحد بشهرة أحد في علم ولا فلسفة ، ولا بظهوره في مظهر صلاح ولا عدالة بل يجب أن يزن الجميع بميزان النقد ، فالناس — كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم — معادن كعادن الذهب والفضة ، أي والنحاس والحديد والزنك وغير ذلك ، فالظاهر العلمية أو العملية كالصقال قد يجعل النحاس أو الحديد المصقولين أبهج من الذهب أو الفضة غير المصقولين ، ولكنهما إذا تركا زماناً طويلاً بغير صقل علاهما الصدأ ، وأفسدهما الطبع ، ولا يضر الحجرين الكريمين ترك صقلهما ، فإن صقلا كان مزيد كمال في جهالها وبهاؤها . وأنشد الغزالي في الاحياء أبحاثاً في اختبار مدعي الزهد والتصوف بالمال :

لا يفسرُ نك من المر قميص رقمه
أو إزار فوق عظم الساق منه رفقه
أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

فإن شئت مثلاً من غير المنار ، وما اتفق لنا من منبكات الاختبار ، فأعظم الامثال التي يجب أن تضرب في هذا المجال رجل من الاغنياء العلماء الشرفاء ، يشرح الكتب الشهيرة ، ويتحلى بالحجارة الكريمة ، ويركب المركبات الفاخرة ، تجرها الخيول المطهمة ، ثم هو يلوي ويسوف في اشتراك المنار عدة سنين ، ثم يقول لو كمل التحصيل بعد المثل الطويل ، إنه لا يدفع قيمة الاشتراك لأنه عالم من علماء الدين ، فيا لله العجب هل يوجد خزني أخزي من وصف العلم أو الدين بأنه يقتضي هضم حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل ، أليس الجهل أفضل من مثل هذا العلم ؟ بلى وأستغفر الله من الزيادة على ما قلت
هذا وإن صنف العلماء المعصمين في مصر قلما يشترك أحد منهم في جريدة أو مجلة

أو جمعية خيرية، ويقل فيمن يشترك في صحيفة لغرض ما ان لا يسعى في السماح له بنصف قيمة الاشتراك أو ما دون النصف، كأنهم يرون أن الصحف يجب أن تهدي اليهم، وإن لم يفيدوا أصحابها بعلمهم ولا بجواهرهم، ان كان لهم علم ينفع، أوجاه يشفع، ولكن يقل فيهم أيضا من يأكل حقا ثابتا عليه لا أحد ومن أغرب ما وقع لنا معهم أن واحدا منهم كان قد أعجبنا حياؤه وتدينه، فساعدناه في مصلحة من مصالحه مساعدة ذات شأن عنده، فعرض علينا جزاءها أو مكافأة عليها عدة جنبيات، فقلنا اننا لا نأخذ أجرا على المساعدة فاشترى بها مجلدات من المنار، ثم أنه تأخر عليه اشتراك عدة سنوات فلما طوّل بها في هذا العام قال إنه كان دفع الاشتراك عنها سالفا في تاريخ كذا، فقل له ان مادفعته يومئذ انما كان ثمن المجلدات السابقة فقال — وبالله العجب مما قال — بل كانت تلك المجلدات هدية من صاحب المنار !! فان كان قد قل هذا القول معتقدا صحته، فهل تفكر في السبب الذي حمل صاحب المنار على مساعدته مساعدة تستحق المكافأة وعلى ترك أخذ ما عرضه عليه منها ثم على اهدائه عدة مجلدات من المنار؟ لعله يتفكر فيعلم ان لاسبب يقتضي ذلك ثم ينصف من نفسه. !! على اننا مع العلم بهذا الشذوذ من هذا العالم الحبي، وذلك المؤلف الغني، نقول ان علماء الدين أمثل من علماء الدنيا وفاء، وأسهل قضاء:

ذكرت في بعض مجلدات المنار السابقة أن علماء الحقوق من القضاة والمحامين أحسن وفاء من غيرهم، وان أقل المتعلمين وفاء كتبة الدواوين، وكمن كاتب صغير، خير من قاض أو محام كبير، وانما الناس معادن، يتفاضلون بالاخلاق لا بالعلم ولا بالمناصب، أضرب لذلك مثلا قاضيا اشتهر بدقة الفهم، واستقلال الرأي، وحسن الذوق، وانتظام الفكر، وفصاحة القول، وسلاسة الانشاء، والجمع فيه بين إقناع الفلاسفة وتأثير الخيال، حتى صار يمدد المدنيون من رجال الاصلاح، وكان مع هذا كله يمنع ما عليه من حقوق الافراد والجمعيات عامدا متعمدا: طلب الاشتراك في المنار بلسانه، ومات وعليه اشتراك عدة سنين اعياء وكيل المنار تحصيلها منه، وكان مشتركاً في الجمعية الخيرية ومن كبار أعضائها فأمر الاستاذ الإمام رئيس الجمعية بمحو

اسمه من دفاترها بعد امتناعه من دفع قيمة الاشتراك عدة سنين .
وان لنا الآن عند بعض القضاة والمحامين اشتراك عدة سنين يثس جاني المنار
منهم ، وطلب من الادارة قطع المنار عنهم ، وقد ساءني ذلك لان منهم من أجل
نبوغه ومروءته ، وأتمس له عفرا فيما شكوا الجاني منه ، ويعز علي ان يحشر في زمره
الماطلين ، أو يدون في سجل الماضين ،
وأما الماطلون من الاغنياء الذين لم يصقلهم العلم الديني ولا النبوي فهم كثيرون
ومظلم خشن مشوه . مثله قول غني من الفيوم عايه اشتراك بضعة عشر سنة بجاني
المنار في القاهرة : اني ابتليت بمصائب تمنني من المطالعة منها موت امرأتي ، ومجموعات
سني المنار محفوظة عندي في الفيوم فاعطني أجرة البريد لاحتضرها لك !!
ولا يعني السكوت في هذا المقام عن كلمة ثناء على فضل من أنبت أرض في
مصر في هذا العصر ، بل على من يندر وجود مثلهم في اي مصر واي عصر ، وم
الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والوزير الكبير مصطفى رياض باشا والنايفة الهام
حسن باشا عاصم ، فأما الوزير فقد بينت في فاتحة المجلد الخامس عشر انه كان أول
من أراد التبرع للمنار فاشترك بمسح نسخ توزع على الفقراء ثم جعلها خمس عشرة نسخة ،
وقد أقرها عبده ولده محمود باشا سنة ثم قطعها ، وفضل رياض باشا على الاهرام والمؤيد
والمقتطف والمقطم مما يعرفه جمهور الادباء ، وأما حسن باشا عاصم فقد كان على وقف
حياته على خدمة الامة احسن الناس وفاء ، حتى انه كان يتحرى أن يكون أول من
يدفع الاشتراك للجمعية الخيرية في كل عام على أنه أكثر أعضائها خدمة لها ، وكان
يدفع اشتراك جميع الجرائد في أول كل عام أيضا وكان يجيء في ادارة المنار في
بعض السنين حاملا الدراهم بيده .

وأما الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان أحرص الناس على مساعدة المنار
بكل ما تصل اليه طاقته ، وكان كثير من الناس يظن في مساعدته له الظنون البعيدة حتى
ان منهم من كان يظن أنه هو الذي يكتب ويحرر أكثر ما ينشر فيه ، وقد علمنا هذا مما
كاشفنا به بمض القراء حين كتبنا في المجلد الرابع ان كل ما ينشر في المنار غير
معزو الى أحد فهو لمنشئه ، ومن الناس من لم يرجع عن هذا الظن الا بعد وفاة الاستاذ

بعد كتابة ما تقدم نظرت في مذكرياتي التي كتبتها قبل انشاء المنار فاذا فيها اني جئته على موعد في مساء اليوم السادس من شعبان سنة ١٣١٥ فطلعت منه ان سليم افندي الانسي أخبره بأن بعض الناس جاؤا من طرابلس الشام لانشاء جريدة . وأنه أجابه بقوله : هل علموا ان الجرائد هنا قليلة ؟ وكتبت يومئذ في ذلك ما يأتي :

« فمئذ ذلك كاشفته بهزيمي وأخبرته انه جاءني خبر من طرابلس بأن والي بيروت بافقه اني جئت مصر لانشي جريدة أطعن فيها بوكلاء (وزراء) الدولة . وقلت له : المقصد أعلى من الكلام في الشخصيات وان وكلاء الدولة مدحوا كثيرا وذموا كثيرا فاذا كان من نتيجة المدح والذم ؟

« فشرح لي الأستاذ حالة الجرائد في مصر (كما فهمته وأخبرته) وقال ان المصريين أقامتهم الظروف في حالة جعلت أفكارهم موجهة الى شيء واحد من الجرائد وهو أخبار الحكومة المحلية وماذا يقال عن الخديو وعن الانكايرو ولا يلتفتون الى ما وراء هذا . وهذا الامر قد قامت به ثلاث جرائد المقطم والمؤيد والاهرام ... (١) واذا كتبت في المواضيع الادبية كالتربية والتعليم أو آداب اللغة لا يلتفت الى كلامك الناس فاني لا أعرف أحدا في مصر من طلبة الأزهر أو المدارس مشتغلا باللغة وآدابها الا ان يكون في الزوايا من لم يعرف . نعم ان هذا الامر مهم ومفيد لكنه لا يأتي منه ما يكفي لتفقاته ولا ينبغي التعب وانفاق المال هكذا ...

(وفيها اني ذكرت له هنا ما ذكره لي صاحب الملل من كثرة مشتركيه وأنه ارتاب في ذلك وقال ان المشتركين الذين يدفعون الدراهم قليلا وما كل من يكتب اسمه في دفاتر أصحاب الصحف كذلك . ثم كتبت ما نصه) :

« ثم انتقلنا الى موضوع الامة ومرضاها وان أنفع الوسائل في معالجتها التربية والتعليم ونشر الافكار الصحيحة » فقالت هذا ما احدا بي لانشاء الجريدة ، واني أسمع ان انفق عليها سنة وستين من غير ان أكسب شيئا ... فقال ان كان هكذا

(١) هذا نص ما في المذكرة بحروفه ونقطه وأتذكر انه ذكر لي مشرب هذه الجرائد فأشرت اليه بالنقط لانه لا ينسى

فهو حسن ، وهذا أشرف الاعمال وأفضلها ، وأنا اذا كنت على ثقة من مشرب
الجريدة فاني أساعدها بكل جهدي » اهـ

ولما كتبت فاتحة العدد الاول أعجبه ما بينته فيها من خطة المنار ومقاصده ولم
ينقد منها الا كلمة واحدة في حقوق « الامة على الامام » قال إن المسلمين ليس
لهم الآن إمام انما امامهم القرآن. فتركت تلك الكلمة لاجله. ولم أطلع على شيء قبل
طبعه مما لا يتعلق بشخصه والحكاية عنه الا تلك الفاتحة. ثم كانت تزداد ثقته بالمنار
وصاحبه (ولا محل لشرح ذلك هنا) ولكنه امره نفسه ومحافظته على قيمة كلامه كان
يكتفي من الترغيب في المنار غالبا بدخه، والشهادة بفائدته ونفعه، دون التصريح بالدعوة
الى الاشتراك فيه ، وقلما كان ذلك يجدي لبعد أكثر الناس الموسرين عن الاهتمام
بأمر الاصلاح الديني والاجتماعي، قد اشترك في المنار عند ظهوره الافراد من أصدقائه
ومريديه بترغيبه، واشترك المئات من غيرهم بغير ترغيب من احد ولم يكن في ذلك
غناء ، وما زاد دخل المنار على نفقاته الا في السنة الخامسة، وقد كان لمقالاته (الاسلام
والنصرانية) تأثير في ذلك . ولم أعلم أن عشرات من المشتركين طلبوا الاشتراك
بتأثير ثنائه عليه الا في تلك السنة وكان هؤلاء المشتركون من مديرية الدقهلية
وما جاورها، سمعوا منه ذلك الترغيب في بلادهم أيام كان فيها يوزع الاعانات على
الذين نكبوا بالحريق ، ولا أتذكر انني طلبت منه المساعدة تصريحاً ولا تلميحاً
الا في أوائل تلك الايام ، فاني كتبت اليه كتاباً أشرت فيه الى الشكوى من قلة
الاقبال على المنار - وكان في الصورة - فكتب الي كتاباً قال فيه هذه الكلمة
التي كانت أحب الي من كل ما تجدد من طلب الاشتراك ، لانها بينت رأيه في
المنار كتابة وهي :

«الناس في عماية عن النافع وفي انكباب على الضار فلا تمجب اذ لم يسرعوا بالاشتراك

في المنار فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر، بما هو أصلح الاجل

وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلاً، والفقراء

لا يستطيعون الى البذل سبيلاً ، ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل »

وأذكر أيضا أن وجيها من أسرة كبيرة غنية في بعض المديريات كان يعد من حزب الاستاذ طلب مني بحضرته ارسال المنار الى بضعة عشر مشتركا من أقاربه وأصحابه على انه هو الكافل لهم ، والملتزم لتعصيل قيمة الاشتراك منهم ، فأرسلناه اليهم ، وبقي عدة سنين لا يدفع عن نفسه ولا عن أحد منهم شيئا حتى في حياة الاستاذ ، ثم بعد تكرار المطالبة وصل اليها منه ومن غيره اشتراك بعض السنين من بعضهم ، ويثسنا من الآخرين فمحونا أسماءهم .

وأما أصحاب النفوذ والوجاهة من أصدقائه — الذين كانوا أقدر منه على نشر المنار لو أرادوا لتصريحهم بما لا يصحح هو بمثله — فلم أعلم لأحد منهم مساعدة تذكر الا ان مصطفى بك الباجوري رحمه الله تعالى طلب المنار لجماعة في طنطا أكثرهم من أصدقائه المحامين . على أن كثيرا من جماعة الاستاذ ما كانوا يدفعون قيمة الاشتراك ولا كنا نحن نطالبهم بها لاجله ، وهو لم يأمر بارساله الى أحد بغير إذن الا الى اثنين من أصدقائه (أحدهما) شيخ صوفي صالح مشهور في الوجه القبلي (وثانيهما) قاض شرعي من اخوانه مريدي السيد جمال الدين في الوجه البحري ، (رحمهم الله أجمعين)

وجملة القول ان الاستاذ قدس الله روحه صرح لي بما حقيقة انه لم يعمل للمنار ما يجب عمله له ، بل قال لي مرة أو أكثر من مرة : اني لم أعمل له شيئا . أي ما يعده هو شيئا يذكر . ولا سيما بعد ما رأى من مقاومة أعدائه له ، وعدم قيام أصدقائه بما كان يجب من مساعدته ، على ما رأوا من شدة ميله ورغبته ، وقد كان هو يقوم ، ووافاة رغائبهم وقضاء حوائجهم بمجرد الشعور بها ، ولا ينتظر منهم إلحاحا ولا تصريرا بطلبها ، وكان يجب ان يكون كل فرد منهم أولى بذلك منه ، لا لأن له الفضل عليهم ، والمقام الاعلى فيهم ، بل لانه أشدهم حياء وأرقهم شعورا . فلا ينبغي لمن عرف طباعه وأخلاقه العالية ان يكلفه ما لا يليق بها ، كالتصريح بطلب الشيء بأسان المقال ، مع العلم به من دلالة الحال ، على انه هو لم يكن يكلف صديقه مثل ذلك وان كان ذلك الصديق لا يستحي منه ، ولا يتقلى مثله على طباعه وأخلاقه .

من أجل هذا كانت مقاومة أعداء الاستاذ للمنار أعظم من مساعدته له ، وإنما

كانوا يقاومونه لتوجيه به ، واذاعته لسله وفضله ، وانني أذكر في هذا المقام كلاما للشيخ علي يوسف صاحب المؤيد عفا الله عنه فيه عبرة لصاحب الرسالة التي أوجبت كتابتنا لهذا المقال ، ولنغيره ممن يعتبرون بوقائع الاحوال ،

قال لي الشيخ علي يوسف مرة: إنك أنت رجل غير عادي فلقد أوتيت من العلم والبصيرة ومعرفة حكم الدين واسرارها وما يحتاج اليه المسلمون من الاصلاح في هذا العصر ومن حسن البيان ما جعل بمجالتك من الحاجات الضرورية التي لاغنى للمسلمين عنها اذا أرادوا أن يرقوا في هذه الدنيا مع المحافظة على دينهم، وكان يجب أن يوجد المنار في كل بيت من بيوت المسلمين ، ومصر مستعدة لرواج هذه الافكار فيها وانت ههنا غريب ليس لك اعداء ولا حساد اذ لا يمدك احد فيا مزاحم له في جأه وصيته. الا انك التزمت في المنار اطراء الشيخ محمد عبده والتويه به، وهو اهل لذلك الا انه غير محتاج اليه اذ لا يزيد في قدره عنداء في فضله الكثيرين ولا ينقص غيرهم من مبنضيه ، وان للشيخ اعداء كثيرين لهم نفوذ في البلاد، وانت بهذا التويه به تجعلهم خصوما للمنار يقاومونه وينفرون الناس منه، واكثر من يسمع ذلك منهم يأخذ به بالقبول، فخير لك أن تترك هذه الخطة وتسلط في ذكر الشيخ طريق المؤيد بأن تعبر عنه اذ لم اقتضت الحال ذكره بأحسن ما يقرن بأسماء كبار العلماء وهو لقب « فضيلة الاستاذ فلان — أو بزيادة — العلامة فلان » فهذا تأمن كيد أعداء الشيخ لك المنغفي الى حرمان أكثر المسلمين بمصر من الاستفادة من المنار

فقلت له انني أعلم قدر ما في هذا الكلام من النصيحة وانني قد علمت بالاختبار ان أعداء الشيخ يصدون عن المنار وقلما يوجد من يعارضهم في ذلك . ولكن المنار أنشئ للاصلاح لا للتجارة ودعوة الاصلاح لا يرجي ان تنجح وتبقى الا اذا كان للاصلاح زعيم يرجع اليه ويعول عليه ، ولا أعرف أحدا في المسلمين اهلا لهذه الزعامة بعلمه وبصيرته واخلاصه وأخلاقه الا هذا الرجل ، فأنا أقصد بالتويه به ترشيحه لزعامة الاصلاح في العالم الاسلامي كله لا في مصر فقط . وهذا الفرض ركن من أركان الاصلاح يرجح على كثرة قراء المنار في القطر المصري. فقال اذا كان الامر كذلك فأنت أدري بشأنك

هذا — وإن هذا القول من الشيخ علي يوسف قد كان قبل اشتداد غضب الأمير علي الأستاذ الامام واطهاره للناس وما ترتب على ذلك من التقاطع الأخير بين الأستاذ والشيخ علي ، ومن سعي كثير من كبار المقر بين الأمير للتفريق بيني وبين الأستاذ رحمه الله تعالى ، إذ كان ممن كلفه في ذلك الوزير الشهير بطرس باشا غالي ، ومن كلفني فيه تقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الشيخ توفيق البكري . ولا حاجة الى شرح ذلك في هذا المقال

لن صاحب الرسالة (م . ن) يعلم ما لا يعلمه الا الاقلون من تاريخ المنار وما بقي من المقاومة وكونها على قوتها لم تكن مائسة من انتشاره واحترام كبراء الامة — حتى خصومه — له ولنشئه ، وأنه على كثرة ما كان ينتقد العلماء ويلقي عليهم من تبعة فساد دين الامة ودنياها لم يتصد أحد منهم للرد عليه مع دعوته اياهم الى اعتقاد ما يروونه مستقدا فيه على رأس كل عام ، ويعلم أيضا أن مقاومة الامراء والكبراء من العلماء وزعماء الحزب الوطني وغيرهم لم تكن صادرة من دونهم في الجاه كعبد القدي عمر من الدعوة الى الاشتراك في المنار ومن استجابة كثير من الناس له ، ذلك بأن الحرية الشخصية قد رسخت في البلاد ، حتى صارت مستعدة لقبول كل دعوة وانتشارها بقدر من يقنع بفائدتها من الافراد . ولكن الدعوة لا تنجح بنشر مقالة أو مقالات معدودة ، بل بشروط لنجاحها أن يكون لها دعاة دائبون ، وتأثير القول فيها أكبر من تأثير الكتابة ، ولا بد من المواظبة والتكرار ، كما علم من سنن الله تعالى في كل دعوة الى إصلاح أو إفساد ، فهذا هو سبب حكمنا على رسالته بأنها لا تقضي الى نيل المرادة فالاقوال والافعال المعارضة الموقفة ضعيفة التأثير في الامور العامة ، وإنما الممددة فيها على الدعوة الدائمة ، فقد أيد المنار أقوى من أنبت هذه الديار حجة وتأثيرا روحيا ولم يكن نجاحه بتأييده وتنشيطه ، وخذله وثبط عنه أعظم من فيها نفوذا ولم يحجب بخذله وتنشيطه ، وقد زالت والله الحمد تلك المناهضة ، فلا يخشى أن يلقي الداعي بسفاد ذي ولا معارضة ثم ليعلم صاحب تلك الرسالة ان المنار ثابت بفضل الله تعالى وان انقطع عنه منذ بدأت الحرب الاوربية كل مدد كان يأتيه من البلاد العثمانية والروسية ومن الغرب الاسلامي ، وكذا من المشرق والجنوب الا قليلا ، — وان همت ادارته أيضا (المنار : ج ٥) (٣٨) (المجلد التاسع عشر)

أسماء مثبات من مشتركى القطر المصري ؛ بعضهم بحق وبعضهم بغير حق بل بشهادة غير عادلة من الجلباء . — وكان هذا في فترة بضع سنين لم أنظر فيها شيئا من أمر الادارة وقد قضيت كثيرا منها في الاسفار — وان المتأخر من مال الاشتراك على الثابتين من المشتركين يزيد على ألف جنيه مصري . واني لا أعترف بأن جل التبعة في ذلك على تقصير الادارة وتركها مطالبة الكثيرين منهم لا على من طولبوا فللوا ومطلوا ، وانا نرجو ان توفق ادارتنا فيما شرعت فيه من الاصلاح الى اقتضاء حقوقنا بالحسنى ، فقلما يوجد في مشتركى المنار من يستحلّ أكل ماله بالباطل وهضم حقه بغير عذر ، ولكن يثقل على بعض من عليهم اشتراك عدة سنين ان يؤدوها دفعة واحدة ، ولا يضرننا تأديتها أقساطا متعددة ، وإن منهم أفرادا يطعمون بأن تترك لهم شيئا مما عليهم برضا منا ، ومن هؤلاء من يتوسل الى ذلك بأن بعض الاجزاء لم يصل اليهم ، وحمقنا انه كان ينبغي لهم ان يطلبوها في وقتها وإذا ارسلت اليهم بغير نحن حسب الشرط ، وانا نعلم بالاختبار ان كثيرا من المشتركين تفضل عندهم الاجزاء أو يأخذها بعض أصدقائهم من مكاتبهم أو بيوتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ، أو تضيق باتتقائهم من مكان أو بلد الى غيره ، ثم يتوهمون انها لم تصل اليهم البتة وقد هزمتنا على ان نبذل جهدنا في حسن الاقتضاء ، راجين من الاكثرين حسن القضاء ، وعلى ان نكتب بعد ذلك ما نرى فيه الفائدة من الاختبار ، ومنه التصريح بأسماء المحسنين والمسيئين في القضاء ، ليكونوا عبرة للمعتبر بحال المسلمين . ونؤكد البشارة لآخينا (م. ن) الداعي الى مساعدة المنار خوفا من سقوطه بما أحدثته الحرب من العسرة ان ما على خيار المشتركين في القطر المصري وحده يزيد على ما يحتاج اليه من النفقات فلا يضره انقطاع المدد عنه من الخارج ، فاذا كان يجب زيادة انتشاره لاجل تعميم فائدته فالطريق الى ذلك هي الدعوة الى منهجه الاصلاحى ، ولكل دعوة أهل ، ولكل مجتهد نصيب ، ودعوة الاصلاح بالحق أحق أن تستجاب ، ولا سيما اذا روعيت فيها الحكمة وفصل الخطاب ، (أفن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدي الا ان يهدي ؟ فالكيف نهيكم !)

رحلة الحجاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله تعالى ان وقتني في هذا العام لتلبية دعوة أينا ابراهيم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ، بأداء فريضة الحج ، واكمل المناسك بالعج والشج ، ثم أحمد عودا على بدء ان وقتني للوفاء لوالدي بالحج معها . بعد ان حالت دونه الاقدار بالاعذار تارة من قبلي وتارة من قبلها ، بل أحمده قبل ذلك كله أن ~~هخر~~ من سخر من الدول لازالة ما أحدثته الحرب الاوربية العامة من موانع السفر بالبحار الى الحجاز ، ولتكاليف إعداد السفن لحل الحجاج ، بعد أن وفق الشريف أمير مكة للقيام بأمر استقلال العرب في تلك الاقطار، ولمعاهدة تلك الدول المتصرفه في جميع البحار ، فسبحان من سخر من شاء لما شاء بتوفيق أقدار لأقدار، وأظهر حجته على الخلق في كل عصر من الاعصار، من آيات يزداد بها إيمان المؤمنين، ويحقق بها القول على الجاحدين ، — والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، الامي الذي أرسل لتعليم الاميين والكتابين ، العربي المبعوث لتوحيد الامم باللغة والدين ، وعلى آله وأصحابه الكرام ، الذين أخذوا عنه المناسك وأحيوا شعائر الاسلام

أما بعد فان ركوب الالوف من المسلمين لتون البحار ، وجذبهم من أقصى المغرب والمشرق لاداء فريضة الحج في هذا العام ، يصح ان يعد من تأييد الله تعالى للاسلام ومن المعجزات الدائمة لخليائه ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ومصدقاً لحديث «ان الله سيؤيد الاسلام برجال ما هم من أهله» وقد ورد بلفظ آخر صرحوا بصحة سنده . أوليس خذلانه — جلت قدرته — لحكومة الاتحاديين الملحدين ، بما أقدموا عليه من التشكيل بالعرب وانتهاك حرمة الدين ، وتوقيفه — عمت رحمته — لأمير مكة ومن منعه من المسلمين ، بالخروج على البغاة المارقين ، وتسخيره — بهرت حكمته — لدولتي الفرنسيين والبريطانيين الكتائبين ، بحمل الحجاج من الغرب والشرق الى البلد

٣٠٨ كون الحج تلبية لدعوة ابراهيم وماكان من الموانع دونه [المنارة: ج ٥ م ١٩]

الامين = أليس هذا كله أقدارا تتابعته ، وأسرا را تشايعت ، فأنجملت عن استجابته سبحانه وتعالى لدعوة ابراهيم خليله ، وإحياء شريعة محمد عبده ورسوله ، بعد ما كاد يظن ان أسباب الحرب الظاهرة ، حالت دون تلك الدعوة الطاهرة ، (١٤ : ٢٩ ربنا إني أسكنت من ذُرِّيْتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجمل أفئدة من الناس تهوي اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) بلى وإنما لتؤيد ما روي عن ابن عباس ، من تلبية الناس لتلك الدعوة في عالم الارواح ، اذ قام عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من بناء البيت العتيق ، ممثلا قول الله له (٢٢ : ٢٥ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍ عميق ٢٦ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ٢٧ ثم ليقتضوا نقمتهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) * فقد روي عنه ما معناه أن الله تعالى أمره أن ينادي بذلك وقال له عليك النداء وعلي البلاغ ، وأنه قام في مقامه (المعروف الى الآن بمقام ابراهيم) وقيل في الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس فنادى يا أيها الناس ان الله قد اتخذ بيتا فحجوه — فاجابه كل من كتب الله له الحج الى يوم القيامة قائلين « لبيك اللهم لبيك » فان لم تكن هذه الاجابة حقيقية في عالم الارواح ، ولا عبارة عن الاجابة بالقوة ولسان الاستعداد ، فهي تمثيل لما تظاهرة مجاري الاقدار ، من وراء حجب الاستقبال ، فتشاهده الاجيال في كل حول من الاحوال لقد كان التزوع الى حج بيت الله الحرام ، هوى ساكننا في القلب يحرکه الموسم في كل عام ، وتحول موانع الاقدار دون جذبه البدن الى تلك المشاعر العظام ،

(٥) التأذين والاذان بالشيء النداء للاعلام به . والرجال جمع راجل وهم المشاة ، والمعنى يأتوك مشاة وركبانا على كل ضامر من الابل وغسيرا وهو المهزول من طول السفر ، وبأتين صفة لكل ضامر . واقبح الطريق والمسلك المنفرج بين الجبال ونحوها ، والعميق البعيد النور أو المدي ، والايام المعلومات يوم النحر وأيام التعمير يسده ، وكذا يوم عرفة في قول ، والامر بالاكل من لحوم ذبائح الهدي التي تذبح بمعنى في تلك الايام — ومثلها الاضاحي في سائر البقاع — للندب عند الجمهور والوجوب عند طائفة . والتفت الناسك ، أو التحلل من الاحرام الذي يزال به الوسخ بالخلق والطيب اذ أصل التفت الوسخ . والمراد بالطواف هنا طواف الافاضة والذي تم به أركان الحج فيتم التحلل منه .

[المنار: ج ٥ م ١٩] أوهاام المصريين في حج هذا العام قبل حصوله ٣٥٩

وأهمها ما كان أولا من عدم الامن على النفس من ظلم الحكومة الحميدية ، ثم ما هو شر منه وأنكى من إلحاد الحكومة الاتحادية ، ومنها ما كانت في بعض السنين من عدم استطاعة السبيل ، أوعجز السيدة الوالدة عن الرحيل

فلما دعت الحكومة المصرية المسلمين في هذا العام الى الحج بالسنة الصنف المنشرة ، والتزمت حل من يحج الى جدة ذهابا وايابا بأجرة قليلة ، تاركة ما كانت تتقاضاه من كل مريد للحج من التأمين المالي ، وعلمنا أن هذه الدعوة مبنية على تأمين الشريف أمير مكة للبلاد ، وإزالته كل ما كان هنالك من أسباب العيث والفساد ، — صادفت هذه الدعوة في أنفسنا أتم الاستعداد والاستطاعة ، وإتقاء جميع الموانع دون هذه الطاعة ، بل تأكدت داعية الفريضة ، بما يرجى في أثناء أدائها من واجب النصيحة ، التي تقتضي الحال الحاضرة أداءها لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فقد علمنا أن طريق الحج ، قد مهد لمسلمي الشرق والغرب ، الذين حالت بيننا وبينهم الحرب ، فلا سبيل للتواصل بيننا وبينهم من الطلاق ولا من الباب ، ولا للتناصح بخطاب ولا كتاب ، ونحن الآن أحوج ما كنا الى التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون على ما يحب من التقوى والبر ، فهل تتوانى في أداء هذه الواجبات ، وقد ابيحت لنا في أشرف الامكنة وأفضل الاوقات ، إذ تؤدي المناسك في بيت الله ومشاعره العظام متى والمزدلفة وعرفات ؟

نعم ان حكومة هذه البلاد آذنتنا بإباحة الحج في هذا العام ، فذكرتنا بإيذنها به أذان أيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فلي القلب داعي الله قبل تلبية اللسان وسعي الاقدام ، : « لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » فلم نكن ممن يشيهم عن هذه التلبية إرجاف المرجفين ، ولا خرص الخراصين ، ولا إفك المذاعين ، الذين أذاعوا في طول البلاد وعرضها ان من يقصدون الحج في هذا الاوان ، يلقون بأيديهم الى التهلكة بما أعد لهم من مدافع الترك وطيارات الالمان ، ولا قولهم إن صاحب المنار مرسل مع وفد العلماء الذين أرسلهم سلطان مصر لمبايعة شريف مكة بالخلافة ، ولا قول بعضهم إنه هو الذي يريد ذلك دون العلماء ولا قول بعضهم بالعكس ، فافترائض والواجبات لا ترك

٣١٠ أو هام المصريين في حج هذا العام قبل حصوله [المنار: ج ٥ م ١٩]

اتقول غوغاء الناس، ولا لاو هام العوام ولا الخواص، وحسبي ان أعلم انني أحج
لوجه الله تعالى منقفا من مالي الذي أعتقد حله وقد ادخرته لذلك في هيمان منفسين،
وانني ابتغي زيادة الاجر عند الله تعالى بصحبة والدتي وخدمتها في هذه السبيل،
وبما أبغيه من الازدياد من العلم النافع والاختبار والاستفادة من أهل العلم والبصيرة،
وبما أنويه من النصيحة لكل من أرى الفائدة في نصحه من اخواني المسلمين في تلك
البقاع الطاهرة الشريفة، بما أرى فيه الخير والمصلحة لأمتي في أمري دينها ودنياها،
لا أحابي في ذلك شريفا ولا أميرا، ولا أغش فيه سوقة ولا فقيرا، وانما الاعمال
بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى. كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم.
على ان حبل الكذب - كما تقول العامة - قصير، ولا سيما اذا كان في شيء
كالحج موعده قريب، فسفر الحج في هذا العام كان أقل من خمسة أسابيع، فما
أسرع ما ظهر كذب تلك الاقاويل

لم يبق أحد في مصر الا وقد علم ان حجاج بلاده قد دخلوا المسجد الحرام
بمشيئة الله تعالى آمين، وأدوا مناسكهم وقضوا تقصمهم محلقين رؤوسهم ومقصرين،
وعادوا الى أوطانهم سالمين مغبوطين، وان الشريف لم يدع أحدا من الحجاج الى
مبايعته، ولا يزال الخطباء يدعون للسلطان العثماني في بلاده، وان صاحب المنار
لم يكن بينه وبين وفدا العلماء السلطاني خلاف في امر المبايعه المنعرجة بمصر ولا في غيره،
وانه عاد مع والدته الى أهله وولده وموطن عمله كسائر الحاج، اذ لم يذهب مدعوا
الى منصب قاضي القضاة ولا مشيخة الاسلام، وها هو ذا يقص خبر رحلته، على
جميع من يطلع على مجلته، بما يمهّد قراؤها من صدقه وصراحته، اذ كان - ولا
يزال - يشرح ما طرأ من الفساد على الرؤساء والحكام، وما سرى من الضلال
والخرافات الى العوام، غير مبال بسخط الخاصة، ولا مهتم باستمالة العامة، (والله يقول
الحق وهو يهدي السبيل) :

(لها بقية)

باب الشعر والادب

قال محمد توفيق علي^(١) من قصيدة له في مديحه عليه الصلاة والسلام

| | |
|-------------------------------|---------------------------|
| هل مر يوم لم يلح فيه أفقه | شمس تضيئ لنا من القرآن |
| هل هزت الاجيال دين محمد | فراثة غير مثبت الاركان |
| هل ينكر الثقلان أن نبينا | كنز العلوم وكعبة العرفان |
| ومثبت التوحيد في أركانها | بالمعجزات وساطع البرهان |
| ولربما جعل الحسام نصيره | في ردع أهل الظلم والطغيان |
| وأعادها نورا وكانت ظلمة | دهماء سابغة على الاكوان |
| لو أننا متمسكون بدينه | لم يرض منا مؤمن بهوان |
| ولما هز منا لو تجملت العدا | لقتالنا واستظفروا بالجان |
| ليكننا فشت المعاصي بيننا | وتحكمت فينا يد الشيطان |
| توبوا الى الله الكريم وأصلحوا | أعمالكم خافوا من النيران |

وقال في أصحاب السوء

| | |
|--------------------------|---|
| لي أصحاب اذا عاشرتهم | لا تقل ان عثروا يوما كما ^(٢) |
| يا كلون السحت فيما بينهم | ليس من جوع ولكن جشعا |
| يمزجون الخمر بالماء فـلـ | مزجوا أن شربوها أدمعا |
| فعبوا عن كل فخر وعلا | وسعى للعار منهم من سعى |
| وعم والله في أعناقهم | لا يحبون التقى الورعا |

(١) هو ضابط (يوز باشي) في الجيش المصري وكان رفيقا لنا في سفر الحج وسياتي ذكره في الرحلة (٢) يقال للعاثر « لعاً لك » دعاء له - أي أنعشك الله وأقامك من عثرتك . واذا دعى عليه يقال له : لا لعاً لك

كم نهيناهم عن الخمر فلم يجدوا من دونها متجما
 كم زجرناهم عن الفحش فلم يجدوا في غيره متسما
 انهم قد ظلموا أنفسهم فاصفح اللهم عن رجما
 ﴿ وقال في ذم الخمر وضررها ﴾

خذوا كأسها عني فما أنا شارب لقد حرم الله المدام وانني
 ولا أنا عن ديني ودنياي راغب الى الله مما تستعملون تأب
 لئن بت جبارا على الارض قاهرا فلست لجبار السماء أحارب
 أشرب سما ناقما في زجاجة نحموم حوالي شاريه المصائب
 لئن شهبوا كاساتها بكواكب فكأنذرنا بالنحوس الكواكب
 وان عصروها من خدود كواكب فكمن من بلاياجرهن الكواكب
 ﴿ وقال في تفضيل الماء على الخمر ﴾

إذا طاف بالكأس الدهاق عليكم فما أنا منكم يبرا الله منكم
 لي الماء وحدي لا أبالي بجمعكم رضىتم غضبتكم ختمتم أو وفيتكم
 فصفق أباريق المدام وهاتها زلا لا فنفسي أوشكت تتفترم
 فذلك مدامي لا بنات دنائهم وذلك زجاجي لا الزجاج المفدّم^(١)
 اذا قرقت في الكاس ألقيت فضة تدفق أو ذوبا من الدر يسجم
 يقطرها الدن الحلال^(٢) كأنما تتابعها عقد من الدر ينظم

(١) الاناء المفدّم ما وضع على رأسه القدم وهو يفتح الفاء وكسرهما ليف يصفى به ما يصب منه في الاكواب. يقال قدمه بالتخفيف والتشديد وأقدمه
 (٢) الدن بالذبح وعاء كبير للشراب ووصفه بالحلال باعتبار ما فيه . وتقطير الماء
 لسانه قطرة بعد قطرة ولعله أراد بالدن المفدّم ما توضع عليه المصفاة (الفلتر)
 واستاد التقطير اليه مجاز

يرن رنين العود في كل قطرة
 وشتان بين الماء والخمر في فم
 فمن شاء أن يلقى جهنم قبل أن
 تجاذب روح الشارين بنشوة
 ومن خاف ناب الافعوان ينوشه^(١)
 يمزق أستار النفوس لعابه
 منساج أدواء موارد ريبة
 وطاب لأصحابي من الخمر تنبتها
 يقولون شرب الخمر بات فريضة
 فهل ترى أنا نموت بتركها
 ألم يكفكم وردا كؤوس مزاجها
 وتضييكم عز البلاد وهدمكم
 أقامته أطراف الدوالي وصانه
 اذا مالت الدنيا به قام ركنه
 ألا أبلغوا اهرام مصر توجعي
 وقولوا رمسيس بن سيتي أفق لنا

كأن قيانا تحته تترنم
 ولكن " ذا حل " وهذا محرم
 يموت قفي حان المدام جهنم
 تكاد لها أحشاؤهم تنضرم
 قفي كأسها ناب خفي مسمم
 ويأطم ناب الشارين فيهم^(٢)
 تطول بها البلوى ويقذى بها الفم
 وأوهمهم شيطانها فتوهموا
 علينا فلسنا ان تركناه نهضم
 فقلت لهم موتوا فلا خير فيكم
 من الذل والحرمان صاب وعلم
 بناء حقيقا انه لا يهضم
 قرونا على الدنيا الحديد المثلم
 يناطح روق النجم والذهب مرغم
 وان تلك لا ترثي ولا تترحم
 أتركنا في ذا الشقاء وتنعم^(٣)

باب المراسلة والمناظرة

(جمعية آداب اللغة العربية بلندن)

سيدي الاستاذ محرر « المنار »

لا أرى بدّا — اذا سمحت مكارمكم — من نشر كتابي هذا في « المنار ».

(١) الافعوان بالضم ذكر الافاعي وينوشه يتناوله ويأكل منه. استعمله بمعنى ينهشه (٢) يعني أن لعاب الكأس وهو الخمر يفسد الاستان ويتلفها فعبّر عن ذلك بلطم الناب وهتمة أي كسره (٣) لاندري من أين علم الناظم أن رمسيس سعيد ناهم

(المجلد التاسع عشر)

(٤٠)

(المنار : ج ٥)

ولي من ظاهر عنايتكم بهذا المشروع شفيح بذلك ، ومن تكرار تحريري في المجالات الأخرى عذر في الركون إليكم ، فإن من الضروريات في جميع الأعمال العامة الكبيرة كسب تضديد مجموع الصحافة لا بصفة وقتية بل بصورة دائمة . فلا بد إذن لقلبي العاثر من تكرار الاعلان عن هذا المشروع ، ومن أمثال فضيلتكم ترجى المؤازرة الأدبية الوجيهة فيما يذهب بضرر ويجلب فائدة للشعوب المستضعفة التي تذودون عن كرامتها وتناضلون عن حقوقها .

أغراض المشروع واضحة جلية وقد سبق لكم نشرها في « دعوة اللجنة التحضيرية » ، وكلها تدور حول نقطة جوهرية وهي خدمة اللغة العربية بجميع الوسائل الممكنة ، وتحت هذا تنطوي عدة مسائل أدبية اجتماعية وقومية حيوية لا يخطئ في تقريرها المفكر البصير .

يتساءل بعض النقاد: لماذا أشر كنا معنا - نحن العرب - المستشرقين في عمل كهذا جدير بنا أن نستقل به؟ وهو سؤال غريب إذ ما سمعت أن العلم مقيد بقيود الجنسية ، وما من مطلع الاويقرو مؤلف « تاريخ آداب اللغة العربية » على قوله في مميزات النهضة الأدبية الأخيرة منذ سنة ١٧٩٨ م إلى الآن : « من العوامل الرئيسية في احياء آداب اللغة العربية في هذه النهضة اشتراك الافرنج في درسها ونشر مكتبها والتنقيب عن تلك الكتب في مظاهرها . وليس اهتمام الافرنج بالآداب العربية حديثا فانه يرجع الى الاجيال الوسطى قبل نهضتهم الأخيرة لانشاء تمدنهم الحديث » تقوم هذا شأنهم وتلك آثارهم يجب أن ننزلهم منزلة الاكرام ، ان لم يكن لحركة العلم والادب عامة فلهحرمة لغتنا التي هي ديوان أخلاقنا وحضارتنا وأدبنا . فمن الاعتساف ونكران الجليل أن ينمى علينا هذا التصرف وأن نعاب به . ومن الفكاهة المرة أن يشترط على طالب علم افادته عن سيرة رئيس « اللجنة التحضيرية » وسيرة كل عضو من أعضائها قبل أن يتبرع بما لهم واحد لهذا العمل « وان راق لديه كثيرا » ! لهذا الحد بلغ بنا التحفظ والتهيب وسوء ظن بعضنا ببعض الآخر؟ يكفي في الرد على مثل هذا السؤال أن يقال: ليس بين أعضاء اللجنة التحضيرية إلا من يغار على نهضة اللغة ، وكلنا طلبة علم نريد ترقية معلوماتنا وتمرين أنفسنا

على الترجمة ثم التأليف ، وتعويد أعلامنا على لغة مهذبة نقية مع تمييز الكلمات الاصطلاحية العلمية والفنية متحدثين لغة الكتابة السليمة التي هي في كل أمة غير لغة العامة . وبعبارة أوضح إننا من أوساط المتعلمين لا مميزة لنا غير اجتهدنا واقداءنا على أداء واجب تناساه من هم أقدر منا ، فلسنا بالفلاسفة ولا بالفحول ، كما لا أعرف أننا وضعنا في درجة العوام والغوغاء . ولسنا ممن يصطادون الاموال لنفع جيوبهم ، ولا ممن صدرت عليهم أحكام المحاكم الجنائية ولا غيرها ، فعلام يتخوف من بروقه العمل من التبرع ، وكل قرش وكل جنيه يرسل باسم اللجنة يودع فوراً في « المصرف الاهلي المصري » بأنندن ؟

وأما الاستاذ مرجليوث فاعل شهادة سواي فيه أولى بالاعتبار . قال مؤسس « الملال » وقد أوجز كثيراً كعادته : « ليس بين قراء العربية من لا يعرف الاستاذ مرجليوث لما نذكره من آثار قلعه في خدمة اللغة العربية بالتأليف أو النشر . وقد تلقى علومه في جامعة اوكسفورد وتولى تعليم اللغة العربية فيها من سنة ١٨٨٩ م ، وهو يمتاز على الخصوص بسمة معرفته في اللغة العربية وآدابها . يكتب أصدقاءه من العرب بأسلوب عربي خالص من شوائب المعجمة . وله فضل نشر كتب عربية هامة آخرها كتاب معجم الادباء لياقوت الحموي . وقد نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمتها الانكليزية وهو عمل لا يستطيعه الا القابض على ناصية اللغة العربية لان هذه الرسائل لا يفهمها العربي الا بمراجعة المعاجم ، ونشر آثارا عربية تاريخية وشعرية ، وقطعة بابيروس عربي كانت في مكتبة اوكسفورد . وألف في مشاهد اورشليم ودمشق كتابا حافلا بالرسوم والشروح ، وله كتاب في سيرة النبي بالانكليزية . وترجم الجزء الرابع من تاريخ النمدن الاسلامي الى الانكليزي وله مقالات عديدة في المجلة الاسيوية الانكليزية وغيرها » . اهـ

وكتب الي أحد الفضلاء يسألني عن مزية العمل من الوجهة السياسية « حيث أن مركزنا السياسي الحاضر هو في نظره أهم المسائل » مع أننا أبنا مرارا أنه ليس لهذا المشروع أي صبغة سياسية ، وما تطرقت السياسة الى عمل كهذا الا أفسدته . وإن يبدل حالتنا السياسية جمعية ولا جمعيتان ، فإن العليل لا يبرأ بالاعلان زورا عن عافيته ، بل

بإستئصال دأته وعائته . ولكن اذا كنا ومعظم الافريقيين والشرقيين والعرب عامة معاديين في نظر الاوربيين بمرتبة البهائم ، ألا يعد من الحكمة اذن تخفيف هذه الوطأة باظهار فضائلنا في أدوار نهضتنا العلمية والادبية وتصحيح الغلط الفاحش الشائع عنا ، فكل هذا يمكن تحقيقه بهذا العمل الجامع أيضا لمزاياه الادبية البهتة .

لو كانت لنا في هذه الديار منزلة من الاحترام لما راجت على حسابنا رواية « قسمة » التي هي كانت ظالما وفضيحة اجتماعية وتاريخية كبرى لنا . ولئن انتقد بشدة تمثيلها مثل القائد الانجليزي السير سمث دروين رحمة بالآداب العامة ، فلهذه واعل كثيرين سواء من عالية القوم يعتقدون صحة ما تمثله تلك القصة الخيالية من السكائر آسفين على حالنا الشائنة فيا للمصائب ! ! واذا كانت كل من روسيا واليابان رغما عن تحالفهما مع انجلترا يقدران أن اصدق التحالف ما كان بين الشعوب بعضها مع البعض لاما بين الحكومات فقط ، فأصبحت جريدة « الشمس » تصدر من حين الى آخر بفضل المساعدة المالية التي تنهبها كل من تبتك الحكومتين ملحقات ضافية شارحة الحياة الروسية واليابانية بكل أسلوب ووسيلة جذابة للرأي العام الانجليزي ، أينعى علينا نحن المرموقين بالازدراء والسخرية الذين لا تربطنا محالفة ولا جامعة حرة راقية بأوروبا - أينعى علينا أقدامنا على عمل كذا يشمل ما بين أغراضه ازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق أو بالاحرى بين الفرنجة والعرب ؟ يقول كولردج : « اللغة عدّة العقل الانساني الجامعة لغنائم فتوحاته السابقة وأسلحة انتصاراته المستقبلية » ويقول وليم سمث : « اللغة هي ذكرى النوع الانساني هي عصب حياة ممتد بين جميع العصور يرابطها بالوجود المشترك الطويل المتري » : ويقول هير : « اللغة مقياس الفكر والخلق القومي » ويقول السير ه دافى : « ليست اللغة ناقله الفكر فقط بل هي أيضا عدّة عظيمة صالحة في التفكير » . وفي كل هذه الحكم الغالية الصائبة أحسن جواب لمن تبلغ بهم المغالاة في الانتقاد الى « الجزء » من غير الشبان على لغتهم ، قائلين ان اللغة وسيلة لا غاية « وحرام » أن نمنى بها هذه العناية . . . ! لأنكر أني اعتبر اللغة وسيلة لا غاية وان صلحت أيضا لأن تكون غاية مطلقة كفن جميل ، وما لنا من يدعو الى الكلام المتوعر المعقد الذي

يكنف الذهن المشقة في فهمه ويختتم العقل به ، ولكن من الواجب علينا أن نصون لغتنا عن الابتذال الذي تدلى اليه معظم المعربين ، ومن المفروض علينا أن نتمشى مع الزمن في ترقية الوسيلة التي نتاقي بها العلم والآن أصبح العلم دائماً غريباً عنا ، ومن الحكمة أن نظهر لغتنا في مظهر عزيز لا تائق بها « لأنها مقياس الفكر والخلق القومي » على حد قول هير . وفي اغراء الشبان العرب في أوروبا بالعناية بعمل أدبي علمي اجتماعي كهذا ما يصرفهم عن مضيعات الوقت والصحة والمال ، وما يساعدهم في دراستهم وفي تهيئة أنفسهم لخدمة أممهم في الحاضر والمستقبل .

لا يكابر أحد في أن الامة اذا ترقى نهضت معها لغتها ونالت احترام الاجنبي لها ، ولكن اللغة كذلك من أقوى دعائم الرقي ، ونهوضها من نتائجها كما أنه من وسائل النهوض العام للامة ، فهوض الامة ونهوض اللغة على ذلك حالتان لا تفترقان ، وأمران متساندان ونهضتان مرتبطتان .

أحمد زكي أبو شادي

نادي مستشفى سانت جورج

(طيب)

بادن

[المنار] ان هذا المشروع جليل ونفعه للعرب ظاهر لا يماري فيه الا أصحاب الوسواس السياسية ولا يصعب اقناع المستقل منهم بالرأي والفهم بفائدته وإنما يستحيل اقناع أصحاب الأهواء بما يخالف أهواءهم

باب الاخبار والآراء

السيد محمد وجيه الكيلاني (راجع ص ١٢٤ من الجزء الثاني)

جا في جريدة الهدى العربية التي تصدر في نيويورك ما نصه :

شيخ الاسلام بالفيلبين ووفاته

عند منتصف ايل خامس مايو قضى الى رحمة مولاه في ريتشمند من أعمال ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة السيد محمد وجيه الجيلاني شيخ الاسلام بمجرى الفيلبين وقد كان قدم هذه البلاد منذ سنة ونصف وقام أكثر هذه المدة في فيلادلفيا وتردد أحيانا على واشنطن وعلى نيويورك إلا أن صحته لم تكن حسنة فأقعدته عن

التجول كثيرا وهذا ما أخر في إتمام مساعيه

كان السيد الجيلاني عالما فقيها وهلي كثير من التسهل الديني ولد في دمشق وانتقل الى الاستانة حيث اسندت اليه مراتب دينية عالية . ولما ان بعثت حكومة الولايات المتحدة بعد احتلالها الفلبين وفدا الى الاستانة للاتفاق مع سلطان تركيا على تعيين شيخ اسلام يتولى رعاية المسلمين عين السيد الجيلاني لهذه الوظيفة فذهب الى الفلبين عن طريق سوريا وبلاد العرب وبلاد المعجم والهند وكان هناك يقابل امراء وعلماء المسلمين ويستنصهم في مشروع تهذيبي افكر به لترقية شؤون مسلمي الفلبين الادبية . والتقى في مكة بجماعة من هؤلاء المسلمين قادمين للحج فعادوا بهم وكانوا يؤدون له اكراما أشبه بالعبادة فيسجدون امامه شأن البرابرة ففهم عن ذلك ، وحين وصل الى بلادهم اخذ ينتقل من جزيرة الى أخرى في الارخبيل ويدعو قوم المورو المسلمين الى عقد الاجتماعات فيخطب فيهم حاثا على الاقتلاع عما يفهمون من الجهاد الديني وهوان يخلق الواحد منهم شمر رأسه ويحمل سلاحه ويخرج بقصد الايقاع بالبيض الكفرة ولا يعود حتى يقتل عددا مفروضا أو يقتل هو وكان السيد الجيلاني مدة اقامته في تلك الجزر على تفاهم تام مع رجال الحكومة الاميركية الذين كانوا يرجعون اليه في كل مشاكلهم مع الوطنيين المسلمين . وساء السيد الجيلاني ما وجد ابناء دينه عليه من الهمجية فأخذ يفكر في طريقة لتهديبهم الا انه لم يوافق رجال الحكومة الامريكية هناك على انشاء مدارس عمومية للحكومة فقال ان المسلمين لا يطعمون الا اذا كان لهم مكتب ، لاصق للجامع يدرسون فيه كتابهم الشريف بادي ذي بدء . ولاجل تحقيق هذه الفكرة قدم الى الولايات المتحدة وأخذ ينشر المقالات عن أحول الفلبين في بعض الصحف الامريكية وفي الوقت نفسه سعى الى تأليف جمعية تهذيبية تتولى أمر انشاء المدارس الاسلامية في الفلبين يكون مركزها الرئيسي في الولايات المتحدة وذات فرع اداري في الفلبين يتولى هو رئاسته نظرا الى انقياد المسلمين هناك اليه وتحقيقهم حسن مقاصده فلا تداخلهم رية من مساعي الاميركيين أو عمد هؤلاء الى القيام بالمشروع مستقلين وقد كان السيد الجيلاني يتردد الى ادارة الهدي حين يزور نيويورك فعرفنا عنه

ما سبق بيانه من مقاصده ومساغبه ولكن وطأة المرض اشتدت عليه في الأشهر الأخيرة فلم يجتمع به أو نعرف شيئاً عن مشروعه. وكان من أمره أخيراً انه اضطر لأسباب صحية إلى مغادرة هذه البلاد وبينما هو في الطريق اشتدت عليه عنته في ريشمند فرجينيا. وهناك توفي. تغمده الله بواسع رحمته اهـ

﴿ إشراف أهل سورية على الفناء والزوال ﴾

لقيت في مكة المكرمة الضابط الحر الصدوق خالد أفندي الحكيم المحمي وكان وصل إليها قبلي بأيام قلائل فاراً بدمه من بلاده بطريق البادية، فسألته عما وصل إلينا من مصادر متعددة من أخبار المجاعة والفناء ومصادرة السلطة العسكرية للأموال والغلال في طول البلاد السورية الفلسطينية وعرضها، وتفكيكها بالاهالي تقتيلاً وتصلباً ونفياً من الديار — هل هو حق كما سمعنا أم هو مبالغ فيه؟ وذكرت له ملخص ما وصل إلينا من ذلك. فقال ان ما بلغكم دون الواقع وليس الخبر كالمعاينة، واني أقدر انه لم يبق في البلاد من أهلها الا العشر. اهـ فاذا طال الامد على هذه الحال، فسورية صائرة إلى الفناء والزوال، ولا يبعد ان يفرض أهلها الذين فيها من الارض، قبل انقضاء هذه الحرب. فلا شك في ان مصابها بحكومتها الطاغية الباغية أعظم من مصاب بلاد البلجيك والصرب والجبل الأسود باجتياح الجرمان لها، وثلم أعروش ملوكها. فيجب على السوريين المقيمين في مصر وأوربة وأمريكا أن يسارعوا إلى البحث عن أقرب الوسائل إلى إنقاذ البقية الباقية من أهل وطنهم لعلهم يهتدون إليها ويدخلونها من بابها بعد ان علموا ان دولة الانسانية (الولايات المتحدة) لم تقدر — وكذا غيرها من الدول التي على الحياد — على ما أحبت من إغاثة هذا الشعب المسكين بالقوت والعلاج، ولا دول الحلفاء المحاربون لدولة الاتحاديين قدروا على إنقاذه بالحرب والكفاح، فان كان في هؤلاء السوريين من ينتظر هذا الانقاذ بعد النصر النهائي المأمول، فليعلموا أن أمد الحرب سوف يطول، وأن لسان حال وطنهم ينشد صاحب هذا الامل ويقول:

فلك البقا قارب يوم ان تسلم حتى تراجعني فلا تلقاني
مضى تنتهي الحرب وكيف تنتهي

قد أكثر الناس من حديث الصلح في هذه الايام ونقلت الجرائد لنا عن كثير

من قواد دول الاحلاف وساستهم أنهم يرون ان الحرب قنتهي باتهاء ربيع العام القابل (١٩١٧) أو صيفه بناء على ان مد القوة الالمانية قد تحول الى جزر، وجزر دول الاحلاف قد تحول الى مد تتدفق ثوابه ، ولا تنتهي عجائبه ،

كنت التقيت في شهر شوال الماضي بوكيل شركة روتر البرقية في القاهرة فسألني — وقد ذكرت هذه المسألة — عن رأيي فيها فقلت له اذا أصرت انكلترة على ما عزمته عليه من قهر الالمانية وإرغامها على قبول ما تشترطه مع أحلافها للصالح، وحافظ هؤلاء الاحلاف على عهدهم بأن لا ينفرد أحد منهم بقبول الصالح، فالرأي الراجح ان هذه الحرب تستمر عدة سنين، تنهد فيها قوى جميع المتقاتلين، وتختصر أوربة الملايين الكثيرة من أفلاذ كبدها، وألوف الملايين من دنائرها، وعشرات المدن ومئات البلاد من ممالكها. فان أصغر الأمم الاوربية وأضعفها تختار الفناء، على قبول الذل والقهر والاستخذاء ،

وأرى ان الاحلاف لا يمكنهم ان يتزعوا من الالمانية ما بيدها من مملكة باجيكية وولايات فرنسية الا ان تكون خراباً يباباً لا حجر فيها ولا مدر ، ولا شجر ولا بشر، وبعد ان ينفق على تخريبها الملايين من الرجال، واقتناطير المقنطرة من الاموال، واذا كنا نرى المحاربين يتخربون بلادهم بأيديهم اذا اضطروا الى تركها لأعدائهم ولوموتنا كما فعلت روسية وغيرها، فهل ينكر على الالمان العتاة ألا يتركوا بلاد أعدائهم الاقاعاً صفصفاً؟ أما تقصير أجل الحرب فليس له طريق معقول عندي — اذا أصرت الحكومات على عزمها — الا قيام الشعوب الاوربية من الفريقين على دولها . وإلزامها ايها الصالح يعود فيه كل شيء الى أصله ولا يتضمن إذلال دولة لاخرى، لان كل دولة وكل أمة أوربية تفضل الفناء على الذل وخدش الاستقلال التام لا الالمان وحدهم ،

هذا معنى ما قلته يومئذ ولكن قيام الشعوب على حكوماتها لا يرجي ما دام كل منهم يرجو النصر التام . فصدق على الفريقين قوله تعالى (واذ يريكموه اذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقاتلكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً)

﴿ تاخر صدور هذا الجزء من المناظر ﴾

يصدر هذا الجزء بعد يوم تاريخه بشهر وأيام بسبب غيبتنا في سفر الحج مثل هذه المدة ثم اشتغالنا بقاء المهنئين أسبوعين أو أكثر وعطل حصل بالآلة الطبع

المسحاة

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٥ — ٤ القوس (خ ٣) ١٣٩٥ هـ ش ٢٦ نوفمبر ١٩١٦

فَتَاوَى الْمَسَائِلِ

ففتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

٨ - الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد

وتحقيق معنى الظن واليقين والتواتر (*)

قال المتكلمون ان العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد لان المطلوب فيها القطع ، وأخبار الآحاد لا تفيد الا الظن ، وقد قال تعالى (ان الظن لا يغني من الحق شيئا) وانما تثبت بالاحاديث المتواترة لانها هي التي تفيد اليقين الذي هو شرط الايمان وقد فهم كثير من الناس من هذا القول ما لم يرده المحققون من قائله فأخطأوا في فهم المراد وفي فهم كلتي الظن واليقين فظنوا ان الاحاديث الصحيحة التي رواها الآحاد من الثقات العدول في صفات الباري عز وجل وفي أمور الآخرة لا يجب الايمان بها شرعا ولا بضرر المسلم تكذيبها ، وان لم يكن عنده شك في صحتها ، بناء على ان احاديث الآحاد لا تفيد في نفسها الا الظن الذي لا يجوز الاخذ به في

(*) هذه تسمية الاجوبة عن الاسئلة المستنبطة من الكتاب الذي نشر في الجزء الذي قبل هذا

المعتقد لانه لا يعني من الحق شيئاً . وهذا الظن الذي فهموه من عبارة المتكلمين هو الذي لا يعني من الحق شيئاً ، وما أظن ان مسلماً يعتد بعلمه يقول به ؛ ولعل أول من قال تلك الكلمة أراد بها ان أحاديث الآحاد لا تقوم بها الحجة في العقائد على المنكر لورودها ، وإنما تقوم بالتواتر لانه لا سبيل الى انكاره

الظن ضرب من ضروب التصديق بغير الحسي ولا الضروري من المدركات ، فهو مما تتفاوت أفراده بالقوة والضعف ، فمنه ما يكون يقيناً لا تردد فيه ، ومنه ما يكون راجحاً مع ملاحظة مقابل مرجوح تارة ومع عدمها تارة ، وقيل إنه يشمل المرجوح أيضاً ، فالتصديق المبني على الأدلة النظرية الذي يجزم به المستدل مع عدم ملاحظة احتمال النقيض يسمى ظناً ، ولكن ادراك الحواس لا يسمى ظناً ، ولا العلم الضروري كقولنا : النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . وهذا الحد الذي شرحنا به معنى الظن هو تفسير لقول الأزهرى ، في التهذيب : الظن يقين وشك ، وقول ابن سيده في المحكم : هو شك ويقين إلا انه ليس يقين عيان إنما هو يقين تدبر : فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم . هذا قول أئمة اللغة . وأما قول الفهرزبادي في القاموس :- : الظن التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم - فهو مأخوذ من اصطلاح علماء المعقول كالمناطقة والفلاسفة ، ومثله قول المناوي : الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ولكن الفهرزبادي لم يسهه إلا ان يزيد على تعريفه قوله : وقد يوضع موضع العلم : بمعنى أنه يستعمل في اللغة بمعنى اليقين . فان أراد انه يوضع موضع العلم حتى في الحسيات والضروريات فقوله غير صحيح . واليقين العلم وازاحة الشك وتحقيق الأمر ، وهو نقيض الشك ، والعلم نقيض الجهل . قاله في لسان العرب . ثم قال :- : وربما عبروا بالظن عن اليقين واليقين عن الظن .

وقال الراغب : الظن اسم لما يحصل عن أمانة ومنى قويته أدت الى العلم ومنى ضعفت جداً لم يتجاوز حد الوهم . ثم ذكر أن من اليقين قوله تعالى (وظن أنه الغزاق) وقوله تعالى (ألا بظن أولئك أنهم مبعوثون ايوم عظيم) وقوله (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) وقوله (وظن داود أنه قتيل) وإنما يظهر هذا في اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الجازم المبني على الامارات والاستنباط والاستصحاب دون الحس

والضرورة — لا اليقين المنطقي المبني على الضرورة أو الحس أو ما يؤدي اليهما بحيث لا يحتمل النقيض . وقد فسر الراغب اليقين بقوله : هو سكون الفهم مع ثبات الحكم ، وقال انه من صفة العلم فوق للمعرفة والدراية .

فعلم من قولهم أن اليقين في الاصل هو الاعتقاد الثابت الذي لا شك فيه ولا اضطراب . وأما قولهم بالتعبير به عن الظن والعكس فليس معناه أن كل يقين ظن يقين وإنما معناه أن الظن على مراتب منها ما يرادف اليقين ومنها ما هو دونه ، فيبينها العموم والخصوص باطلاق . والمشهور في تعريف اليقين عند علماء الدين أن الاعتقاد الجازم المطابق ، واشتراط المطابقة للواقع اصطلاحى خاص باليقين في الايمان الصحيح ، ولعل المطابقة تشترط في العلم فيسمى الجازم بخبر الواقع موقفا به لا علما . اذا فقهت هذا فاعلم ان كل اعتقاد يستفاد من السماع يطلق عليه في اللغة اسم الظن باعتبار مأخذ لذاته ، واسم اليقين ان جزم صاحبه به ، وكذا اسم العلم ان مدلوله حقا ، ولكن نفس السماع أي ادراك الاصوات المحقق لا يسمى ظلما بل علما . وخبر التواتر انما يفيد العلم القطعي بضرب من الاستدلال النظري ، وان اعتمدوا انه يفيد الضروري فان من شروطه أن يخبر كل واحد من المخبرين الكثيرين عن حسي ، أي عما سمعه بأذنه أو رآه بعينه مثلا ، وان يقوم الدليل أو القرائن على أنهم لم يتواطؤا على الكذب ، وأن يتحقق ذلك في كل طبقة من الطبقات . وقد اختلف العلماء في العدد الذي يحصل بخبره التواتر مع توفر الشروط التي ذكروها . فاكفى بعضهم بالآحاد كسبعة وعشرة واشترط بعضهم العشرات . ولكنهم اتفقوا على أن آيته حصول العلم الجازم بمدلول الخبر . ومثل هذا العلم كثيرا ما يحصل بخبر الواحد وان لم يكن متصفا بالصفات التي اشترطها المحدثون في راوي الحديث الصحيح كالمدالة والضبط وعدم مخالفة الثقات المشهورين فضلا عن مخالفة الامور القطعية التي عدوا مخالفتها علامة الكذب ووضع الحديث .

مثال هذا النوع من خبر الواحد الذي يحصل به الاعتقاد الجازم وان لم يكن المخبر به متصفا بمدالة رواية الحديث أكثر ما نسمعه كل يوم ممن نعاشر ونخالط من أصدقائنا ومعاملينا وأهل بيوتنا وخدمتنا من الاخبار عن أمور معيشتنا كقولهم :

حضر الطعام، وهي: الحيام، وجاء للزيارة فلان. ومن هذا القبيل كل خبر لا مجال للتهمة فيه. وأما أخبارهم فيما يتهمون فيه فهي التي يرتاب فيها، ويحتاج إلى القرائن والادلة في تمييز راجعها من مرجوحها، مثال ذلك مدح النفس والدفاع عنها والطمع في المصنوع، ورواية الغرائب والعجائب، قال أخبار في أمثال هذه المسائل يكثر فيها الكذب والخلط، إما بالعمد أو بعدم الضبط، أو بسوء الفهم والاستنباط، أو بضعف البيان، أو بتقليد الآباء أو الأموات، وما يتبع ذلك من الوهم، ومن خطأ الحس والرأي. فمن وعى ما ذكرنا وتدبره يعلم منه ما يعلم من نفسه، إذ هو فكر في مصادر علمه، والأخبار التي يحدث بها والتي يتلقاها عن غيره، وهو أن الأصل في أخبار جميع الناس الصدق، وإن الكذب إنما يقع لأسباب عارضة، وأنه هو وسائر الناس يصدقون في كل يوم كثيراً من أخبار الآحاد حتى غير العدول تصديقاً جازماً لا يزاحمه شك ولا احتمال، ولا يخطر لهم فيها النقيض على بال، ومنها ما يجزمون باستحالة وقوع نقيضه عادة وإن جاز عقلاً، كبعض أخبار العدول الثقات الضابطين الخالية من الشبهات، ورجال الحكومة المسؤولين في الرسميات.

بل أقول إن من هذه الأخبار ما يحزم العقل بصدقه وامتناع نقيضه، وأعني بالعقل هنا العقل البشري الذي يبنى حكمه على الاختبار، ويزنه بميزان رعاية المصالح ودفع المضار، لا عقل واضعي المنطق والفلسفة، الذي يجيز وقوع كل ما يمكن تصوره، ويحصر وقوع المحال في اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما وما يؤدي إلى مثل ذلك حتماً. وقد نخب هؤلاء في تعريف العلم حتى قال بعضهم إنه لا يمكن تعريفه، ومن أشهر أقوال مدققي متكلميها في ملكة العلم إنها صفة توجب انكشافاً لا يحتمل النقيض. فالعلم بالشيء عندهم لا يمكن نقضه ولا الرجوع عنه، فلو كان هذا العلم شرطاً في كل مسألة من مسائل العقائد لكان الكفر بعد الإيمان محالاً، ولكن قد ثبت وقوع الكفر بعد الإيمان بنص القرآن، فالعلم الذي لا يحتمل النقيض ليس شرطاً لصحة الإيمان، وإنما الشرط أن يكون المؤمن جازماً بما يعتقد، غير مرتاب ولا متردد، وقول الاستاذ الامام: الرجوع عن الحق بعد اليقين فيه كاليقين في الحق كلاهما قليل في الناس. — أراد به اليقين المنطقي، وأراد بالرجوع عنه انظار الجهود والمخالفة كبراً وعناداً لا اعتقاداً فان اعتقاد

(المنار: ج ٦) (٤٤) (المجلد التاسع عشر)

تقيض المتيقن ليس في استطاعة الموقن، الا اذا اختلط عقله، واختل فهمه، وهذا قليل الوقوع كالرجوع عن الحق كبرا وعنادا بعد الاذعان له، اذا كثر المعاندين للحق المستكبرين عنه الذين قال الله في بعضهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) لم يكن ذلك الجحود منهم بعد اذعان، أو لم يكن استيقانهم على شرط علم الكلام وفلسفة اليونان واذا فكر السائل في العلوم الثقيلة وطريقة أدائها وتعليمها عند البشر من جميع الامم رأى ان أكثر أخبارها المقطوع بها يتلقاها الآحاد بعضهم عن بعض ، فاذا اشترطنا فيها ذلك العلم الكلامي واليقين المنطقي، وأن لانمد شيئا منها حقا ثابتا الا اذا تلقيناه بالتواتر اللفظي، فكيف تكون حالنا في معارفنا التاريخية، وما يبنى عليها من علومنا الاجتماعية وأعمالنا السياسية ، وفي سائر العلوم التي ينقلها بعضنا عن بعض ؟ بعد هذا كله أقول انه لم يعرف عن أحد من شعوب البشر مثل ما عرف عن المسلمين من العناية بتقد الاخبار النبوية وتمحيصها، وضبط متونها وحفظ أسانيدها، بل كانوا ينقلون الاخبار التاريخية والادبية والشعر والمجون بالاسانيد المتصلة ، ووضعوا كتب التراجم لجميع أصناف العلماء والادباء كما وضعوها من قبل لرجال الحديث ، ليسهل طريق العلم بالصحيح وما دونه من ذلك ، ولكنهم دققوا في نقد رجال الحديث ما لم يدققوا في شيء آخر ، فاذا كان ما صحح من الحديث عندهم متنا وسندا لا يجزم به فباذا تثق من أخبار البشر، واذا كان المسلم منا يصدقها فكيف يمكنه ان يرد مضمونها اذا كان في عقائد الدين ، بناء على كلمة عرفية للمشككين ؟

الحديث الصحيح عند المحدثين ما ثبت بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معلل ولا شاذ. وينافي العدالة عندهم ثبوت الكذب وكذا الاتهام به والفسق والغفلة وكثرة الغلط والجهالة — أي كون الراوي مجهولا عند علماء الجرح والتعديل، ولولا هذا الشرط لاخترع الكذابون أسانيد كثيرة لأصل لها وخذعوا الامة بها - وكذا البدعة فمن كان مبتدعا لشيء من أمر الدين لم يكن عليه أهل الصدر الاول لا يحكم بصحة حديثه قبل مطلقا وقيل فيما يؤيد بدعته وهو المعتمد ، بل لا بد اثبت ذلك من روايته عن غيره . والضبط عندهم ضبط المصدر وضبط الكتاب، فالاول الحفظ عن ظهر قلب بحيث يتمكن من استحضار ما حفظه متى شاء ، فان غلط أو أخطأ في الاداء لا يعد حديثه

صحيحاً . والثاني - حفظ الكتاب منذ سمع فيه وصححه على من تلقاه عنه الى ان يؤدي منه ، فاذا غاب عنه غيبة أمكن أن يعرض فيها التغير والتحريف أو الزيادة أو النقصان لا تعد روايته له ولا منه صحيحة .

واتصال الاسناد سلامته من سقوط فيه بحيث يكون كل فرد من روايته قد سمع ذلك المروي من شيخه ، ويقابله الاقطاع ، وهو أقسام ، فالحديث (المنقطع) وهو ماسقط من سنده بعض الرواة لا بعد صحيحه ، الا أنهم اختلفوا فيما سقط منه من بعد التابعي ويسمونه (المرسل) وذلك كأن يقول التابعي: قال رسول الله (ص) كذا .

فالجمهور يتوقفون فيه ، وبعضهم يحتاج بمراسيل من علم من حاله انه لا يروى الا عن الصحابة أو ثقات التابعين كسعيد بن المسيب ، دون من يروي عن غيرهم كالحسن البصري ومن (الاطقطاع) عندهم (التدليس) وهو رواية الراوي عن فوق شيخه الذي سمع منه بلفظ يوم السماع منه ايها ما لا نصريحاً ، كان يقول المدلس قال فلان - أو : عن فلان ، وقد اختلفوا في حديث المدلس قليل لا يقبل مطلقاً وقيل الا فيما صرح فيه بالسماع ، والجمهور على قبول حديث من لا يدلس الا عن ثقة كابن عينة .

ولاجل هذا شددوا في قبول الحديث (المعنن) أي الذي يقال فيه عن فلان عن فلان . فقالوا عن المدلس غير مقبولة ، واشترط مسلم في العننة معاصرة الراوي لمن روى عنه ، والبخاري اشترط العلم بالثقة ولم يكتف بمجرد المعاصرة . فاذا قال العدل الثقة الضابط عن فلان أو قال: قال فلان كذا - لا يعتد البخاري بروايته هذه الا اذا كان قد علم انه قد لقي ذلك الرجل واجتمع به ، ولكن مسلماً يكتفي بالعلم بأنهما وجدا في عصر واحد ومن الممكن ان يكون ثمة وروى عنه .

ومن أقسام الحديث عندهم (المضطرب) وهو ما يقع في اسناده أو متنه اختلاف من الرواة بتقديم وتأخير أو زيادة ونقصان أو اختصار أو حذف أو ابدال راو براو أو متن بمتن أو تصحيف في أسماء الرواة أو ألقابهم أو أنسابهم أو في ألفاظ المتن ، فان أمكن الجمع وعرف الاصل والا توقف في قبول الحديث والاحتجاج به

ومنها (الشاذ) وهو ما خالف راويه فيه من هو أوثق منه فان لم يكن المخالف للثقة ثقة سمي حديثه (المردود) وان كان ثقة رجح عليه مخالفه الذي هو أوثق منه

وسمي حديثه (المحفوظ) فهو مقابل الشاذ. ومنها (المنكر) وهو ما خالف راويه الضعيف فيه من هو أضعف منه ، ويقابله (المرؤف) وكلاهما راويه ضعيف لا يحتاج بحديثه ومنها (المعلل) وهو ما فيه علة خفية كوصل المقطع ورفع الموقوف وإدخال حديث في آخر أو إدراج كلام الرواي في المتن أو الإدراج في سياق الاسناد .

ونوشتنا أن نبين تدقيق علماء الجرح والتعديل في قدر رواية الحديث لرأى فيها غير المطلبين عليها من القراء ما لم يخطر لا حد من أمثالهم على بال - ولعلموا منه أن أكثر من يعدونهم من الثقات الصدوقين من أهل هذا العصر لو كانوا في أزمنة أولئك النقاد لعدوا روايتهم صحيحة ولولم اتقان الحفظ والضبط. ومن تدقيقهم أنهم يعدون بعض الرواة ثقات في الرواية عن أهل قطر دون آخر، كقولهم فلان غير ثقة في المصريين أو الشاميين - لأنه كان عرض له عند الرواية عنهم اختلاط في العقل، أو هرم مخافته به الذاكرة وقد جودة الضبط . وقد وضعوا كتباً يبيان الأحاديث الموضوعة خاصة يتوافقها وفي غيرها أسباب وضع الحديث والكتب فيه وعلامته وأسماء واضعها والكتب والنسخ الموضوعة برمتها التي لا يصح منها شيء ، كما وضعوا عدة كتب للأحاديث التي اشتهرت على الالسة ويتناول درجاتهم ، وميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع منها. ولكن عناية العلماء بنقد المتن وعرض الأحاديث القوية الاسانيد على القواعد التي بينوا بها علامات الوضع كانت أقل من العناية بنقد الاسانيد، وقل أن يهتم المتنون الى المذاهب بنقد متنون الأحاديث الا اذا كانت مذاهبهم مخالفة لها فكان هذا من سيئات التعصب للمذاهب

نتيجة البحث وخلاصة الجواب

فنقده ما شرعناه علم أن أكثر الأحاديث الآحادية المتفق على صحتها ذاتها كأكثر الأحاديث المسندة في صحيح البخاري ومسلم - جديرة بأن يجوز بها جزماً لا تردد فيه ولا اضطراب، وتعد أخباراً مفيدة لليقين بالمعنى اللغوي الذي تقدم ، ولا شك في أن أهل العلم بهذا الشأن قلما يشكون في صحة حديث منها ، فكيف يمكن لمسلم يجوز بأن الرسول (ص) أخبر بكذا ولا يؤمن بصدقه فيه ؟ أليس هذا من قبيل الجمع بين الكفر والإيمان ؟ وليعلم انني أعني بالمتفق عليه هنا ما لم ينتقد أحد من أئمة العلم متنه ولا سنده، فيخرج من ذلك ما انتقده مثل الدارقطني وما انتقده أئمة الفقهاء وغيرهم،

ومن غير الأكثر ما تظهر فيه علة في متنه خفيت على المتقدمين أولم تنقل عنهم وذلك نادر. وقد عد بعضهم هذه الأحاديث المتفق على صحتها مفيدة للعلم اليقيني الاصطلاحي إذا تعددت طرقها، قال الحافظ ابن حجر في شرح نخبه الفكر ما نصه:

(فائدة) ذكر ابن الصلاح أن مثال المتواتر على التفسير المتقدم يعز وجوده إلا أن يدعي ذلك في حديث «من كذب علي متعمدا فلينبأ» مقعده من النار» وما ادعاه من العزة ممنوع وكذا ما ادعاه غيره من العدم لأن ذلك نشأ عن قلة الإطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لإبعاد المادة أن يتواطوا على كذب أو يحصل منهم اتفاقا، ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجودا وجود كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا وغربا المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفها إذا اجتمعت على إخراج حديث وتعددت طرقه تعددا تحيل المادة توأما (فيه) على الكذب إلى آخر الشروط أفاد العلم اليقيني بصحته إلى قائله ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثيرا

﴿الزار، وهل اعتقاد تأثير الولي والعفريت فيه شرك جلي﴾

(س ٩) من أحد المشتركين في القاهرة - ع . م

حضرة الاستاذ العلامة المفضل السيد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فاني أهنيكم أولا بسلامة العودة من الاقطار المجازية المباركة وأدعو لكم الله سبحانه وتعالى أن يجعله حججا مبرورا إن شاء الله سيدي استشكل عليّ أمر بخصوص ما يسمونه (الزار) الذي يستشفي به بعض (الجاهلات) من النساء من أمراضهن العصبية فأحييت أن أعرضه عليكم راجيا التكرم بالإجابة ولو تأشيرا على هذا بصفة خصوصية

«أحدى السيدات مصابة بمرض عصبي: يأتيها غالبا على نوبات ربو وآلام شديدة بالمعدة والكليتين مع صداع وسعال وضعف عمومي شديد، وخصوصا في ابتداء كل مرة من الحمل، عرتها هذه الحالة منذ خمسة عشر عاما بعد زواجها بقليل، ثم إنها على صلاح وتقوى، وقد كانت لا تعتقد بمسألة الزار ولكنها نجت تأثير كلام النساء خصوصا أقاربها من والدة وأخوات اعتقدت أخيرا وتوهمت أن أحد الأولياء

أو أحد العفاريث هو الذي أصابها بهذا المرض الهستيري من زمن وصمتت على عمل حفلة الزار بمصاريف من عند أهلها في منزلهم لا في منزل زوجها الذي عارض في ذلك بشدة لعدم اعتقاده بمثل هذه الخرافات ، ولم يرض بخسارة دينه في مصاريف باطلة على عقيدة باطلة »

والآن ألا ترى سيادتكم أن اعتقاد هذه السيدة تأثير الولي الفلاني أو العفريت الفلاني يؤدي بها إلى الشرك الجلي وفي هذه الحالة تصبح محرمة على زوجها المسلم الصحيح (غير الجرافي أو السياسي) الذي لا يعتقد بتأثير ولي أو نبي ؟ ففضلوا بإفادتي عن ذلك ولو كلفكم الجواب شيئا من التفصيل ؟ وفضلوا بقبول مزيد شكراتي وجزيل ممنونتي سلفا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

(ج) يذكر جمهور علماء الكلام أن الإيمان بوحداية الافعال عبارة عن التصديق الجازم بأنه لا فعل لغير الله تعالى في الحقيقة، فكل ما يقع في الكون من خير وشر ونفع وضرر فهو من فعل الله تعالى وحده، ويصرح الأشعرية في كتب العقائد بأن الأسباب الظاهرة للحوادث - ومنها كسب الإنسان وغير الإنسان من الملائكة والجان - لا تأثير لها في نفسها وإنما يخلق الله المسببات والمكسوبات عندها لا بها، فلا فرق بين النار والماء في حصول الاحتراق والإرواء، إلا أن عادة الله قد جرت بخلق الاحتراق عند مس النار واتصالها بالجسم القابل للاحتراق وخلق الإرواء عقب خلق شرب الماء ، ولكن الشرع أمر بالكسب، كالتداوي والاكل والشرب، فينبغي القيام بالمشروع منه وهو ما جرت سنة الله تعالى بجمعه سببا مطردا، وما كان سببا غير مطرد كرقية الممسوع وما في حكمه فإتيانه ينافي التوكل وكال الإيمان والتوحيد، وأما ما كان دون ذلك مما لم يثبت كونه سببا البتة أوقامت عليه شبهات وهمية باطلة اغتر بها بعض العوام في بعض البلاد - كالزار في بلاد مصر والسودان، فلا عذر لمؤمن في الاقدام عليه، أي لانه من الجبت (١) الذي هو عبارة عن خرافات الكهنة والسحرة، ومن اعتقد أن ولي الزار أو شيخه ينفع ولو بقدرة خلقها الله فيه ومزية أعطاه إياها وأن عفريته يضر ولو بقدرة خلقها الله فيه أيضا - فهو عند هؤلاء المتكلمين مشرك بالله تعالى . فالخطر على متعجلي خرافات

(١) راجع تفسير (يؤمنون بالجبت والطاغوت) في ص ١٥٦ ج ٥ من التفسير

الزار وغيرها شديد في مذهب هؤلاء المتكلمين الذين ينسحب اليهم أكثر الخرافيين؛
وأما مذهب غير هؤلاء من المتكلمين ومحققى أهل الأثر من الخنابلة وغيرهم فهو أن الله
تعالى جعل الأسباب مؤثرة بمخوَص خلقها فيها كالأحراق في النار، والإرواء في الماء، ومقاومة
سير المرض في الدواء، ومنها ارادة الانسان وعمله الاختياري، ولكن هؤلاء يقولون كثيرهم
إن الأسباب تُعرف بالتجارب والاختبار، وتكون مشتركة بين جميع المجربين من الناس،
واتخاذ الأسباب الوهمية مذموم شرعا وعقلا، وأنه لا تأثير لمخلوق فيما وراء الأسباب
التي جرت سنة الله في الخلق يربط المسببات بها، فمن اعتقد أن غير الله تعالى ينفع أو
يضر بذاته دون ما جرت به سنته تعالى في الأسباب، أو بتأثيره في ارادة الله تعالى وقدرته؛
بأن يفعل الله تعالى بتأثيره عنده شيئا لم يكن لولا ما يفعله بمحض ارادته حسب علمه الأزلي -
فهو مشرك بالله كافر بوحديته، لا اعتقاده أن لغيره فعلا وتأثيرا معه بقدرته الذاتية - وهو
المفرد بذلك - أو بتأثيره في ارادته - والاله الخالق القديم لا يكون محلا للتأثيرات الحادثة،
ويستحيل أن تكون ارادته تابعة لارادة أحد من خلقه، الذين هم تحت تصرف قدرته وقهره
إذا تدبر السائل هذا ظهر له أن التصديق بخرافة الزار خطر على الدين، وأنه
ليس من شأنه أن يقع من أهل التوحيد الصحيح، لا على مذهب المتكلمين، ولا
على مذهب الأثرين، وإنما يقع مثله ممن يأخذون دينهم عن أمثالهم من الجاهلات
والجاهلين، كغوغاء العوام الذين يقلد بعضهم بعضا في أمور الدنيا والدين، كالعبادات
السخيفة والعلاجات الضارة، المبينة على تجارب فاسدة ناقصة،

ولكننا مع هذا كله لا نجزم بكفر امرأة تصدق ببدعة الزار، ولا نجعلها به مشركة
بالله عز وجل، بل يجب أن نحتاط في مثل هذا الحكم، وندفع الجزم به قبل العلم
بحقيقة اعتقاد المرأة ولو بالشبهات، كما يجب أن نحتاط تلك المرأة باتقاء التصديق
بهذه الخرافات، التي يخشى أن تكون شركا جليا أو خفيا ولو على بعض الأقوال،
فنقول نحن عملا باحتياطنا: يجوز على هذه المرأة أن تؤمن إيمانا جازما بأن الله تعالى
خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، وأن ما اقتضته ارادته وجري به قدره
من ربط الأسباب بالمسببات، هو عام مطرد في المخلوقات، وأنه لا قدرة لمخلوق على
شيء خارج عن سنته تعالى في الكائنات، بل جميع الخلق سواء في المعجز عما وراء

الاسباب ، كما انهم سواء في جرياتها فيهم وخضوعهم لها ، وانحصارهم في حظيرة قهرها . ويجوز أن يعرض لها وهي على هذا الاعتقاد مرض فيخبرها من تظن فيهم الصدق وعلم التجربة والاختبار ، ان سبب هذا المرض ملاسة عفريت من الجن لها ، وأن غيرها قد أصيب بمثله قبلها ، وأنهم جربوا له كل علاج فلم ينجع فيه الا تلك الفملة الشفاء وحدها ، وأن علة نفعها أن العفريت الذي يلبس المريض في هذا المرض يزعمه ما يكون في حفلة الزار ، من الذنوب والاوزار ، حتى يلجئه الى الفرار ، بين تلك الاغاني والمعازف ، والعزائم والمراثي ، والقرايين والذباح ، وما في التضمخ بدنها من الفضائح ، — ويجوز على هذه المرأة أن تصدق هؤلاء المخبرين الضالين المضلين ، ولا سيما بعد اليأس من معالجة الاطباء المشهورين ، وأن تعتقد أن ذلك لا ينافي الايمان ، لان طرد الشياطين من الابدان ، كطرد الجراد ونحوه من المزارع والفيضان ، فهو من الاسباب الكسبية ، التي جرت بها السنن الآلية ، ويجوز أيضا ان تعلم أن عمل الزار حرام ، وان المستحل لما يعتقد حرمة بعد مرتدا عن الاسلام ، كالجاحد للمعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الاجماع ، ثم تقول اني لا أستعمله ، ولكنني آخذ بقول من قال ان التداوي بالمحرم جائز اذا لم يوجد غيره ،

فاذا جاز أن تعتقد المرأة ما ذكرنا وان كان باطلا في نفسه فكيف نتجرا على الافشاء بردتها ، وبطلان عقد نكاحها ، وسائر ما يترتب على الردة من الاحكام ؟
أما ما يحسن أن توعظ به امرأة تدرك ما ذكرنا فهو ان خرافة الزار القبيحة المنكرة ليست سببا من اسباب الشفاء من هذا المرض ، وان ما يدعى من التجربة المثبتة لنفمه باطل ، وأنه عمل لكثيرات فلم يفده ، وأن من اتفق انهن شفين بعده لم يكن شفاؤهن به بل بأسباب أخرى حقيقية أو وهمية ، وأنه لو كان علاجنا نافعا بالتجربة الصحيحة لعملت به جميع الشعوب التي فاقت غيرها في العلوم والمعارف ، المبنية على إتقان التجارب ، ولكننا نرى هؤلاء يسخرون من هذه الخرافة وأهلها ، التي هي محصورة في مصر والسودان بل في الطبقة الجاهلة من أهلها ، واذا كان الامر كذلك فكيف تقدم على العمل بخرافة أدنى ما يقال فيها انها مشتملة على عدة بدع محرمة في الدين ،
محتقرة عند جميع المرتقين ؟

مَدْرَسَةُ
دَارُ الدِّعْوَةِ وَالْإِنْتِشَاقِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق محمد

١٥

المعالجة — يجب البدء بعلاج مدخل هذا الميكروب في الجسم، بأن يعالج الاحليل في الذكر مثلاً علاجاً فعالاً، وتعالج المفاصل بالقلويات ويودور البوتاسيوم. وينبغي مراعاة القوانين الصعبة باستنشاق الاهوية الجيدة وتعاطي الاغذية السهلة الهضم والقلويات كركبات الحديد وزيت السمك ونحوها. وبذلك المفصل ببعض المراهم المسكنة أو الزئبقية، أو يدهن بصبغة اليود. وتجب اراحته من الحركة مطلقاً، ولكن بعد زوال الالتهاب الحاد ينبغي ذلك المفصل وتكيسه وتليينه باليد

والعلاج باللقاح أفاد في بعض الاحوال خصوصاً في الاصابات المزمنة أي التي طال مدتها، والافضل أن يؤخذ الميكروب من نفس المريض، ولكن هذا العلاج يحتاج الى مدة طويلة

ويجب البدء بمحقن مقادير صغيرة من اللقاح ثم تزد بالتدريج، ولا يجوز عمل الحقن الثاني إلا بعد تمام زوال كافة الاعراض التي قد تنشأ من الحقن الاول. وهناك مصل لعلاج هذا الداء أيضاً لا يخلو من الفائدة

استدراكان

(الاول) جاء في مجلة [اللانست Lancet] الطبية الانجليزية الصادرة في ١٢ أغسطس سنة ١٩١٦ رأي لا سند أطباء الانجليز في عدوى الالتهاب السحائي الوبائي وملخصه — ان ميكروب هذا الداء هو عين ميكروب السيلان — لا شبيها به فقط كما قلنا سابقاً — وان قل الجسم هو الذي ينقله من شخص الى آخر إما بامتصاص دم المصاب بالالتهاب السحائي وتلقيح الآخرين به اذا انتقل القمل اليهم. أو بتلوث القمل

(المنار: ج ٦) (٤٥) (المجلد التاسع عشر)

به مما يسيل من المصاب بالسيلان في ملابسه من الصديد ونقله الى غيره فيدخل الميكروب تحت الجلد ويسير في الاوعية الدموية الى السحايا وغيرها كالمفاصل التي قد تلتبب أيضا في هذا المرض ، وأنكر هذا الطبيب انتقال الميكروب في الهواء ودخوله من الفم أو الأنف . وقال : ان المصاب بالسيلان ذاته عنده شيء من المناعة فلا تصاب سحايه الا قليلا . فاذا صح هذا الرأي — والغالب أنه صحيح — سهلت مقاومة هذا الداء الخبيث وتيسر اجتناؤه . ومن هذا الرأي تفهم بعض حكم الاستنجاء وطهارة الثوب ونظافته ، ونظافة الجسم بالغسل والخلق ، وغير ذلك من شرائع الديانة الاسلامية الغراء التي شرحناها سابقا . وترى مما تقدم أن القمل يقتل بالحمى التيفوسية والراجعة وبالالتهاب السحائي أكثر مما تقتل العقارب والثعابين . وذلك يحقق أيضا المثل العامي القائل « وضع تعالى سره في أضعف خلقه » وترى منه أيضا مقدار الخطر الذي يهدد كل من يتردد الى مواخير الفسق ، فإن أكثر الزواني مصابات بالسيلان الحاد أو المزمن وبعضهن يرى بملابسه وفرشه القمل

(الثاني) ان من أسهل الطرق لتطهير الماء والخضر ونحوها من الميكروبات أن يذاب في الماء [بي سلفات الصوديوم] وتسمى أيضا [كبريتات الصوديوم الحمضية] بنسبة ١ : ١٠٠ ويترك الماء مدة نصف ساعة فان حامض الكبريتيك الذي يوجد فيه يقتل تلك الاحياء الدنيئة وأجنة ديدان [البلهارسية *Miracidia Cercariae*] ولا ضرر من شرب هذا الماء . واذا نعت فيه الخضر مدة نصف ساعة تطهرت كذلك . ويجوز أن تطهر به الاواني الخشبية والزجاجية ونحوها ما عدا المعدنية فان الافضل تطهيرها بالغلي . وهذه الطريقة نافعة جدا اذا اتبعت في زمن انتشار أوبئة الحمى التيفودية والكوليرا والدوسنتاريا وغيرها مما يتلوث به الماء والخضر ، فإنها كافية لتطهير بدل الغلي الذي لا يحسن لبعض الخضر والفاكهة

تسمم الدم

لهذا الداء ثلاثة أشكال : —

(الشكل الاول) أن تدور سموم الميكروبات في الدم ، ويسمى ذلك باليونانية

[سبريميا Sapræmia] ومعناها حرفيا ، الدم الفاسد

(الشكل الثاني) أن تدور الميكروبات مع سمومها في الدم ، ويسمى ذلك

باليونانية [سبتيسيميا Septicæmia] ومعناها حرفيا ، الدم المتعفن

(الشكل الثالث) مثل الشكل الثاني غير أنه يزيد عليه بتكون أخرجة في

عدة أجزاء من الجسم ، ويسمى ذلك باليونانية [بيميا Pyæmia] ومعناها حرفيا

الدم الصديدي

وجميع هذه الاشكال تنشأ من ميكروبات الصديد وهي على الاكثر من الشكل

البرزدي ، ومنها ما يكون عنقوديا أو سلسليا . والسلسلية هذه أشدها خطرا كسابق ، ومن

الميكروبات العنقودية ما يكون لونه أبيض أو أصفر ، وبشاهد ذلك اذا تجمعت منها

جموع كثيرة في المزارع الصناعية . وهناك بعض ميكروبات لها أشكال أخرى تحدث

الصديد كباسل الصديد الازرق [Pyocyaneus] ومن ميكروبات الامراض

الآخري ، ما يحدث الصديد أيضا كميكروب الحمى التيفودية والدرن

والميكروبات البرزدية المذكورة منتشرة كثيرا وهي من أكبر ما يخشاه الجراحون

في عملياتهم فيتعونها بالتطهير التام بالغلي وغيره ، فلها اذا وجدت أي سمحج أو جرح

في الجلد أو الأغشية المخاطية دخلت فيه وأحدثت التهابا فقيحا ، وتزوب الانسجة

ويتجمع بسببها عدد لا يحصى من الكريات البيضاء فينشأ من ذلك المدة والصديد

ونحوها . فاذا أصابت سطح الجلد نشأت منها الدمامل والبثور ونحوها ، واذا أصابت

الانسجة الغائرة نشأت الأخرجة وما شاكلها ، واذا أصابت الأغشية المخاطية التهابت

وحدث منها الزكام ونحوه

واذا كانت الإصابة صغيرة ومحدودة ولم يدخل الميكروب الى الدم قل حصول

أي نوعك أوحى ، لان السموم التي تمتص في البنية تكون حينئذ قليلة جدا ، ولكن اذا

كان موضع الالتهاب كبيرا نشأت الحمى بسبب امتصاص سموم الميكروبات في البنية

ونشأ الشكل الاول المذكور هنا ، فاذا دخلت هذه الميكروبات الى الدورة حدث الشكل

الثاني ، وقد تدخل من أي جرح مهما يكن صغيرا ، واذا رسب بعض هذه الميكروبات

المتصصة في أجزاء الجسم المختلفة تكونت حولها وبفعلها أخرجة . وهذا هو الشكل

الثالث . وطريق امتصاص الميكروب في الشكل الثاني هو الاوعية اللمفاوية وفي الثالث الاوردة ، وفيها يدخل أيضا بمض مواد التهابية عفنة مع الميكروب

أما أعراض الشكل الاول فهي ارتفاع حرارة الجسم مع سائر الاعراض الأخرى للحصى ، وكذلك أعراض الشكل الثاني والثالث ، غير أن المعتاد فيهما أن تبدأ الحصى برعدة شديدة ويشتد المرض على المريض حتى يكون كالمصاب بالتييفوس ، فيعتريه الهذيان والذهول والهمود وكافة الاعراض الشديدة لتلك الحصى ، وتكون مدة المرض في هذين الشكلين قصيرة وتنتهي بالموت غالبا . وفي القسم الصدديدي تكثر الرعدة وتحصل يوميا مرة أو مرتين ، وفي كل مرة تظهر التهابات فأخرجة جديدة ويكثر العرق عقب كل رعدة ويصاب المريض بالهمود وينحف جسمه بسرعة وبصفرة لونه وقد يصاب بالقيء الكثير أو الاسهال ، وقد تزول الرعدة بعد خمسة أيام أو ستة . وتكون الحصى في هذا الشكل متقطعة مرتفعة في المساء ومنخفضة في الصباح عادة ، وقد تصل الى الدرجة الطبيعية خصوصا في أول المرض . وتختلف باقي الاعراض باختلاف العضو المصاب بالآخرجة فان لكل عضو مصاب بها علامات وأعراضا مخصوصة . ومدة هذا المرض لا تزيد عن ستة أيام غالبا ولا تعتمد إلى ما بعد العاشر كذلك ، اللهم الا اذا أزمى المرض وحينئذ لا تصاب الاحشاء وإنما تكون الآخرجة في المفاصل أو تحت الجلد . واذا شقت كلها وعولجت قد يشفى المريض بعد عدة أسابيع أو أشهر

ومما يساعد على حدوث تلك الاشكال المذكورة عدم الاعتدال وغيره مما يضعف البنية كبعض الامراض المزمنة مثل التهاب الكلى أو البول السكري ، ولكن لا يحصل أي شكل منها ما لم يوجد في الجسم مدخل للميكروب

العلاج — تفتح الآخرجة وتطهر وتضمد يوميا فان كانت الحصى ناشئة عن امتصاص السموم فقط شفي الجرح وشفي المريض أيضا ، وان كانت الميكروبات دائرة في الجسم تمسك الشفاء أو تعذر ، ويعطى المريض المنعشات والمغذيات وترعى معه جميع الوسائل الصحية

أما الادوية فهي قليلة الجدوى ، ولكن استعمال الحقن بالمصل المتعدد القوي

[Polyvalent] أي المحضر بمقتن عدة أنواع من الميكروب أفاد في كثير من الاحوال، وتجب تجربته اذا دخلت الميكروبات البنية سواء أحدثت أخرجة أم لم تحدث الوقاية من تسمم الدم بجميع أنواعه — أن يتقي الانسان كل ما يحدث جرحا أو سحجا في الجسم وان كان صغيرا. فاذا حدث بالرغم من احتياط الانسان وجبت المبادرة الى تطهير الجرح وتضميده والمواظبة على ذلك يوميا حتى يشفى . ويراعى في ذلك اتباع جميع قوانين علم الجراحة في تطهير الايدي والآلات والضمادات وغيرها مما يمس الجرح . واذا تكون خراج في الجسم وجب الاسراع الى شقه وتطهير جوفه وتصريف ما يتكون فيه من المدة والصديد بأسرع ما يمكن بحيث لا يتراكم فيه شيء منها خوفا من امتصاص الميكروب أو سحه في البنية. ولعلم الجراحة في ذلك من الوسائل العلمية المعقولة ما فيه الكفاية من شر هذا الداء وقانا الله منه

السعال الديكي Whooping Cough

مرض يصيب الاطفال كثيرا بين السنة الاولى والثامنة وحدوثه للبنات أكثر منه للذكور . وتقل اصابته لمن كان عمره فوق ذلك لان أكثر الناس يصابون به في صغرهم وهو يحميهم من الاصابة به مرة أخرى بل هو في ذلك أكثر وقاية من الهجمات الاخرى ذوات الطفح . ويحدث انتشاره بشكل أوبئة لا تأثير لحرارة الجو أو غيرها فيها، وكثيرا ما تكون هذه الاوبئة عقب أوبئة الحصبة

هذا المرض ينتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى ، فاذا أكثر اختلاط الاطفال بالمصابين به انتشر المرض بينهم، وقد ينتقل بواسطة الملابس الملوثة بميكروب هذا الداء اذا أصابها شيء من بصاق المصاب

وكان القدماء يعتقدون عدوى هذا الداء نظرا لما يشاهدونه من انتشاره بين من يخاط المصاب، ولكن لم يكنشف ميكروبه الا سنة ١٩٠٦ والذي اكتشفه باحثان اسمهما [بورديه Bordet] و [جنجو Gengou]

وهذا الميكرب من الشكل الباسيلي يشبه كثيرا ميكروب النزلة الوافدة غير أنه أطول منها وأغلظ ، ولا حبيبات له ولا حركة . يشاهد كثيرا في أوائل المرض في

المحاط الثخين الخارج في آخر النوبة من الشعب الرئوية الصغيرة ، وكثيرا ما يكون مختلطا بميكروب النزلة الوافدة

الأعراض : مدة التفريخ نحو عشرة أيام ويبدأ المرض باصابة بسيطة بالسعال تشبه السعال الناشئ من التعرض للبرد . وقد يكون هذا السعال مصحوبا بحمى خفيفة ويستمر إلى نحو سبعة أيام أو عشرة ثم يسمع هذا الصباح المخصوص الذي يشبه صياح الديك ، ولذلك شبه هذا المرض به ، فبينما يكون الطفل المصاب في لعبه تنتابه نوبة من السعال تمتاز بحصول نحو ١٥ أو ٢٠ مرة من الشهيق المتوالي في زمن ٧ أو ١٠ ثواني ثم يعقبها زفير له هذا الصوت المخصوص ، ويتكرر ذلك مرة أو أكثر حتى يخرج من صدر المصاب قطعة صغيرة من الباغم اللزج أو يتقايأ ما في جوفه . والسبب في حصول هذا الصوت اقتراب الحبلين الصوتيين أحدهما من الآخر فيضيق ما بينهما ، أو أنهما لا يتسعان بالسرعة المطلوبة حين حصول الزفير . وفي أثناء هذه النوبة يحتمن الوجه أو يزرق وينتفخ وتكاد تخرج العينان منه ، ويتدلى اللسان وقد تخرج الثنايا قيده فيصق المريض الدم . ويكون الطفل في أثناء ذلك غير قادر مطلقا على منع هذا السعال ، وقد يصاب من شدته بنزف من الأنف (الرعاف) أو من فمه أو يحصل النزف تحت الملتحمة ؛ وفي أحوال نادرة يصاب بنزف في مخه وهذه النوب تحصل بلا سبب معروف وإنما قد يهيجها بكاء الطفل أو إغضابه أو نزاع ملابسه . ويقال إن النوب أكثر في الليل منها في النهار . وعدد مراتها في الليل يتراوح بين مرة واحدة وستين مرة . وفي أكثر الأحوال لا تزيد عن ثلاثين في كل ٢٤ ساعة . ويكون الطفل في الفترات التي بين النوب كأنه في صحة تامة ولا حى عنده ما لم يتضاعف المرض ، وقد تكون شهوة الطعام عنده جيدة . ومدة هذا الطور من الداء تمتد إلى ثلاثة أسابيع أو ستة بل قد تطول إلى ثلاثة أشهر أو أكثر ، ثم تأخذ النوب في القلة تدريجا حتى تزول تماما أو يعقبها سعال بسيط كالسعال الأول بدون صياح ويمكن بضعة أسابيع . وهذا المرض قل أن يميت مالم يشتد تشنج المزمار أو يحصل نزف في المخ . وقد يحصل الموت بسبب مضاعفات هذا الداء

المضاعفات والمقاييل (العواقب) - من مضاعفات هذا الداء النزلة الشعبية أو

الشعبية الرئوية قترفع الحمى ويضيق نفس المريض كثيرا ، وفي كثير من الاحوال يزول حينئذ هذا الصياح الخصوص كما أنه يزول في كافة المضاعفات الحمية الاخرى . ومنها التهاب الاذن والتشنجات . ومن العقاقيل استمرار النزلة الشعبية والامفيزيما^(١) الرئوية (أي تمدد حويصلاتها وفقدانها مرونتها وانفتاح بعضها في البعض الآخر) والدرن الرئوي وهو قليل الحصول في هذا المرض

الانذار — هذا المرض قد يطول جدا ولكنه في الغالب يشفى منه المريض ومن النادر أن يموت به الشخص غير أن الموت قد يحصل بسبب بعض المضاعفات أو العقاقيل المذكورة

المعالجة — يسكن المصاب في غرفة دافئة متجددة الهواء ، ولا يجب عليه التزام الفراش ، ألم يتضاعف المرض . وهناك أدوية كثيرة لتقصير مدة المرض وتخفيف وطأته ، ومن أحسنها [البلاءدونا ^(٢) Belladonna] فيعطى من صبغتها نقطتين أو ثلاثا ثلاث مرات في اليوم للطفل الذي يبلغ عمره سنتين ولمن هو أكبر تقطا أكثر بحسب السن ، وهناك مواد تستعمل أيضا استنشاقا لتطهير الشعب ولكنها قليلة الفائدة ، ومن أحسن العلاجات تغيير الهواء والسكنى بجوار البحار فإن ذلك مما يقصر مدة المرض

الالتهاب الرئوي Pneumonia

هذا المرض نوعان : (١) نوع يصيب حويصلات الرئة ويسمى الالتهاب الفصيحي (٢) ونوع يصيب جزءا عظيما منها ويسمى الالتهاب الفصي ، ويختلف النوعان اختلافا كبيرا من الوجهة الميكروبية والمجهريية والعرضية أما النوع الاول فقد يكون ابتدائيا أو تابعا لمرض آخر ، وهو كثير الاصابة للأطفال والشيوخ ، وليس له ميكروب مخصوص بل يوجد فيه أنواع عديدة منها

- (١) لفظ يوناني معناه ادخال الهواء أو النفخ لانتفاخ الرئة في هذا المرض
- (٢) كلمة ايطالية معناها حرفيا «السيدة الحشاء» تطلق على نبات شهير عند الاطباء كان نساء ايطالية يستعملنه لتجميل وجوههن ، ومن أصوله الفصالة مادة سامة جدا تمدد الحديقة فتجعل العين تباله

ميكروبات الصديد الممتادة أو ميكروبات المرض الذي سبب هذا الالتهاب الرئوي كالدفتيريا أو الحصى التيفودية أو الأنفلونزا أو الطاعون.

وأما النوع الثاني وهو كثير الحصول للشبان، وقد يصيب أيًا كان غيرهم، وهذا المرض يشبه كثيرا الحميات الأخرى العفنة كالحمى التيفوسية وينتهي مثلها بالبحران. وينشأ غالبا من ميكروب من النوع البزري المزدوج اكتشف في مفضل باستور في ديسمبر سنة ١٨٨٥ وهذا المرض هو المقصود بالكلام هنا، ومنه نوع خطر ينشأ من باسيل اكتشفه [فريدلندر Friedlander] سنة ١٨٨٥ ولكنه قليل الحصول فان ٩٥٪ من الاصابات بهذا الداء تنشأ من الميكروب الاول البزري.

الاسباب يحدث هذا المرض للذكور أكثر من الاناث بنحو الضعف، ويصيب الناس في جميع الاعمار من سن الطفولية الى سن الشيخوخة، ولكنه أكثر حصولا للشبان الى أن يصلوا الى متوسط العمر (من ٣٥ - ٥٠) ينتشر هذا المرض في فصلي الشتاء والربيع حينما يكثر تغير درجة حرارة الجو فجأة، وحينما يكون الهواء مشبعًا بالرطوبة أو البرد.

ومما يساعد على حصوله كثرة التعرض لتيار الهواء وضعف البنية واجهاد العقل وقلة التغذية، والانهك في السكر أو الجوع.

وهذه الاشياء تجعل المصاب به ضعيف المقاومة جدا بحيث يكون شفاؤه متعسرا، والوفاة به كثيرة الحصول، والاصابة به لا تحمي من معاودته، فقد شوهد أن بعض الاشخاص أصيب به نحو ١٥ أو ٢٠ مرة، ولكن في الغالب أن لا يصاب به الشخص سوى مرتين.

يوجد ميكروب هذا الداء حتى في لعاب السليم وفي حفر أنفه، فإذا ضعفت البنية بمثل الاسباب المذكورة هاجمها الميكروب وأحدث بها المرض، وقد يتصل بالانسان أيضا من شخص آخر مصاب بالالتهاب الرئوي ويكون حينئذ أقوى وأضر. وهذا الميكروب يحدث التهابات في أعضاء الانسان الأخرى مثل البلعوم والشفاف والمفاصل والسممايا، وقد يحدث أخرجة بالأحشاء وتحت الجلد.

ولم يهزم العلماء الى الآن ان كان وصول هذا الميكروب الى الرئة من طريق

الشعب أو من طريق الدم ، فقد شوهد وجوده في نفس الدم فإذا ضعف عضو بسبب ما رتب الميكروب من الدم فيه . وهو يصيب عدة حيوانات كالغيران والارانب والكلاب . أما الحمام والدجاج فلا يصيبها بشيء ، وطوله يتراوح بين ٥٥ من الميكرون و ٧٥ منه . ويظهر تحت المجهر كأنه محاط بغلاف أو هالة صافية اللون يكون فيها عادة بزرقتان أو أربع

الاعراض — يتبدئ المرض فجأة برعدة شديدة وترتفع الحمى بسرعة زائدة الى ٣٩° أو ٤٠° مع كافة أعراضها الاخرى المعروفة وأحيانا (تشاهد النملة على الشفتين) ثم يشعر المريض بضيق في نفسه ، وآلام في الجنب المصاب ، ثم يكثر السعال ، ويكون بصاقه صديئا — كأن به صدأ من الحديد لاهرار لونه — ويكون شفافا خاليا من فقائيع الهواء لزجا بحيث يشتد التصاقه بالوانى ويشاهد في هذا البصاق الميكروب

والاطباء علامات خاصة لتشخيص هذا الداء تدرك بالقرع والسمع وغيرهما من طرق البحث الشهيرة

وتستمر الحرارة عالية مدة المرض كلها ، ويكون خد المريض وجبته محقنة يعلوها قليل من الصفرة أحيانا ، ويكون تنفسه سريعا جدا حتى قد تصل مراته الى ٨٠ في الدقيقة ، ويسرع نبضه ويقل بوله ، وقل أن يعتريه الهذيان بخلاف الحيات الاخرى ، الا في بعض الحالات الشديدة فقد يهذي ليلا ، وبعد اليوم السادس أو الثامن تنخفض الحرارة فجأة في مدة ١٢ أو ١٨ ساعة ، بحيث تصبح طبيعية ، ويتدل اللسان بعد الجفاف ويحسن المريض بالتحسن العام ، ولكن هذا البهران قد يصحبه اسهال أو عرق غزير وفي أكثر من نصف الاصابات تنخفض الحرارة بالتدريج ، فتصير طبيعية بعد ٤ أيام أو ٥ ، وفي كلتا الحالتين يتحسن النبض والتنفس حين انخفاض الحرارة ، وتزول العلامات الطبيعية التي يعرف بها المرض من الصدر ، ويحول لون البصاق الاسمر فيصير مصفرا أو مخضرًا ، ويكون به صديد وتقل لزوجه ، ثم يصير بالتدريج طبيعيا

والموت يحصل غالبا من وقوف القلب ، أو من اصابة الرئة الاخرى السليمة

فيسرع التنفس والنبض ، ويزرق الوجه ، ويكثر الهذيان ويمتد الغيبوبة فالموت ، ويكون الموت عادة بين اليوم الخامس والعاشر ، ومن المرضى من يموت في اليوم الثاني أو الثالث

والالتهاب الرئوي يصيب قاعدة الرئة أكثر من قممها ، والجهة اليمنى أكثر من الجهة اليسرى ، وقد يصيب الرئتين معا ، ولكنه يجعل باحدهما قليلا عن الاخرى وإذا أصاب الرئة احتقنت بالدم ، وتقل وزنها ، واحمر لونها ، وصار قوامها هشا بعد الوفاة ، وامتلاّت حويصلاتها بكريات الدم الحمراء والبيضاء وغير ذلك من مواد الدم بحيث تكون خالية من الهواء ، ثم تمتص الكريات الحمراء ، وتزدحم الحويصلات بالبيضاء ، فيتغير لون الرئة من الحمرة الى اللون السنجابي ، وفي كلتا الحالتين يكون قوام الرئة كمنسوج الكبد حتى سماه الاطباء (بالتكبد)

المضاعفات — جميع المضاعفات تنشأ على الأكثر من انتشار ميكروب التهاب الرئوي في الاعضاء الاخرى فقد تلتهم البلورا وقد ينسكب في تجويفها مصل أو صديد . ومن المضاعفات أيضا التهاب الشغاف أو الاعصاب أو الكليتين أو البريتون أو السحايا أو المفاصل وغير ذلك

الانذار — عدد الوفيات في هذا المرض نحو ١٧ ٪ من الاصابات . والمريض خطر جدا لعدم المعتدلين والضعفاء البنية . وما ينذر بسوء العاقبة الهذيان الشديد أو الذي يحصل في أوائل المرض ، وضعف النبض والزرق والتهاب الرئة كلها أو امتداده الى الرئة الاخرى

المعالجة — يجب على المريض أن يلتزم الفراش في الحال . وفي وقت شدة المرض يبقى معتمدا بظهره على شيء بحيث يكون رأسه مرتفعا على الفراش قليلا ويجب أن تكون الغرفة متجددة الهواء نقية ، والغذاء من السوائل السهلة المضمغ المنفذية كاللبن والمرق ونحوهما ، تعطى بمقادير صغيرة متكررة . وينبغي أن نطلق الامعاء بالمسهلات ، ونعطى للمريض المواد المبرقة مع قليل من المسكنات لتخفيف ألم الجنب والسعال . وما يخففه أيضا اللبخ الساخنة على الجنب الملتهب أو ورق الخردل الصناعي ومن الناس من يضع على الرئة الملتبهة أكياسا فيها ثلج لتخفيف الألم وتخفض الحرارة

وهذا العلاج المذكور كاف في الحالات البسيطة فإذا اشتدت وطئة المرض وضعف القلب وكمثر الهذيان وجب إعطاء المريض المنومات كالاستركنين والديجيتالا والنوشادر أو قليلا من الخمر (مثل ٣ أو ٤ أواق في اليوم) . وكلاوريد البكتريوم (١٠ قححات كل ٤ ساعات) يقال عنه أنه مقو للقلب فإن أكثر الخوف هو من وقوفه

فإذا أزرق المريض وضاق نفسه وخيف عليه من الاختناق أو من وقوف القلب وجبت المبادرة إلى فصد أو على الأقل تركيب العلق على الصدر لسحب جزء من الدم . ولا خوف من سحب ١٠ أو ١٢ أوقية من الدم إذا كان الشخص قوي البنية ممثلا به . واستنشاق الأكسجين نافع جدا في هذا المرض ، وكذلك كربونات النوشادر (٥ إلى ٧ قححات كل ٣ أو ٤ ساعات) لإخراج المواد المتراكمة في الشعب

أما استعمال المصل أو اللقاح فلم تظهر له فائدة كبيرة
فإذا جازى المريض طور البعثران وجبت مساعدته بالأدوية المقوية والأغذية الجيدة

بلاد العرب وأحوالها

منذ العصر الخالية

نشرت مجلة الشرق والغرب التي أنشأها دعاة النصرانية (المبشرون) لبث دعوتهم بمصر مقالة تحت هذا العنوان قالت إن ما أورده فيها هو نتيجة ما وصلت إليه مباحث العلماء الذين بنوا أقوالهم على ما اتصل بهم من اشتات الروايات ذات الطرق العديدة القديمة « فأخذوها وطبقوها على اعتبارات جغرافية وجيولوجية » — قالت — ولعل أشهر علماء الأفريق الذين عالجوا هذا الموضوع الباحث « قيطاني » — أو كاتاني كما يصر به آخرون — الإيطالي الذي اشتهر بتصنيفاته العديدة عن العرب

والاسلام من وجهة تاريخية اقتصادية وقد بنينا هذه المجالة على ما جاء في مؤلف من أحدث مؤلفاته »

ونقول نحن ان هذا المؤرخ الايطالي قد اشتهر عند الترك وبعض العرب بشوحيه لسيرة النبي (ص) وهي أشرف سير البشر — لان الاتحاديين ترجموا ما كتبه فيها بالتركية كما يننا ذلك في منار هذه السنة (ص ١٦٢ ج ٢) ولكن مباحث هذا المؤرخ المدق في تاريخنا مما لا نستغني عنه ونرد لو تجميع كتابا ، ونحن ننقل عن هذه المجلة ما اقتبسناه عنه عن المباحث المتعلقة بمجالة جزيرة العرب الجيولوجية وطبيعتها الجغرافية ، ومهاجرة أهلها منها الى حيث أقاموا بناء الحضارة القديمة . وهذه عبارة المجلة بنصها لم نصصح منها الا عبارات قليلة : —

لقد أثبتت المباحث العلمية أن الانسان وجد على الأرض قبل المسيح بألوف من السنين وان بلاد العرب كانت مأهولة كأقدم بلاد العالم . فكيف كانت حالة العرب في ذلك العهد الغالي ياترى ؟ لا ريب في انها كانت تختلف كل الاختلاف عما هي عليه الآن . والمعروف عنها الآن — ومنذ عدة مئات من السنين أيضا — انها بركة قاحلة ذات أراض جرداء شالية من الماء ^(١) . على انها في العصر الجيولوجية كانت على خلاف ذلك . فقد مر على قارتي آسيا وأوروبا زمن كان فيه قسماهما الشماليان أشد برودة عما هما عليه الآن . وكان الفرق بين الصيف والشتاء أشد وضوحا مما هو الآن . فكان الهواء في الصيف أكثر امتصاصا للرطوبة فيزداد به هطل الثلوج في الشمال وهطل الأمطار في الجنوب . وبناء عليه كانت أجزاء هندية من آسيا وأفريقية بقاءا مخصصة جدا وهي الآن قفار جرداء . وما الأودية الناشئة سوى مجاور كانت تندفق فيها الانهار

ومن تلك البلاد بلاد العرب . فقد كانت سلسلة الجبال التي في غربها تمتد وياح السموم وتجري منها أنهر على مصاب أواسط بلاد العرب وتصب في خليج المعجم . ومن تلك الأنهر نهر الدواسير الذي كان يجري في وادي الدواسير وكان

منبهه في الهضاب المكبة . وكذلك نهر الرماح الذي كان يصب مع نهر الدواسير في خليج المعجم

ولا يخفى ان للاحالة الجوية تأثيراً عظيماً في السكنى ، وهذا يبين لك لماذا كانت بلاد العرب مهد الشعوب السامية . وخلاصة ذلك انه في تلك الازمنة الطيبة كانت البلاد غاصة بالسكان بخلاف حالتها الآن

ثم بدأت الاحوال الجوية في نصف الكرة الارضية الشمالية تتغير بالتدريج فقل امتصاص الهواء للرطوبة وقل هطل الامطار . وأصبحت البلاد التي بين أوروبا والمنطقة الحارة تشعر بذلك التغير العظيم . وبتأدي الزمن بدأ شمالي افريقيا وبلاد العرب يجف ، فصارت الملايين التي تسكن بلاد العرب تشعر بعدم ملائمة البلاد لسكنائها

ولا حاجة الى القول بأن الرحيل عن بلاد العرب استغرق ألوفا من السنين وكان تدريجياً وبهذه الطريقة يمكن تعليل توالي هجرة الشعوب السامية . ولم تكن كلها هجرات أي هجرات ناشئة عن اعتبارات حرية بل كان معظمها ناشئاً عن اعتبارات صلبة بحتة كهجرة الارلنديين اليوم الى أمريكا . وكانت آخر تلك الهجرات أعظمها شأناً وقد حدثت عند ظهور الاسلام يوم فتحت أبواب بلاد العرب وأخذ سيل المهاجرة يتدفق منها شرقاً وشمالاً وغرباً

وكان لتلك الحركة غايتان تتفقان مع طبيعة البلاد الجغرافية اذ لا يخفى أن شبه جزيرة العرب مقسومة الى قسمين (١) البلاد العربية الغربية (وهي اليمن والجزر) ومنفذها سورية الى الشمال الغربي ومصر والحبشة على سواحل البحر (٢) لوسط الشرقي ومنفذها الطبيعي العراق وما بين النهرين . أما القسم الجنوبي من بلاد العرب (أي حضرموت) فقام بنفسه

فسيل المهاجرة من بلاد العرب كان يتدفق اذاً شمالاً الى فلسطين وسوريا أو غرباً الى مصر والحبشة . أو شمالاً شرقياً الى العراق ووادي دجلة والفرات وقد وقعت أول هذه المهاجرات عند أول فجر التاريخ . ثم تبعها المهاجرات

الآخري في الأزمنة التاريخية المعروفة .

(١) المهاجرة الاولى — قبيل فجر هذا التاريخ قام بهذه المهاجرة شعوب سامية نزحوا الى العراق ومعهم شعوب سومريون قتالفت منهم الامة البابلية، ويعتقد العلامة (قبطاني — أو — كاتياني) أن المصريين القدماء الذين دخلوا وادي النيل عن طريق البحر الاحمر واستعمروا اولا مصر العليا كانوا ساميين وقد هاجروا في نفس الزمن الذي هاجر فيه مواطنوهم الى العراق . ومما يؤيد هذا الرأي أن في اللغة المصرية القديمة آثارا سامية عديدة منها الكاف ضمير المخاطب المفرد المضاف اليه (١) (٢) أما المهاجرة الثانية فقد وقعت في أول عهد التاريخ المعروف أي بين سنة ٢٥٠٠ قبل المسيح وكان اتجاه سبل هذه المهاجرة أيضا الى شمال العراق وجنوبه ويتضمن حروب سرجون الملك السامي الشهير

(٣) وأما المهاجرة الثالثة فقد وقعت من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وفي أثنائها نزح الآشوريون الساميون من بلاد العرب وأسسوا مملكة آشور وعاصمتها نينوى على أهالي دجلة وفي ذلك الزمن عينة نوح الرعاة (الهيكسوس) من غربي البلاد العربية الى مصر وغزا الفينيقيون غربي سوريا واستباح الكنعانيون فلسطين (٤) هجرة الآراميين بعد سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وانتشر الآراميون في وادي الفرات وسوريا فأصبحت لغتهم لغة التجارة إذ كان يدهم طريق التجارة المار بحلب ومن الشعوب السامية التي لم تنزح من بلاد العرب القبائل النسابية والحيرية والعرب الذين كانوا يتكلمون العربية الحديثة . وكانت هذه اللغة قد نشأت بتأدي الزمن نشوءا بطيئا جدا . أما سبب عدم هجرة هذه الشعوب فهو لأن غربي بلاد العرب كان أكثر خصبا من شرقيها وقد كان طريقا للتجارة بين الهند والبحر المتوسط يمر باليمن والحجاز وينتهي الى غزة وهذا يأتي بنا الى :

(٥) ظهور الاسلام . وليس هذا أول مرة ظهرت فيها القبائل المتكلمة باللغة

(١) المنار الامر أعظم من ذلك فاعل النصف أو أكثر من النصف من هذه اللغة عربي ولكن الكثير منه محرف كما علم بالتفصيل مما نشرناه في مجلد المنار الثامن عشر عن علامة هذه اللغة أحمد كمال بك

العربية لتستوطن البلاد المجاورة فان بعضها سبق فاستوطن غسان والحيرة والعراق ومهد الطريق للعرب الذين كانوا في أيام محمد (صلى الله عليه وسلم) فمردودهم المهاجرة والاستيطان، وكانت بلاد العرب قد ضاقت مرة أخرى بأهلها الساميين الذين اشتهروا بالقوة والبأس والذكاء وكثرة النمو. ومما يدل على ضيق الوسائل الاقتصادية في تلك البلاد بأهلها فقرهم المدقع وعوزهم وعادة وأد البنات عندهم. أما قواهم المتزايدة فكانوا ينفقونها في محاربة بعضهم بعضا وفي شن الغارات والغزوات الى أن بدت طلائع تلك النهضة الدينية فجعلت بين القبائل المتخصصة وجعلتهم يوحدون قواهم ويوجهونها الى الخارج. وهكذا فتحت ابواب العربية وخرج العرب ليفزوا البلدان في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية.

وقد كان بين أولئك العرب رجال ذوو صفات ومآرب مختلفة فمنهم الشديد القوي كهم، والقائد المحنك كخالد، ومنهم المجازف، ومنهم المسوق الى الحرب بطمع الاسلاب^(١). على أن عامل الدين هو الذي فتح لهم السبيل ومهدهم ومنحهم قوة. ولكن كان للعوامل الاقتصادية التي أشرنا اليها والتي كانت تؤثر في بلاد العرب منذ أقدم الأزمنة شأن يذكر. وكان الجانب الأكبر من جيش محمد (ص) رجالا قد دانوا حديثا بالاسلام فكانوا يقبلون عليه أو يرتدون عنه بسرعة عظيمة لأن معرفتهم كانت ناقصة، ولا شك أن أمثال أولئك ما كانوا ليمسكوا بعروة الاسلام لولا ما رأوه من الانتصارات التي يؤتاها جيش المسلمين ولولا انقلابهم من ضيق العيش الى سعة^(٢). وكان في جيش الميدان النري مئات من المكيين الذين أيدوا الامويين فيما بعد ولا يزال المسلمون يقولون حتى اليوم إنهم لم يكونوا على شيء من الاسلام

(١) المنار: يعني أن الظهور الاعظم من العرب كانوا يقاتلون في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية التي يقوم بها دينه وكتابه، وادانهم منزلة أفراد يظلمون في الضائم والاسلاب كما هو شأن أرقى الأمم الآن في حروبها.

(٢) هذه دعوى باطلة وتعليقها الذي عليها به باطل فان المسلمين ما قبلوا الى سعة العيش التي يعينها في عهد النبي (ص) بل بعده اذ فتحوا الشام ومصر وفارس. وابن السعة في جزيرة العرب وابن ما وصفها به آتفا من الضيق؟

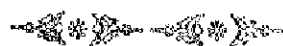
وأما أولئك كانوا يعتبرون أنفسهم في يشة هي هرية أكثر منها اسلامية .
أما حروب الاسلام التي أفضت الى مزج العرب بأهالي البلاد التي افتتحوها
من بخارى شرقا الى أسبانيا غربا فقد كانت عبارة عن مهاجرة هي آخر المهاجرات
السامية من شبه جزيرة بلاد العرب ولم تحدث مهاجرة بعد ذلك أو بمقدار صغير
جداً لا تزال نشاهد آثاره حتي اليوم وهو ناتج من نفس الاسباب التي أفضت الى
المهاجرات السابقة أي انحلال بلاد العرب .

أما النتيجة فهي ظهور القوة الكامنة في الامة العربية ظهوراً بيناً واتخاذها مجرى
جديداً ريثة مشيرة .

وقد ذكر الأستاذ هركروني أن عرب حضرموت الذين هم أقدم سكان
تلك البلاد فكوا القبود التي كانت ترعاهم ببلادهم وهاجروا الى الهند وجزائر الهند
الشرقية حيث أظهروا همة عالية ونشاطاً غريباً . فقد أصبحوا خيرين بأمور التجارة
مع أنهم كانوا يجهلون في موطنهم الأصلي ، ولا تزال الاعمال والاشغال تنقل الى
قبضة يدهم حتي لقد أصبح بعضهم من كبار الأثنياء . ولا ينحصر تفوقهم في الاعمال
والتجارة فقط بل في الامور العقلية أيضاً

وهذه صودة صغرة لعرب الذين نزحوا بسوريا وبلاد فارس في المئة الاولى
للمهاجرة . وهي تتلحق على حالة العرب عموماً منذ ألف من السنين حتى اليوم

وقد أظهر دولة شريف مكة بهضته الاخيرة أن العرب لا يزالون يأبون
الضيق ويشقون الحرية والاستقلال ، وهم يبذلون كل رخص وقال في سبيل الدفاع
عن كيانهم . ترى هل نحن على وشك أن نرى من جانب بلاد العرب مبادعات
جديده مدعشة كما رأى العالم منذ مئات من السنين ؟



المنشور الهاشمي الشريف الثاني

ذكرنا في الجزء "رابع" من منار هذه السنة ملخص المنشور الاول الذي خاطب به الشريف الاكبر صاحب مكة المكرمة مساهمي الارض مبيفا لهم سبب نهضة الحجازيين باستقلال العرب دون متغلبة الاتحاديين . واليوم ننقل لهم نص منشور آخر نشر في العدد الحادي عشر من جريدة القبلة الصادر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٠٤ لتعميم فائدته والعناية بحفظه ، لان أمثال هذه المنشورات من أهم مواد تاريخنا في هذا العصر ، وقد ضاق عنه الجزء الخامس الذي طبع الكثير منه قبل عودتنا من الحجاز ، وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

لقد رأينا دفعا للالتباس ومنعنا لما عسى أن يحدث من التردد في حقيقة قيامنا ونهضتنا معاشر الحجازيين الموضحة أسبابها في منشورنا الاول أن نردفه بهذه الاسطر ليكون منها لأفاضل العالم عموما والمسلمين خصوصا زيادة الاطلاع على نياتنا ومقاصدنا المتعاقبة بكياننا من حيث هوة ملتزمين فيها أقرب المواد عهداً وأبسطها دلالة

من المعلوم ان عقلاء المسلمين وذوي البصيرة من ساكني الممالك العثمانية وسائر أطار الدنيا غير راضين عن دخول الدولة العثمانية في الحرب الحاضرة لاسباب جوهرية أجمعوا عليها منها ان الدولة العثمانية قريبة عهد الخروج من الحرب الإيطالية أولا والحرب البلقانية ثانيا وقد أصاب جيوشها وخزائنها وكل مراقبتها وعامة تشكيلاتها من الضعف والضياع والفناء ما لا يخفى تأثيره على ثروة الدولة خاصة وثروة المملكة وأهلها عامة حتى كان الجندي لا يكاد يصل الى قريته أو الى مكان عمله ليتحصل على ما يسد به رمقه ورمق أولاده وسائر أهل بيته الا ويكون قد دعي الى التجنيد مرة ثانية . وهكذا شأن الصانع والحمال والمحتطب ، فلأمة التي أصيب أفرادها بمثل (المجلد : ج ٦) (٤٧) (المجلد التاسع عشر)

هذه الكوارث لا نرى حاجة الى بيان مصيرها ومصير دولتها اذا دفعت بنفسها في
هوة حرب جديدة لا تشبه غيرها من الحروب . لا سيما وان واردات الدولة من
الضرائب (*) المفروضة على مساعي الافراد المنكودي الحظ بين تجارية وصناعية وزراعية
هنا أحد الاسباب التي حملت عقلاء المسلمين على امتنكار دخول الدولة في
الحرب الحاضرة وهو سبب مبني على حقيقة الحالة الداخلية في كل بلاد السلطنة .
وهناك اسباب خارجية تتعلق بالجهة التي انحازت الحكومة الاتحادية الى الحرب
مها ضد الفريق الآخر من الدول المشتبكة في الحرب . فان الدولة العثمانية دولة
اسلامية وبلادها مترامية الأطراف كثيرة السواحل فكانت السياسة التي سار
عليها سلاطين آل عثمان المظالم من قديم الزمان تحسين العلاقات والعلاقات مع الدول
التي يسكن ممالكها القسم الأعظم من المسلمين والتي لا تزال صاحبة الارجحية في
في البحار فلما دخلت الحكومة الاتحادية في الحرب ضد هذه الدول منحازة الى فريق
آخر كثير الطمع واسع الجشع اضيق بلاده عن ساكنيها تشام من ذلك أهل النظر
والروية من المسلمين لعلمهم بما يكون من نتائج السيئة قبل حدوثها
ولقد كنت من جملة هؤلاء عند ما سئلت تلفزيوناً عن رأيي في هذه الحرب
فأجبت بما اقتضاه واجب النصيح، وهذا مما أخذته دليلاً على اخلاصي لهذه الدولة
وحريصي على سلامتها وصيانة بيضة الاسلام

رما قد حصل ما كنا نخشاه وانتهت الدولة الى ما نخوفناه، وأصبحت حدود
المملكة العثمانية اليوم في أوروبا أسوار الآستانة تقريباً . وان طلائع جيوش الروس
تسخط الاهالي الميثانيين في ضواحي ولايتي سيواس والموصل، وطلائع الانكليز
تسوق ألوف الأسرى من أبناء هذه المملكة في بادية المريش بعد ان استولت
على ولاية البصرة وسطر من ولاية بغداد ولا شك في أن من تأمل هذه الحالة ورأى
أن الحرب لا تزال قائمة على ساق وقدم لا يحتاج الى كبير عناء في استجلاء النتيجة
لا يخرج عن أحد أمرين فاما ان تستسلم الى هذا الخطر الداهم حتى نزول من
حربه العلم ثم نرى تسليح الخنافس منه

في المنار قوله: من الضرائب - خبر إن لا بيان للواردات كما يتوهم بادئ بده

إننا نترك للعالم بأسره التأمل في هذا والجواب عليه وليس عندنا أقل رغبة في أنهم يعذرونا في نهوضنا الذي جاء في وقته قبل أن تحيط المهالك بالبقية الباقية من هذا الملك فتأخذنا على غرة . بل إننا لا نتردد في مشروعية نهوضنا ووجوبه علينا . ولو كنا نعلم بأن بقاءنا مرتبطين بهذه الدولة التي أصبحت العوبة في أيدي المتغلبين مما ينفعها ويحفظ لها أملاكها لما تحركنا بشي مما قنا به ، ولصبرنا وتحملنا كل ما يحملوننا إياه . ولكن أنى لنا ذلك وقد صار من المقطوع به إننا لو استسلمنا لما هم ساثرون بنا إليه لا دى ذلك بنا وبهم إلى هوة الاضمحلال التي تسقط فيها الولايات الأخرى على مرأى منا ومسمع

نعم إننا نقول هذا ونترك الحكم فيه إلى إنصاف العالم أجمع ، ولكننا لا نستطيع السكوت عن المجاهرة بأن السبب الوحيد لمحو هذه الدولة وإبادة من بقي لها من الرعية وهم سكان الانضول وغيرهم إنما هو استرسال المتغلبة من زعماء الاتحاديين وهم أنور وجمال وطلعت وأشياعهم ، وخروج الدولة عن خطتها السياسية الأساسية التي وضعها عظماء سواس العثمانيين وهي خطة موالاتي الدولتين العظميتين بريطانيا وفرنسا التي لا ينكر فوائدها إلا من ينكر التاريخ ، ويكفي لمعرفة أخلاق زعماء الاتحاديين ومقدار صدقهم ووفائهم أنه لم يعرض غير زمن يسير على عقد القرض الذي ساعدتهم به فرنسا وهم في أشد الحاجة إليه حتى انضموا إلى أعدائنا وأعلنوا الحرب علينا وإننا لا نستدل على ما ذكرناه من أخلاقهم بهذا العمل دون سواه الا شهرته المستفيضة بين عموم الناس وقرب عهدنا به ، أضف إلى ذلك ما يلقاه الأهالي العثمانيون لافرق بين مسلمهم وذميهم من ضروب العسف والجور اللذين يحجب ركامهما ضياء الشمس ، لا سيما ما ارتكبه القابضون على أزمة الحكومة من هؤلاء المتغلبة وأشياعهم أثناء هذه الحرب من ظلم أهل ذمتنا من الروم والارمن خلافا لما جاءت به شريعتنا المطهرة ، ثم نهجوا هذا المنهج في أبناء العرب بالشام والعراق وغيرهم بما هو معلوم إلى يومنا هذا كإيقاعهم بأهالي الموالي التي هي إحدى ضواحي المدينة المنورة من سبي مخدرات العرب وسوقن إلى الثكنات العسكرية بما تأباه الشريعة الإسلامية والشهامة العربية

نعم إننا قنا ولا يزال قيامنا ومجاهرتنا بالعداوة والبغضاء مقصودا بهما أنور وجمال

وطلمت وشيعتهم . وانه اشاركنا في ذلك كل مسلم عاقل حتى أفراد البيت العثماني،
ودلينا مع مشاركة هذا البيت الجليل اغتيال المتغلبة لعميده الشهيد السعيد ولي عهد
السلطنة المغفور له المرحوم يوسف عز الدين . وانا تبرأ منهم ونظهر لهم العداوة
والبغضاء، ويشترك معنا فيها كل بر وتقي من مسلمي البلاد العثمانية وسائر البلاد
الاسلامية، بسبب ما أتوه من الوبال، وما جرروه على دولة الاسلام من الاضمحلال،
حتى جعلوها ضحية لاغراضهم وغاياتهم النفسية . نبرأ الى الله منهم ونعلم انها كلمة
حق عليها نحيما وعليها نموت . وكيف لا نقول هذا وامامنا من عبر الدهر ما نسرده
على اخواننا المسلمين ليعلموه ويعمونه

فان جمال باشا المتحكم في الشام واهلها قد أمر سكان ذلك القطر الاسلامي
بأن يؤلفوا من مخدرات نسائهم جمعية نسائية، ثم أوعز الى هذه الجمعية أن تأدب له
مأدبه في نادياها، وقد تم ذلك بالفعل وحضرها هو ورجال العسكرية والملكية ومن
دعاهم من سائر رجاله واعوانه، وكان النسوة المسلمات أعضاء هذه الجمعية يباشرن
اكرام ضيوفهن، وعند ختام الحفلة شرعن في القاء الخطب والانشيد بين تلك الجماهير من
الرجال كما نشرت ذلك صحف سوريا على اختلاف مشاربها مظهرة الاعجاب والفتور
ارضاء لجمال باشا . فسميحان الله تعالى الذي يقول في محكم كتابه الكريم (يا أيها
النبي قل لا زواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى
أن يعرفن فلا يؤذين)^(١) وقوله تعالى^(٢) (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن

(١) وقع في جريدة القبلة غلط في هذه الآية لصح : أي لا يعرفن فيؤذين . وهو
غلط مطبعي يوهم غير العارف ان معناه صحيح وما هو الا ضد المعنى الصحيح .
فالمراد من الآية ان إدناء الجلابيب والمبالغة في الستر أقرب الى ان يعرفن أنهم
محارر لا إماء فلا يؤذين أهل الرية . وسبب ذلك أن البغاء في بلاد العرب كان
محصوراً في الاماء من عهد الجاهلية ولذلك قالت هند للنبي (ص) عند مبايعة النساء
على ترك الشرك والسرقه والزنا : أو تزني الحرة ؟ فكان الفساق من المنافقين
والمشركين يعرفون الاماء بتهتكهن فيتعرضون لهن فأمر الله تعالى المؤمنات بالستر
ليتمرن به فلا يتعرض لهن الفساق ، ثم بطل البغاء بفسوخ الاسلام حتى تركه الاماء
أيضاً (٢) لعل الاصل وقال تعالى أو : ويقول تعالى .

ويحفظان فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعوثهن أو آباءهن ... الخ (*)

من هذا يعلم صراحة مراد هؤلاء المتغلبين ومقاصدهم بالشريعة الإسلامية والعادات العربية، وفيه عبرة وذكرى لآخواتنا مسلمي البلاد العثمانية وسائر اخواتنا في اقطار الدنيا ليتعظوا بذلك ولا يكون سبباً لاسترسال هؤلاء الطغاة في انتهاك حرمات الله والجراة على مخالفة أوامره لجاء يستفيدونه، وأرتاب يستفيدونه، فانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومن كان قد وهبه الله تعالى قوة على تغيير المنكر بيده أو لسانه أو قلبه فليفعل، ومن كان لديه ما يدافع به عن جراة هؤلاء القوم المتغلبين فليأتنا به فإنا ان شاء الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وإنا أو أياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) (١)

شريف مكة وأميرها

نحريراً في ١١ ذي القعدة الحرام ١٣٣٤

[المنار] ملخص هذا المنشور ان زعماء الاتحاديين عرضوا الدولة للهلاك بالحرب والظلم والبغي والعدوان، وعبثوا بدين الاسلام، وظلموا المسلمين والذميين، وان مسلمي الترك وفي مقدمتهم بيت السلطنة يعلمون ذلك كالعرب ولكنهم غلبوا على أمرهم، وان بقاء البلاد الحجازية خاضعة لهم يضرها ويضر أهلها ويوقعهم في الخطر من حيث لا ينفذ الدولة ولا يغني عنها شيئاً، وان الواجب في هذا المقام العمل بما أمر به الرسول (ص) في قوله المروي في مسند احمد وصحيح مسلم والسنن الاربع «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه» الخ وبذلك عمل صاحب المنشور هو ومن معه من أهل الحجاز فهم في مقدمة أهل الحل والعقد في الامة ولو لم يكن معه غير أسرته الهاشمية وعصبة منهم واتباعهم من العرب لكفى بهم أهل حل وعقد في هذا الاسلام وأفضل بلاد الارض، ويلبهم في هذه الصفة سائر الأمراء والزعماء في جزيرة العرب، ولم يبق في ديار الاسلام زعماء أحرار غيرهم لان سائر علماء المسلمين وكبراءهم في الامتانة وقهرها تحت قهر سلطة عسكرية زمامها بأيدي ملاحدة الاتحاديين ونصارى الألمان. وإنا كان شريف مكة

(*) سقط من جريدة القبلة ما بعد كلمة (إلا) الأولى الى (إلا) الثانية

(١) في جريدة القبلة « وإنا أو أياكم » وهو غلط مقبلي عليها

ومن شايعه من العرب قادرين على النهوض لمقاومة منكرات الاتحاديين قاموا بالواجب الايماني عليهم . وقد صرح في هذا المنشور بأنه اذا ظهر له خطأه في اجتهاده هذا يرجع عنه . وكفى بذلك حجة على جميع المسلمين

تقرير المطبوعات الجديدة

أهدي الياني العام الماضي عدة مطبوعات جديدة من الكتب والصحف لم نجد فراغا من الوقت لنظر فيها نظرا يمكننا من إبداء الرأي فيها ، وان منها ما يبخس حقه اذا كتب عنه في المجلات العلمية ، ما هو بمعنى الاعلان الذي ينشر في الجرائد السياسية ، وقد يعد طول الزمان على السكوت عنها ، أشد هضما لها وبخسا لحقها ، فلذا رأينا أن التوفيه بها ، بما عليه النظرة العجلى فيها ، ربما كان كلئذ يفضل ناجزهُ المستمِدُّ الصديان ، على الغمر النسيي ، يخاف عليه النسيان ، وهو لا يمنع من إعادة النظر فيها اذا سمح الزمان ، وهذا ما جاد به الزمن الضنين الآن :

﴿ كتاب شرح البيع ﴾

(في القوانين المصرية والفرنسية . وفي الشريعة الاسلامية)

« تأليف محمد حلمي عيسى بك وكيل الادارة القضائية للمحاكم الاهلية بوزارة الحفانية » شرح فيه أحكام عقد البيع في قانوني المحاكم الاهلية والمختلطة المصرية مستمدا من مصادرها — الشريعة الاسلامية والقانون الفرنسي — سالكا في شرحه مسلك المدقق المستقل بالفهم والرأي . فجاء سفرا كبيرا بلغت صفحاته بضع مئات . وطبعه في العام الماضي (١٣٣٤) في مطبعة المعارف طبعا جيدا على ورق جيد يليق به ، وقد أقبل عليه علماء القانون أي إقبال ، وأحسننت تقريره الصحف أي إحسان . ان هذا المصنّف من الكتب التي يرجع الى مثلها الباحثون في فلسفة الشرائع والقوانين ، ويعتمدون على نقوله ومباحثه في المقابلة والتنظير بينها وتفضيل بعضها على بعض . فلو أتيح لي ان أوفيه حقه من التقرير والنقد فيما يعينني من مباحثه الدقيقة — وهو المقابلة بين الشريعة والقوانين — لكنت قرأت ما أورده من ذلك كله أو الكثير منه ، وبنيت ما يريني الله من الخلق فيما أورده من الاحكام الشرعية ، التي اعتمد في أكثرها

على بعض كتب الحنفية . وما فاته من الاحكام ، في كتب غيرهم من فقهاء الاسلام .
 فقد قال في مقدمة الكتاب انه جعل المقارنة بين القانون المصري بقسميه وبين
 الشريعة على كتاب مرشد الحيران الذي ألفه قدرى باشا ومجلة الاحكام العدلية
 التي أوجبت الدولة العثمانية على محاكمها المدنية الحكم بها . وذكر في أسماء الكتب
 التي كان يراجعها عند الشرح عدة كتب للحنفية والمالكية ، ولم يذكر بينها شيئاً من
 كتب فقه الشافعية والحنابلة ، على أن كتب هذين المذاهبين أجمع لدلائل الكتاب
 والسنة ، وكتب الشافعية منها أشد تنقيحاً ، وكتب الحنابلة أوسع طريقاً ، فلأن المؤلف
 غني بكتب الحنابلة وعلماء الحديث المستقلين كما غني بكتب الحنفية لكان علمه
 بالشرعية الاسلامية أوسع ، ومقابلته بينها وبين القوانين أصح وأنفع ، ومن أجل
 هذه الكتب كتاب المغني للشيخ موفق الدين ابن قدامة و (المحلى) للإمام ابن
 حزم و (نيل الاوطار) للإمام الشوكاني . ومن أجل الكتب الباحثة في حكم الشريعة
 (اعلام الموقعين) للعلامة ابن القيم ، وأحسن ما كتب في العقود وأنفعه فيما نعلم هو
 ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية ونشر في مجموعة الفتاوى التي طبعت له . فعمل المصنف
 بعنى بالرجوع الى أمثال هذه الكتب اذا تقحح الكتاب عند ارادة اعادة طبعه —
 ان شاء الله تعالى

﴿ تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ﴾

(مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينهما من
 العلاقات التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ الى اليوم ،
 مؤلفه نعيم بك شقير مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية بمصر ، وصاحب تاريخ السودان)
 وهو مجلد ضخم تزيد صفحاته على ٧٧٠ طبع بمطبعة المعارف طبعاً جميلاً وأجمعت
 الصحف على حسن تفريله والثناء عليه ، وما وفاه أحد منهم حقّه ، ولا شرح للناس
 حقيقته وكنهه ، وقد كان اسم الكتاب حجاباً يخفى ما وراءه من الحقائق التاريخية
 والاجتماعية والسياسية والعلمية ، المتعلق أكثرها بالعرب والبلاد العربية ، من
 شؤونها الغابرة ، وحالتها الحاضرة ، — ولا يزال هذا الحجاب مسدوداً على تلك

المحدرات، مأمأطته الصحف عن ذلك الوجه ، ولا أظهرت كل ماوراءه من الجمال والحسن ، على ان كشف الحجاب عن أبكار المعاني ، ككشفه عن أبكار المعاني ، كل منهما يباح للخاطبين ، كما يباح للمحارم من الامل والاقرين ، وما أكثر من يبيحه للناس أجمعين ، فما بال أبكار مؤرخنا العربي لا تزال محجوبة عن خطابها المتعددين ، وذوي قراباها الكثيرين ، بذلك الاسم الذي لا يدل الا على جزء من مسماه ، كما حجب استعداد أمتنا العربية بالاستعداد الذي يغشاه ، وحجب ما في وطننا العربي من الآثار والمعادن بجهل الحاكم الذي يتولاه ؟

ألا أيها الخطاب ، لتلك الابكار العُرب الاتراب ، لقد نصب الله اسك من يرفع عن محاسن وجوههن الحجاب ، وان كان ينخفض من أفكار من في مصر من دعاة السفور ، الذي يحزم بانه مزيد في التهنك والفجور ، ولكنه قبل رفعه ، يبين لكم سبب وضعه ، فيقول :

إن المؤلف لما أتبع له الوقوف على تلك الحقائق التي يجهلها الا كثرون من تاريخ سيناء عز عليه أن تبقى مجهولة ، كما هو شأن محبي العلم الذين يتعبون في تحصيله وتمحيصه ، فعمد الى تقييد أو ابددها ، وقنع شواردها ، بعد أن قتل مسائلها بالبحث والتدقيق تقييلا ، وفصل القول فيها تفصيلا ، فجاء تاريخا مطولا لهذه البقعة الغامرة ، لم يوضع مثله لأعظم أقطارنا العامرة ، فكان مظنة الانتقاد بأنه اشتغال بالسكالي من جزئيات تاريخ بلاد أمتنا العربية ، قبل الوصول الى ما يفي بالحاجة من مباحثه السكالية ، وكان مؤرخنا اللودعي لمح بلحظ الغيب ذلك الانتقاد يجهل في مطاوي الافكار ، بعد ان تمثل بين يديه تاريخ سيناء سفرا من أكبر الاسفار ، فاراد أن ينظم تلك المباحث السكالية في سلك الضروريات ، فوضع للكتاب خاتمة كانت كالمقصد من الوسيلة أو كالنتيجة بعد المقدمات

ذلك بأنه لما كانت سيناء معقد الانصال والارتباط بين أعظم الاقطار العربية ، أعني جزيرة العرب ومصر وسورية ، جعل خاتمة التاريخ التفصيلي لها ، خلاصة تاريخ الاقطار التي تحيط بها ، ولما كانت فائدة التاريخ هي العظة الاعتبار ، وكان الفراغ من هذا الكتاب في إبان هذه الحرب التي خاضت غمراتها الدول السائدة على تلك

الاقطار، والتي يتبدل بها ما يتبدل من احوال الامم والاطوار، — ذكر قومه الاقربين
سوريين ومصريين، ومن وراءهم من العرب أجمعين، بأن أصل أرومانهم واحد
وهو الجنس العربي الكريم، والأصل الذي ينتمى إليه أنبياؤهم المرسلون في ملهم
ونسبهم واحد وهو خليل الله إبراهيم، وبأن لغتهم واحدة وهي العربية، وكذلك
عادتهم ومصلحتهم الاجتماعية والاقتصادية، وهل يظن أحد على الرضاء بالخلاف
والفرقة، بعد تجارب هذه الجواذب والدواعي الى الوفاق والوحدة؟ كلا، لا عذر الا
الجهل أو عصية الجاهلية، وهالك شذرات منه في بيان هذه الحقيقة وحجمها الجليلة،
قال المصنف في تمهيد خاتمته الحسنى :

١ — « ان الباحث في تاريخ مصر والشام والعراق كلما تعمق في البحث
وجد أن معظم سكان هذه البلاد كانوا في كل عصور التاريخ — كما هم في هذا
العصر — عرباً أو من أصل عربي. ^(١)، وكان لغتهم العربية أو اختلاها ^(٢) وعليه
فأول الصلات التي تربط هذه البلاد بعضها ببعض وأهمها هي الصلة الجنسية العربية»
ثم إنه جاء بزيادة تاريخ هذه البلاد ايضاً حال هذه الحقيقة وقد بدأ بمخلاصة تاريخ العرب
مهد العرب

٢ — ذكر في بيان مهد العرب ان أوجه الآراء في مهد الجنس السامي اثنان
(أحدهما) رأي مفسري التوراة وهو انه جزيرة العراق. (ثانيهما) رأي بعض علماء
التاريخ واللغات والعاديات ^(٣) — وفي مقدمتهم العلامة روبرتس سمث الانكليزي —
وهو ان مهد جزيرة العرب (قال) « ومنها تفرق في الشرق قبل التاريخ كما تفرق
العرب المسامون في صدر الاسلام، ولهم على ذلك أدلة لغوية اجتماعية، ومن أدلتهم اللغوية
ان اللغة العربية هي أقرب أخواتها — السكلدانية والسريانية أو الارامية والعبرانية
والحبشية — الى اللغة السامية الاصلية، وان في الارامية والعبرانية آثار الحياة البدوية العربية
» ومهما يكن من أمر ذلك المهد فالتا نرى العرب قد أسسوا في جزيرتهم عدة

(١) ان الذين لم يسموا عرباً كدول الفراعنة والفينيقيين كانوا او كانت دول
الحضارة منهم من أصل عربي (٢) ان السريانية والعبرانية تعدان اختين للعربية
لان أصلهما واحد سامي مهد الاول جزيرة العرب (٣) هي آثار الامم القديمة
نسبة الى عاد الاولى العربية ثم صارت عامة

ممالك اشتهرت قديما وحديثا، وخرجوا من جزييرتهم للفتوحات غربا الى سيناء ومصر وافريقية الشمالية، وشرقا الى العراق وتركستان، وشمالا الى سورية وآسية الصغرى، فأسسوا فيها عدة ممالك قبل الاسلام وبعده . فكان مهد العرب ومسرحهم منذ القديم من المحيط الاطلسيكي شرقا وغربا ومن أعالي الفرات ودجلة والبحر المتوسط الى أقاصي السودان شمالا وجنوبا »

العرب البائدة في العراق ومصر وسورية

٣ — ذكر من تاريخ العرب البائدة انهم كانوا يسكنون ما بين العراق والعقبة وينقلون التجارة ما بين بابل ومصر . ثم قال : « وما زالوا حتى ظهر منهم في القرن الثالث والعشرين (قبل المسيح) ملك اسمه [حورابي] فأسس مملكة قوية عرفت « بدولة حورابي » بلغت اسمى ما وصلت اليه دولة في العهد القديم من الرقي الادبي والمادي . واشتهرت على الخصوص بسن الشرائع والقوانين وبناء الهياكل والقصور ، واستمرت حاكمة الى أواخر القرن ال ٢١ قبل المسيح »

« و ذكر مؤرخو العرب ان العمالة هم الرعاة (الهكسوس) الذين ملكوا مصر في مدة الدول الخمسة عشرة الى السابعة عشرة . ويظن الآن ان سكان مصر وايشوبيا الاولين الذين سكنوا النيل قبل التاريخ هم عرب هاجروا اليه من جزيرة العرب عن طريق سيناء أو بونغاز باب المندب كما سيجي »

« هذا وسنرى في تاريخ سورية أن معظم سكانها الاولين هاجروا اليها من جزيرة العرب وأسسوا فيها دولاً شتى »

ثم ذكر خلاصة مفيدة من تاريخ العرب المتعربة والمستعربة من القحطانيين والعديانيين واستطرد الى ذكر خلاصة تاريخ ظهور الاسلام وامتداد دعوته وفتوحه ودوله من العرب وغيرهم ختمها بالدولة العثمانية ، وما انتهت اليه حالها في عهد طغاة الاتحاديين من اضطهاد العرب والعربية ، وتقحمهم بالدولة أخطار هذه الحرب الاوربية ، وحكم عليهم بأنهم أضاعوا بذلك ملكهم مهما تكن عاقبة هذه الحرب

مستقبل جزيرة العرب

٤ — وقال في شأن مستقبل جزيرة العرب بعد الحرب ما نصه (ص ٦٦١)

« وأما جزيرة العرب فالطبيعة ورجالها تحميها ، وقد أعلن الحلفاء استقلالها تحت يد أمرائها ، وأصدر (الجنرال المرحون مكسويل) القائد العام البريطاني بمصر منشورا وجهه الى « العرب الكرام » بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٤ جاء فيه ما نصه : « [ان جلالة الملك جورج الخامس ملك الانكليز قد أعلن أنه لا يتخذ إجراءات حربية برية أو بحرية في بلاد العرب أو في موانئها ما لم تمس الحاجة الى ذلك قصد حماية مصالح العرب من اعتداء الترك وغيرهم أو لإنجاد من ينهض من العرب للخلاص من ربة الترك] »

وبعد وصف جزيرة العرب وبيان حالها وسكانها في هذا المصراع قد فصلا ثانيا خلاصة تاريخ سورية (ص ٦٧٥)

٥ - بين المؤرخ ان شعوب سورية القديمة هم الاراميون والكنعانيون والحثيون والعموريون والفلسطينيون والفينيقيون (قال) « وكلهم هاجروا اليها من جزيرة العرب أو العرق الانططيين » أي والذين هاجروا اليها من العراق كانوا من جزيرة العرب فهاجروا الى العراق قبل الهجرة الى سورية . و « أو » في كلامه لمنع انخلولا لمنع الجمع فالتحقيق ان من عرب الجزيرة من هاجروا الى سورية توا ومنهم من هاجر الى العراق توا ثم هاجر بعضهم الى سورية وبعضهم الى مصر وبعد ان قال في كل شعب من هؤلاء الشعوب قولاً وجبناً مفيداً وشكاً من هدم اجتماع كلمة السوريين في كل عصر من العصور ومن ضعفهم بانقسامهم واختلاف افراضهم وأديانهم . وذكر ان عددهم الآن ثلاثة ملايين

٦ - ثم ذكر خلاصة تاريخ العراق وذكر ممالكه القديمة والحديثة من الكلدانيين الى العثمانيين وذكر أن عدد سكانه يقدر الآن بثلاثة ملايين ايضاً نصفهم بدو ونصفهم حضر وكلام عرب الاقليل من الاكراد . (*)

(*) استطرد المؤرخ هنا الى ما لم يستطرد الى مثله في سورية من ذكر البيوتات فبدأ بذكر الفاروقيين وقال انهم يسكنون الموصل وفاته أن منهم فرعاً في بغداد ايضاً . وثنى بذكر السادة العلويين وقال انهم يسكنون الموصل وبغداد والبصرة . وثالث بذكر السويديين من سلالة الخلفاء العباسيين قال وكلهم في بغداد . ثم ذكر الجيلانية والالوسية في بغداد . وفاته أن هذين البيتين من بيوت السادة العلوية ايضاً ، =

٧ - ثم انتقل المصنف الى خلاصة تاريخ مصر فبدأه بقوله :
 [« كان المشهور الذي عليه الجمهور ان سكان مصر القدماء هم أبناء مصر ايم
 ابن حام بن نوح - هاجر اليها من آسية . ولكن بعض المتضامين من اللغة
 الهيروغليفية اكتشفوا حديثا أن هذه اللغة واللغة العربية السامية هما من أصل واحد
 كما مر . فاذا ثبت هذا كان سكان مصر الاولون أجداد القبط الحاليين هم من
 أصل عربي قديم » وكان هذا هو الفتح العربي الاول لمصر » اهـ .
 ثم تكلم على دولة الرعاة الذين سماهم اليونان (هكسوس) أي الملوك الرعاة
 وهي كلمة محرفة عن كلتي (حق شاسو) ^(١) في لغة قدماء المصريين ومعناها « ملك
 البوادي » وسماهم مؤرخو العرب العمالة كما تقدم آنفا ، وذكر خلاف المؤرخين فيهم
 وقول ياقوت « إن العمالة امتدوا من بلاد العرب الى سورية فكانوا ملوكا في سورية
 وفراعنة في مصر » ثم قال

[وخلاصة القول انهم قوم رحالة أو عرب أتوا من المشرق » فاذا ثبت ذلك
 كان هذا هو الفتح العربي الثاني لمصر ، والظاهر انهم كانوا من جنس عرب سورية
 لان في أيامهم عم السلام بين مصر وسورية ، ونزح كثير من السوريين الى مصر] اهـ
 ٨ - ثم ختم المصنف خاتمة الكتاب بالكلام على مهاجري قومه السوريين

== وكان ينبغي أن يبدأ بذكر السادة العلوية ويقولون انهم يوجدون في جميع الولايات
 العراقية كما يوجدون في جميع الولايات السورية وغيرها وان اشهر بيوتهم في العراق
 بيت النقيب وبيت الالوسي في بغداد وبيت النقيب في البصرة . وقد ذكر من آل
 الالوسي السيد محمود شكري وقال انه مروج مذهب السلف (الوهاية) في العراق
 وذكر الوهاية هنا غلط مبني على أغلاطه أخرى عند ذكر هؤلاء في الكلام على
 نجد فانه جعل الحنابلة غير الوهاية ونسب الى الوهاية ما لا يقوله أحد ممن يطلق
 عليهم هذا اللقب . ولا عجب فقد اغتر كثير من الناس بما كتبه دحلان وغيره عن
 هؤلاء الناس ، وما ذاك الا من فتن السياسة أعادنا الله من إفكها وتضليلها .

(١) يحتمل أن يكون كلمة شاسوا من مادة شاس بشوس فهو اشوس وهم
 أشاوس . والاشوس يطلق على المتكبر وأصله من يهضر عينيه وينظر بمؤخرها أو
 من ينظر الى الشيء نظرا احتقار - وعلى الشجاع والطويل القامة ، وكذلك كانت
 العمالة ورعا كانت كلمة حق بمعنى ملك بكسر الميم كما يستعملها أهل الحجاز الآن

« مصر فأشار إلى اليهود والمسلمين منهم إشارة وجيزة في صفحة واحدة لقلة عددهم وتوسيع في ذكر النصارى — قل — (وعم من نهني بالعنصر السوري عند التخصيص) أي عند الإطلاق، فذكر قدماءهم وتأخيرهم وقدر عددهم بسبعين ألف نسمة وورثتهم بخمسة وعشرين مليوناً، وذكر أنديتهم وجمعياتهم الخيرية وصحفهم الحية والميتة. ورؤساءهم الروحانيين وبيوت الثروة فيهم ومحال التجارة الواسعة لهم ومكتباتهم ورجال الجيش والقضاء والكتاب وكبار الموظفين منهم وأصحاب الفنون

مستقبل سورية بعد الحرب

وقفى على ذلك بالكلام على مستقبل سورية بعد الحرب فقال ان السوريين على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم السياسية يثفق كلهم أوجاهم على أربعة أمور (١) السخط على الاتحاديين سرا وجهراً لدخولهم في الحرب الحاضرة (٢) الميل الصادق الى الحلفاء في هذه الحرب (٣) إنشاء حكومة جديدة على مبادئ اللامركزية الشورية تضمن لهم الامن والراحة والنجاح في بلادهم مع المحافظة على لغتهم وتقاليدهم وعاداتهم ووحدتهم القومية (٤) شعورهم بالحاجة الى دولة من دول الحلفاء العظام يستعينون بها على تنظيم حكومتهم الجديدة. ولكنهم يختلفون في كيفية إنشاء الحكومة وتنظيمها، ثم في نوع المساعدة التي يتطلبونها ومقدارها

قال « نعم ان هناك فئة لا يهمهم الاحتفاظ بقوميتهم ما دامت البلاد ممتعة بأسباب الامن والراحة والرفق. ولكن هؤلاء هم فئة قليلة جداً، والسواد الأعظم من أهالي سورية من مسلمين ونصارى ويهود متمسكون بقوميتهم ولغتهم وعاداتهم كل النسك. وأهل الخبرة منهم يقولون انه لا يكون للسوريين كلمة نافذة ولا مكانة سياسية ولا شأن ولا مقام ولا راحة ولا سلام في بلادهم أو خارج بلادهم الا اذا احتفظوا بقوميتهم، وتحدوا في الرأي على اختلاف المذاهب والاديان

« واهم الاسباب التي تدعو الى اتحادهم ثلاثة — ١ — أن يتخذوا أساس المعاملة المصلحة العامة الوطنية ليس الا — ٢ — ان يتذكروا انهم كلهم من أصل واحد عربي أو سامي، وانهم كانوا عرباً أو ساميين، قبل ان كانوا يهوداً ونصارى ومسلمين، — ٣ — أن يحافظوا على لغتهم العربية لانها لغة راقية، ولانه لا شيء

يقرب العاصر المتنافرة ، مثل الاجماع على لغة واحدة »
وتكلم بعد ذلك في مسألة نهجس السوري بالجنسية المصرية فيبين المرغبات
فيها وأضدادها ، وأنها ان هواء مصر شديد الوطأة على المهاجرين الى مصر من البلاد
المعتدلة كسورية فهو لا يزال يضعفهم الى ان ينقرضوا ، والنصارى منهم وان كثروا
ييقون عنصرا ضعيفا منفردا بسبب الفارق بينهم وبين العنصر الأكبر — وهم
المسلمون — في الدين وعدم الاختلاط بالزواج .

ثم نصبح للسوريين بعشر نصائح ، قال انها منتهى ما يبلغ اليه اختباره بعد ان
جاوز الحنين ، وقضى في مصر منها أكثر من ثلاثين ، وهي

- (١) ان لا ينتسبوا الى الاصول السائدة في مهاجرهم مستحيين بأصاهم السوري
وهم احفاد الحثيين والفينيقيين السابقين الى الاختراع والاكتشاف « وأنصار ابراهيم
وموسى وعيسى ومحمد الذين كانوا أول من نادى بوحداية الله وهذب الاخلاق
وشاد الاديان التي تسود العالم الآن » ١ — قوله « ليكن ارتباطكم بوطنكم لاصلي
حيا ما يمكن لتبديل الهواء أو تجديد الدم بالزواج » وأدرج في هذه الحث على الزواج
الباكر والرياضة البدنية — ٢ — قوله « اتم في مصر عنصرا ضعيفا فاستعينوا على ضعفكم
بقوات ثلاث : العلم الشريف والمال الحلال والخلق الحسن ، واحذروا آفات ثلاثا :
المسكر والمنكر والقمار » — ٣ — احث على الحرف الراقية من علمية وادبية وزراعية وصناعية
وخاصة التجارة مع النهي عن الربا — ٤ — الترغيب عن خدمة الحكومة وقال في الموظفين
منهم : ربما كان مجموع ثروتهم في القطر المصري كله لا يساوي ثروة تاجر أو مزارع
واحد من تجارهم أو مزارعيهم الكبار » — ٥ — تكريم نوابغهم وإجلال أفاضلهم وتقويم
المعوج منهم تحقيقا للتضامن الذي يجعلهم كأنهم أسرة واحدة — ٦ — التعاون على المنافع
والمصالح العامة كانشاء المعابد والمدارس والمستشفيات ، وعدم تكريم الغني الذي يقصر
في ذلك — ٧ — قوله « لاتدعوا الاختلافات المذهبية التي أورثكم الشقاق والشقاء في
بلادكم ترافقكم الى دار هجرتكم فتكدر صفاءكم وتحرمكم لذة التمتع بالامة الجنسية »
وذكر من وسيلة ذلك كثرة الاندية وارتباط بعضها ببعض — ٨ — طاعة السلطان
وقانون البلاد والعمل لنفع الامة المصرية والحرص على كرامتها . وحتم الكلام أو

الكتاب بايات في الجمع بين حب مصر والشام وجعل قلبه شطرين بينهما وفيهما
تعاقدتهما عناق الاخاء الى المنتهى

﴿ جريدة القبلة ﴾

« جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع ، لخدمة الاسلام

والعرب » مديرها المسؤول محب الدين الخطيب

أنشئت هذه الجريدة بمكة المكرمة في شهر شوال سنة ١٣٣٤ هـ ، ومحب الدين الخطيب
المدير لشؤونها هو صديقتنا المشهور في عالم الصحافة باشتغاله عدة سنين بالتحرير والترجمة
في جريدة المؤيد بمصر ، ومن المحررين لها صديقتنا فؤاد الخطيب الشاعر الاديب المشهور ،
الذي كان استاذ الامة والآداب العربية في مدرسة غردون الكلية في السودان

واننا نرى ان أنفع ما ينشره محب الدين فيها بعد منشورات سيدنا الشريف
الحكمة هو ما يترجمه عن الكتب والصحف التركية مما يبثه في الشعب التركي كتابه
من الثابتة الجديدة المتفرجة (حزب تركية الفتاة) الذين تعتمد عليهم جمعية الاتحاد
والترقي في تحويل الترك عن الاسلام بالتشكيك في عقائده وشريعته ، والنشوية
لآدابه وفضائله ، والمحو لصبغته من القلوب واستبدال صبغة جنسية تورانية بها ،
وستقتبس بعض ما نشرته من ذلك

قيمة الاشتراك في هذه الجريدة المفيدة ريال مجيدي ونصف في الحجاز وعشرة
فرنكات في سائر الاقطار ، وهي قيمة قليلة لعلمها لانها تنفي بنفقات الجريدة ، الا اذا
كثر المشتركون فيها فصار ألوفا كثيرة ، لان الورق والخبر قد تضاعفت أثمانهما في
هذه السنين كما تضاعفت أثمان أكثر ما تصدره أوروبا من مصنوعات ، بعد ان شغلتها
الحرب بأوزارها عن كل ما عداها

ونحن نحث الشعب العربي والعارفين باللغة العربية من كل من يصلي الى القبلة من
سائر الشعوب على الاشتراك في هذه الجريدة وشد أزرها ، ونحث أرباب الاقلام منهم
على مواصلة ما يجوده قرائحهم من المقالات والابحار والآراء المفيدة للجامعة العربية
أو للامة الاسلامية ، ونحمد الله تعالى أنه لا تنافي بين المصلحتين لاسلامية والعربية
كما بينا ذلك في مقال في كنه المسألة العربية ضاقت عنه أجزاء المنار الماضية وهذا

الجزء أيضا ، وسينشر عند أول فرصة ان شاء الله تعالى ، وأما العصبية التركية الطورانية التي قام بها الاتحاديون ووقفوا مال الدولة ونفوذها على تأييدها فهي تنافي الاسلام وتعارضه وذلك بديهي في نفسه وسنعيد ما نشرناه في تأييده بما يزيد إيضاحا وظهورا وقد كان الواجب على المنار ان يبادر الى تقرير هذه الجريدة في أول جزء صدر منه عقب ظهورها خلافا لماداته في إرجاء تقرير المطبوعات ، ولكن لكل أجل كتاب ، وإنما صرحنا بهذا ليعلم قراء المنار في الاقطار أن تأخيرنا لتقريرها لم يكن لقلة العناية بشأنها ، اذ نبهنا الى ذلك ما كتبه لنا بعضهم في السؤال عنها حتى من بعض مهاجري السوريين في أمريكا (مجلة الاحكام الشرعية)

مجلة قضائية شرعية مشهورة ومنشؤها حسن بك حمادة المحامي الشرعي مشهور أيضا فلا حاجة الى التعريف بهما ، وقد كانت المجلة حجبت عن قرائها في أثناء سنتها التاسعة بسبب تعيين منشئها مدة شاذلة في الاوقاف في الآستانة ثم انه أعاد إصدارها في العام الماضي فأتى بمجلد السنة العاشرة واستمر على إصدارها وقد صدر العدد الاول من مجلد السنة الحادية عشرة في منتصف المحرم مشتملا على مقدمة مختصرة وتسع قرارات شرعية وحكمين وثلاث قرارات للمجلس الحسبي العالي وسبع منشورات من وزارة الحقانية وقد صارت المجلة وافية بحاجة المحامين الشرعيين وأصحاب القضايا والمباحث القضائية الشرعية بما تستوعبه من نشر الاحكام الشرعية ومنشورات الحقانية للمحاكم الشرعية وقرارات المجالس الحسبية ولذلك كثرت الاقبال عليها من جميع جهات القطر فنهى صديقنا منشئها ونتمنى له دوام التوفيق والارتقاء (الثمرات)

جريدة أسبوعية أدبية اتقادية لمنشئها حسن أفندي السندوبي المشهور في عالم الادب بمقالاته في المؤيد وبكتابه (أعيان البيان) أصدرها في العام المنصرم ولم يمض في سيره لاسباب ذكرها ، وقد أعاد إصدارها في هذا العام فترجوها الرواج . وقيمة اشتراكها ١٠٠ قرش في القطر المصري

﴿ رحلة الحجاز ﴾

ضاق هذا الجزء عن لشرشي من رحلتنا الحجازية وموعدنا الاجزاء الآتية

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
آتاه خير اكثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه
اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « منارا » كمنار الطريق

مصر ٢٩ صفر ١٣٣٥ — ٤ الجدي (ش ١) ١٢٩٥ هـ ش ٢٥ ديسمبر ١٩١٦

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحنا هذا الباب لأجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه وتبته وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر عما شاء من الألقاب إن شاء. وانا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كتابجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا نقفاله

﴿هل البسملة آية من كل سورة أم لا﴾
(س ١٠) من صاحب الامضاء في العلاقة (شرقية)

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية الله مباركة طيبة وسلامه عليكم. وبعد فلما دلتني فضلكم وهداني الاطلاع على ما خط يراعكم الى ساحة يحكم الذي يفترق منه القاصي والداني سجال العاوم والمعارف قروى به الظلمى ويستترشد به المسترشدون - تلك بحلة المار الفراء التي تنفجر ينابيع الحكمة من بين سطورها - بثت اليكم رسالتي هذه أمتفتيكم في مسألة متعلقة بالبسملة طال بين الائمة النزاع والمجادلة فيها، وتلك المسألة هي هل «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا؟ اختلفوا فيها فذهب كل فريق الى شق من شقي ذلك الاستفهام ونصب على ما يدعيه الدلائل، غير أنه بالاطلاع على شواهد كل يعلم أنها لا تفتج مدعاء، فلقد تركوا الامر مريجا وظل كل يعمل على ترجيح مذهبه كائنا ما كان، غير مبال بسرد الاحاديث المتعارضة، ونقل الآثار المتناقضة، صحيحة كانت أم ضعيفة. قالوا انجمد الاجماع على أن البسملة آية من القرآن، ويروى ضمن أدلة فريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما «من ترك لبسملة فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله عز وجل» مع تصريحهم بأنه لا خلاف في أن البسملة ليست آية من (برائة) حتى لقد نقلوا الاجماع على ذلك، فبين ماروي عن ابن عباس وبين ذلك التصريح التناقض الظاهر، إذ مقتضى قوله

مائة وأربع عشرة آية أنها آية حتى من (براءة) وفي الأدلة من ذلك التناقض كثير لهذا لم يهتد طالب الحق اليه فبمشت اليكم عسى أن توافوني ببيان شاف وقول فصل تطمئن اليه النفس ، كما هو الماهود فيكم مثل هذا الموقف ، أمدكم الله بسديد الرأي ، وأعانكم على ما يرفع الاسلام وينفع المسلمين ويعزز الحق ، إنه هو العزيز الحكيم ؟

احمد عطية قوره

(ج) في المسألة أدلة قطعية وأدلة ظنية ، والقاعدة في تعارض القطعي مع الظني أن يرجح القطعي إذا تعذر الجمع بينه وبين الظني ، ولولا التعصب للمذاهب من قوم وللأسانيد من آخرين لأجمع المحدثون والفقهاء والمتكلمون على أن البسملة آية من كل سورة غير براءة (التوبة) كما أجمع الصحابة على كتابتها في المصاحف وكما أجمع القراء السبعة المتواترة قراءاتهم على قراءتها وأقراءها عند البدء في كل سورة غير براءة — فهذا دليلان قطعيان أحدهما خطي متواتر والآخر قولي متواتر يؤيدهما كثير من أحاديث الاثبات الصحيحة ، فوجب الرجوع ما ورد من أدلة النفي الظنية الى الاثبات والا فلا يعتد بها ، وان صحح سندها . ومنها ترك بعض القراء السبعة لتلاوتها في السورة التي توصل بها قبلها . أما دعوى أنها كتبت في المصاحف للفصل بين السور فلو كانت صحيحة لكتبوها بين سورتي الانفال وبراءة (التوبة) أيضا . ومن المعلوم بالقطع ان الصحابة ومن اهتدى بهديهم لم يكتبوا في المصاحف شيئا غير كلام الله تعالى . وأما حديث ابن عباس كان رسول الله (ص) لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم رواه أبو داود والحاكم وصححه على شرط الصحيحين والبخار بسندين رجال أحدهما رجال الصحيح — فهو حجة على ان البسملة كانت تنزل مع كل سورة ، لأنها آية كتبت للفصل بين السور بالاجتهاد ، وقد توفي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر بكتابتها في أول سورة براءة ، وعالوا ذلك بنزولها بنقض عهد المشركين وبالسيف .

وأما أحاديث الاثبات (فنها) حديث «نزلت علي آتفا سورة — فقرأ — بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك السكوت» أخرجه الشيخ رواه مسلم والنسائي عن أنس . (ومنها) : سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله (ص) فقال كانت مدًا . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم — بمد بسم الله ومد بالرحمن ومد بالرحيم . رواه البخاري . وفي معناه حديث أم سلمة عند أحمد وأبي داود والدارقطني وقد قرأت الفاتحة كلها بالبسملة . (ومنها) عدة أحاديث لأبي هريرة — قال نعيم الجمر: صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن — الحديث وفيه — ويقول إذا سلم : والذي نفسي بيده اني لأشبهكم صلاة برسول الله (ص) رواه النسائي وصححه ابن خزيمة

وابن حبان والحاكم وقال على شرط البخاري ومسلم، وقال البيهقي صحيح الاسناد وله شواهد (ومنها) قوله عن النبي (ص) كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح بسم الله الرحمن الرحيم رواه الدارقطني وقال رجال اسنده كلهم ثقات، ولكن اختلف غيره في عبد الله بن عبد الله الا يصح من رجاله. ومن الاثار في المسألة أن عليا كرم الله وجهه سئل عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين. أي سورة الحمد لله سأل. فقيل له: انما هي ست، فقال بسم الله الرحمن الرحيم. رواه الدارقطني وقال رجال اسنده كلهم ثقات. ومنها انكار الصحابة على معاوية ترك الجهر بها رواه الشافعي عن انس والحاكم في المستدرک وقال على شرط مسلم قال: صلى معاوية بالناس بالمدينة صلاة جهر فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر في الخفض والرفع فلما فرغ ناداه المهاجرون والانصار: يا معاوية تقضت الصلاة، أين بسم الله الرحمن الرحيم وابن التكبير اذا خفضت ورفعت؟ فكان اذا صلى بهم بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكبر. ولعل المراد الجهر بذلك والالغاء الصلاة اذا لم يذكر مثله يجعل كون البسمة منها. ويحتمل ان يكون أعادها وان لم يذكر في هذه الرواية.

واما احاديث النفي فاقوا ما حديث أنس: صليت مع النبي (ص) وابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والشيخان واصحاب السنن وله ألفاظ اخرى، ومنها: فكانوا لا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والنسائي باسناد على شرط الصحيح وابن حبان والدارقطني. وفي رواية اخرى نفي السماع لا القراءة. وفي لفظ لابن خزيمة: كانوا يسرون الخ وقد اعل المثبتون حديث انس هذا بالاضطراب في متنه، وبناروي من اثبات الجهر بها عنه وعن غيره. وقال بعضهم انه كان نسي هذه المسألة فلم يحزم بها. قال ابوسلمة سالت انس اكان رسول الله (ص) يستفتح بالحمد لله رب العالمين او ببسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال انك سالتني عن شيء ما احفظه وما سالتني عنه احد قبلك. الحديث رواه الدارقطني وقال هذا اسناد صحيح ومن أدلة النفي ما صح في الحديث القدسي من قسمة الصلاة بين العبد والرب نصفين وفسرها (ص) بقوله «فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله عز وجل حمدني عبدي» الخ الحديث رواه مسلم واصحاب السنن الاربعة. والاستدلال بترك ذكر البسمة فيه على عدم كونها من الفاتحة ضعيف ولو صح لاصح أن يستدل به على كون سائر الاذكار والاعمال ليست من الصلاة

والقول الجامع ان النبي (ص) كان يجهر بالبسمة تارة ويسرها تارة. وقال ابن القيم ان الاسرار كان اكثر. وذهب القرطبي في الجمع بين الأحاديث الى ان سبب الاسرار بها قول المشركين الذين كانوا يسمعون القرآن منه: محمد يذكر له الهيمامة. يعنون مسيلمة الكذاب لانه سمي الرحمن أو أطلقوا عليه لفظ الرحمن بالتكبير كقول مادحة: وأنت غيث الوري لازالت رحمانا وكانوا يشاغبون النبي (ص) بانكار تسمية الله عز وجل بالرحمن كما

علم من سورة الفرقان وغيرهما ، فأمر (ص) بأن يحافظ بالبسملة . قال الحكم الترمذي فبقي الى يومنا هذا على ذكر الرسم وان زالت العلة . روى ذلك الطبراني في الكبير والأوسط ، وذكره النيسابوري في التيسير من رواية ابن جبير عن ابن عباس ، وقال في مجمع الزوائد ان رجاله موثقون

وصفوة القول ان أحاديث الاثبات أقوى دلالة من أحاديث النفي . وأولى بالتقديم عند التعارض واذا فرضنا أنها تعادلت وتساقطت أو رشح المنفي على اثبت خلافا للقاعدة جاء بعد ذلك إثباتها في المصحف الامام في أول الفاتحة وأول كل سورة ماعدا براءة (التوبة) وهو قطعي ينهزم امامه كل ما خالفه من الظنيات وقد أجمع الصحابة على ان كل ما في المصحف فهو كلام الله تعالى اثبت كما نزل سواء قرئت الفاتحة في الصلاة بالبسملة جهرا أو سرا أم لم تقرأ ، ولا عبرة بخلاف أحد بعد ذلك ولا برواية أحد يزعم مخالفة أحد منهم لذلك . ولا حاجة مع هذا الى تتبع جميع ما ورد من الروايات الضعيفة والاثار والآراء الخلافية ، ومن ذلك ان ابن عباس المذكور في السؤال . ولولا التطويل الممل بغير طائل لأوردنا كل ما ورد في المسألة رواية ودراية .

﴿ تصحيح وتنقيح في مجلد هذا العام ﴾

| صفحة سطر خطأ | صواب | صفحة سطر خطأ | صواب |
|------------------------|-----------------------|------------------|------------------------------|
| ٢٠١ ٣ وكيلا | وليا | ٢٣٦ ٢٥ في طريقة | في اطراده وطريقة |
| » » تأمرتي | تأمروني | ٣٣٧ ٤ تعقلون | يعقلون |
| ٢٠٢ ٢ ففتقنها | ففتقناها | ٣٣٨ ١٨ (وهو) | (وهي) |
| » ١٨ الرسل | الرسول | ٣٤١ ٢٤ أحدا | أحد |
| ٢٠٥ ٥ كان ماضره | كان ضره | ٣٤٤ ٧ أن | أنه |
| ٢٠٧ ١٤ تدعو | تدعوا | » ١١ مأخذ | مأخذه |
| ٢٠٨ ١٢ على | عليه | ٢٤٦ ١٦ يقيمون | يقومون |
| » ١٣ بكل وصف | بكل ما وصف | ٢٤٧ ١٦ هو | ضمف |
| ٢٠٩ ٢١ يا آباانا | يا آباانا | ٢٤٨ ١٣ صوت الامة | صوت الحق الذي كان له السلطان |
| ٣٣٦ ٢٣ الموصوف للموصوف | الموصوف للموصوف للصفة | » ١٤ التي | |

| صفحة | سطر | خطأ | صواب |
|------|-----|-----------|-----------------|
| ٢٣٩ | ٧ | ثالثة | ثانية |
| ٢٥٢ | ٣٢ | ومطيعا | مطيعا |
| » | ٢٤ | الناطقة | الناطقة |
| ٢٥٣ | ٢٢ | الضعيفة | الضعيفة |
| » | ١٢ | يدعوا | يدعو |
| ٢٥٤ | ٢٢ | عملية | علمية |
| ٣٨٩ | ٧ | الى الكذب | الى رواية الكذب |
| ٣٩٢ | ٢ | ان كانت | اذلم تكن |
| » | » | آية | أول ما نزل |
| » | » | والا | |
| » | ٤ | فهي | أوهي |
| » | ٦ | قد | وقد |
| » | ٢٢ | لاذى | لاذى |
| ٣٩٩ | ١٣ | المؤمنون | المؤمنين |
| » | ١٤ | عن | بذلك عن |

ذكرى المولد النبوي

كتبنا رسالة في ذكرى المولد النبوي الشريف ينال فيها كيفية نشأة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ومعنى اصطفاء الله تعالى له ولاهله بيته ولقومه ولأمتة، وحكمة ظهوره في العرب الاميين دون شعوب المدينة في عهده، وخبر البعثة والدعوة الاسلامية. وسنجد لها مقدمة نبين فيها ما ينبغي بيانه لطبعها معها على حدة — وهذا نص الذكرى —:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمّدك اللهم حمد الشّاكرين ، أن بعثت فينا محمداً خاتم
النّبيين والمرسلين ، وأرسلته رحمةً عامّةً للعالمين ، وأختصصت بميثاقك
به الأُميين وسائر المؤمنين ، واستجبت به دعوة إبراهيم ، وحققته
به بشاره عيسى والنبيين (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
وإسماعيل : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا وَاَجْعَلْنَا
مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَارِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا
إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو
عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *) -- وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ
اللّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي
مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ
أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ
إِصْرِي؟ قَالُوا أَقْرَفْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * لَقَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

(المنار : ج ٧) (٥٢) (المجلد التاسع عشر)

مُبِينٌ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ أَقَامُوا الدِّينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فِي هَدَاهُمْ وَهَدَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْأَحْتِمَالَ بِذِكْرَى الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ، عَادَةً أُحْدِثَهَا فِي الْقَرْنِ السَّابِعِ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ أَبُو سَعِيدٍ صَاحِبُ إِرْبِلٍ، مِنْ الْبِلَادِ التَّابِعَةِ الْآنَ لِيُولَايَةِ الْمَوْصِلِ، ثُمَّ انْتَشَرَتْ هَذِهِ الْعَادَةُ فِي الْأَقْطَارِ، وَقَدْ بَدَأَتْ بِمِصْرَ بِهَا جَمِيعَ الْأَمْصَارِ، وَالْفَائِدَةُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَوَخَّى ^(١) فِي هَذَا الْيَوْمِ الَّذِي فَضَّلَ الْأَيَّامَ، هِيَ التَّذْكِيرُ بِمُخْلِصَةِ تَارِيخِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، لِيَتَذَكَّرَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بَرَكَاتُهُ، وَتَتَغَذَّى أَرْوَاحُهُمْ بِزِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَكَمَالِ مَحَبَّتِهِ، وَيَخْرِصُوا عَلَى إِقَامَةِ دِينِهِ وَإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ. وَهَذَا نَحْنُ أَوْلَاءُ نُشْفِئُ الْأَسْمَاعَ بِفَرَائِدَ مِنْ نَسَبِهِ وَحَسَبِهِ ^(٢)، وَمَزَايَا قَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَأَخْبَارَ مَوْلِدِهِ وَتَرْبِيَّتِهِ، وَكَيْفِيَّةِ مَعِيشَتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَزَوَاجِهِ وَسِيرَتِهِ مَعَ أَهْلِهِ، تَهْيِيدًا لِبَيَانِ الْمَقْصِدِ الْأَكْبَرِ الْأَعْظَمِ، وَهُوَ نَبَأُ بَعْثِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُسْتَمِدِّينَ ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ وَالسُّنَّةِ الثَّابِتَةِ

(١) تتوخى بمعنى وتخص بالطلب والمقصود (٢) الحسب ما بعد من مفاخر الآباء

عند المحققين ، وما تمس الحاجة إليه مما أثبتته ثقات المؤرخين ،
مَرْضِيَّينَ عن الروايات الموضوعات ، والواحيات والمنكرات ،
التي عني الكثيرون بنقلها لما فيها من الخوارق والغرائب ، مبالغة فيما
أجازاه العلماء من قبول الأخبار الضعيفة في المناقب ، ولما يرجى من
حسن تأثيرها في قلوب العوام ، مع الغفلة عما يخشى من ضد ذلك في
نابذة هذه الأيام ؛ على أن لنا فيما لا يحصى من الفضائل والمناقب
المشهوره والمتواترة ، ما يغني عن جميع الروايات الضعيفة والمنكورة ،
وبذلك يعرف قدر الإصلاح العظيم ، الذي أرسل الله به هذا
النبي الكريم ؛ عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم

قوله ونسبه صلى الله عليه وسلم

(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى
الْعَالَمِينَ) إِذْ جَعَلَ فِيهِمُ النَّبُوَّةَ وَالْهُدَايَةَ لِلْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّخِرِينَ ؛
ثُمَّ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ آلِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ
كِنَانَةَ ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَى سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ مِنْ
بَنِي هَاشِمٍ ؛ فَكَانَ آلُ إِسْمَاعِيلَ أَفْضَلَ الْإَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، كَمَا كَانَ
بَنُو إِسْحَاقَ أَفْضَلَ الْمُتَوَسِّطِينَ ، إِذْ كَانَتْ هُدَايَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَنِي
إِسْحَاقَ وَغَيْرِهِمْ خَاصَّةً ، وَهُدَايَةُ هَذَا النَّبِيِّ مِنْ آلِ إِسْمَاعِيلَ عَامَّةً ،
فَبِهِ أَكَمَلَ اللَّهُ تَعَالَى الدِّينَ ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ ، كَمَا اقْتَضَتْ سُنَّتُهُ
تَعَالَى فِي النَّشْوءِ وَالْإِرْتِقَاءِ ، الَّتِي كَانَتْ فِي الْبَشَرِ أَظْهَرَ مِنْهَا فِي
سَائِرِ الْأَحْيَاءِ .

كَيْفَ كَانَ اصْطِفَاءُ اللَّهِ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأَصُولِ مِنَ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ ،
الَّذِي ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ السُّنَنِ السَّيِّئَةِ ؟ وَبِمَاذَا أُمْتَازَ
قَوْمُ خَاتَمِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ ، فَفَضَّلُوا بِهِ غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَقْوَامِ ، حَتَّى اسْتَعْدُّوا
بِهِ لِهَذَا الْإِصْلَاحِ الرُّوحِيِّ الْمَدَنِيِّ الْعَامِّ ، الَّذِي اشْتَمَلَ عَلَيْهِ دِينُ
الْإِسْلَامِ ، عَلَى مَا طَرَأَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأُمِّيَّةِ وَعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، وَمَا أَحْدَثَتْ
فِيهِمْ غَلَبَةُ الْبَدَاوَةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالْإِنْقِسَامِ ؟

الجواب :-

كَانَتِ الْعَرَبُ مُمْتَازَةً بِاسْتِقْلَالِ الْفِكْرِ وَسَعَةِ الْحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ ،
أَيَّامَ كَانَتِ الْأُمُّ تُرْسُفُ^(١) فِي عُبُودِيَّةِ الرِّيَاسَتَيْنِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ ،
مَحْظُورًا عَلَيْهَا أَنْ تَفْهَمَ غَيْرَ مَا يُلْقِنُهَا السَّكَنَةُ وَرِجَالُ الدِّينِ مِنَ الْأَحْكَامِ
الدِّينِيَّةِ ، وَأَنْ تُخَالِفَهُمْ فِي مَسْأَلَةٍ عَقْلِيَّةٍ أَوْ كَوْنِيَّةٍ أَوْ أُدْبِيَّةٍ ، كَمَا حُظِرَتْ
عَلَيْهَا حُرِّيَّةُ التَّصَرُّفَاتِ الْمَدَنِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ

كَانَتِ الْعَرَبُ مُمْتَازَةً بِاسْتِقْلَالِ الْإِرَادَةِ فِي جَمِيعِ الْأَعْمَالِ ،
أَيَّامَ كَانَتِ الْأُمُّ مُذَلَّلَةً مُسَخَّرَةً لِلْمُلُوكِ وَالنُّبَلَاءِ الْمَالِكِينَ لِلرَّقَابِ
وَالْأَمْوَالِ ، يَسْتَعْمِدُونَهَا كَمَا يَسْتَعْمِدُونَ الْبَهَائِمَ ، وَيُصَرِّفُونَهَا كَمَا
يُصَرِّفُونَ السَّوَائِمَ^(٢) لَا رَأْيَ لَهَا مَعَهُمْ فِي سِلْمٍ وَلَا حَرْبٍ ، وَلَا إِرَادَةَ
لَهَا فِي عَمَلٍ وَلَا كَسْبٍ

كَانَتِ الْعَرَبُ مُمْتَازَةً بِعِزَّةِ النَّفْسِ ، وَشِدَّةِ الْبَاسِ ، وَقُوَّةِ
الْأَبْدَانِ ، وَجُرْأَةِ الْجَنَانِ ، أَيَّامَ كَانَتِ الْأُمُّ مُوَلَّغَةً مِنْ رُؤَسَاءِ

(١) ترسفت بمعنى مشية المقيد - يشبه تصريفها في استعباد الرؤساء لها بعشي الأسير

في قيوده (٢) السوائم المواشي الراعية

أفسدَهم الإسرافُ في التَّرفِ، ومرضَهم أضعفَهم البؤسُ والشَّظفُ^(١)
 وسادةً أبطَرهم بغيُّ الاستبدادِ، ومسودين أذهم قهرُ الاستعبادِ
 كانت العربُ أقربَ إلى فضيلةِ المساواةِ بين الأفرادِ، من غيرِ
 شرائعٍ تُحترَمُ بالأعتقادِ، ولا قوانينَ تكفلُها قوَّةُ الأجنادِ. أيَّامَ
 كانت الأمُّ تنقسمُ إلى طبقاتٍ، يرتفعُ بعضها على بعضٍ عدَّةَ دَرَجَاتٍ،
 لا بفضائلَ ذاتيةٍ، من علميةٍ أو عمليةٍ، بل بحكم وراثَةِ الخلفِ الطالحينِ^(٢)
 للسلفِ المستكبرينِ، باستبدادِ الملكِ أو تقاليدِ الدينِ

كانت العربُ ممتازةً بالذكاءِ واللوعيةِ، وكثيرٍ من الفضائلِ
 الموروثةِ والكسبيةِ. كقِرَى الضيوفِ، وإغاثةِ الملهوفِ، والنَّجدةِ
 والإباءِ،^(٣) وعلوِّ الهمةِ والسخاءِ، والرحمةِ والإيثارِ^(٤) وحمايةِ اللاجئِ
 وحرمةِ الجارِ. أيَّامَ كانت الأمُّ زُهَّمةً بالأثرةِ والآنانيةِ^(٥) والآثِنِ
 من ثَقَلِ الضرائبِ والآثاوى^(٦) الأميريةِ، وروساؤها منغمسينَ في
 الشهواتِ البهيميةِ، وفسادِ الآخلاقِ قد عمَّ الراعي والرعيةُ

(١) الشظف بفتح حين ضيق المعيشة

(٢) الخلف بسكون اللام الذين يخلقون غيرهم في الشر. والطالحون بالطاء
 الفاسدين فهو ضد الصالحين

(٣) النجدة مضاء عزم يبعث على المضي فيما يعجز عنه غيره. والاباء الترفع
 عن الخسائس

(٤) الايثار تقديمك غيرك على نفسك بما تحتاج اليه مما تملك

(٥) تقديم نفسك على غيرك ولو بما هو أولى به منك فهي ضد الايثار، والآنانية
 المبالغة في حب النفس الحامل على الأثرة، وهو نسبة الى كلمة «أنا»

(٦) الضرائب جمع ضريبة وهي ما يضرب على العبيد ونحوهم من المال يؤدونه
 أقساطاً، ومنها الجزية، وضريبة الارض الخراج. والآثاوى جمع إتاوة وهي
 الرشوة، وتطلق على الخراج ونحوه

كانت العربُ قد بلغت أوجَ الكمالِ ، في فصاحةِ اللسانِ
وبلاغةِ المقالِ ، وكادت تتحدُّ لغاتُ قبايلها أو لهجاتها العربية ، وتَسودُّ
الْمُضَرِّيَّةُ منها على الْحِمْيَرِيَّةِ ، بما كان لِقُرَيْشٍ وغيرها من الرِّحالاتِ
التِّجَارِيَّةِ ، والآسواقِ الأَدَبِيَّةِ ، فَاسْتَعَدَّتْ بِذَلِكَ لِلوَحْدَةِ القَوْمِيَّةِ ،
وللتأثيرِ والتأثيرِ بالبراهين العقلية ، والمعاني الخطائية والشعرية ، وللتعبيرِ
عن جميع العلوم الإلهية والشرعية ، والفنون العقلية والكونية .
أيامَ كانت الأمُ تنفِصُمُ عُرَى وَحدتها بالتعصبات الدينية والمذهبية ،
وتتفرَّقُ وشائجها^(١) بالمدآوات الجنسية ، وتتمزِّقُ ذولها بالحروبِ
الأجنبية والأهلية .

فتلك أمهاتُ مزايا الأمة العربية ، التي أعدها الله تعالى بها للبعثة
المحمدية ، والسيادة الدينية والمدنية ، بعد أن طال العهدُ على مدَّيْنَتِهِمُ
المادية ، واستعمارهم للبلادِ الكلدانيةِ البابلية ، والبلادِ الفينيقيةِ
(السورية) والمصرية ، التي تشهد لها سيادة لغتهم للغات السامية ،
وبقاياها في الأئمة الهيرُوغليفية^(٢) ، وبعد أن غلبت عليهم الأمية ،
وخرافات الوثنية ، وعصبية الجاهلية

وجلة مزاياهم أنهم كانوا أسلمَ الناسَ فطرةً ، على كونِ أمم الحضارةِ
كانت أرقى منهم في كلِّ فنٍّ وصناعة . والإصلاحُ الإسلامي مبنيٌّ على

(١) الوشيج والوشيجة اشتباه القِراءة وتداخل بعضها في بعض وأصله شجر
الرماح ونحوه مما يشتبك (٢) أقدم مدينة وحضارة عرفها التاريخ مدينة الكلدانيين
والبابليين في العراق والمصريين في مصر والفينيقيين في سورية وقد ثبت لدى
بعض علماء الماديات (الآثار القديمة) أن أهلها من بلاد العرب

تقديم إصلاح الانفس باستقلال العقل والارادة وتهذيب الأخلاق،
على إصلاح ما في الارض من معدن ونبات وحيوان، أي أن الله تعالى
كان يمد هذه الامة لهذا الإصلاح العظيم، الذي جاء به محمد عليه من
الله أفضل الصلاة والتسليم

اصطفاء كنانة وقريشي وبني هاشم

أما اصطفاء الله لـسكنانة الشيخ الجليل، من سلالة نبيه الذي يريح
إسماعيل، فيفسرُهُ ما كانت تحفظهُ العربُ من أخبارِ كرمه ونبله، ومنها
انه كان على سنة جدّه إبراهيم الخليل لا يأكلُ وحده. وقد نقل الحافظ
في شرح البخاري أنهم كانوا يحجّون اليه لعلمه وفضله. ومما يؤثّرُ عنه
من الحكم الجليّة، كما روي في السيرة الحلبية: رُبَّ صُورَةٍ
تُخَالَفُ الْمُخْبِرَةَ، قَدْ غَرَّتْ بِجَمَالِهَا، وَاخْتَبَرَ قُبْحُ فِعَالِهَا، فَأَحْذَرُ
الصُّورَ، وَأَطْلُبُ الْخَبَرَ. فهذا دليل على ما وُصفَ به من العلم والحكمة،
وأما حبُّ العرب اليه فهو دليل على أنه كان مثابة التعارف، وممقّد
رَابطةِ الأَجماع والتآلف.

*

وأما اصطفاء الله تعالى لقريش الميامين النضر، وهم ذرية فِهْر بن
مالك وقيل جدّه النضر. فقد كان بما آتاهم الله من المناقب العظام، ولا
سيّما بعد سكنى مكة وخدمة المسجد الحرام، إذ كانوا أصرح ولد إسماعيل
أنساباً، وأشرفهم أحساباً وأعلام آداباً، وأفصحهم ألسنة، وهم
المتهدّون لجمع الكلمة. — فقد نقل أهل السير، أن مالك بن النضر

كان ملك العرب، وأن كعب بن لؤي كان يجمع قومه ويَعْظُمُ يوم الجمعة، وكانوا يُسمونه يومَ العروبة، وأنهم كانوا يُجلُّونه في حياته، ثم انهم أرخوا بموته، وأن قصيًا هو الذي جمع شمل قبائل قريش بمكة، إذ كان هو الوارث لمن كانوا يتولَّونه من خزاعة^(١) وقد تملك عليهم فلكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه. وذلك أنه كان يراه دينًا في نفسه، لا ينبغي له تغييره ولا تغييره من بعده (قال ابن اسحق) وهو الذي أنشأ الندوة، وجعل بابها إلى الكعبة، وقد أجمعت قريش على طاعته وحبه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، ثم وُزِّعت المناصب بعده على الزعماء^(٢)

(١) قد كان ذلك بتزوجه لحبي بنت حليل الذي كان آخر من ولي منهم. قال ابن اسحق: فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه ملك حليل، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني بكر. وإن قريشا قرهه اسماعيل ابن ابراهيم وصرح ولده، ثم قال بعد بيان ما كان في ذلك من أمره. فولي قصي البيت وأمر مكة. الخ

(٢) كان لقريش من المناصب غير تلك الخمسة. الاشتاق والعمارة والسفارة والأعنة والقبعة، والأموال المحجرة للمعبودات كالاصنام، والايثار الذي منه الاستقسام بالأزلام، الذي يرجع به بين الاقدام والاحجام. وقد عابهم عليها الاسلام: (فالحجابة) هي السدانة أي خدمة المسجد الحرام. (والسقاية) توزيع الماء المحلى والقراح على جميع الحجاج. (والرفادة) إسعاف الفقراء والمساكين. ولا سيما الحجاج المنقطعين. (والندوة) الشورى لاجالة الرأي في الامور المظلمة. التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للائتمار بالنبي عليه الصلاة والسلام. (واللواء) راية قريش وكانت تسمى العقاب، (والاشتاق) تحمل الديار والمغارم. لمنع انتشار التعادي والتخاصم. (والعمارة) حفظ بناء المسجد الحرام قيل وحفظه من اللغط وهجر الكلام (والسفارة) المراسلة بين فريقين في شأن من الشؤون العامة، كالقتال أو المفاخرة. (والاعنة) قيادة الفرسان في أيام الطمان أو الرهان، (والقبعة) الخيمة الرسمية التي تنصب وقت الحرب. ويجمع فيها ما يجهز به الجيش

وأفضلُ من ذلك كله ما وُفِّقوا له في حادثة الرسول. من التحالفِ الذي عُرِفَ بِحِلْفِ الفضول، إذ تعاهدوا وتعاهدوا أن لا يجذوا بمكةَ مظلوماً إلا قاموا معه، وكانوا عوناً له على من ظلمه، إلى إن تُردَّ مناسكته. وفي حديث الزبير بن العوام عند الطبراني، ومثله حديث أم هانئ في معجمه الأوسط كتاريخ البخاري، «فضل الله قريشاً بسبع خصال: فضلتهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد الله إلا قرشي»^(١) وفضلهم بأنه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون. وفضلهم بأنه نزل فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين. — وهي لا يلاف قريش — وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة، والحجبة والسقاية»

كان ذلك كله من ارتقاء قريش واستمداد العرب للإسلام، ولكن هذه القوى المعنوية كلها وُجِّهت لمعاداته عليه أفضل الصلاة والسلام

وأما اصطفاء الله تعالى لبني هاشم، فقد كان بما أمتازوا به من الفضائل والسكري، فقد روى أبو نعيم من حديث المستورد القهري رضي الله عنه «إن فيهم خصالاً أربعاً: إنهم أصلح الناس عند قننة، وأسرعهم إقامة بعد مصيبة. وأوشكهم كربة بعد قرّة، وخيرهم لمسكين ويتيم، وأمنعهم من ظلم الملوكة». وكان جدُّهم هاشم صاحب إيلاف

(١) أي لا يعبده ويوحده أحد إلا أناس منهم إذ كانوا على ملة إبراهيم وكانت الوثنية قد شملت العرب كلهم كما شملت غيرهم
(المنار: ج ٢ م ١٩) (٥٣) (المجلد التاسع عشر)

قريش ، الذي أخذ لهم العهد من قيصر الروم على حمايتهم في رحلة الصيف ، ورؤي أنه هو الذي سنّ الرّحلتين ، وأخذ اليهود بها من الحكومتين ، حكومة اليمن العربية ، وحكومة الشام الرومية ، فأنست بهما معيشة قريش ، وأمنوا في تجارتهم من كل خوف ، وقد امتن الله عليهم بذلك في القرآن ، بما عدت به التجارة من أشرف أعمال الإنسان ، وإنما أطلق لقب هاشم على عمرو بن عبد مناف ، لأنه أول من هشم الثريد للمستنين العجاف^(١) ، وكان يشبع منه كل عام أهل الموسم كافة ، كما أشبع منه قومه في سنة القحط والمجاعة ، على أن مائدته كانت منصوبة لا ترتفع في السراء ولا في الضراء ، وزاد عليه ولده عبد المطلب فكان يطعم الوحش وطير السماء ، وكان أول من تحنت بنار حراء ، ورؤي أنه حرّم الحمر على نفسه ، وجعل ماء زمزم للشرب محرّم أن يغتسل به ،

فجعله ما امتاز به آله صلى الله عليه وسلم على سائر قومه الأخلق العلية ، والفواضل والفضائل النفسية ، وكانوا أبعد من سائر قريش عن الكبر والأثرة والأمور الحرية ، ولذلك غلبوا على الرئاسة حتى بعد الإسلام ، وحكمة ذلك ظاهرة لا ولي إلا حلام ، فهو أثقى للشبه عن رسالته عليه أفضل الصلاة والسلام

(١) المستنون اسم فاعل من أسنت القوم أصابهم السنة والقحط والعجاف جمع أعجف وأعجفاء وهم الذين ضعفوا وهزلت أبدانهم ، العبارة مؤخوذة من قول ابن الزبير في مدح هاشم :
عمرو العلاء هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

سر نسب صلى الله عليه وسلم

بَعْدَ هَذَا التَّذْكِيرِ بِمَنَاقِبِ قَوْمِهِ ، وَالتَّفْسِيرِ لِأَصْطِطْفَاءِ اللَّهِ
تَعَالَى لِقَبِيلِهِ وَآلِ يَتِيهِ ، نَشْنَفُ الْأَسْمَاعَ بِنَسَبِهِ الْخَفُوضِ بِالتَّفْصِيلِ ،
الْمُتَوَاتِرِ اتِّصَالُهُ بِنَبِيِّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلَ ، فنقول : هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، ابْنُ هَاشِمٍ وَأَسْمُهُ الَّذِي
سَمَّاهُ بِهِ أَبُوهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَأَسْمُهُ الْمُغِيرَةُ ، ابْنُ قُصَيٍّ وَلَقَبَ
بِجَمْعٍ إِذْ جَمَعَ قُرَيْشًا فِي تِلْكَ الْأُخْطِيرَةِ ابْنُ حَكِيمٍ الَّذِي لَقَّبَ بِكِلَابٍ
وَالْكِلَابُ مَصْدَرٌ كَالْمُكَالَةِ ، وَمَعْنَاهُ الْمَجَاهِرَةُ بِالْعِدَاوَةِ وَالْمَنَاصِبَةِ ،
ابْنُ مَرَّةٍ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَدُّ الْقَوِيُّ ابْنُ كَعْبٍ وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كَعْبِ
الرُّمَيْحِ الرُّدَيْنِيِّ ، ابْنُ لُؤَيٍّ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ لَوَاءٍ أَوْ لَأَى أَوْ لَأَى ^(١)
ابْنُ غَالِبٍ ابْنُ فِهْرٍ وَمَعْنَاهُ الْحَجَرُ الصَّغِيرُ ^(٢) وَهُوَ قُرَيْشٌ عَلَى الْمُعْتَمَدِ عِنْدَ
الْجَمَاهِرِ ، ابْنُ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَأَسْمُهُ قَيْسٌ ، وَالنَّضْرُ هُوَ الْحَسَنُ
الْمُشْرِقُ الْوُجْهَ ، ابْنُ كِنَانَةَ وَمَعْنَاهُ وَعَاءُ السَّهَامِ مِنَ الْجِلْدِ ، ابْنُ خُزَيْمَةَ
وَهُوَ تَصْغِيرُ اسْمِ الْمَرَّةِ مِنَ الْحَزْمِ ^(٣) ، ابْنُ مَذْرُكَةَ وَأَسْمُهُ عَامِرٌ أَوْ عَمْرُو ،
ابْنُ إِيَّاسَ وَهُوَ مُخَفَّفُ الْيَاسَ ، ابْنُ مُضَرَ وَهُوَ مَعْدُولٌ عَنْ مَاضِرٍ ،
وَمَعْنَاهُ اللَّابَنُ الْأَبْيَضُ أَوْ الْحَامِضُ الْخَائِرُ ، ابْنُ نِزَارٍ مِنَ النَّزْرِ

(١) اللواء معروف واللائي الثور الوحشي ويكنى به عن حسن العيينين ، واللائي البطة

(٢) الفهر الحجر الذي يؤخذ باليد عادة ويدق به الشيء وقيل مطاقا

(٣) الحزم نظم اللائي في السالك

وَمَعْنًا، الْقَلِيلُ ، وَلَعَلَّهُ سُمِّيَ بِهِ تَقَاوُلًا بِقِسْلَةٍ وَجُودٍ فَمِثْلُهُ فِي ذَلِكَ
الْجِيلِ ، ابْنُ مَعَدٍّ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَعَدِّ ، وَهُوَ أَجْلُذْبُ السَّرِيعِ
وَالذَّهَابُ فِي الْأَرْضِ ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ وَفِي نَصِيحَةِ عُمَرَ
لِلْعَبَّاسِ ، « تَمَعَّدُوا » أَيَّ تَشَبَّهُوا بِمَعَدٍّ فِي خُشُونَةِ الْعَيْشِ ، ابْنُ
عَدْنَانَ ، وَهُوَ مِنْ عَدَنَ بِمَعْنَى أَقَامَ فِي الْمَكَانِ

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « كَانَ عَدْنَانُ وَمَعَدُّ وَرَبِيعَةُ وَمُضَرٌّ وَخُزَيْمَةُ
وَأَسَدٌ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا تَذْكُرُوهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ » ^(١) وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ
بَسَّارٍ مِنْ وَجْهِ آخَرَ مَرْفُوعًا « لَا تَسُبُّوا مُضَرَ وَلَا رَبِيعَةَ فَإِنَّهُمَا كَانَا
مُسْلِمِينَ » ^(٢) فَهَذَا مَا كَانَ يَسْرُدُهُ الرَّسُولُ مِنْ نَسَبِهِ كَالَّذِ الرَّسُولُ النَّظِيمُ ، وَهُوَ
وَاسِطَةُ عَقْدِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ،

نَسَبُهُ تَحْسَبُ الْعُلَا بِحَلَاةٍ قَلَدَتْهَا نُجُومَهَا أَجْوَازُ
حَبْدًا عِقْدُ سُودَدٍ وَفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ

نواجع عبد الله بآمنة والمحمل بالنبي وولده

صلى الله عليه وسلم

انْخَصَرَ نَسْلُ هَاشِمٍ فِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَاهُ ، وَوُلِدَ

(١) عزاه الحافظ في فتح الباري الى تخریج أبي جعفر بن حبيب في تاريخه الخبر .

قوله وربيعة ومضر أي ابن نزار بن معد ، قوله وأسد هو ابن خزيمة

(٢) قال الحافظ وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد ابن المسيب ، أي

لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَبُو طَالِبٍ وَالْعَبَّاسُ وَحَمْرَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ زَوَّجَ عَبْدُ
 اللَّهِ أَمَنَةَ ابْنَةَ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ، وَزُهْرَةُ أَخُو عَبْدِ قُصَيٍّ
 ابْنِ حَكِيمِ بْنِ مُرَّةَ، وَقَدْ بَنَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِ أَهْلِهَا وَأَقَامَ مَعَهَا فِيهِ ثَلَاثَةَ
 أَيَّامٍ، فَلَمْ تَلِدْ أَنْ حَمَلَتْ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلَمْ تَجِدْ سِيفَ
 حَمْلِهِ ثِقَلًا وَلَا وَجْهًا كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُحْصَنَاتِ الصَّحِيحَاتِ الْأَجْسَامِ،
 وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَرَايِيلِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، أَنَّ
 الصَّحَابَةَ سَأَلُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الشَّأْنِ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ
 اللَّهِ خَبَرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَأَحْمَدَ
 وَغَيْرِهِمَا: مَا كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ؟ فَقَالَ «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ»^(١)، وَبُشْرَى
 عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلْتُ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى
 مِنْ أَرْضِ الشَّامِ «وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ رُؤْيَا كَانَتْ فِي الْمَنَامِ، وَلَكِنَّهَا
 رُؤْيَا صَادِقَةٌ لَا أَصْنَعُ أَحْلَامَ، وَصَحَّحَ أَبُو حَبَّانٍ أَنَّ ذَلِكَ
 النُّورَ تَمَثَّلَ لِعَيْنَيْهَا حِينَ أَخَذَهَا الْمَخَاضُ فَوَضَعَتْهُ عَلَيْهِ أَفْضَلَ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

تاريخ ولادته وضمير رضاعته ومضائقه

صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوِيًّا خُلِقَ، جَمِيلَ الصُّورَةِ صَحِيحَ
 الْجِسْمِ، وَكَانَتْ وَلَادَتُهُ فِي عَامِ الْفِيلِ، فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ أَوْ

(١) أي أنا مصداق دعوته التي حكاها الله عنه في قوله (ربنا وابحث فيهم

رسولا منهم) الآية — ومصداق بشرى عيسى برسول يأتي من بعده

التاسعة من شهر ربيع الأول الموافقة للعشرين من شهر إبريل ،
وكان ذلك العام ، هو الحادي والسبعين بعد الخمس مئة من مولد المسيح
عليهما الصلاة والسلام ، وقد توفي والده وهو حمل ، فكفله جده
شعبة الحمد ، فأرضعته أمه ثلاثة أيام ، وكذا ثويبة مولاة أبي لهب
عدة أيام ، وكانت نساء قريش لا يرضعن الأولاد فعهد جده
بإرضاعه إلى حليلة السعدية ، وجعله في قبيلتها بالبادية لينشأ في
الميشة الخلوية ، ثم ردت حليلة إلى أمه بعد أربع سنين ، فحضنته
إلى أن توفيت وله ست سنين ، فأصبح يتيم الأبوين ،
فكفله بعدها جده عبد المطلب سنتين ، ثم توفي بعد أن أوصى به
أبا طالب عمه ، فخاطبه بعنايته كما يحوط ولده وأهله ، إلا أنه كان
لفقره يعيش عيشة القشف ، فلم يتعود صلى الله عليه وسلم نعيم
الترف ، وذلك من عنايته تعالى بتربيته هذا المصلح العظيم ، عليه
من الله أفضل الصلاة والتسليم

معيته في الحراة وكسبه وزواجه

صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يتيمًا ، ونشأ في قومه فقيرًا ، ومات
والده في سن الشباب ، لم يترك له مالا إلا خمسة جمال وبضع نعاج ،
وكان قد ألف رعي النعم مع إخوته في الرضاع ، فصار يرعى لأهل

مكة ، فَيُوقَرُّ عَلَى كَافِلِهِ أَبِي طَالِبٍ بِمَا يَأْخُذُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرَةِ ،
ثُمَّ سَافَرَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فِي تِجَارَتِهِ إِلَى الشَّامِ ، وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ
أَثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرَانِ وَعَشْرَةُ أَيَّامٍ ، وَهُنَالِكَ رَأَاهُ بِحَيْرِ الرَّاهِبِ ،
وَبَشَّرَهُ بِهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَحَذَرَهُ مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ رَأَى
خَاتَمَ النَّبُوءَةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ سَافَرَ إِلَى الشَّامِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، مُتَجَرِّبًا
بِمَالِ خَدِيجَةَ تِجَارَةَ الْمُضَارَبَةِ ، فَأَعْطَتْهُ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ
إِذْ جَاءَتْ تِلْكَ التَّجَارَةُ بِأَرْبَاحٍ مُضَاعَفَةٍ ، بَلْ جَاءَتْ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ

كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ ، أَعْقَلَ وَأَكْمَلَ
أَمْرًا فِي قُرَيْشٍ ، حَتَّى كَانَتْ تُدْعَى فِي أَجْلَاهِلِيَّةِ [الظَّاهِرَةِ] ، لِمَالِهَا
مِنَ الصِّيَانَةِ وَالْفَضَائِلِ الظَّاهِرَةِ ، وَلَمَّا حَدَّثَهَا غُلَامُهَا مَيْسَرَةً بِمَا رَأَى
مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فِي رَحْلَتِهِ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ ، مِنْ الْأَخْلَاقِ
الْعَالِيَةِ ، وَالْفَضَائِلِ السَّامِيَةِ ، وَمَا قَالَهُ بِحَيْرِ الرَّاهِبِ ، لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ،
تَعَلَّقَتْ رَغْبَتُهَا بِأَنْ تَتَّخِذَهُ بَعْلًا ، بَلْ تَرَقَّتْ أَفْكَارُهَا إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى (*)

(*) روى الفاكهي في كتاب مكة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
عند أبي طالب فاستأذنه أن يتوجه إلى خديجة ، فأذن له وبعث بعده جارية يقال
لها نبعة ، فقال انظري ما تقول له خديجة ، قالت نبعة فرأيت عجبا : ما هو إلا أن
سمعت به خديجة فخرجت إلى الباب فاخذت بيده فضمتها إلى صدرها ونحرتها ،
ثم قالت بأبي أنت وأمي والله ما أفعل هذا الشيء ، ولكني أرجو أن تكون أنت النبي
الذي سبعت ، فإن تكن هو فاعرف حقى ومنزلتي وادع الإله الذي يبعثك لي ،

فَمَ ذَلِكَ الزَّوْاجُ الْمَيْمُونُ ، وَكَانَ هُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَهِيَ ابْنَةُ
 أَرْبَعِينَ ، وَتُوفِّيَتْ بَعْدَ الْبُعْثَةِ بِعِشْرِينَ سَنِينَ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 عَلَيْهَا ، وَلَا أَحَبَّ أَحَدًا مِثْلَهَا ، وَكَانَ طُولَ عُمُرِهِ يَذْكُرُهَا ، حَتَّى كَانَتْ
 عَائِشَةُ تَغَارُ مِنْهَا وَلَمْ تَرَهَا ، قَالَتْ مِنْ حَدِيثِ لَهَا : فَذَكَرَهَا يَوْمًا مِنْ
 الْأَيَّامِ ، فَأَخَذَتْنِي الْغَيْرَةُ فَقُلْتُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : هَلْ كَانَتْ
 إِلَّا عَجُوزًا قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ؟ فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ « لَا وَاللَّهِ مَا
 أَبْدَلَنِي خَيْرًا مِنْهَا ، آمَنْتُ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي
 النَّاسُ ، وَوَأَسَيْتَنِي فِي مَا لَهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا
 الْوَلَدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ » (١) وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهَا « إِنَّهَا

== قَالَتْ فَقَالَ لَهَا « وَاللَّهِ لَأَنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ قَدْ اصْطَنَعْتُ عِنْدِي مَا لَا أَضِيعُهُ أَبَدًا ،
 وَإِنْ يَكُنْ غَيْرِي فَإِنَّ الْإِلَهَ الَّذِي تَصْنَعِينَ هَذَا لِأَجْلِهِ لَا يَضِيعُكَ أَبَدًا » وَيُؤَيِّدُ هَذَا
 مَا بَرَدَ فِي كَيْفِيَّةِ بَدْءِ الْوَحْيِ فِي الصَّحِيحِ ، أَنَّ خَدِيجَةَ قَالَتْ لَهُ حِينَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ
 عَاقِبَةَ مَا أَصَابَهُ مِنَ الْجَهْدِ ، عِنْدَ مَا ظَهَرَ لَهُ الْمَلَكُ ، « كَلَّا وَاللَّهِ مَا يَخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ،
 إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ ، وَتَحْمِلَ الْكُلَّ ، وَتَكْسِبَ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِيَ الضَّيْفَ ، وَتُعِينَ عَلَى
 نَوَائِبِ الْحَقِّ » وَكَذَا مَا تَبَيَّنَ مِنْ أَنَّهَا كَانَتْ تَعُدُّ لَهُ الْوَادَّ ، لِيَنْقَطِعَ إِلَى التَّحَنُّنِ فِي
 غَارِ حِرَاءَ ، وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ بِسَنَدِهِ إِلَى تَمِيمَةَ بِنْتِ أُمِّيَّةَ أُخْتِ بَعْلَى قَالَتْ : كَانَتْ خَدِيجَةُ
 امْرَأَةً شَرِيفَةً جَلِيلَةً كَثِيرَةَ الْمَالِ ، وَلَمَّا تَأَيَّمَتْ كَانَ كُلُّ شَرِيفٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَمَنَّى أَنْ
 يَتَزَوَّجَهَا ، فَلَمَّا سَافَرَ النَّبِيُّ (ص) فِي تِجَارَتِهَا وَرَجَعَ بِرَيْحٍ وَافِرٍ رَغِبَتْ فِيهِ ، فَأَرْسَلَتْنِي
 وَبَسِيسًا إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ لَهُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ ؟ فَقَالَ « مَا فِي يَدَيَّ شَيْءٌ » فَقُلْتُ فَإِنْ
 كَفَيْتِ وَدَعَيْتِ إِلَى الْمَالِ وَالْجَمَالِ وَالْكَفَاءَةِ ؟ قَالَ « وَمَنْ ؟ » قَالَتْ : خَدِيجَةُ ، فَأَجَابَ
 (١) وَفِي رِوَايَةٍ إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادُ النِّسَاءِ . رَوَاهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي الْإِسْتِيعَابِ وَكَذَا

الدُّوْلَابِيُّ فِي الذَّرِيَّةِ الطَّاهِرَةِ مِنْ طَرِيقِ وَائِلِ بْنِ دَاوُدَ - وَقَدْ وَثَّقَهُ أَحْمَدُ - عَنْ
 عَبْدِ اللَّهِ الْبَهِيِّ - وَهُوَ مَقْبُولٌ - عَنْهَا . قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : لَا أَذْكُرُهَا بِسَيِّئَةٍ أَبَدًا

[المنار: ج ٧ م ١٩] دروس سنن الكائنات . الالتهاب الرئوي الباسيلي ٤٢٥

مَا غَارَتْ عَلَى أُمْرَأَةٍ كَمَا غَارَتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَهِيَ لَمْ تَرَهَا ، وَعَلَّاتِ
ذَلِكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا . قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ « أَرْسِلُوا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ »
فَأَغْضَبَتْهُ يَوْمًا وَقُلْتُ خَدِيجَةَ فَقَالَ « إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ حُبَّهَا » وَفِي رِوَايَةٍ
عَزَاهَا الْخَافِضُ فِي الْإِصَابَةِ إِلَى الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ « إِنِّي لِأَحِبُّ حَبِيبَهَا » (١)
— فَهَذَا هُوَ الْوَفَاءُ الْكَامِلُ اللَّائِقُ بِذَلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، عَلَيْهِ مِنَ
اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ (له بقية)

مَدَامُ سَتَيْتُ خَاتَمَ الدِّعْوَةِ وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٦

الالتهاب الرئوي الباسيلي

ذكرنا فيما سبق أن من الميكروبات التي تحدث التهاب الرئة باسيلا اكتشفه
[فردلندر Friedländer] وهذا النوع من الالتهاب شديد جدا خطر على الحياة ،
ويشاهد ميكروبه كثيرا في حوصلات الرئة ، وقد تنقيح منه أو تصاب بالفنغرية
(الموت)

(١) كذا في الإصابة . ورواية الاستيعاب عنها : وإن كان ليذبح الشاة فيتبع
بذلك صدائق خديجة يهديها لهم . والصدائق جمع ضديقة

(المجلد التاسع عشر)

(٥٤)

(المنار: ج ٧)

الدوسنتاريا Dysentery

كلمة يونانية وضعها أبقراط ثم عربت ومعناها [مرض الامعاء] ويسمى بالعربية انطالصة (الزحار) لانه يحدث الزحير

وهذا الداء عبارة عن التهاب الامعاء الغليظة أو القولون ، وهو نوعان : —
(الاول) يحدث في جميع بقاع الارض خصوصا في زمن الحرب أو القمح
وينشأ من باسيل مخصوص ، وهو النوع المراد بالكلام هنا
(الثاني) كثير الحصول في بلاد الشرق ، ويمتاز بطول مدته وبتضاعفه
بخراج الكبد وبكونه ينشأ من نوع من الاميبا (خلية حيوانية وليست نباتية ميكروب
النوع الاول) . وهذا النوع سنتكلم عليه ان شاء الله في باب الامراض التي تنشأ
عن الميكروبات الحيوانية

الدوسنتاريا الباسيلية

تنشأ — كما قلنا — من باسيل اكتشفه [شيجا Shiga] في بلاد اليابان سنة
١٨٩٧ وبعد ذلك وجد مثله [كروس Kruse] في ألمانيا، ولذلك يسمى بميكروب
[ميكروب شيجا كروس] ثم وجد غيرها أنواعا أخرى من باسيل الدوسنتاريا
مثل [فلكسنز] و [سترنج]

هذا الباسيل عديم الحركة ولا حييات له ، والحرارة التي درجتها ٥٨ — ٦٠
سنتيفراد تقتله سرعا وكذلك المطهرات ويميش في الهواء وفي غيره . ويقتصر
وجوده في المرض على أغشية الامعاء المخاطية ولا يصل الى الدم . ومن الجائز أن يبقى
في الامعاء مدة بدون أن يحدث ضررا فيها ولكنه في العادة يفرز سما يمتص في الدم
ثم يفرز منه بواسطة الأغشية المخاطية للامعاء فيحدث فيها المرض ، ومن هذا السم
جزء يؤثر في المجموع العصبي فيحدث التهابا في الاعصاب

الاسباب — هذا النوع من الدوسنتاريا وإن كان كثيرا الحصول في البلاد
الحارة إلا انه قد ينتشر في أوقات مختلفة بشكل وبائي في أي بقعة من بقاع الارض .
ومما يهيئ الجسم لقبول المرض كل ما يضعف البنية كالتعرض للبرد أو البيئة الفاسدة

الهواء أو الإصابة بحمى النافض (الملاريا) أو إدمان الخمر أو أكل المواد العسرة
الهضم كالغواكه غير الناضجة أو المتعفنة وكذلك الازدحام ، ولذلك يكثر انتشار
هذا المرض بين الجنود وفي السجون والتسكيا ونحوها . ومن مضعفات البنية التي
تهيئ لهذا المرض ضعف العقل - ولذلك ينتشر بين المجانين - والامساك المتعاصي
ينتقل الميكروب من المصاب بواسطة البراز الملوث به الى الشراب أو الطعام أو الى
الواني وغيرها فيصل الى أمعاء الآخرين ويحدث فيهم المرض ، فهو في عدواه يشبه
الحى التيفودية سواء بسواء . ومما ينشره أيضا بين الناس الذباب والعواصف ، فانها
تنقل الميكروب من البراز وتثيره مع الغبار الى الطعام أو الشراب وغيرها . ولهذا
الداء أيضا حملة أصحاء كالذين ذكروا في باب الحى التيفودية والدفتيريا

الاعراض - مدة التفريح تتراوح بين بضعة أيام وأحد عشر يوما . ويبدأ
المرض بالاسهال فيتبرز المصاب من مرتين الى ست برازا سائلا مصفرا أو يميل الى
السمرة ويحس بألم في بطنه وتوعك عام وقد في شهوة الطعام . وبعد ثلاثة أيام أو
أربعة تكثر فجأة مرات التبرز حتى تصل الى عشر أو عشرين بل أربعين فستين
أو أكثر . ويكون قدر البراز في كل مرة قليلا جدا يخالطه مخاط ومصل ودم وصديد
وبعض أجزاء من الغشاء المخاطي للأمعاء ، وقل أن يشاهد فيه شيء من مواد البراز
الطبيعية ، وقد يكثر النزف حتى يتبرز المصاب دما خالصا بسبب احتقان الغشاء
المخاطي وتمزق عروقه في أول الامر ثم بسبب تفرجه بعد ذلك ، ويكون له رائحة
مخصوصة ، ويشتد المفص ويكثر الزحير ويلتهب باب البدن (الشرج) ويكثر
بسبب ذلك التبول أيضا أو يحصل فيه الزحير أيضا فيميل المصاب الى إخراج بوله
نقطة فنقطة بحيث لا يمكنه الصبر على تجميع القدر المعتاد من البول في المثانة

وهذه الاعراض تؤثر في بنية المريض فينحف ويضعف ويصفر لونه ويبيض
لسانه وترتفع حرارته ويصيبه الصداع والدوار والإقياء والعطش
وفي الحالات البسيطة تخف وطأة المرض بعد ثمانية أيام أو عشرة ، أما في الحالات
الشديدة فتزداد الاعراض حتى تنهك قوى المريض ويتقرح الشرج وما حوله من
المقدمة ، ويصاب بالهشود فتغور عيناه وتزرق أطرافه ويضعف صوته ونبضه حتى يموت

ويكثر في أول الاغراض أن يصاب الشخص بالقيء ويستمر معه بشدة حتى النهاية . ويقل البول أيضا ولكن لا يوجد فيه زلال غالبا وفي بعض الاصابات يزمن المرض فيكون البراز أحيانا طبيعيا وأحيانا مركبا من مخاط وصديد ودم مع الرائحة المخصوصة المذكورة ، وتستمر تلك الحال أشهرا عديدة ، أو سنوات كثيرة فينحف المريض ويضعف وقد يموت - إذا لم يعالج - بنهاكة القوى أو بالمضاعفات كالالتهاب الپريتوني من انخراق الامعاء ، أو يصاب بضيق فيها بسبب انقباض آثار التحام القروح

وقد وصف [القسطلاني Castellani] (وهو عالم إيطالي شهير له مؤلف ضخيم في أمراض البلاد الحارة باللغة الانكليزية) نوعا من هذا المرض سماه [الپرادوسنتاريا] وهو أخف من الدوسنتاريا المعتادة وله باسيل قريب من باسيلها ويحدث المرض بسبب تأثير سم الميكروب في أنسجة القولون كما قلنا أثناء افرازه من البنية فتموت أجزاء من الغشاء المخاطي وغدده وبعض الأنسجة العضلية التي في جدر الامعاء فتتقرح وقد يصل الالتهاب والتقرح الى الغشاء الپريتوني فيلتب ويلتصق بأجزاء أخرى أو يمتزق ويكون سببا في الموت السريع زد على ذلك ان المعدة والامعاء الدقاق قد تصاب أيضا بنزلة وتلتب غدد المساريقا وتنتفخ الكبد وتحتقن

المضاعفات - التهاب الاعصاب بسبب تأثير السم فيها والتهاب المفاصل والاخرجة في أجزاء الجسم المختلفة والالتهاب الپريتوني من الانتقاب والنزف المعوي الشديد

الانذار - عدد الوفيات من ٣٠ الى ٨٠ ٪ وما ينذر بالخطر سقوط أجزاء كثيرة من أغشية الامعاء في البراز والنزف الشديد وكثرة القيء والحمود . والمرضى قتال للاطفال والشيخ والضعفاء ومدمني الخمر

المعالجة - يجب على المريض أن يلتزم الراحة في الفراش ويتدبر جيدا حتى يدقأ ويخصص له آنية التبرز فيها لكيلا يتعب نفسه في الانتقال . ويكون غذاؤه سائلا سهل الهضم مشتملا على المواد التي يحتاج اليها الجسم ، فيعطى له اللبن خالصا

أو ممزوجا بماء الجير ويعطى له المرق، ولا بأس من تسمية اللبن بالسكر أو خلطه بقليل من النشاء الصافي الذي يطبخ به، أو اعطاؤه اللبن الخائر (لبن الزبادي) ولا يجوز أن تكون هذه المواد شديدة البرودة فانها تهيج الامعاء، والافضل أن تدفأ وتبدأ المعالجة الدوائية باعطاء المسهلات كزيت الخروع أو الملح الانكليزي وهو الافضل، ومن الاطباء من يعطي هذا الملح بمقادير صغيرة كدرهم كل ساعة ليلا ونهارا حتى تكثر مواد البراز ويزول منها الدم والتخاط وتنخفض الحرارة ويزول الألم والزحير. ويمكن الاستمرار على تعاطي الملح بهذه الكيفية يوما أو ثلاثة، ومن النادر أن يحتاج الى أكثر منها، ثم يكمل العلاج باعطاء مركبات البرموت^(١) والافيون وبعض المطهرات كالمسالول

ويجوز في الحالات الشديدة حقن المريض بالمصل المضاد للزحار كمصل معمل [Lister] فيحقن منه ٢٠ سنتيمترا مكعبا مرتين في اليوم في الاحوال المعتادة، وفي الاحوال السيئة يجوز الحقن الى ثلاث أو أربع مرات، ويتكرر ذلك مدة يومين أو ثلاثة. وقد اكتشف حديثا بعض كيماوي مصر حقنة أخرى يقال إنها نافعة كثيرا والحقن في الشرج نافع في كثير من الحالات، فيحقن الماء المغلي بعد أن تصبح حرارته فوق حرارة الجسم الطبيعية بقليل جدا، ويحقن كذلك دافئا محلولا البوريك ١٪ أو محلولا حامض الصفصافيك بنسبة واحد الى خمسمائة وغيرها. وحقن محلول ملح الطعام الدافئ بنسبة ٧ الى ألف نافع جدا ومقدار ما يحقن في كل مرة ثمر. وهناك محقونات كثيرة لاحاجة الى استقصائها

فاذا اشتد الألم والزحير يلبس في الشرج أقماع مركبة من الافيون أو المورفين^(٢) مع زبدة الكاكاو، ومحلول ملح الطعام المذكور نافع أيضا لازالة هذا الزحير، والجلوس في الماء الساخن مرجح أيضا من الزحير، وكذلك وضع البسخ والكادات الساخنة ونحوها على الشرج. والافيون يسكن ألم البطن والتبسخ الساخنة. وإذا

(١) اسم لعنصر معدني شهير، وهو مشتق من كلمة ألمانية مجهولة الأصل

(٢) اسم لمادة فعالة في الافيون وهي أهم ما فيه، والكلمة يونانية مشتقة من

اسم له النوم أو الاحلام عندهم

أصاب المريض الهمودُ أعطى المنعشات المنبهات كالقهوة والشاي والخمر، وغير ذلك مما ذكر مرارا

فاذا تحسنت الحال يزداد طعام المريض تدريجاً كأن يأكل قليلاً من الخبز المش الاسفنجي الجاف واللحم المفروم جيداً، وهكذا يزداد الطعام حتى يصير كالمعتاد. وفي طور النقاهة يعطى له مركبات الحديد والمواد المرة كالكينين بمقادير صغيرة لتقويته

الوقاية — تكون بما يأتي (١) بعزل المريض وتطهير مواد برازهم بالمطهرات الطبية أو بحرقها ويجب أن تغطى أوانيها بخرقه مبللة بمحلول مطهر منعاً من نقل الدباب للعدوى (٢) بمنع الناقمين من الاختلاط بالناس حتى تعلم طهارة برازهم من الميكروب بعد البحث البكتريولوجي ثلاث مرات في ثلاثة أسابيع (٣) بالبحث عن الحملة الاصحاء اذا انتشر الوباء في مكان وعزلهم ومعالجتهم بالمطهرات للامعاء أو بالحقن باللقاح ونحو ذلك حتى يزول الميكروب منهم . وهولاء الحملة هم من كانوا أصيبوا بالزحار أو اختلطوا بمصاب به (٤) بامتناع الاصحاء من شرب أي ماء الا بعد غليه أو ترشيحه ومن أكل أي شيء الا بعد غليه أو إزالة قشره أو غسله جيداً بالماء المغلي أو المذاب فيه كبريتات الصوديوم الحمضية كما سبق. ولا يجوز استعمال الماء غير المغلي حتى لفصل الاواني أو للوضوء (٥) بتجنب المواد العسرة المهضم والمسيبة لاعتقال البطن ، وكذلك يتقى البرد . (٦) بإبادة الدباب بقدر الامكان، وتنظيف الطرق وترش جيداً حتى لا يثار غبارها (٧) من العلماء من يشير على الاصحاء اذا خافوا العدوى بممل اللقاح ، وهو عمل محمود وقد افاد في كثير من الاحوال ، وأشهر من أشار بذلك القصة لاني

أمراض الفطر

داء مادُوراً — أو — قدم مادورا Madura Disease

هو داء منسوب الى مدينة مادورا في جنوب بلاد الهند ويوجد كثيراً في غيرها من البلاد الحارة والمعتدلة وينشأ من دخول فطر مخصوص في القدم غالباً (وأحياناً في اليد) وقد يصعد

الداء من القدم الى الساق، ومن النادر أن يصيب الجذع، فينمو هذا الفطر في الجزء المصاب وينشأ من تهيجه للمكان أنسجة مخصوصة تشبه الانسجة الحمراء التي تكون في الجروح ويسمى الاطباء المحدثون (بالازرار اللحمية) ويتقيح المكان المصاب وتتلف أجزاؤه وتتأكل، وقد يصل الداء الى نفس العظام فيحدث بها النخر وتكون نواصير يخرج منها صديد وحبيبات سوداء أو سمراء وقد تكون بيضاء أو بيضاء مصفرة تبعاً لنوع الفطر فإن له أنواعاً كثيرة. ويكون حجم الحبيبة ك رأس الدبوس وقد يكون كبيراً كحبة الحمص. وتتألف الحبيبة من خيوط كثيرة متفرعة ملتف بعضها ببعض الآخر وهي خيوط الفطر نفسه

فاذا أصيب القدم بهذا الداء ورم وانتفخ أخضه كثيراً حتى يتحذب قترتفع الاصابع بسبب ذلك عن الأرض ويسود الجلد وتظهر به حلقات متعددة ونواصير كثيرة، فاذا سبرت قد نجد لها واصله الى العظام النخرة واذا أصيبت اليد أصابها ما أصاب القدم. ولعلاج لهذا الداء في أول الامر الا باستئصال الاجزاء المصابة، فاذا أزم من وجب استئصال القدم كلها وتكون الوقاية منه بتجنب كل سحج أو جرح للقدم بقدر المستطاع وتنظيفها دائماً (ومن هنا تظهر بعض حكم الوضوء) ودوام الاحتذاء. فاذا أصيبت القدم بأي جرح وجب تطهيره بالمطهرات الطبية ومعالجته بحسب الاصول الجراحية حتى يشفى تماماً اتقاء لهذا الداء ولغيره مما ذكر سابقاً كالتيتانوس

السل الكاذب - الأسبارغلوس ^(١) Aspergillosis

الاسبارغلوس يطلق على فطر ينتشر في بعض أعضاء الجسم فيتلها. ويشاهد أحياناً في الرئة فيحدث بها مرضاً يشبه الدرن حتى قد تتكون فيها كهوف، ولذلك يسمى هذا الداء بالسل الكاذب. وتكون أعراضه ضيقاً في التنفس وسعالاً وبصقاً ونفث دم. ولا ينتشر الفطر من الرئة الى الاعضاء الاخرى. وقد يشفى من تلقاء نفسه بموت الفطر

(١) كلمة لا تينية معناها المنبت أو المنتشر

يصيب هذا الداء أحيانا مربي الحمام ومطعميه بأفواههم لوجود الفطر في بعض الحبوب التي يضعها المربي في فمه لاطعام الحمام ، وهذا الفطر قد يصيب أحيانا العين أو الأذن أو الألف أو الجروح والقروح وغير ذلك كأنسجة القدم فيتكون به نوع من أنواع الداء السابق (داء مادورا)

الفطر الشعاعي Actinomycosis

أول من وصف هذا الداء في الانسان هو اسراييل الالماني من أهالي براين سنة ١٨٧٧ م وفي سنة ١٨٧٨ أثبت [بونفيك Ponfick] أن النوع الذي يصيب الانسان هو عين ما يصيب الانعام

هذا الفطر يكون قطعا ترى بالعين المجردة صفراء أو سنجابية لامة مستديرة قطرها نحو ١/٢ من البوصة وقد يكون أحيانا ١/٤ منها فاذا نظرت هذه القطعة بالمجهر رؤي في مركزها خيوط مشبكة مع بزور ويتفرع من هذه الخيوط خيوط أخرى فتكون كأشعة النور المنبعثة من السراج وتنتهي باتفاح أطرافها . وهذا الداء يصيب الحيوانات الداجنة ولا ينتقل منها الى الانسان ، وإنما يصاب به الانسان والحيوان من أكل بعض الخضر أو الحبوب كالشعير

فاذا دخل الفطر الى الجسم لهق بالانشاء المخاطي للأمعاء أو الشعب ثم يثبتها ويصل الى الاعضاء الفائرة فيحدث المرض في أجزاء مختلفة من الجسم ، وذلك بتسببه للمكان المصاب فيلتهب ما حول الفطر وتتكون أنسجة غريبة كالآزوار الالحمية ثم تنقيح وتتناكل وتسمحيل الى مدّة ، فينشأ في أول الامر في العضو المصاب أورام يكون قطرها نحو ثلاث بوصات أو أكثر، وهذه تتأكل حتى تفسد العضو. وينتشر الداء بالمجاورة من وضع الى آخر ، ولكن الفطر قد ينتشر بالاعوية الى أجزاء الجسم البعيدة أحيانا

الاعراض — يختلف باختلاف العضو المصاب وكثير ما يبدأ المرض بالقم فيحدث فيه ورم تحت الجلد فوق الفك الاسفل أو فوق حافته يكون صلبا بطيئ النمو ثم ينتقل تدريجيا الى العنق .

وقد يضمرجزء من هذا الورم ولكنه يزداد في الأجزاء الأخرى ويمتد حتى يصيب

الجلد نفسه؛ ويتكون فيه ما يشبه الخراج فينفجر ويخرج منه صديد به حبيبات الفطر، ويتعسر شفاء هذا الجرح بل يتخلف عنه ناسور. والظاهر ان الفطر في هذه الاحوال يصل الى الفك من الاسنان النخرة. وقد يصيب الداء الفك الاعلى ومنه يصل الى قاعدة الجمجمة، وقد يمتد الى المريء فيتقرح منه وتأكّل الفقرات أيضا.

واذا أصاب الداء الامعاء ظهر على سطحها الخاطي بقع مبيضة مغطاة بحبيبات صفراء أو سمراء، ويكون قطر البقعة نحو ١ بوصة وسمكها ١/٢ بوصة. وقد يشعب هذا الداء الامعاء ويصل الى البريتون. ومن الفطر ما يصل الى الكبد، ومنه ما يصيب الرئة فتتهدب شعبيها أو أنسجتها، ومنه ما يصيب الجلد فيدخل من أي جرح أثناء مس الحبوب أو القش، ولكنه قليل الحصول.

المعالجة — أحسن دواء لهذا الداء هو [يودورالپوتاسيوم] فقد ظهر نفعه فيمن استعمل له من الناس والانعام، ويجب إعطاؤه بمتادير كبيرة حتى تصل الى أربعة دراهم في اليوم. وإذا كان الورم في مكان يمكن الوصول اليه أمكننا أن نعاون الدواء في فعله بالعمليات الجراحية كالكتح أو الاستئصال.

القلاع Aphthae

هو أشهر أدواء الفطر وأكثرها حصولا للبشر في جميع الاقطار. يشاهد هذا الداء في الاطفال الضعفاء خصوصا من يربون تربية صناعية أو الذين أصابهم اسهال مدة طويلة، وقد يشاهد أيضا في الشبان والكهول إذا أصابهم داء أنفك قواهم كالسل والسرطان والحمى التيفودية.

ويشاهد في المصاب بقع بيضاء لبنية على الأغشية المخاطية للشفيتين أو الخدين أو اللثة أو الحلق أو اللسان، وتكون مرتفعة قليلا عن سطح الغشاء ومحاطة بخط أحمر دقيق، فإذا نزع هذه القطع البيضاء وجد الغشاء المخاطي الذي تحتها حمرا وسال منه قليل من الدم، وبعد زمن قصير قد تتكون البقع عليه ثانية. وهي تتألف من خلايا بشرية مع كريات دهنية ومن بزور الفطر وخيوطة. ينمو هذا الفطر في طبقات الاپثيليوم الوسطى ومنها يمتد الى الطبقات العليا والسفلى. ويصاب الطفل بسببه بالحمى

والاسهال ويكثر لعابه ويتفسر أو يتعذر إرضاعه ، وكثيرا ما يتفحش الشرج بسبب كثرة الاسهال

المعالجة — يجب تحسين صحة المصاب بجميع الوسائل الممكنة. ومن أول ما يجب العناية به معالجة الاسهال. ويجب مسح فم الطفل بخزقة مطهرة مضموسة في الماء العقيم أو في محلول الجوريك، ثم يوضع في فم طفل نحو نصف ملعقة صغيرة من غلوسرين البورق مرتين في اليوم أو ثلاثا ، فانه قاتل لهذا الفطر

الوقاية — يجب على الام أن تغسل ثديها بعد كل رضاعة وقبله، وأن لا تضع شيئا في فم الطفل مطلقا الا اذا كان مطهرا بالغلي أو غيره كأدوات اللعب وكالحلمات الصناعية، كذلك لا يجوز مس فمه بالاصابع الا بعد تطهيرها، واذا كان الطفل يغذى بغير لبن أمه وجب تطهير طعامه أيضا بالغلي . ويجب المبادرة الى معالجة كل ما يفسد صحة الطفل كالاسهال أو القيء وغيرها

الأرضة Tinea

تسمى الأرضة بالافرنجية تينيا . وهي أنواع كثيرة تنشأ كلها من فطر يصيب الجلد . وهالك أشهر أنواعها : —

(١) الأرضة المتنوعة الألوان [Versicolor] تصيب الجلد وتنمو فيه بالعرق والتدفئة، وهي كثيرة الحصول للذكور، ولا تصيب الا الاجزاء المغطاة بالملابس فيشاهد في الجلد بقع مستديرة سمراء مصفرة مرتفعة قليلا عن سطح الجلد وتمتد في اجزاء كثيرة منه، ولا يحدث منها ضرر سوى بعض أكلان

المعالجة — تكون بالاستحمام بالصابون (واحسنه الفينكي) مع الدلك بشيء خشن ثم يدهن الجسم ببعض المراهم الكبريتية أو الزئبقية ولكن يلاحظ في المراهم الزئبقية أن لا يدهن بها سطح متسع من الجلد خوفا من التسمم. ويجب غلي الملابس وتطهيرها بعد الاستحمام وكذلك أدواته كالقفوظ وغيرها

(٢) الأرضة الخالقة [Tonsurans] وهي تصيب رؤس الاطفال خصوصا الفقراء، وتنتشر في المدارس ونحوها باستعمال الامشاط والقبعات الملوثة بالفطر. وينشأ من

هذا المرض صلع بالرأس ويتصف الشعر المصاب، وتكثر بالرأس القشور والهبرية، وتطول مدة الداء، وبعد عدة سنين يشفى من تلقاء نفسه

(٣) الارضة الحلقية [Circinata] تشاهد حلقات الداء غالبا في الوجه والعنق والذراع، وتكون الحلقات قرنفلية مرتفعة قليلا عن سطح الجلد منقطعة بقشور رقيقة

(٤) الارضة الدقنية [Sycosis] يهيب شعر اللحية على الاكثر ففسده وتسقطه وتلتهب الدقن بسببها، وهي عسيرة الشفاء

وعلاج هذه الانواع يكون بتنظيف الشعر واستعمال النظافة التامة والتطهير بمثل اليود أو الكبريت أو مركبات الزئبق . وعلاجها بأشعة رونتجن مؤكدة ففهم صريح التأثير

القراع Favus

داء مشهور يهيب أي جزء من اجزاء الجلد خصوصا فروة الرأس . وينتقل من شخص إلى آخر بالعدوى، وقد ينتقل الى الانسان من بعض الحيوانات الداجنة كالقطط والارانب والكلاب . وعلاجه يكون بالتنظيف والتطهير وأشعة رونتجن كما سبق . وينبغي الاعتناء بصحة المصاب بإرشاده الى القواعد الصحية، وإعطائه الادوية المقوية

مبايعة شريف مكة واميرها

على ملك العرب

جاء في جريدة القبلة التي صدرت في ثلاث الحرم فاتحة هذا العام مانصه :
امتلات قاعات قصر الديوان الهاشمي العالي صباح أمس بمجاهير الاشراف الكرام والعلماء الاعلام والاعيان المظام بحيث لم يبق في بلد الله الامين ذوحية ومكانة عالية الا وحضر هذا الاجتماع الفخيم ليعرضوا على جلالة سيدنا ومولانا المظام أمنية طالما تمنوا اظهارها من حيز القوة الى حيز الفعل ألا وهي اقناع جلالاته

بقبول بيعتهم له ملكا على العرب ومرجما دينيا لهم ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية

ولما غصت أنحاء القصر العالي بمحضرات الاعيان القادمين لهذا الغرض تشرف بالثول بين يدي جلالة سيدنا المعظم في غرفة أعماله الخاصة حضرة العلامة الورع الشيخ عبد الله سراج رئيس علماء بيت الله الحرام وقاضي القضاة ونائب رئيس الوكلاء الفخام وأباً جلالاته بحضور هذه الجماهير لعرض بعض المعروضات على مسامحة الكريمة ولما تشرف جلالاته قاعة الاستقبال الكبرى في الديوان الهاشمي العالي استقبل رجال الامة تلك الطلعة الهاشمية المقدسة بقلوب طافحة بالمحبة والاحترام والاجلال والاعظام . ثم تمثل حضرة العلامة قاضي القضاة بين يدي جلالاته نائبا عن وجوه الامة كما هي عادته في مثل هذه المواقف من القديم فعرض على جلالاته العرض من تشرف المجتمعين بالوقوف بين يديه، وأنهم قد كتبوا عريضة في هذا المعنى يريدون تلاوتها على مسامحة الشريفة فأجابته جلالاته بالكلمات الملوكية الآتية :
« انني لم أكن أرى ضرورة شديدة لهذا العمل الذي جئتم من أجله وذلك لما أعلمه من نهوض بلادي بالامر الذي نهضنا به وشدة إخلاصها له وعضاها عليه بالواجد ، ولم تنحصر هذه العوطف في بلادنا وحدها بل ان لعرب الشام وعرب العراق مثل ما لأهل بلادنا من الحرص على استرداد مجدهم وجمع كلمتهم . وقد وردت لي الرسائل من أعيانهم بذلك ، على أن هذا الامر الذي جئتم اليوم من أجله سينفي كل ما ربما يخطر على بال الذين يجهلون حقيقة أحوالنا من الخواطر البعيدة عن مبادئنا وشيمتنا وأصول ديننا وقوميتنا

« واقتي أقسم لكم بالله العظيم إنني لم أرد هذا الامر الذي تكلفوني به ولم يخطر على بالي عند ما قمت معكم بنهضتنا السعيدة ، ولكنني رأيت كما رأيتم اننا امام خطر عظيم وخطب جسيم ربما قضى علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته »
وهنا ارتفع ضجيج الحاضرين بالدعاء لجلالاته، والالحاح بقبول الذي جاؤا لاجله، فقال جلالاته :

« انكم حلتُموني أمرا أنا أعرف الناس بما يستلزمه من الجهد ، وطالما قلت لكم

اني واحد من جمهور الامة أبرم ما يبرهون من حق، وأرفض ما يرفضون من باطل، وأمد يدي لكل من يثقون على اسناد أمرهم اليه على كتاب الله وسنة رسوله. وإذا كان لا مناص مما أردتموه فاني أشترط عليكم أن تعينوني على أنفسكم، وتساعدوني بأرائكم وأعمالكم في كل ما يحقق آمالنا وآمالكم من الخدمة العامة للعرب والمسلمين، وانا نستعين بالله تعالى في كل ما يحبه من قول وعمل وعليه الاتكال في كل حال» ولما انتهى جلالاته من الخطاب الملوكي الذي كان يتخلله دعاء الناس وثناؤهم أخرج حضرة قاضي القضاة العريضة التي أشرنا اليها وأعطاها الحضرة الشيخ عبد الملك مرداد ليتلوها على مسامع جلالاته وهذه صورتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملك الحق المبين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامي العربي سيد الخلق أجمعين، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الطيبين، وسلم تسليما كثيرا أما بعد فان للعرب المنزلة الرفيعة بين الامم لانهم في مقدمة الاقوام الساميين، الذين نشروا في الارض حقيقة التوحيد وهداية الدين، فدانت الدنيا كلها في كل أزمانها الى ما أراد الله أن يتمه على السنة أنبيائهم العظام من الشرائع الالهية، والسنة القويمة والمحامد الاخلاقية والفضائل والكمالات، حتى استنارت الامم بنورهم، واهتدت بهديهم. ولقد فضل الله في كتابه الكريم ولد اسماعيل وآل ابراهيم على العالمين جميعا، وانه قد ثبت في صحيح مسلم أن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفى من بني هاشم نبينا وفخرنا وذخرنا جدكم الاعظم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فبعدكم الاعظم خرجنا من الظلمات الى النور، وبييتكم الاقدس كان رشادنا بعد الجبل، وان البيت الذي عدل بنا عن طريق الغواية، الى طريق الهداية لا يزال ملزما بلم شعثاء وتقويم أودناء واستلام زمام أمورنا، مهما نجشتم من العناء لاجل هنائنا، ومهما نحملت من الجهد لاجل سعادتنا، وما كان لنا أن نلجأ لغير البيت الذي اختاره الله عز وجل، ولا أن نصطفي قوما غير الذين اصطفاهم لنفسه. وقد ثبت في صحيح

البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
« ان هذا الامر في قریش لا يعاديه أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين »
وانه قال صلى الله عليه وسلم :

« لا يزال هذا الامر في قریش ما بقي منهم ^(١) اثنان »

فأنتم قریش بل أنتم الصفوة من هاشم ، وانا ندين الله تعالى يوم الوقعة الكبرى
بين يديه بأننا لا نعلم اليوم أميرا مسلما أتقى لله منكم وأشدخوفا منه ونمسكا بأوامره
واقامة لشعائره قولاً وعملاً ، وأقدر على النظر في أمورنا بما يرضي الله عز وجل ، ونحن
الذين عرفناكم في أيام الرخاء وأيام الشدة وفي حالي السر والعلن
وان حولكم أمة برهنت في أدوار كثيرة من أدوار التاريخ على انها عظيمة
المدارك ، عالية الهمة ، كثيرة الاقدام ، حازمة عادلة صبور ^(٢) رحيمة منصفة ، ولو ان
صفحات التاريخ فقدت من الوجود لكفى في الدلالة على عقلها لغتها التي حبرت
أمرارها العقول ، وآدابها التي هي خزانة المعارف ، وأشعارها التي نظمت لآلئ الحكمة
في البوادي القاحلة أيام جاهليتها الاولى ، فضلاً عما أقامته من معالم الحضارة في كل
بقاع الدنيا القديمة مما لا يزال أثره ماثلاً للأنظار

ان أمة كمنه أثبتت العلوم الحديثة أن تكوين دماغها وارتقاء عقلها لا يقل عن
مثله في أرقى الأمم ، وبرهن تاريخها على انها أمة جد وعمل وتفنن وحسن سلوك
ومكارم أخلاق ، تحفظ الجليل لمن يسديه اليها ، وتعرف معروف كل من له يد عليها ،
لهي أمة تستحق أن تنتشل من قيودها الثقيلة وتنقذ من وصاية فئة سفينة مخربة
جاهلة مفرقة ، ليس فيها استعداد فطري للتخلي بشيء مما تحلى به العرب من المزايا
والخصائص ، والأخلاق والفضائل ؛ وان من مظالم عصرنا الفادحة رضاء الأمم ببقاء
العرب محكومين لتلك الفئة الوضيعة التي تحتاج الى الحيجر عليها ، لا أن تكون أمة
كأمتنا ذات مجذائل وتاريخ مجيد وآداب عالية وفضائل سامية راضخة لوصاياها خانعة

(١) سقط من القبله لفظ منهم . وفي رواية لمسلم : ما بقي في الناس اثنان

(٢) صبور يستوى فيه المذكر والمؤنث ولعله قال صبوراً للتناسب بين ما قبله

وما بعده اذا لم يكن من خلط الطبع

لجورها، حتى ذاقت صنوف الذل وأنواع الهوان باسم الاسلام الذي تنقض هذه
الفئة كل يوم دعامة من دعائمه. وقد ورد من حديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح :
« اذا ذلت ^(١) العرب ذل الاسلام »

فنحن ياسيد العرب ومنقذ الاسلام من أيدي أعدائه المارقين، نحمد اليك الله
الذي أعزنا بك، ونصر جند الله بمركتك وروحانية جدك صلى الله عليه وسلم، وتقرّب
الى الله سبحانه وتعالى بمحاربة من حاربك وموادة من وادك، وان موادة آل بيت
الرسول عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام هي الاجر الذي سأله على ما هدانا اليه
من سعادتي الدنيا والآخرة حيث قال عز من قائل :

(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) ^(٢)

فانهض ياسيدنا الى ما شاء الله أن يجريه على يدك من اصلاح شؤوننا وولاية
أمرنا نحن معانير العرب الذين يعاقون آمالهم على صلاح دينهم ودنياهم على تبوؤك
سرير ملتهم

واننا نبايع سيدنا ومولانا (الحسين بن علي) ملكا لنا نحن العرب يعمل بيننا
بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وتقسم له على ذلك بين الطاعة

(١) في جريدة القبلة ذل وهو غلط فلفظ العرب مؤنث والرواية ذلت
(٢) جرى الشيخ حفظ الله مودته في هذا على قول مشهور في كتب التفسير
وفي الآية أقوال أخرى أصحها ما رواه الشيخان والترمذي وأكثر رواة التفسير
المأثور عن ابن عباس قال « لم يكن بطن في زمن قريش الا كان له فيهم قرابة
فقال : الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة . وفسر ذلك في رواية أخرى
بأن يحفظوا حق قرابته فيهم بنصره ومنعه ممن يؤذيه (ص) كعادتهم في حفظ
القرابة بدلا من إيذائه . وجعل بعضهم النصرة بالاعسان به واتباعه ليكون بهي
(قل لا أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أي بطاعته
كما قال قتادة وصرح بعضهم بان الاستثناء ، هنا منقطع وقد نفى سؤال الأجر بشير
استثناء في قوله تعالى (وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين) وقد
حكى سبحانه مثل هذا عن المرسلين في هود والشعراء وغيرهما من السور

والاخلاص والالتقياد في السر والعلانية، كما اننا نعتبره مرجعاً دينياً لنا أجمعنا عليه ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية
نبايمك على هذا يا صاحب الجلالة وتقسم لك بالله العظيم على طاعتك والرضا
بك والالتقياد اليك في السر والعلانية . ولك علينا في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقت
الدين، واجتهدت فيما فيه صلاح حال العرب والمسلمين (فمن نكث فانما ينكث على
نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً)

غرة المحرم الحرام سنة ١٣٣٥

ولما انتهت تلاوة العريضة أقبلت جماهير أهل الحل والعقد من الأشراف والعلماء
والاعيان وكبار التجار وسائر ذوي الخيئات فبايعوا على ذلك بوجوه مستبشرة
وقلوب طافحة بالسرور . ثم تقدم حضرة الفاضل الشيخ فؤاد الخطيب فبسط لدى
جلالته آمال سورية العربية وذكر أن أولئك الشهداء الذين سارت بذكرهم الركبان
انما ماتوا من أجل الوحدة العربية ، ولتغانيهم في الدفاع عن شعائرهم الاسلامية ،
وقال ان سكان تلك الديار جديرون بأن يكونوا من جملة العرب المستقلين المتمتعين
برعاية جلالة سيد العرب وملكها . وبايعه بعد ذلك أسوة بسائر العرب على كتاب
الله وستة رموله

ثم تقدم حضرة الشيخ عبد العزيز مرداد فدعا لهذه الدولة بالعز والسؤدد والارتقاء
والفلاح بناية سيدها ومنقذها جلالة ملك البلاد العربية ، فأمن الحاضرون على
كل جملة من دعائه

وقبل انفضاض هذه الحفلة الكبرى تفضل جلالة سيدنا الملك المعظم فأجاب
استرحام القوم بتميم البيعة في المسجد الحرام في وقت مخصوص سنعلن عنه في العدد
القادم . وذلك اكراما لخواطر طبقات الشعب الذي أظهر الرغبة بالاشتراك مباشرة
مع من قام عنه بالبيعة وناب منابه في أداء واجباتها

وفي آخر الحفلة تلا حضرة الشاعر الاديب الشيخ عبد المحسن الصبحاني خطبة
أنيقة بصوت جهوري وأتبعها بقصيدة غراء تناسب المقام اه
[المنا] ان سبق أهل العلم والمكانة والرأي في مكة المكرمة الى هذه المباحة

وما تلاها من مبايعة وفود سائر بلاد الحجاز الذي فصلت خبره جريدة القبلة في عدد آخر مبني على ثلاثة أسباب (١) اعتقادهم ان فئة الاتحاديين المملحة الباغية قد تغلبت على الدولة العثمانية بقوة الثورة والاعتماد على الالمانيين الطامعين في البلاد ووضع الدولة تحت وصايتهم حتى لم يعد للسلطان أدنى استقلال في حكم ولا رأي (٢) ان اعتداء هذه الفئة الباغية على العرب ومحاولتها اهلاكهم كما أهلكت الارمن بغضا فيهم وفي دينهم وامتداد بغيا من الشام الى الحجاز وما ترتب عليه من الحصر البحري قد اضطر أهل الحجاز الى إعلان الاستقلال التام كما بيناه من قبل ، وذلك لا يتحقق الا بمبايعة الامة المستقلة لحاكمها أو بتغلبه هو عليها بالقوة، وحكومة الحجاز من النوع الاول المشروع (٣) ان صاحب الحجاز وأهل الرأي فيها يائسون من بقاء استقلال الدولة العثمانية، وجازمون بأنها اما ان تكون تحت سيطرة الالمان القاسية واما ان تنحصر سلطتها في بعض ولايات الاناضول ، فهذا وجب على العرب أن يسارعوا بعد الاستقلال بما استطاعوا من بلادهم الى تعيين شكل حكومتهم المستقلة ويطالبوا الدول المحالفة لهم بالاعتراف باستقلالهم قبل عقد الصلح لئلا تعدهم الدول من أتباع الترك . ونحن قد بينا رأينا في هذه المسألة في خطبتنا التي ألقيناها بين يدي الشريف الاعظم وعلى منسج كبراء الحجاز والحجاج في منى ومنشرها في المنار

﴿ مبايعة وفود الاقطار الحجازية ﴾

جاء في العدد الرابع والعشرين من جريدة القبلة الذي صدر في ١٠ المحرم ما نصه :

« شهدنا في صباح أول أمس جموع العرب من سلاسل مصر وريضة وقضاة وقحطان، واخوانهم من مختلف الامم والاطوان ؛ يهرعون من باب الصفا الى بيت الله الحرام أوفاء بآلوف ملين دعوة دينهم وبقينهم ، ومجيين نداء وجداناتهم وضمانهم ، في تقليد أمرهم لا قدر المساكين على القيام به

« ولما كانت الساعة الثانية عريية كان جلالة الملك المعظم قد جاء من القصر

(الجلد التاسع عشر)

(٥٦)

(الطبعة: ج ٧)

الملوكي الى مدرسته. الملاحقة ليبيت الله الحرام فدخل اليه منها يحف به آل البيت الاطهار، وعلماء الشرع الابرار، ووجوه الامة الاخيار، ففتحت الجوع العظيمة لقرعة عينها، وسبب عزها وسعادتها، وحينئذ أعطى حضرة العلامة صاحب المال قاضي القضاة ونائب وكيل الوكلاء عريضة أهل الحل والعقد لحضرة الفاضل الشيخ عبد الملك الخطيب ايتلوا على مسامع من لم يسمعا من جمهور الامة فيكونوا على بينة مما تضمنته من الحقائق الدينية والدنيوية، فصعد حضرة الخطيب على دكة أقيمت أمام رواق الحرم الشريف وقراها على الجماهير فقابلوها بالجذل والحبور والفرح والسرور. ثم أقبل حضرة قاضي القضاة على يد حضرة صاحب الجلالة الهاشمية ملك البلاد العربية فبايعه بالصيغة التي نشرناها ضمن العريضة في العدد الماضي من القبلة^(١) وتبعه حضرات الاشرف والسادة ورجال الدولة والعلماء والاعيان وفود البلاد فجماهير الامة على اختلاف طبقاتها. وكان رجال الشرطة يحافظون على النظام بكل دقة وأتباء. وقد رأى حضرة قاضي القضاة بعد أن تشرف بضمة ألوف من الناس بشرف المبايعة السعيدة أن الوقت لا يقسع لاستمرار الألوف الكثيرة في ذلك فطلب منهم أن يجيزوه في أخذ البيعة عنهم فأجازوه اجازة اجماع عام مطلق، فبايع عنهم على مسمع منهم، ثم صعد حضرة الشيخ عبد الملك مرداد على الدكة فدعا بدعاء بليغ خشعت له القلوب وأمنت عليه اللسنة. وعند ختام الدعاء عاد جلالة ملكنا المحبوب الى المدرسة فلبث فيها برهة، ثم صار موكبه الفخم الى الديوان الهاشمي العالي وجماهير الامة تهتف له بالنصر والعز والتأييد، وتلاميذ المدارس مصطفة تحت الاعلام العربية المنصورة تشد أناشيد الحماسة والاستبشار بالمستقبل الباهر السعيد. ولما وصل الموكب الفخم الى القصر الملوكي العالي أقبلت ألوف الناس من العظماء الاعيان والتجار ومن في طبقتهم للشرف بالاعتاب الهاشمية. وأخذ الخطباء والشعراء يتبارون في بيان عواطف الامة بهذا العيد الاعظم للعرب والاسلام.

[المنار] قد نشرت جريدة القبلة ما وصل اليها من تلك الخطب والقصائد فامتزق العدد كله. وقد ذكرت أسماء أشهر رجال الوفود من جده والطائف

(١) العنواب انه العدد الذي قبله وهو عدد ٧٢

وفيرها . وقد علمنا أن كثيرا من زعماء العرب وفضلائهم في الجزيرة ومصر قد رفعوا الى ملك الحجاز رسائل التهنئة بالبرق وبالبريد

احتضار سورية

— شهادة جريدة المانية —

ترجم أحد مراسلي الجرنال دي كير في جنيف مقالة نشرتها جريدة المانية في زوريخ — هي (نيوزور بنجر زيتونج) — في ١٢ اكتوبر الماضي وصفت فيها شقاء سورية ويأسها أو اليأس منها، وانا ننشر ترجمتها بالعربية نقلا عن جريدة الاهوام الصادرة في ٣٠ المحرم لان شهادة الالمان في هذه القضية — وهم أعوان الاتحاديين على تنوير العرب كالارمن — لا تفجرح بالكذب ولا الغلو كشهادة غيرهم . وهذا نصها : « ان الجرائد السورية التي يرقبها الالمان رقابة شديدة صارمة تصف نعاسة تلك البلاد وشقاءها المر المفظر للأكباد ، فاذا ضربنا صفحا عن قتلى الحرب وجرحاها نجد ان الجوع والابوثة كالكلورا والطاعون والتيفوس الخ قد أفنت عشر الاهالي ملكيين وعسكريين

« فسورية الممرضة لكل هجوم برا وبحرا والمتصلة بالآستانة بخط حديدي واحد وهو خط « حلب — أطنه » تحملت من ويلات الحرب ما لم تتحمله بلاد أخرى محاربة وإن لم تكن سورية ميدانا للقتال ولم تر المعارك الدموية الا في حدودها الجنوبية ، وهذه المعارك التي جرت لم تغير شيئا من حالة قناة السويس ولا حالة الحرب بوجه من الوجوه وحال من الاحوال

« ولا يذكر التاريخ ان هذه البلاد رأت من النوائب والبلايا منذ غزوة المغول (١)

(١) هم التتار السلف الطالح هؤلاء الاتحاديين الذين تفتخر بهم جمعياتهم الداعية الى العصبية التركية الطورانية حتى صاروا يدعون بالجنكيزيين نسبة الى جنكيز خان الطاغية الملعون الذي دفع قومه الى تدمير بلاد الاسلام ويحوي المدينة العربية

الى اليوم ما رآته في هذه الايام . فكثير من الارض لم يزرع والمحصول لا يكفي للسكان

« وفي شتاء عام ١٩١٥ بذل بعض السوريين المسلمين والمسيحيين بعض الجهد ليتخلصوا من الحكم التركي الذي يهكمهم ولكنهم لم يفلحوا وكانت النتيجة أنهم ذبحوا جميعا (يدرك القارئ أن الجريدة الالمانية تريد أن تبرر الذبح بزعمها ان اناساً ثاروا على الحكومة مع ان الحكومة التركية لم تقل ذلك)

« وزاد في فناء الاهالي واستنصالحهم الجوع والطاعون، وسعت السلطة العسكرية أن تعالج الداء (١) ولكن الملاج جاء متأخرا وبعد فوات الوقت فلم يكن بالامكان استخدام دواء ينجع ويفيد . وفتحت في القدس ودمشق وبيروت وياقاعات للشاي^(١) جعل فيها من الشاي والخبز والماء الساخن قليلا أو بلائمن للفقراء والبائسين . وتألفت جمعيات للقيام مقام الاطباء في معالجة المرض وتنظيف المنازل والحارات والشوارع وعزل المرضى وتوزيع الادوية التي يستطيعون الوصول اليها .

« ولكن المستشفيات العسكرية ذاتها ليس فيها أضمدة ولا موازين للحرارة ولا أبر للحقن ولا غير ذلك مما يما لج به المرضى . ثم ضاعف الوبئة وجعلها عامة شاملة الجوع والضيق . وقد كانت عائلات كثيرة تسبقي حياتها بضعة ايام بقشور الليمون والبطيخ والطماطم الى أن يمرضوا جميعا وتعينهم احدى جمعيات البر

« وقد صدق أحد مراسلينا في القدس بقوله « ان اورشليم المقدسة تنقرض الآن للمرة الثالثة ولكن اقراضها في هذه المرة هو آثم منه في المرتين السابقتين »

« والحكومة الحالية التي هي ليست مسؤولة كل المسؤولية عما هو واقع (٢) تبذل الآن ما بوسعها لتدارك هذه الحالة (٣) و يماونها جميع الناس من جميع المذاهب والجنسيات، وقد أهمل الناس جميع فروضهم الدينية خوفا على حياتهم كصوم رمضان عند المسلمين وصوم الصيف عند اليهود وكذلك سلك المسيحيون

« وتجتهد السلطة العسكرية في ان توزع الحبوب بالقسط والعدل والمساواة بين المدن والقرى وتمنع الناس من تخزين الاقوات حتى لا تصعد الاسعار . ووزع جمال (١) لعل الذين فتحوها هم اليهود لأن أكثر السكان منهم أو الجمعيات الخيرية

باشال حديثاً على فقراء دمشق بعض الاكل ولكن الجوع والضيق في المدن الكبرى في حال هائلة لا يستطيع قلم الكاتب وصفهما وتصويرهما للقارئ
 « فلا يمكن بحال من الاحوال ان تحول هذه المسكنات الوقتية التي يعالجون بها تلك البلاد دون احتضار الموت والنزع الاخير. فسورية هالكة مائتة لاهالة ، ولا مرد لهذا القضاء عنها ، وسواء بقيت بيد دولتها أو صارت الى يد دولة أخرى فان بشها من مدفنها أمر مستحيل . »

[المار] هذه شهادة الالمان لحلفائهم بل عليهم . والتبعة والمسؤلية في هذه الجنايات الفظيعة على هذا الشعب العظيم ليست كلها على حكومتهم الطاغية الباغية وحدها وان كانت أهلكت الحرث والنسل عمداً ، بل يقع سهم كبير منها على استاذتها ألمانية التي علمتها كيف تأخذ من البلاد جميع الرجال القادرين على العمل والصالحين للنسل من سن البلوغ الى سن الشيخوخة وتستعبدهم في أشق أعمال الحرب — وكيف تأخذ ما تنتجها الارض بعمل الشيوخ والنساء والاولاد للسلطة العسكرية مصادرة ونهباً ، ولم تعلمها ان تبقي للاهالي الضعفاء الباقين ما يسد رمقهم وان توزعه عليهم كما توزع هي الاطعمة في بلادها ورضيت منها بالقطيع التي لا تحتاج فيها الى تعليم لانها غريزة وراثية فيها كقتل العلماء والكتاب ورجال الادارة حتى لا يبقى في البلاد من يعرف مصالحها ويطالب بها ، وكفني ارباب البيوتات ونهب أموالهم حتى لا يبقى في البلاد غني يلجأ اليه الفقراء والباؤسون في وقت الضراء . ولماذا يموت السوريون جوعاً ولم يمت أحد من الالمان جوعاً وغلات سورية أكثر من حاجتها وغلات ألمانية دون حاجتها ؟ ولماذا تقطع الغلات العثمانية الفياقي والقفار والجبال والبحار حتى تصل الى ألمانية في قلب أوربة وأهلها يموتون جوعاً ؟ ولماذا تستنزف ألمانية قوة الدولة العثمانية وثروة شعوبها وتسخرها كلها لخدمتها في هذه الحرب ولا تهجد عليها بالادوية التي تعالج به مرضها وعندها من الادوية ما يكفي أمما كثيرة ؟ الآن تذكرت الصحف الالمانية سورية بالراء ، والاعتذار عن أحلافهم السفهاء ، أو بمثل هؤلاء الملاحدة الكفرة الفجرة تريد أن تجذب اليها العالم الاسلامي الى الاتحاد بمخدراتها ؟ لقد صدق من قال أن الالمان اتقوا جميع العلوم والفنون ، الا علم طباع الآم وأخلاق الشعوب .

باب الشعر والادب

متى يذكر الوطن النوم

للشاعر الاجتماعي السوري المقيم في أمريكا وقد نشرت في صحفها الشهيرة

جلست وقد هجم الغافلون أفكر في أمسا والغد
وكيف استبدّ بنا الظالمون وجاروا على الشيخ والأمرد
نخلت اللواعج بين الجفون وأنت جهنم في مرقد
وضاق الفؤاد بما يكتم فأرسلت العين مذارها

.....

ذكرت الحروب وويلاتها وما صنع السيف والمدفع
وكيف تجور على ذاتها شعوب لها الرتبة الأرفع
وتخضب بالدم راياتها وكانت تدم الذي تصنع
فباتت بما شيدت تهدم صروح العلوم وأسوارها

.....

نساء تجود بأولادها على الموت والموت لا يرحم
وجند تذود بأكبادها عن الأرض والأرض لا تعلم
وتغذو الطيور بأجسادها فان عطشت فالشراب الدم
وفي كل منزلة مأتم تشق به الغيد أزارها

.....

لقد شبع الذئب والاحجل واقفرت الدور والأربع

فكم يقتل الجحفل الجحفلُ ويقتك بالاروع الاروع
ولن يرجع القتل من قتلوا ولن يستعيدوا الذي ضيعوا
فبئس الألى بالوغى علموا وبئس الألى أججوا نارها

.....

أمن أجل أن يسلم الواحدُ تُطلُّ الدماء وتفى الآلوف
ويزرعُ أولاده الوالدُ لتحصدّم شفرات السيوف
أمر يمار بها الناقدُ وتدمي فؤاد الليب الحصيف
فيا ليت شعري متى نفهم معاني الحياة وأسرارها؟

.....

وحولت طرفي الى المشرق فلم أر غير جبال الغيوم
تحول على بدره المشرق كما اجتمعت حول نفسي الغيوم
فأسندت رأسي الى مرفقي وقلت وقد غلبتني الهوم
بربك أيتها الأنجمُ متى تضع الحرب أوزارها؟

.....

كما يقتل الطير في الجنة ويقتنص الظبي في السبب
كذلك يحنى على أمي بلا سبب وبلا موجب
فخام تؤخذ بالقوة ويقتنص منها ولم تذب
وكم تستكين وتستسلم وقد بلغ السيل زنارها

.....

وسيقت الى النطم سوق النعم مغاورها ورجال الادب

وكل امرئ لم يمت بالخِذَم فقد قتلوه بسيف السَّنب^(١)
فما حرك الضيمُ فيها الشم ولا رؤية الدم فيها الغضب
تبدلت الناسُ والأنجمُ ولما تبدَّلُ^(٢) أطوارها

.....

أرى الليث يدفع عن غيظته بأنيسابه وبأظفاره
ويجمع الغيل في قريته إذا خشي الغدر من جاره
ويخشي الهزار على وكتته^(٣) فيدفع عنها بمنقاره
فلا الكسرات ولا الضيفم ولا الشاةُ تمدح جزأها^(٤)

.....

عجبت من الفاحك اللاعب وأهلوه بين القنا والسيوف
يبيتون في وجلٍ ناصبٍ فإن أصبحوا لجأوا للكهوف
ومن يصفق للضارب وأحابيه يهجعون الخوف
مضى يذكرُ الوطنَ النومُ كما تذكرُ الطيرُ أوكارها



(١) الخِذَم بوزن كثف السيف القاطع من الخِذَم وهو القطع بسرعة وقطعه بوزن ضرب يضرب . والسَّنب الجوع
(٢) لو قال تبدل بنون التوكيد لاستغنى عن ضرورة رفع الفعل المنجزوم .
والأنجم في البيت أما الكواكب وصفها بالتبدل مبالغة أو أنواع النبات الذي لا ساق له (٣) الوكنة بالضم عش الطائر (٤) يشير إلى بعض المناقنين الذين يمدحون هؤلاء المخربين ويستذرون عن فظائعهم

المسحاة

١٣١٥

أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الابواب
الحكمة من يشاء ومن يؤن الحكمة فله

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب
فبشر عادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و «متارا» كمنار الطريق

٢٩ ربيع الاول ١٣٣٥ — ٤ الدلو (ش ٢) ١٢٩٥ هـ ش ٢٤ يناير ١٩١٧

رحلة الحجاز

٢

(تابع لما في الجزء الخامس)

ضربت وزارة الداخلية يوم السبت الخامس والعشرين من شهر صفر (الموافق لأول الميزان ٢٣ سبتمبر) موعدا لسفر ركب المحمل المصري من القاهرة الى السويس وأذنت مريدي الحج بأن يكونوا قبل ذلك اليوم في السويس ليأخذوا فيها أهبتهم ويتبوءوا أمكتهم من الباخرتين اللتين أعدتها لحملهم الى جدة. وبينما أنا منهمك في الاستعداد للسفر بشراء ما ينبغي شراؤه وترتيب ما تقرر رحله، واعداد ما تحتاج اليه الدار، وإدارة المنار، خطر في بالي أن أكتب رسالة في مناسك الحج أرين فيها أحكامه وحكمها بعبارة سهلة، مأخوذة مما صح في السنة، وأن أطبعها وأحملها معي هدية للحجاج الذين أصبحهم وألقاهم. فترعت في ذلك وقت الظهر من يوم الاربعاء فكنت أكتب عدة أسطر ثم أترك الكتابة عدة دقائق للاشتغال بشيء ضروري. ثم اثني اضطرت

الى ترك الكتابة من ظهر يوم الخميس الى ضحوة يوم الجمعة، ثم قضيت أصيل ذلك النهار وغسق الليل خارج المكتب والدار، فتعذر الجمع بين اكمال المناسك والسفر في يوم الجمعة فأكلت كتابتها في هذا اليوم (الجمعة) فكانت أكثر من كراستين وقد ضاق الوقت على طبعهما قبل السفر، اذ تمنيت أن يكون آخر موعد له قبل الظهر بساعة من يوم السبت، فاضطرت بعد جمع حروفيها ليلا الى اختصار الاولى بالحذف من عدة مواضع منها، وطبعت بعد ان تمت فلم أتمكن من تصحيحها، فلذلك كثرت أغلاطها، وتعذر على المطبعة أن تجهز لنا ضحوة السبت جميع النسخ، فأكتفينا بحمل مئات منها. ركبنا القطار الحديدي مع السيدتين الوالدة والشقيقة قبيل انتهاء الساعة الحادية عشرة من يوم السبت بوضع دقائق، وكان ركب الحمل قد سافر في قطار خاص في أول هذا اليوم، وودعنا في المحطة الأهل والأخوان، وخاصة من علم بموعد سفرنا من الخلل، وقد كنا بلونا لوعة الوداع بعدد الأمهات، وكان أشعها وداع الوالدين والأقربين والأصدقاء عند الهجرة الى هذه الديار، ولكنني لم أذق قبل هذا اليوم لوعة توديع الأهل والأولاد لأنني لم أكن في حال سفر من أسفاري السابقة زوجا ولا والدا.

﴿ نبذة فلسفية شمرية في الوداع وما فيه تهذيب الطباع ﴾

قرأت قبل سفري الاول كثيرا مما قاله الادباء والشعراء في الوداع، وحفظت من أشعارهم ما لايسهل علي أن اتذكره الآن، ولا أحب أن اشغل بالثظويل في هذا الموضوع قراء هذه الرحلة، ولا أن أتروك الامام به وهو من أهم مسائل علم النفس التي تفيد بضمرة في علم التربية.

إنني عند وداع الوالدين وذوي القربى والأصدقاء في سفر الهجرة الى مصر وجدت في نفسي وفيمن ودعت منهم مصداقا لقول الشاعر:

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ورأيت كيف نكرّر التوديعا

لرأيت أن من الدموع محمدا وعلمت أن من الحديث دموعا

فقد كان الحديث للدموع وحدها لأن لسان الفم حبس فخرس، ولسان العينين انطلق بالكلام المنسجم، وقد كتبت الى بعضهم بعد الوصول الى مصر عبارة شعرية كنت شعرت بأنها حقيقة وجدت في نفسي، وهي أتني وجدت وجد المودع

ولو عته يساويان وجـ جميع من ودعوه وان كثروا لأن كل واحد منهم فارق محبوبا واحدا وهو قد فارق أحبابا كثيرين يجد في نفسه من الألم افراق كل منهم مثل ما يجده ذلك الفرد لفراقه هـ والصواب ان لكل نوع من أنواع الوجدان والشهور حدا يختلف باختلاف أمزجة الناس ويتفاوت في الافراد بفوارت ما يثيره في قلوبهم، ولو أمكن ان يوضع للأدراكات النفسية موازين كوازين الحرارة والرطوبة والثقل لاحتل بها أقصى حد لألم الفراق في نفس العاشق الواله، وفي نفس مثل الزوج، لو ادة والوالده وهو إنما يبلغ حده الأقصى اذا كان الفرق بعيد الشقة، أو عرضة للهلاك، شدة المشتة، كسفر ابن زريق من بغداد الى المغرب في ذلك العصر، فهو لولا الخوف من الفراق الابدي لم أحب لما قل في وداعه يومئذ قول العاشق الممثل لما في قواده، لا قول الشاعر المصور لما في خياله :

ودعته وبودّي لو يودعني طيب الحياة واني لا أودعه
كم قد تشفع بي ألا تفارقه والضرورات حال لا تشفعه
وكم تشبث في يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلات وأدمعه
لأ كذب الله ثوب العذراء منخرق عني بفرقة لكن أرقمه

ذلك بأن وداع الاحباب عند سفر قاصد (قريب) الى خير مرجو في حرم آمن، ليس كالوداع في سفر بعيد يضعف فيه الامل، فيما يثيره من الوجد والألم. بل أقول ان النفس تهوى بعض الآلام الحسية، وتجذب باطنها لذة خفية، كاذة العاشق المستكمة في هجر محبوبه إياه هجر دلّال أو هجر لال، بما فيه وما يتلوه من تهيج عواطف الحب والوجد والاشتياق، الذي يشبه كذة الذهن واتعابه في حل المسائل العلمية الموبصة، أو اجهاد البدن في بعض الاعمال الواجبة أو الرياضات المستحبة، في ان كلامنا ذلك جامع بين الألم واللذة: أو بما يترتب عليه من لذة الشكوى والعتاب كما قالت عليّة بنت المهدي

وأهذب ليّام الهوى يومك الذي ترّوع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا فأين حلاوات الرسائل والكتب

واذا كان لكل شهور ووجدان نفسي غاية وحد فسواء كان السبب الذي يبلغ به متعبي حده واحدا أو متعددا، وإذا كان الغلو في حب الولد أو العشق أو غيرها

من شأنه ان يترتب عليه بلوغ تلك النسيئة وهو قلما يكون الا في حب الآحاد من الأولاد والاحباب فان الحب المتفرق على المحبوبين المتعدد من جنس واحد كالاولاد أو من عدد أجناس لا يكاد يكون الا دون الحد الاقصى — اذا كان ما ذكر كما ذكر وهو ما نراه ، فتلك القاعدة الشعرية التي كنت كتبها لاتصدق بالاطراد ، بل الأكثر ازاحة الفراق المتفرقة على الكثيرين تكون دون اللوعة المقصورة على الأفراد هذا وان سفرنا الى الحجاز سفر قاصد لا داء فرض لازم في عام يقل فيه عدد الحاجاج فتسبل فيه مراعاة الحكومة لصحتهم والبلاد سلامة من الاوبئة فالرجاء قوي بأن تؤدي الفريضة فيه بالسهولة في مدة شهر واحد ، ففراق الاهل والصحب في مثل هذا السفر ليس من شأن وداعه ان يثر منتهى الاشجان ، وينطق الدموع ويخرس اللسان ، وناهيك عن كان مثلي مسافرا مع أشد الناس حبا له — والدته وشقيقته ، وكم ودع الناس بعضهم بعضا في مثل هذه الحال ضاحكين مسرورين ، وكذلك ودعنا الاهل والأصدقاء في محطة مصر ودخلنا القطار ، ولما وقفت في النافذة وقدم الي محمد شفيع وأدعى لأجل القبلية الأخيرة ، اضطربت عاطفة الابوة في جميع أعماق النفس ، فاضطربت لوعة فراقهما في سويداء القلب ، ففاضت العينان ، واعتقل اللسان ، وخافني تلك الارادة التي كنت أكابر بها الاشجان ، والمريضة التي تعودت أن أملك بها أزمة التوجدان ، حتى عند الصدمة الأولى بموت الاخوة والاخوان ، وما ذاك الا أن ألم توديع الاولاد مشوب بلذة ، لاتستجمع لقمومته كل قوة الارادة ، وألم مثل تلك الصدمة ، هو الذي توجه لاحتماله كل المريضة

تذكرت في هذا المقام ما قاله صديقنا عبد الحميد الراهي شاعر طرابلس الشام في توديع أولاده عند سفره الى الآستانة ، وهو قوله من قصيدة :

| | |
|------------------------------------|--------------------------|
| لست أنسى ساعة اليين وما | هي الأفك روح من جسد |
| رمت فيها الصبر لكن لم أطق | وحبست الدمع لكن لم يكند |
| وبروحي غررأقبلتمـــــــــــــــــا | الجبين الحسن منها مستمد |
| من صفار كاللاكي جلبجت | منهم الالسن والجفن اطرد |
| بعضهم أبكاه مرأى من بكى | ليس يدري قط ما اليوم وغد |

والذي لاح له معنى النوى أطبق الدمع عليه فارتعد
 هل سمعتم بالقومي عاشقاً أنس الطلبي به وهو شرد
 ليتني فارقت عيني والحشا قبلما فارقت أهلاً وولد
 أودعوني عندما ودعهم حسرةً كانت من الموت أشد
 كلهم يفتشني قرب القفا حاسباً لأمود أياما تعد
 والذي لا يعرف النطق غداً نطقه الأيما بعين أويعد

وما ينبغي وبين هذا الصديق إلا أن سفري خبر من سفره ، وولدي أصغر من ولده ، فقد كان بعض ولده يفهم معنى الفراق والسفر ، ونعمي لم تكن أتمت السنة الثالثة وشفيح كان في أول شهر الخامس عشر ، وكان سبب سفره أن الشيخ أبا الهادي الشهير غضب عليه غضبة مضرية ، قطعت عليه موارد الرزق بعزله عن أعمال الحكومة ، فرحل إلى الآستانة يستمطفه ويسترضيه ، عسى أن يعود بجأه إلى عمله أو عمل يفوقه أو يساويه ، معلق القلب بين الفوز بالامل ، وبين الخزي والفشل ، لا يدري أيود كما رجا أهله بعد أيام تعد ، أو بعد شهور أو سنين لا تعد ، حسب القاعدة المطردة في كل عمل يطلب من حكومة الآستانة ، فأين السفر إلى تلك العاصمة ، لطلب الرزق من أولئك الباخلين الخلفين ؟ من السفر إلى مكة المكرمة ، لطلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين ؟ لقد كان ذلك الشاعر جديراً بأن لا تعود إليه السكينة ، إلا بعد أن ينقلب إلى أهله بما يرجو من الوظيفة ، وأما هذا الكاتب فقد عادت إليه سكنته بعد سير القطار بساعة زمنية ، وإنما كان يفكر أحياناً فيما يرجو من الاهتمام بصحة ولديه في غيبته ، واستشارة الطبيب حتى عند الحوادث التي لم يكن يستشير في مثلها ، وقد ضعف التفكير في ذلك وفي غيره من أمور الدنيا منذ الاحرام إلى التحلل التام منه بأداء المناسك كلها ، حتى كأن الانسان يدخل بمجرد الاحرام في عالم آخر

والعبرة فيما ينه من فلسفة الوداع أن تذكر القارئ بأن ألمه هو أول فوائد السفر المهدبة للنفس ولا سيما نفس الوالد ، وقد غفل عنها من حصر ذلك في خمس فوائد ، واتي رأيت بعض من آثار العزلة وبعض من حرم النسل يظنون ان الوالد من منفصات العيش في الدنيا ، لأن غبطة النفس به ، وقرّة العين برؤيته ، ولذة الامل بطول عمره وحسن

مستقبله، لا توازي آلام وداعه عند السفر، والحذر عليه من الموت أو المرض والضرر، دعهم
الوالد في تربته وتعليمه في حياته والخوف من سوء حاله بعد مماته، ولا سيما إذا كان قليل
المال، وكثر عليه العيال. وما هذه الظنون، إلا من أوهام الكسالى والمحرومين، إلا أن عدم
أقدام فاقده المال أو قلبه على الزواج، له وجه في هدي الشرع وآراء الناس. وأما ما يدخل
في موضوعنا منها وهو لوعة الدواع ومرارة الفراق، وما يتلوها من حرارة الاشتياق،
فهو من أعظم فوائد نعمة الأولاد على الوالدين في تهذيب أنفسهم، وثقيف عواطفهم،
واعلاء همهم، وتقوية أريجهم، وهي على ما فيها من الفوائد، حلوة الطعم في ذوق الوالد،
كما يستحلي العشاق نجي الحبيب، ويقولون ضرب الحبيب زيب، ولوقيل المشتاق
أحب أن تحمد حرارة هذا الشوق في قلبك فتسمي لا تذكر من تشتاق ولا نحن
إلى لقائه - لقال لا، وفي معناه قول قيس العامري :

وقالوا لو تشاء سلوت عنها فقلت لهم وأبي لا أشاء

ذلك بأن ما يهيج الوجد مما ذكر يشبه نغمت اللحن، المثيرة للاشجان، والحركة
للأحزان، على شهداء الحق في سبيل الإيمان أو الاوطان، الحافزة إلى الأخذ بثأرهم،
والرغبة في اقتفاء آثارهم، وهي مما يرغب فيه الفضلاء، ويحث عليه الحكماء، وإن
بكاء الفراق، الذي يرجى بعده التلاق، كالبكاء من خشية الله عز وجل بحسبه من لم
يندق طعمه عذاباً وألماً وما هو الانعيم وغبطة، ولذلك قال من ذاق فحرف: أهل الليل
في ليهم، أطيب نفساً من أهل اللهو في لهوهم. وقال بعضهم: لو يعلم الملوكة ما نحن
فيه لقاتلونا عليه بالسيوف. ولا تكمل تربية أحد الأبركوب الصواب وحمل الآلام والانتقال
وأبعد تلك الظنون بل الوسواس عن الحقيقة وأغلبها في الوهم ما توسوس به
النفس لبعض المحرومين: أن خوف الوالد أن يموت قبل أن يرشد ولده ويستقل
بنفسه في معيشته، أو يكون له مورد واسع من الرزق يعيش به، ينقص عليه غبطته
ومروره بوجوده. وقد سمعت مثل هذا ممن يعد نفسه ويعده بعض الناس من علماء
الاخلاق، وما هو إلا من أسرى الوسواس والأوهام، فإن تفكر الناس في مستقبل
أولادهم من بعدهم أو احتمال موتهم من قبلهم، ما كان لينقص عليهم هناهم وغبطتهم
بهم، إلا من شذ من غلاة الموسوسين، الذين وصلوا أو كادوا أن يصلوا إلى درجة

المجانين، وكل نعمة يحولها هؤلاء تكون عليهم قعمة يحرمون لذة وجودها، ويمذّبون بتوهم فقدها، أو احتمال حدوث مصاب بسببها، ومن غلاة هؤلاء المساكين ديك الجن الذي قتل وصيفه ووصيفته لا اشتداد شغفه بهما وخوفه ان يموت ويتسع بهما غيره، ويقرب منه ذلك العاشق المنسكين، الذي خلق من ماء الدموع وصلصال الأنين، لا من الماء والطين، فاستوى عنده القرب والبعد، والوصل والصد، فهو يبكي من بحب في كل حال، كما وصف نفسه فقال :

فأبكي ان نأوا شوقا اليهم وأبكي ان دنوا مخوف الفراق

انابعد توديع من ذكرنا ركبنا وحدنا في مخدع من مخدع مركبات الدرجة الاولى من القطار الحديدي ولكننا لما اتقلنا مع سائر الركاب في الاسماعيلية الى القطار الآخر ألفيناه قطار رديثا وقد اكتظ بالجنود البريطانية حتى ان المخدع الخاصة بالنساء المحدرات لم تكن تخلو منهم، فاضطرت الى وضع السيدتين في مخدع منها رأيت فيه مواضع ملي ولها، واثما بأننا لانرى من هؤلاء الجنود ما نكره، وكذلك كان والله الحمد، وآداب الجنود الانكليزية الخالص معروفة عند جميع المصريين يندر أن يرى أحد من سكان منهم تعديا أو اساءة فكيف يكون ادبهم في حال الصحو؟ وقد وقف القطار في محطات جديدة كثيرة خاصة بالجنود العسكرية على جانبي الطريق قريبة من الخط الحديدي او بعيدة عنه، وبسبب ذلك يتأخر القطار قليلا عن مواعده المعتاد

وصلنا الى السويس قبل المغرب وكان قد سبقنا اليها امس مع جواهر الحجاج المصريين محمد نجيب افندي المعاون في مديرية الجيزة وهو صهرنا على بنت اخي، والشيخ خالد النقشبندي، فكانا رفيقين لنا في السفر في كل حل وترحال، وكل منزل من منازل الحاج، وقد بنينا تلك الليلة في دار اختارها لنا الرفيقان من دور الاهالي التي يأوي اليها الحجاج في هذه الايام، وهم يتقاضون من الاجرة في كل ليلة فوق ما يعهد في الفنادق الكبيرة التي تفوقها خدمة ونظافة، وكذلك اصحاب المركبات في السويس يزيدون أجورها على الحجاج اضمافا

وفي ضحوة اليوم التالي ذهبنا الى مكتب الصحة لاجل ما فرضته الحكومة على كل حاج من تلقى اطباؤها إياه بالمصل الواقي من الطيفنة البوابية (الكوليرا) (لأبنة)

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٢

البعثة النبوية وحمد سيرة صلى الله عليه وسلم قبلها

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسْطًا فِي قَوْمِهِ وَأُمَّتِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرَقَاهُمْ
بَلَّ أَرْقَى الْبَشَرِ فِي زَكَاةِ نَفْسِهِ وَسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ، نَشَأَ يَتِيمًا شَرِيفًا،
وَشَبَّ فَقِيرًا عَفِيفًا، ثُمَّ كَانَ زَوْجًا مُحِبًّا لِزَوْجِهِ مُخْلِصًا لَهَا، وَلَمْ يَتَوَلَّ
هُوَ وَلَا وَالِدُهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ قُرَيْشٍ فِي دِينِهَا وَلَا دُنْيَاهَا، وَلَا كَانَ
يَعْبُدُ عِبَادَتَهُمْ، وَلَا يَحْضُرُ سَائِرَهُمْ وَلَا نَدَوْتَهُمْ، وَلَمْ يَنْظِمِ الشُّعْرَ كَمَا
كَانُوا يَنْظِمُونَ، وَلَا عُنِيَ بِالْخُطَابَةِ كَمَا كَانُوا يَعْتَنُونَ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ عَنْهُ
قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ يُدُلُّ عَلَى حُبِّ الرِّيَاسَةِ، أَوِ الْبَحْثِ فِي شُؤُنِ السِّيَاسَةِ؛
وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ خُرَافَاتِ أَجْلَاهِلِيَّةٍ وَضَلَالَاتِ الشُّرْكِ،
وَلَا مِنَ الْمُفَاخِرَاتِ الْكَلَامِيَّةِ وَشُؤُنِ الْغَزْوِ وَالْحَرْبِ، بَلْ كَانَ يَحِبُّ
الْعَزْلَةَ، وَيَأْلَفُ الْوَحْدَةَ؛ وَرُوِيَ أَنَّهُ فِي حَدَائِثِهِ حَضَرَ سَمَرَهُمْ مَرَّتَيْنِ،
أَلْقَى اللَّهُ فِيهِمَا عَلَيْهِ النَّوْمَ؛ وَحُبُّ الْعَزْلَةِ وَالْإِنْكِمَاشِ، مَعْرُوفٌ
عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَّازُ فِي

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٤٠٩

(المجلد التاسع عشر)

(٦٠)

(المنار: ج ٨)

نَشَأَتِهِ الْأُولَى عَلَى الْأَثَرَابِ ، بِالتَّزَامِ الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ وَعُلُوِّ
الْأَدَابِ، فَبِذَلِكَ كَانَ لَهُ فِيهِمُ الْمَقَامُ الْمَكِينُ، حَتَّى لَقَّبُوهُ بِالْأَمِينِ.
عَلَى هَذَا الْحَالِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَ أَشَدَّهُ وَأَسْتَوَى،
وَكَمَلَتْ مِنْ جَسَدِهِ السَّلِيمِ وَنَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ جَمِيعُ الْقَوَى. — لَا طَمَعَ
فِي مَالٍ وَلَا سُمْعَةٍ، وَلَا تَطَلُّعَ إِلَى جَاهٍ وَلَا شُهْرَةٍ. وَكَانَ أَوَّلُ مَا بَدَأَ
بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلُ
فَلَقِ الصُّبْحِ ^(١) وَاصْنَعَةِ؛ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخِلَاءَ، ^(٢) وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ
حِرَاءٍ؛ ^(٣) فَيَتَحَدَّثُ فِيهِ الْأَبَايَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، ^(٤) ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ
فَيَتَزَوَّدُ؛ ^(٥) حَتَّى جَاءَهُ الْخَلْقُ وَهُوَ عَلَى هَذَا الشَّانِ، يَنْزُولِ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ

(١) الفلق بالتحريك يطلق على الصبح وهو من فلق الشيء بمعنى شقه وفرقه
فريقين فان ضوء الصبح يشق الظلام اذ يظهر مستطيلا ثم مستطيرا ومنه (فلق
الاصباح) وبهذا المعنى أضيف الى الصبح ، والمعنى انه كان يرى الرؤيا فتقع كما
رأى اذ تنطبع المعاني في مرآة روحه الصفيحة كما هي، فهذا ضرب من الوحي وكانت
مدته قبل وحي القفلة الصريح ستة أشهر من ربيع الاول شهر ولادته الى شهر
رمضان الذي أنزل فيه القرآن (٢) الخلاء بالمد الاختلاء والاشفراد

(٣) الغار ثقب في الجبل وحراء بالكسر أحد الجبال المحيطة بمكة على يسار
الذهاب منها الى منى . والغار في أعاليه مشرف على مكة ، بحيث ترى منه
الكعبة ، كما يشرف على ما دونه من تلك البقاع ، فهو حسن الموقع جيد الهواء ،
يتسع للمختلي فيه مجال الفكر، والشعور بعظمة الرب ،

(٤) أصل التحدث توقي الخنث أي الائم وتجنبه وفسره الزهري في الحديث
بالتعبد، قيل كان يعبد الله على ملة ابراهيم وقيل بالفكر خاصة، واختلاف في عدد
الليالي التي كان يقيمها ويتزود لملها (٥) التزود اخذ الزاد من طعام وماء

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ بَانَ تَمَثَّلَ لَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ ، وَلَقِّنَهُ عَنْ رَبِّهِ
أَفْضَلَ التَّنْزِيلِ ، : قَالَ لَهُ أَقْرَأْ فَقَالَ « مَا أَنَا بِقَارِئٍ » كَرَّرَا ذَلِكَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ ، وَهَذَا مِنْ أَمْرِ التَّكْوِينِ لَا مِنْ تَكْلِيفٍ مَا لَا يُطَاقُ ، وَكَانَ
الْمَلَكُ بَعْدَ كُلِّ جَوَابٍ يُمِطُهُ أَيْ يَضُمُّهُ إِلَى صَدْرِهِ وَيَعْصُرُهُ ، حَتَّى
يَبْلُغَ مِنْهُ الْجَهْدُ مَبْلَغَهُ ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنْ تَغْلِبَ فِيهِ الرُّوحَانِيَّةُ
عَلَى الْبَشَرِيَّةِ ، وَيَسْتَعِدَّ لَتَلْقَى آيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَيَكُونَ وَاسِطَةً
بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ ، وَمُنْتَهَى الْخَاضِرِ وَمَبْدَأِ الْغَائِبِ ، وَلَمَّا أُرْسِلَهُ فِي
الثَّالِثَةِ قَالَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ *) أَيِ كُنْ قَارِئًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أُمِّيًّا ، بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
خَلَقَ الْإِنْسَانَ النَّاطِقَ مِنْ عَلَقٍ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ، لَا بِأَسْمِي وَلَا
بِأَسْمِكَ ، وَلَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي وَلَا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى
جَمَلِكَ قَارِئًا لَا آيَاتِ رَبِّكَ ، الَّتِي أَقْتَضَى جُودُهُ وَكَرَمُهُ أَنْ يَرْسُمَهَا
بِالْوَحْيِ فِي لَوْحِ قَلْبِكَ ، وَعَلَى تَعْلِيمِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ مَا لَمْ
تَكُنْ تَعْلَمُ ، كَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ وَغَيْرِ الْقَلَمِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ، —
فَرَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ ،
وَقَدْ أَرْتَعَدَ بَدَنُهُ وَلَسِكُنْ حُضْظَ رَشَادِهِ ، فَقَالَ « زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي »
فَزَمِّلُوهُ ، أَيِ لَفِّوهُ بِالنِّبَابِ وَدَثِّرُوهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوحُ أَخْبَرَ
خَدِيجَةَ أَخْبَرَ ، وَقَالَ « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » أَيِ الْهَلَاكِ أَوْ الضَّرَرِّ ،

فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يَحْزُنُكَ (١) اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلَ الرَّحِمَ (٢)،
وَتَحْمِلَ الْكَلَّ (٣) وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ (٤)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى
نَوَائِبِ الْخَلْقِ (٥). ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيَ ثَلَاثَ سِنِينَ، قَوِيَ فِيهَا إِلَّا سِتْعَدَادُ
وَأَشْتَدَّ الشَّوْقُ وَالْحُزْنُ. قَالَ «يَبْنَأُ أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ
السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ» وَذَكَرَ أَنَّهُ
رُعِبَ مِنْهُ أَيْضًا. وَلَكِنْ كَانَ ذَلِكَ دُونَ الرَّعْبَةِ الْأُولَى، فَرَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ
فَتَزَمَّلَ وَتَدَثَّرَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْهُ وَرَبُّكَ فَكَبَّرُ
وَيُيَايَبُكَ فَطَهَّرْهُ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) ثُمَّ سَمِيَ الْوَحْيَ وَتَتَابَعَ، وَبَلَغَ صَلَّى اللَّهُ

(١) يحزنك من الحزن وهي رواية أبي ذر، وعند غيره ما يحزنك من أخزاه
بمعنى فضحه وأهانته (٢) أي تحسن للاقارب بما يليق بكل منهم
(٣) الكل بالفتح الثقيل حملا أو عيالا أو طبعا والمتعب، أي نحمل أثقال الناس
أو نحمل المتعب على ما يركبه من الابل أو الدواب (٤) أي تكسب احتياج ما هو
عادم له (٥) النوائب النوازل بالمصائب والحوادث أي تعين الناس في كل امر غير
باطل وهذه كلمة جامعة في بيان فضائله «ص» وهو يدل على فضل خديجة وعقلها
واعتمادها ان من يلتزم الحق وعمل الخير لا يحزنه الله ولا يحزبه. والحديث في
الصحيحين، وتتمته باختصار قليل: فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن
نوفل ابن عمها وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب من الانجيل بالعبرانية، وكان
شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة يا ابن أخي إذا
ترى؟ فأخبره «ص» خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على
موسى. باليتني فيها جذع «أي شاب» ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك.
فقال له رسول الله «ص» او مخرجي هم؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت
به الا عودي، وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة ان
توفي وفتى الوحي

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ رَبِّهِ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَتَتَابَعُ^(١) فَمَازَا
النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي جَاءَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا الْمَرْءُ الْعَظِيمُ الَّذِي
دَعَا إِلَيْهِ بَعْدَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ، فَغَيَّرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى يَدَيْهِ تَارِيخَ الْبَشَرِ
أَجْمَعِينَ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ؛

نبليغ الدعوة الإسلامية وفهمها

إِنَّ ذَلِكَ الْيَتِيمَ الْمَائِلَ فِي حَدَائِثِهِ، الرَّاعِي شَرِيفَ التَّاجِرِ الْقَنُوعِ فِي
شَبَابَتِهِ، الزَّوْجَ الْمُخْلِصَ لِزَوْجَتِهِ، الْوَالِدَ الْمُطَوِّفَ عَلَى بَنَاتِهِ وَصَبِيَّتِهِ^(٢)
الْأُمِّيِّ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ سِيفَرًا، وَلَا كَتَبَ سَطْرًا، وَلَا قَالَ شِعْرًا، وَلَا
أَرْجَلَ ثَوْبًا، النَّاشِئُ فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ، الَّتِي فَرَّقَتْهَا نَزَعَاتُ الْعَصَبِيَّةِ،
وَأَسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهَا نَزَعَاتُ الْوَنَائِيَّةِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ،
وَأَمْسَتْ عَاصِمَتُهَا الدِّينِيَّةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، ذَاتُ حُكُومَةٍ شَبِيهَةٍ بِالْعُرْفِيَّةِ،
لَيْسَ لَهَا رَأْسٌ مَتَّبُوعٌ، وَلَا قَائِدٌ مُشْرُوعٌ؛ قَامَ فِيهَا يَدْعُوها إِلَى
تَوْحِيدٍ يَحْتَثُّ جَرَائِمَ الْوَنَائِيَّةِ، بِتَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْأُلُوْهِيَّةِ؛
وَالْإِلَى اسْتِبْدَالِ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ بِتِلْكَ الْأُمِّيَّةِ، وَاسْتِبْدَالِ الْحِكْمَةِ
بِتِلْكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِلَى تَرْكِةِ الْأَنْفُسِ مِنْ تِلْكَ الْخَرَافَاتِ وَالتَّقَالِيدِ
الْوَرَاثِيَّةِ، وَإِلَى اسْتِعْمَالِ عُقُولِهَا وَخَوَاسِئِهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ،

(١) التتابع (بالباء قبل الميم) التهاافت والاسراع في الشر أو التتابع (بالباء
الموحدة) فيه (٢) صبيته القاسم وعبدالله والطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر
لأنهم لعبدالله وهؤلاء من خديجة كبناته الأربع، وإبراهيم من مارية القبطية

وَالْإِثْفَاعِ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَكْوَانِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ
بَلْ قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ شَأْنًا ، وَأَعْمُ فَائِدَةً
وَقَعًا ، - قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى كِتَابٍ مُهِمٍّ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ،
وَدِينٍ أُنْزِلَ لِإِصْلَاحِ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَشَرِيعَةٍ عَادِلَةٍ سَمَاوِيَّةٍ
أَجْهَادِيَّةٍ ، تَسْتَأْصِلُ تِلْكَ الْفَوْضَى الْأَجْمَاعِيَّةَ ، وَتَكْفُلُ لَهُمُ السَّعَادَةَ
الْإِنْسَانِيَّةَ ، بِاعْتِنَافِ الْبَشَرِ مِنْ رِقِّ السَّيْطَرَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ،
وَجَعْلِهِمْ أَحْرَارًا مُسْتَقِلِّينَ فِي فَهْمِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ ، وَأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ
الَّتِي يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى الْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ . وَجَعَلَ أَمْرَهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
فِي الْأَحْكَامِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ ، وَجَعَلَ دَرْءَ الْمَفَاسِدِ وَحِفْظَ
الْمَصَالِحِ أَسَاسًا لِلْأُمُورِ الْأَدَبِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْإِخْلَاصَ وَحُسْنَ
النِّيَّةِ ، فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ ، مِمَّا يَسْتَعِدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِلْحَيَاةِ
الْأَبَدِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرَضًا تَقُومُ
بِهِ الْأَفْرَادُ وَتَتَعَاوَنُ عَلَيْهِ الْجَمَاعَاتُ ، لِأَنَّهُ سَبَاجُ الْفَضِيلَةِ وَمَقُومُ
الْأَخْلَاقِ وَالْعَادَاتِ . وَجَعَلَ الْقِتَالَ ضَرُورَةً تَقْدَرُ بِقُدْرَتِهَا ، وَيَجْتَهِدُ فِي
إِضْغَافِ ضَرَرِهَا وَشَرِّهَا ، فَلَا يُقْتَلُ فِيهَا النِّسَاءُ وَلَا الْأَوْلَادُ ، وَلَا
الْأَجْرَاءُ وَلَا الْعُبَادُ ، وَلَا يُمَثَّلُ فِيهَا بِالْقَتْلِ ^(١) وَلَا يُدْفَقُ عَلَى
الْجُرْحِ ^(٢) ، وَمَنْ رَجَعَتْ كَفَّتُنَا بِالْإِنْخَانِ ^(٣) فِي الْأَعْدَاءِ ، نَكْتَفِي

(١) التمثيل بالقتل تشويبه بقطع بعض أعضائه كجذع الأنف وطمع الأذنين
وقلع العينين (٢) التدفيع على الجرح الإجهاز عليه أي إمامته (٣) الانحان
في الأعداء إضعافهم بكثرة من يقتل منهم . ومن رحمة الإسلام وإصلاحه =

بِالْأَمْرِ عَنْ سَفَكِ الدِّمَاءِ ، (فَإِمَّا مَنَا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ
 الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) ، ^(١) وَتَزُولَ الضَّرُورَةُ الَّتِي أَوْقَدَتْ نَارَهَا ،
 وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ جَنَحْنَا لَهُمْ ، ^(٢) لِأَنَّا أَشَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا ، — إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْأَصْلَاحِ ، وَأَسْبَابِ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ . وَمِنْ
 أَهْمِّهَا أَحْكَامُ الرِّقِّ ، بِمَارْغَبٍ وَأَوْجِبٍ فِيهَا مِنَ الْعِتْقِ . وَأَحْكَامُ
 الْيَتَامَى وَالنِّسَاءِ ، فِي الْحُقُوقِ وَالْإِرْثِ وَالْتَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ ،
 وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَا الْإِصْلَاحِ الْعَظِيمِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي
 عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ) وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)
 قَامَ يُنَبِّئُهُمْ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَى جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ
 الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنُ لِيُنذِرَهُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، ^(٣)
 وَيَتْلَوْ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ

= إبطال ما كانت الأمم تستبيحه من استئصال أعدائها . ولم يكف بمنع قتل
 من لا يقا تل منهم حتى أمر بان يكف عن قتل المقاتلين أنفسهم اذا ضعفوا وامنا
 شرهم، وان نكتفي حينئذ باسرههم، وخيرنا في الاسرى بين المن عليهم باطلاقهم وفك
 أسرهم بلا مقابل، وبين فداء اسرانا عندهم ان كان لنا عندهم اسرى . وذلك قوله
 تعالى (حتى اذا انختموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد) الخ

(١) الاوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل ويطلق على الذنب، والمعنى حتى تنقضي
 الحرب بوضع الحار بين لا تقاها من السلاح والذخائر عن انفسهم — وقيل بترك
 الكفار للعدوان والذنوب الموجبة لها . (٢) السلم ضد الحرب وكلاهما مؤنث
 اللفظ (٣) أي وينذر به كل من بلغه ووصلت اليه دعوته من سائر الامم

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) ؛ وَيُخْبِرُهُمْ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُ عَلَيْهِمْ ، وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ دَعْوَتَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَهُمْ بَصَرَ وَالشَّامَ ، وَيُعْطِيَهُمْ مُلْكًا كَثِيرًا وَيَنْصُرُهُمْ ، وَأَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ هُمُ الْأُتَمَّةُ الْوَارِثِينَ ، (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

قَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الْكُبْرَى ، وَذَكَرَ بِهَا قَوْمَهُ فَأَعْرَضَ الْأَكْثَرُونَ عَنِ الذِّكْرِ ، وَلَمْ يَعْزِلْ أَذْكَى قُرَيْشٍ وَأَعْقَلُهُمْ لَهَا سَبَبًا إِلَّا الْجُنُونُ ، أَوْ نَبَزَ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بِلَقَبٍ شَاعِرٍ أَوْ كَاهِنٍ مَفْتُونٍ ، إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ ، لِمَا هُوَ دُونَهَا بِمَرَا حِلٍّ ، — لَا حَوْلَ لَا قُوَّةَ ، لَا مَالَ لَا عَصَبِيَّةَ ، لَا سَلِيْقَةَ فِي الشَّعْرِ تَجْذِبُ الْقُلُوبَ ، لَا تَمَرُّنَ عَلَى الْخَطَايَا يُؤَثِّرُ فِي اللَّبِّ ، كَمَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طُبِعَ عَلَى الصِّدْقِ ، وَعَاشَ طَوِيلَ عُمُرِهِ عَيْشَةَ الْجِدَّةِ ، فَكَانَ أَقْرَبَ مَا تُوصَفُ بِهِ تِلْكَ الدَّعْوَةُ إِلَى الظُّنُونِ ، أَنَّ قَالُوا إِنَّهَا تَزَعَّةٌ مِنْ تَزَعَاتِ الْجُنُونِ ، وَلَوْ لَا مَا أَيْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ ، وَأَعْظَمُهَا هَذَا الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ . وَلَوْ لَا تَصْدِيقُ اللَّهِ

تَعَالَى إِيَادُ بِالْفِعْلِ ، كَمَا صَدَّقَهُ بِذَلِكَ الْقَوْلِ الْفَصْلُ . لَقَالَ بِقَوْلِهِمْ ذَلِكَ فِي كُلِّ حِينٍ ، مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ،
 (ن) ، وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *
 وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ^(١) * وَإِنَّكَ لَأَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ * فَسَدِّبْصِرُ
 وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمْ الْمُنْتَوْنُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ صَلَّ عَنْ
 سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ^(٢)

«أَيُّ بُرْهَانٍ عَلَى النُّبُوَّةِ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا ، أَمْي قَامَ يَدْعُو الْكَاتِبِينَ إِلَى فَهْمِ مَا يَكْتُبُونَ وَمَا يَقْرَءُونَ ، بَعِيدٌ عَنْ مَدَارِسِ الْعِلْمِ سَاحَ بِالْعُلَمَاءِ لِيُحْضِرُوا مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ . فِي نَاحِيَةٍ عَنْ يَنَابِيعِ الْعِرْفَانِ جَاءَ يَرْشِدُ الْعُرَفَاءَ ، نَاشِئُ بَيْنِ الْوَاهِمِينَ هَبَّ لِتَقْوِيمِ عَوَجِ الْحُكَمَاءِ . غَرِيبٌ فِي أَقْرَبِ الشُّعُوبِ إِلَى سَدَاجَةِ الطَّبِيعَةِ ، وَأَبْعَدِهَا عَنْ فَهْمِ نِظَامِ الْخَلِيقَةِ وَالنَّظَرِ فِي سُنَنِهِ الْبَدِيعَةِ ، أَخَذَ يَقْرُرُ لِلْعَالَمِ أَتَّجَمَ أَصُولُ الشَّرِيعَةِ ، وَيَخْطُطُ لِلْإِسْمَادَةِ طُرُقًا لَنْ يَهْلِكَ سَالِكُهَا ، وَلَنْ يَخْلُصَ تَارِكُهَا

«ما هَذَا الْخُطَابُ الْمُفْجِمُ؟ مَا ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْمُلْجِمُ؟ أَأَقُولُ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ؟ لَا ، لَا أَقُولُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَقُولُ كَمَا أَمَرُ اللَّهُ أَنْ يَصِفَ نَفْسَهُ : إِنْ هُوَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيْهِ . نَبِيٌّ صَدَقَ الْأَنْبِيَاءُ ، وَلَكِنْ لَمْ يَأْتِ فِي الْإِقْتِنَاعِ بِرِسَالَتِهِ بِمَا يُلْهِي الْأَبْصَارَ

(١) أي غير مقطوع (٢) النبذة الآتية التي اولها «أي برهان» وآخرها (تنزيل

من حكيم حميد) مقتبسة من رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

(المجلد التاسع عشر)

(٦١)

(النار: ج ٨)

أَوْ يُخَيِّرُ الْخُلَاسَ، أَوْ يُدْهِشُ الْمُشَاعِرَ، وَلَكِنْ طَالَبَ كُلُّ قُوَّةٍ بِالْعَمَلِ
فِيمَا أُعِدَّتْ لَهُ، وَأَخْتَصَّ الْعَقْلَ بِالْإِطْلَابِ وَحَاكَمَ إِلَيْهِ الْخَطَا
وَالصُّوَابَ، وَجَعَلَ فِي قُوَّةِ الْإِلَامِ وَسُلْطَانِ الْبَلَاغَةِ وَسِحَةِ الدَّلِيلِ،
مَبْلَغَ الْحُجَّةِ وَآيَةَ الْخَلْقِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
خَلْفَهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^{١)}

كَانَ مَثَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِبْتَاتِ مَا جَاءَ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ
فِي بَلَدٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَمْرَاضُ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَعْلِيٌّ طَبِيبٌ وَلَا عِلَّاجٌ،
فَادَّعَى أَنَّهُ طَبِيبٌ يُبْرِئُ الْعِلْلَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَثْبَتَ دَعْوَاهُ بِالْعِلْمِ
وَالْعَمَلِ، إِذْ جَاءَ بِكِتَابِ عَالِجٍ بِهِ أُولَئِكَ الْمَرْضَى الَّذِينَ أَغْضَلَ
دَاوُهُمْ، وَأَخْتَلَفَتْ أَمْرَاضُهُمْ، فَشَفَوْا وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ صِحَّتُهُمْ، إِلَّا مَنْ
أَعْرَضَ عَنْ دَوَائِهِ، حَتَّى هَلَكَ بِدَائِهِ، بَلِ الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ
أَلَا إِنَّ مَدَاوَةَ أَمْرَاضِ الْأُمَمِ الرُّوحِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ، أَعَزُّ
وَأَعْسَرُ مِنْ مَدَاوَةِ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ، وَتَتَوَقَّفُ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ
لَا عَلَى عِلْمٍ وَاحِدٍ، يُدْرَسُ الْآنَ مَنْقُولُهَا وَمَعْقُولُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْمَدَارِسِ، وَمَا أَكْثَرُ مَنْ دَرَسَهَا فِي كُتُبِهَا، وَتَلَقَّاهَا عَنْ أَسَاتِذَتِهَا،
يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ بِالْعَمَلِ بِهَا، فَمَا أَقْوَلُ فِي أُمِّي نِسَاءً
بَيْنَ أُمَّتَيْنِ، قَامَ بِذَلِكَ الْإِصْلَاحِ الَّذِي تَغْيِيرُهُ تَارِيخُ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ،
فِي الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَاتِ وَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْدِينِ، وَأُمْتَدَّ مَعَ لُغْتِهِ

(١) هذا آخر ما اقتبسناه من رسالة التوحيد وفيها بعده الكلام على القرآن

فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى آخِرِ حُدُودِ أَوْرُبَّةَ مِنَ الْقَرَبِ ، وَإِلَى حُدُودِ بِلَادِ الصِّينِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ ، حَتَّى خَضَعَتْ لَهُ الْأُمَمُ ، وَدَالَتْ لِدَوْلَتِهِ الدُّوَلُ ، وَكَانَتْ تَتَّبِعُهُ فِي كُلِّ فُتُوحِهِ الْخَضَارَةُ وَالْمَدَنِيَّةُ ، وَالْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْكُورْنِيَّةُ ، عَلَى أَيْدِي تِلْكَ الْأُمَمِ الْخَدِيشَةِ الْمَهْدِ بِالْأُمِّيَّةِ ، الَّتِي عَلَّمَهَا الْقُرْآنُ أَنَّ إِصْلَاحَ الْإِنْسَانِ ، يَتَّبِعُهُ إِصْلَاحُ الْأَكْوَانِ ، فَهَلْ يُسْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا إِلَّا بِوَحْيٍ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ، وَتَأْيِيدٍ مَمَاوِيٍّ مِنَ الْإِلَهِ الْعَزِيزِ الْقَدِيرِ الرَّحِيمِ ، اخْتَصَّ بِهِ ذَلِكَ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الْكَرِيمُ ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ؟

مناهضة الدعوة ، وإلجاء الرسول الى الهجرة

بَدَأَ دَعْوَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنْذَارِ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ ، مَنْ فِي مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنْ الْمُوَالِيِّ وَالْأَوَافِدِينَ ، فَلَقِيَ أَشَدَّ الْجُحُودِ وَالْإِيذَاءِ مِنْ قَوْمِهِ ، حَتَّى صَدَّوهُ عَنْ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَبِّهِ ، عَمَلًا بِقَوْلِ أَبِي لَهَبٍ : خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ ، قَبْلَ أَنْ تَجْتَمِعَ الْعَرَبُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ أَخْرَجُوا عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ وَآلَهُ مِنْ مَكَّةَ ، لِأَنَّهُ لَمْ يُخَلِّ يَنْهَهُمْ وَبَيْنَهُ ، فَجَمَعَ أَبُو طَالِبٍ بَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَلِبَ ، وَدَخَلَ بِهِمْ وَمَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشَّعْبِ ، وَاجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ مُقَاطَعَتِهِمْ ، وَعَدَمَ مَصَاهِرَتِهِمْ ؛ وَأَنْ لَا يَبِيعُوهُمْ وَلَا يَتَّاعُوا مِنْهُمْ شَيْئًا ، وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صُلْحًا ، إِلَّا

أَنْ يُسَلِّمُوا مُحَمَّدًا لِقَتْلِهِ ، فَمَكَثُوا ثَلَاثَ سِنِينَ فِي الشَّعْبِ ، وَهُمْ فِي
أَشَدَّ الْبَلَاءِ وَأَجْلَهْدَ ، وَكَانَ بَعْضُ مَا مَسَّهُمْ مِنَ الضَّرَرِ ، أَنْ أَكَلُوا وَرَقَ
الشَّجَرِ ، ثُمَّ أَشْتَدَّ إِيْذَاءُ قُرَيْشٍ لَهُ وَلَمَنْ آمَنَ بِهِ بَعْدَ وَفَاقِ خَدِيجَةَ
وَأَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ تَوَفَّيَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، فَهَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي
مَوْسِمِ الْحَجِّ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ مَنْ يَحْمِيهِ لِقِيَامِ بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ يَجِدْ مِنْ
قُرَيْشٍ أَحَدًا ، وَلَكِنْ آمَنَ بِهِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ سِتَّةُ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ
يَثْرِبَ ، ^(١) ثُمَّ آمَنَ بِهِ آخَرُونَ مِنْهُمْ فِي مَوْسِمِ آخَرَ ، وَصَارُوا يَدْعُونَ أَهْلَ
الْمَدِينَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ
الْقُرْآنَ . فَفُشِيَ الْإِسْلَامُ فِيهِمْ ، وَجَاءَهُ فِي الْمَوْسِمِ الثَّلَاثِ أَمْرَانِ وَثَلَاثَةٌ
وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِرَبِّهِمْ وَإِلَهِهِمْ ،
وَأَنْ يَنْتَهُوهُ - أَيَّ يَحْمُوهُ - مِمَّا يَنْتَهُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ،
فَتَمَهَّدَتْ لَهُ بِذَلِكَ أَسْبَابُ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ جُمْهُورٌ مِنْ آمَنَ
بِهِ إِلَى الْخُبَشَةِ ، فَأَمَرَ مَنْ بَقِيَ أَنْ يَهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُخْتَفِينَ ،
فَكَانَ الْقَادِرُونَ يَهَاجِرُونَ أَرْسَالًا مُتَتَابِعِينَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَكْبَرُ
قُرَيْشٍ بِالْأَمْرِ ، وَأَنَّ الرَّسُولَ سَيَتَّبِعُ أَصْحَابَهُ بِاللَّسْرِ ، فَفَزِعُوا إِلَى
الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَهَيِّئُ رَاحِلَتَيْنِ
وَزَادًا وَدَلِيلًا لِلْهَجْرَةِ مَعَ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ ، كَانَتْ رُؤُسَاءُ قُرَيْشٍ
يَأْتِعِرُونَ ^(٢) بِالرَّسُولِ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، فَبَعْضُهُمْ يَرَى نَفْسَهُ وَبَعْضُهُمْ

(١) هي المدينة المنورة (٢) يشاورون في الأمر

يَرَى حَبْسَهُ وَبَعْضُهُمْ يُرْجَحُ قَتْلَهُ ، ثُمَّ أَجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًّا جَلْدًا ، ^(١) يَقِفُونَ أَمَامَ دَارِ دَلِيلًا ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ ضَرْبُهُ بِسُيُوفِهِمْ ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لِيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي بَجِيعِ الْقَبَائِلِ ، فَيَرْضَى بِدَيْتِهِ بَنُو هَاشِمٍ ، فَلَمَّا وَقَفَ أُوَاثِكُ الشُّبَّانُ عَلَى بَابِهِ ، أَمَرَ عَلِيًّا بَانَ يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ وَيَتَدَثَّرُ بِرِدِّهِ ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ مِنْ يَتَنِيهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ وَلَا شَمَرَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، بَلْ كَانُوا يَنْظُرُونَ مِنْ فُرُوجِ الْبَابِ ، فَتَرَوْنَ النَّائِمَ فَيُظَنُّونَ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) ^(٢) وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) (لها بقية)

صدره من دار المعرفة والدراسة

دروس من الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٧

الأمراض التي تنشأ من الميكروبات الحيوانية

النافع أو الملاريا Malaria

لفظ ملاريا أصله بالاطالية كلمتان [mal aria] ومعناها «الهواء الفاسد»

سميت به هذه الحمى لتوهم الناس في زمن التسمية أن سببها فساد الهواء

(١) القوي الصابر (٢) المسكر التدبير الخفي الذي يفضي بالمكور به الى ما لا يعلم ولا يحتسب ويكون في الشر غالباً وقد يكون لابطال الشر أو للخير ومنه مكر الله عز وجل . والاثبات الاعتقال ، والاخراج النفي

يطابق هذا الانط على أنواع من الحى تنشأ عن ميكروب حيواني من نوع [البروتوزوا Protozoa] (راجع صفحة ٢٨ من هذا الكتاب) يعيش في دم الإنسان وينقل من شخص إلى آخر بنقل بعض أنواع البعوض (الناموس) ويسمى هذا الميكروب بالافرنجية [Plasmodium] أو [Amoeba الدم] واما قائلنا إنه يعيش في دم الإنسان لأنه لم يعرف إلى الآن أنه يعيش في دم أي حيوان آخر من ذوات الثدي، ماعدا نوعا يشبهه يعيش في دم بعض أنواع القردة ويحدث لها جنى تمتاز أخف أنواع هذه الحى التي تحدث في أكثر البلدان المعتدلة بتقطعها بمعنى أن نوبها تفصل بعضها عن بعض بفترات يكون فيها المصاب كأنه سليم منها أعني أنها لا تكون مستمرة كالحميات المنة الأخرى، تستمر التوبة بضع ساعات ثم تزول وتعود في اليوم الثاني أو في الثالث [Tertian] أو في الرابع [Quartan]. والنوع الذي يعود في اليوم الثالث هو الأكثر حدوثا في الأقاليم المعتدلة. أما الذي يعود في اليوم الرابع فيكثر حصوله في بعض بلدان إيطاليا والهند. وهناك أنواع أشد مدة الحى فيها أطول وخطرها أكثر وتعرف في إيطاليا بالحى الصينية الحريفة [Aestivo - autumnal] وفي البلاد الحارة (الحى المستمرة أو الحيشة) ويكثر انتشار هذه الحى في الأقاليم التي بين خطي ٦٣° شمالي خط الاستواء و٥٧° جنوبيه

الأسباب — قلنا إن الذي ينقل ميكروب هذه الحى هو البعوض فلذا توجد هذه الحى حيث يوجد البعوض ويكثر، ونختفي أو تنعدم حيث لا يوجد، أعني أن حرارة الجو وكثرة الرطوبة والمستنقعات التي يتوالد فيها البعوض لها أعظم الأسباب لانتشار هذه الحى. وجميع الاجناس البشرية عرضة للإصابة بها، ولكن السود أقل في ذلك من البيض. وهي تصيب الإنسان في جميع الأعمار. وهما جوبي للمرض ضعف الصحة والمرض للرطوبة أو لحرارة الشمس الشديدة أو الإفراط أو التفریط في الأكل أو الشرب

وقد يكمن الميكروب في الدم ولا يحدث الحى وإنما يسبب ضعف الصحة وقر الدم أو ضخامة الطحال، ولا يستمر بقاؤه في الدم إلى أكثر من ثلاث سنين

إذا لم تتكرر العدوى به

ولهذا الميكروب أنواع ، ثلاثة منها على الأقل تعيش في دم الانسان ، والاخرى في دم الطيور . وقد اكتشف مايبش منها في الانسان بين سنة ١٨٨١ و ١٨٩٠ . وهذه الانواع الثلاثة تعيش داخل كريات الدم الحمراء وتتغذى بها فتتص مادتها الهيموغلوبينية ويحولها الى حبيبات ملونة (سوداء أو سمراء مصفرة) ^(١) يمكن اعتبارها كأنها براز لها فإذا كبرت خلية الميكروب انقسمت الى عدة أقسام (تراوح بين ٦ - ١٥ أو ٢٠) وتفجر غشاء الكرية الحمراء فتخرج هذه الاجسام وتسبح في الدم ثم تفترق كريات حمراء أخرى وتسكنها وتعمل بها ما فعلته في الاولى . وكثير منها تقتله خلايا الطحال أو غيرها أو خلايا الدم البيضاء .

وعند تمام نمو خلية الميكروب وانقسامها الى عدة أقسام ترتفع حرارة المصاب ، لان الميكروب حينئذ يخرج سمه فيدور مع الدم . ومن ذلك ترى أن هذا الميكروب اللعين يفسد الصحة بالتلافه الكريات الحمراء التي عليها مدار التنفس وبافرازه سما يحدث الحلي ، وهناك ضرر ثالث وهو افرازه مما آخر يذيب كريات الدم الحمراء فينصب الكبد ويكثر من افرازه الصفراء ويكثر الاسهال ، وقد يبول المريض بولا أحمر مشتملا على مادة الدم الذائبة فيه - كما سيأتي - فتلتهب الكلى بسبب ذلك ولا يلزم من دخول هذا الميكروب الى الدم أن يحدث للمصاب ما ذكر فانه قد يقتل ولا يصاب الشخص بشيء ، وقد يكن في الطحال الى ان تضعف قوة مقاومة الجسم له فظهور حينئذ أعراض الحلي ، وقد تتطلب البنية بعد ذلك على الميكروب فتبيده وتحصل للجسم مناعة تقويه مرة أخرى . وهذا الميكروب قد يصيب الاجنة في أرحام أمهاتها غير أن ذلك نادر جدا

أما البعوض الذي ينقل العدوى من شخص الى آخر فهو من النوع المسهي [Anopheles] وميكروب الملاريا لا يضره شيء إذا دخل جسمه . واعلم ان ذكر هذا البعوض لا يعض الدم بل الانثى فقط وهي التي تحمل العدوى ومدة حياتها (١) هذه تشاهد ساجدة في الدم أو داخل الكريات البيضاء التي تبتلعها أو داخل منسوج بعض الأعضاء كالطحال والكبد والمخ وغيرها

تزيد عن شهر في الغالب . وتضع كل انثى نحو ١٠٠ بيضة على سطح ماء طول كل بيضة نحو نصف مليمتر أو مليمتر كامل . وبعد يومين أو ثلاثة يفقس ، وإذا كان الجو حاراً فقس قبل ذلك ، وتعم الاجنة في الماء وهي المسماة بالعلق ، وبعد عدة أيام (١٣ — ٢٣) تصبح بالتطور بعوضة

ويمتاز هذا النوع من الانواع الاخرى بما يأتي : —

(١) ان اثناء لا تلمس الانسان غالباً ولا تمص دمه الا ليلاً (٢) أن شواربها [Palpi] طويلة مثل منقارها [Prboscis] الغليظ (٣) أنه توجد في أجنحتها نقط مسودة بخلاف أجنحة الاخرى فانها راتقة (٤) أن جسمها أطول وأحفف . هو مستقيم بخلاف الاخرى فانها أعفط وإذا وقفت على الحائط رأيت ظهرها محدوداً واعلم أن بعوضة الملاريا لا تنقل العدوى الى بعوضة أخرى ، فلا يوجد الميكروب فيها الا اذا أخذته من الانسان بامتصاص دمه

وإذا امتصت البعوضة دم المصاب لقحت (١) مض خلايا الميكروب اخلالا الاخرى التي تتطور وتصل الى عدد للماب في البعوضة لتخرج منها أثناء وخز شخص آخر فتعديه بالملاريا ، ومدة هذا الطور الذي يقضيه الميكروب في جوف البعوضة تختلف من ٦ — ١٦ يوماً بحسب حرارة الجو . والبعوضة لا تطير عادة من موطنها الى أبعد من نصف ميل انكليزي

الاعراض — تكون نوب هذه الحمى في أول الامر غير منتظمة غالباً ، ولعل السبب في ذلك أن الميكروبات التي تدخل الجسم تكون من انواع مختلفة ، فتغلب البنية على أقلها عدداً وتقتلها وبذلك ينفرد بالجسم نوع واحد وهو الأكثر عدداً ، وفي بعض الاحيان يبقى نوعان أو ثلاثة . طور التفريخ يتراوح بين ٣ أيام و ١٢ يوماً وهو طويل في الاشكال المنتظمة ، قصير في غيرها ، وقد يحصل المرض بمجرد التلقيح وفي بعض الاحوال تقدم الحمى بمض أعراض أخرى كالتواءك والصداع وآلام بالاطراف وغشيان وغيرها .

(١) أما في دم الانسان فيحصل الانقسام بلا تلقيح

المنشور الهاشمي الشريف الثالث

نشر في العدد الحادي والثلاثين من جريدة القبلة الذي صدر في ٤ صفر

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات الى النور، والصلاة على سيدنا محمد صاحب الهداية الباقية ما بقيت العصور وكرت الدهور، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بمزائم الامور، وسلم تسليما كثيرا

وبعد فقد حان لنا أن نخاطب أبناء بلادنا — خاصتهم وعامتهم، وكبيرهم وصغيرهم، وحاضرهم وبادبهم — في حقائق الامور التي كنا فيها، والحالة التي صرنا اليها، والواجبات التي حتمت علينا مقتضيات الدين والقومية والانسانية أن نقوم بها حق القيام

فانه لم يبق فيهم والله الحمد من يخفى عليه أمر هؤلاء الانرار الذين تسلطوا على المملكة العثمانية فأحلوا فيها ما أحلوا وحرموا ما حرموا، مما قدمت الاشارة الى بعضه في منشورينا السابقين. واتخذوا دين الله لهواً ولعباً، وسلبوا السلطة من أيدي أهلها. وتصرفوا بالمملكة تصرفاً أضاعوا به من بلادها في بضع سنوات ما تزيد مساحتها على مساحة بضع ممالك عظيمة في أوربا. وآدوا عباد الله بالقتل والشنق والتعذيب والتفريب ومصادرة الاموال وانتهاك الاعراض بما لا يحيط به العدد والحصص. ولعل أرض الحرمين الشريفين كانت أقل الممالك العثمانية ابتلاء بمصائبهم ومقاسدهم. لا عن تكريم منهم لشاعرها المقدسة، ولا رافة منهم بأهلها، أولاً أن الحجازيين أحسب اليهم من سكان الرومي والاناضول والشام والعراق، بل لما سخرنا الله له من الوفوف لهم موقف النصيح تارة والدفع بالتي هي أحسن أحياناً، على أمل أن يصبح الذي بيننا وبينه عداوة كأنه ولي حميم

بذلنا ما في الوسم لدفع الاذى عن هذه الديار بالطريقة المتقدمة ، ولم نأل جهدا في تخفيف ظلمهم عن المسلمين وأهل ذمتهم في كل أنحاء المملكة ، وحملهم على اجتناب كل ما ينكره الناس عليهم ، واقناعهم بمخاطر أعمالهم وما ستؤول اليه من ضياع البلاد وهلاك العباد ، وكنا نخلص النصيح لرجالهم في الاستانة بمكاتبات محفوظة لدينا صورها وأعدادها وتواربها ، لاسيما في السنين الاخيرة . ومن المتيسر لكل انسان ان يظلم عليها ، وكذلك كنا ننصح لولاتهم هنا بطريق المشافهة والمحاطبة ، وأوفدنا بعض أولادنا الى الاستانة والشام لهذا الغرض . ولكنهم لم يزدوا دعوتنا الا ظما ، طفيانا ، وبغيا وعدوانا

وما زاد مسؤوليتنا بين يدي الله عز وجل ، ثم امام واجب الوطنية والقومية ، ما وقع فيه قومي وأبناء جلدتي من الشدة التي لا تحتمل ، حتى أمست بلادنا بسبب أولئك الاغرار الجاهلين منقطعة عن كل أقطار الدنيا ، وان قلب المؤمن لا يرضى في حال من الاحوال رؤية جيران بيت الله الحرام وهم يموتون من الجوع والعري على قوارع الطريق . وذلك مما هو معلوم لدى الخاص والعام والبدوي والحضري ، ولا ريب أن أهل بلادنا لم ينسوا تلك الحالة المؤلمة والهلكة التي لمستها الايدي وعانتها الابصار . لان الحول لم يحل عليها بعد . وما كانت شدتها بالذي يستحق أن ينسى

حينئذ استخرنا الله عز وجل للقيام في وجوه الأئمة الظالمين ، والمحررين الملهدين ، فرارا من عاقبة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه في حديث صحيح (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الطبراني (خذوا على أيدي سفهائكم من قبل أن يهلكوا أو يهلكوا) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (أيما وال ولي شيئا من أمر أمتي فلم ينصح لهم كنصبته لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار) وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) وقوله صلوات الله عليه وسلامه فيما رواه أبو داود في سننه (خيركم المدافع عن

عشيرته) وقد خار الله لنا ان تنهض بأمتنا للاخذ على أيدي الظالمين ، واجلاء السفهاء المارقين ، عن البلاد والعباد . طالين لهم ما طلبناه لانفسنا من جعل هوانا تبعا لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، ودفع السوء عن عشائرننا وجماعاتنا العربية التي صارحها هؤلاء الاغرار بمداوة جنسيتها واقتها وتقاليدها وراحتها وهنائها في كل ما ظهر وما بطن من أقوالهم وأعمالهم

وها ان ما كنا نسمعه وتسمعه من ضروب ظلمهم وبغيهم في عرب الشام والعراق ، لم يسلم منه أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فقد تواترت الانباء بمضاعفة بغيهم وظلمهم فيها ، وأخذوا في شق النفوس البريئة وصلبها ، مستعملين ضروب الوحشية الطورانية ، وشرعوا بنسفيل بعض من وقع في أيديهم من سكان العوالي بالاشغال الشاقة بعد الفظائع الشنيعة التي أجروها لهم من قبل . ثم شنعوا أخيرا ثلاثة من أعيان المدينة المنورة ، وبدأوا بتجنيد الاهالي بالقوة حتى استنجد بعض أهالي المدينة المنورة باخوانهم المسكين لينقذوهم مما هم فيه

فأي مروءة ترضى لحاكم مهما كان ظالما أن يسلم سيف حقه وضغنه وانتقامه في سكان المدينة المنورة الذين آثروا جوار النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم على كل لذائذ الدنيا وصاروا أمانة الله في يد من يحكمهم ، وإذا كان حقد المتغلبة وضغنه قد وصل بهم الى حد أن يمدوا أيديهم بالذى أمانة سكان المدينة المنورة الذين لا حول لهم ولا طول في جانب القوة العسكرية المتسلطة عليهم فإن أولى بهم أن يخرجوا لقتال أولادي الاربعة ومن معهم من أفلاذ أكباد العرب ، فهناك موضع الشجاعة والقوة لا في قتل الاهالي الابرياء والمجاورين الضعفاء ، وها ان جيوش الحق زاحفة عليهم من أربع جهات لا من جهة واحدة ، بحية داعي الله بالاخذ على أيدي الظالمين ، وتأديب الملاحدة المارقين

وانه لا يفوتنا بهذه المناسبة أن نعلن أمتنا الخالصة بسرورنا من غيرتها الاسلامية وحميتها العربية ، وشكرنا لها على ما أبدته حتى الآن من البساطة والرجولية والشمم العربي ومشاركته الفعلية في طرد المتغلبة المارقة من عقر دارنا وحصون بلادنا . فسطرت بذلك صفحة ذهبية جديدة في تاريخ البلاد العربية المجيدة ، واستحققت ان

تكون صاحبة الفخر الأعظم باسترداد الاستقلال التام الدائم لبلادها مادامت السماء والأرض أن شاء الله تعالى

وان نظرة واحدة فيما كانت بلادنا عليه بالأمس وما صارت إليه اليوم بحول محول الأحوال كافية لترديد شكر الله تعالى منا جميعا على جزيل آلائه، وعظيم نعمائه، فقد أبدلها من العسر يسرا، ومن الخوف أمنا، ومن الضعف قوة، وكانت مقدراتنا تحت تصرف وصي جاهل لا يراعي فيها إلا ولا ذمة فازاحه الله عنها، وصارت حكومتها منها وفيها، وفتحت لرجالها على اختلاف طبقاتهم أبواب العمل لادارتها، واستعمال عقولهم وذكائهم ومواهبهم في تحسين أحوالها، كما فتح لابنائهم الطريق القويم إذا جدوا في ادراك المنافع وتحصيل الكمالات، حتى يبلغوا بقدرة الله عز وجل سعادة الدنيا بتولي المراتب العالية في دولتهم، والمناصب الجليلة في حكومتهم، ويحصلوا على سعادة الآخرة بإيفاء ما يجب علينا من خدمة وفود الله وحجاج بيته الحرام، واستحصال جميع الأسباب التي تستلزمها راحتهم من كل الوجوه، وإن عزائم حكومتنا معقودة للنهوض بأمر المعارف على أساس قويم يضمن تهذيب ناشئة البلاد أن شاء الله تعالى على الوجه الذي أشرنا إليه. وإن كل ما حصل حتى الآن ليس إلا جزءا قليلا مما سئله البلاد من الخير التدريجي الدائم، وإن كان كثيرا بالنسبة إلى ما نحن فيه من التدابير الحربية، وبالنسبة إلى الوقت القصير الذي تمتعت فيه الأمة بالاستقلال

وبما لا يختلف فيه اثنان أن تأسيس الممالك يحتاج أن تبذل فيه كل طبقات الأمة ما تستطيعه من السعي والجهد والعمل، وأن يقوم كل فرد من أفرادها بما يحسنه من وسائل المساعدة للنهضة العامة، حتى يتم الخير الممجد على أيديهم جميعا فتشترك الأمة كلها في نتائجها بعد اشتراكها في مقدماته. وبهذا تقيم الأمة صروح المجد، ونهى الممالك أسباب الهناء والسعد

وأهم ما ينتظر من الأمة اخلاص النية والتناصح والتعااضد والدفاع عن الحق والمصلحة القومية والوطنية، فقد ورد في صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي ومسنند أحمد (أن الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وهما منهم) وفي صحيح

مسلم (لا تحاسدوا ولا تاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذب به ولا يحقره ، التقوى ها هنا (ويشير الى صدره ثلاث مرات) بحسب امرى من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وفي سنن الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يد الله على الجماعة) فبال تعاون والتآزر والتناصح تنجح الامم وتفوز في معترك الحياة وتكتسب رضى الحق ورضى الخلق ، وبهذا يأمرنا ديننا الاسلامي الخفيف فلنكن مسلمين حقيقة ، ومن كان مع الله كان الله معه ، وان ما نالته جيوشكم حتى الآن من النصر والفوز لم يكن الا بالاخلاص ولنية الصالحة واستئصال شأفة الاحاد والفساد ، وشتان بين من يؤسس بنيانه على التقوى ومن يؤسس بنيانه على شفا جرف هار . وان من باب التحدث بالنعمة الالهية ، والتوفيقات الصمدانية ، ماترونه من أني لم أضن بنفسي وراحتي وحياة أولادي ، على الدفاع عن واحة أبناء جلدتي ومصلحة بلادتي ، وذلك لما علمته من أن الخدمة لا تتم الا بأن يعمل لها كل بما يستطيع

ومن نعم الله تعالى على بلادنا هذه العربية اتفاق مصالحها مع مصالح من والاها من حلفائها واعلانهم العطف عليها في آمالها وأمانيتها ، وتصريحهم بأن من النقط التي لا تقبل التغيير والبديل بقاؤها في أيدي حكومة اسلامية مستقلة أمينة من كل طارى خارجي . وان من مقتضى أخلاقنا الاسلامية التي منها الاعتراف بالجليل شكر حاد لنا الكرام على اخلاصهم في صداقتنا وحسن سيرتهم معنا وبذلهم الوسع فيما فيه خير هذه البلاد . وانا منحرص على دوام ما يؤيد هذه المنافع المتبادلة الى ما شاء الله ونستنهض همه أمتنا في الحثام الى العمل على حفظ ما بأيديهم من نعم الله السابغة ، والاستمرار فيما أخذوا به من أسباب النهوض والتقدم ، لان الزمان الحاضر زمان جد وعمل ، وقد خاضت كل الامم في معامع الحروب والخطوب تأمينا لمصالحها وبقائها ، وضحت كل مرتخص ، وغال في سبيل عزها ومجدها ، وانا لجديرون بأن نكون في مقدمة الطامحين الى احياء الاجهاد ، والسير في سبيل الاجداد ، ورفع شأن البلاد ، واجتناب كل ما يخل بنعمة حاضرة ، ومعاودة مستقبله ، ومن جهة ثانية فاني

أحث قومي على الاقتصاد والاختد بأسبابه وترك البطالة المنهي عنها في الدين الاسلامي ، ولنا معتبر في الحث وشدة الابرام على المثابرة في وسائل الاكتساب مهما كان حكمنا على حالة بلادنا في الوقت الحاضر من جهة ما يظهر في النظرة الاولى من قلة أسبابها الاقتصادية ، ولكن مباشرة العمل مستبين لكم أنها تأتي بثمرات لم تكن في الحسبان ، فيكون بها تعديل الحاجة وهوين الضرورة التي أحست البلاد بها في الشهر الاول بل في الاسبوع الاول من وقوع الحصر

وانه لم يبق لأحد عذر في التقصير بشي من أسباب الارتقاء بعد ان فتحت أبواب الاكتساب الخارجية للرجال ، وأبواب المدارس للاطفال ، وسوف تستمر حكومتنا في هذا السبيل ان شاء الله حتى تستكمل كل أسبابه ، لاسيما المدارس المساعدة على ذلك بكل أنواعها ، كالمدارس التجارية والزراعية والصناعية والطبية والهندسية ، وسائر ما تحتاج اليه في حياتنا الجديدة والعمران الحاضر على الطرز والوجه المناسب لقدسية بلادنا حتى يسهل استثمار ما أعد الله تعالى فيها من لوازم الحياة على أيديكم وبواسطتكم في عهد قريب ان شاء الله تعالى ، وليس ذلك بعزيز عليكم بالنظر الى ما خصكم الله تعالى به من الذكاء والفضة ، وان خطتنا الاسلامية هي المحافظة على ما نحن فيه والسعي لتنميته والتقدم به بالتدريج الذي تقتضيه حالة البلاد (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) شريف مكة المكرمة وملك البلاد العربية

الحسين به علي

[المثار]

كان المنشور الهاشمي الاول خطا باخا صا بالمسلمين وقد نشرنا خلاصته في الجزء الرابع ، والمنشور الثاني موجها الى الناس عامة والمسلمين خاصة وقد نشرناه بنصه في الجزء السادس ، وهذا المنشور الثالث خاص بأهل الحجاز وحدهم وكلهم مسلمون كما يعلم القراء ، الا أنه يوجد في جدة أفراد من أهل الكتاب المعاهدين تساهل الحكام من قبل بالسماح لهم بالاقامة فيها ، وسبب جعل الحرمين وما يحيط بهما من جزيرة

العرب خاصة بالمسلمين مع ما هو معروف من تساهل الاسلام هوانهما أعظم المعابد
الاسلامية وما حولها حرم لها . ومن المساواة في الاسلام انه لا يجوز للمسلمين في دار
الاسلام دخول معابد غيرهم ولو مؤقتاً الا أن يكون باذنهم ، فهل تجوز الاقامة
فيها ؟ ولو كان لهذا الملك الشريف رعية من غير المسلمين لحصم بخطاب يعلم منه
القاضي والداني انه أوسع صدرا وأشد تسامحا من خلفاء العباسيين ، وانه لو حكم
بينهم بما يأمره به دينه واجتهاده لكان حكمه خيرا لهم من دستور الممانيين في دينهم
ودنياهم . وقد كنت مع جمهور من المسلمين السوريين في مجلسه الشريف من دار
حكومته بمكة المكرمة وممنا عبد العزيز بك المصري المشهور فذكرت في سياق الحديث عن
العرب اخلاص القائمين بالتمهضة العربية من المسلمين والنصارى وضربت الدكتور
أمين المعلوف مثلاً وشاهداً فقال حفظه الله تعالى : يا حضرة السيد اني لا أحب أن
يفرق في هذا المقام بين مسلم وغيره ، واذا كان أصل شرعنا في الذمي الغريب هنا ان
له مالنا وعليه ما علينا ، فكيف اذا كان من أبناء جنسنا ، ثم أتى على الدكتور وأعرب
عن رضائه هذه ، فسر الحاضرون بقوله مروراً عظيماً .

عاقبة الحرب

ومكانة بريطانية المظني منها

كتبنا في أول العهد بالحرب مقالة نشرت في (ج ١٢ م ١٧) الذي صدر في
آخر ذي الحجة سنة ١٣٣٤ بينا فيها من استمداد الفرقين المتقاتلين ومن مقاصدهما
ما ظهر لنا بعد سنتين أنه أصبح من كل ما نشر في الصحف مخالفاً له . وقد رأينا أن
نعيد أو آخر تلك المقالة للمقارنة بينه وبين كلام حديث العهد نشر في جريدة التيمس .
وهذا نص عبارتنا في تلك المقالة :

« فجملة القول في المجموعين المتقاتلين أن انكلترة وفرنسة وروسية وبلجيكية
والعرب والجيل الاسود أكثر من ألمانية والنمسة والمانية رجالاً ومالاً وأساطيل
بحرية وهوائية ، ولكن ألمانية وحدها أعلى منهن استمداداً ونظاماً ، ولولا الاسطول

الانكليزي لرجعت على الجميع رجحانا ظاهرا ، بل لا يمكنها أن تحارب أوربة كلها وتقتصر عليها

« بيد أن هذا السبق في الاستعداد ، ليس مما ينظم في سلك الخوارق والآيات ، بل يمكن لدول التحالف أن يلحقوها به ، إذا عجزت في أول العهد عن بطشة فاعلة في فرنسا . أما إذا وقف مدها عند تدويج بلجيكة والاسنيلاء عليها وعلى بضع ولايات من شمال فرنسا وجانب من بولاندة الروسية ، فما بعد المدد الا الجزر ، فإذا أمكن للحلفاء أن يزيدوا عدد جندهم ويمدوه بما لم تستطع هي مثله عاد لهم الرجحان عليها في البر ، كما سبق لهم الرجحان عليها من قبل في البحر . ففعل الرجاء للحلفاء انما هو التغلب بالكثرة بقاعدة قول الشاعر العربي :

ولست بالاكثرم منهم حصي — وأعمى العزة للكائر

« أما هذا المدد الذي يكون به الرجحان البري فلا يرجى الا من قبل بريطانيا العظمى ، لان الفرنسيين قد بذلوا كل ما في وسعهم ، والروس — وان كانوا أكثر عددا — لا يجدون من الذخائر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجنيد المدد الذي تسمح لهم به كثرتهم ، فالانكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة جنودهم ، وعلى ايجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة لكثرة معاملهم وعماهم ومالهم ، وليس عندهم جندي اجبارية تستغرق المال ، وتوقف حركة الاعمال ، وانما يميز عليهم التجهيل بايجاد ضباط أكفاء لجيش كبير يجددون تنظيمه تجديدا ، ولكن الانكليز أهل صبر وأناة ، فما لا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنتين ، وتاريخهم مرة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كمشنر ناظر الحريسة القائم بتجهيز الجيوش الانكليزية مدة هذه الحرب بثلاث سنين

« تبين لنا ما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست الا المظهر الاجلى للتنازع على السيادة والنفوذ والاستعلاء في الارض بين الانكليز وانباء عمهم الالمان ، وسائر الدول تبع لها في علوها ومعلولاتها ، ومقدماتها وتيجتها

« دع البحث في المقدمات فقد انتهى أمرها ، وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها ، وأما النتيجة فهي ان السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لانكليزة أو لالمانية

لا محالة، ويكون أحلافهما تبعاً لهما، فتكون لانكلترا اذا فازت هي وأحلافها بالنصر التام، لانهم ان ينالوا ذلك الا بها، ولا تنتهي الحرب الا وقد انتهكت قواهن من دونها، واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لها، اذ شرعت بتأليف قوة برية لم يكن لها مثلاً في وقت من الاوقات، كما انها تزيد الاسطول قوة على قوة، وحينئذ تكون أعظم الدول ربها وأقلهن خسارة، واذا كان من بواكر هذا الرج معصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات ألمانية في أفريقية أو جميعها كما هو المنتظر فكيف تكون أواخره؟ «وأما اذا كان النصر التام للألمانية وأحلافها فقد طالما طمعت الجرائد الانكليزية والفرنسية وغيرها بأن ألمانية حينئذ تهيمل أوربة كلها تحت سيطرتها، وتتزع منها جميع مستعمراتها، وانها بذلك تسود العالم كله، ولعلنا نمود الى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير، بقدر ما تسمح به المراقبة الرسمية على الصحف، ونلم في ذلك بأمانى الشرقيين عامة والمسلمين خاصة (١)»

هذا ما كتبناه منذ سنتين وعدة أشهر وأما ما جاء في جريدة التيمس مؤيداً له فهو ما نشر في جزء المقتطف الذي صدر في آخر ديسمبر من السنة الماضية الموافق ٥ صفر الماضي وهذا نصه بحروفه الا ما غيرته لمطبعة من تأنيث أسماء الدول وأوربة بالتاء: رأي الانكليز في عاقبة الحرب

«ان الالمان لجأوا الى الدفاع بعد الهجوم في كل الميادين تقريباً والحلفاء يفوقونهم في كل شيء عدداً ومادة ما هذا القوة العقلية، وفي يدهم زمام البحار فهم يضيقون على الالمان تضيقاً لا يضمنه علم ولا تقوى الى احتمالهما حمية وطنية مهما عظمت. وما من دولة محايدة يؤبه لها الا وهي تفضل الانضمام اليها على الانضمام اليهم. وستكون العاقبة لنا حتماً ولكنها قد لا تزال بعيدة فان الألمانية لم تقهر حتى الآن. تجهزت بوارجها القتال قبل ان يقضى عليها. نعم أقفلت أسواق المسكونة في وجهها وأوصدت أبواب البحار أمام سفائنها؛ وقد حدث مثل ذلك لنو بوليون بونابرت في معركة الطرف الاغر ولكنه بقي في اوج مجده وبقيت ملوك الارض تخطب وده وتسابق الى نيل رضاه

(١) قد وفينا بهذا الوعد ونشرنا في الاجزاء الماضية ما اذن لنا بنشره

« والانسان يعيش في البر لا في البحر والدولة البرية التي تتسلط على نصف أوربة وتمتد سلطتها من البلجيكت الى الاناضول لا يمكن اذلالها بقوة بحرية لانها لا تزال تستورد ما تحتاج اليه من البادان الواسعة التي تحت سيطرتها » ولا مشاحة في ان ايجاد البحار دون ألمانية قد أضر بها كثيراً ولكن الضربة القاضية لا تكون الا في البر . هذا ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل (المقتطف : وقد مثلت ذلك مجلة لندن بصورة وقف فيها الجنرال جوفر الفرنسي امام أمير البحر جاليكو الانكليزي وقال نعماً ما فعلت ولكن الضربة القاضية تكون في البر لا في البحر . كما نرى في الصورة التالية)^(١)

« ولقد أخطأنا في إلقاء اعتمادنا كله على قوتنا البحرية وإهمالنا لقوتنا البرية فكنا كالحراف امام الدباب لما ذهبنا لمحاربة ألمانية في فرنسا لاننا اعتدنا الراحة والرفاهة فأسأنا الى أنفسنا والى أوربة كلها باهمالنا قوتنا البرية »

« وسبيلنا الآن ان نعلم ان قوة ألمانية الحربية لم تضعف حتى الآن ولا دليل على انها لا تستطيع مواصلة الحرب وامداد جنودها بالرجال والسلاح سنة أخرى أو سنتين » من المحتمل ان قيادة جيوش الامان جعلت منذ الربيع الماضي تخفي عدد قتلاهم وجرحاهم ولا تذكر الا القليل منه حالما رأت اننا نغنى بذلك ونبني عليه أحكامنا . ولها غرض آخر أهم وهو ان لا يعلم الشعب الألماني ما حلّ برجاله . ومع ذلك فانها لم ترسل الى ميدان القتال حتى الآن الا القليل من مجندي سنة ١٩١٧ ولم ترسل أحداً من مجندي سنة ١٩١٨ . وهي تستطيع ان تجند كل سنة نحو نصف مليون من الشبان . وكثيرون من الجرحى يشفون ويعودون الى ميادين القتال . وقد يكون عندها الآن مليونان من الرجال المستعدين لحمل السلاح وانجاد الجنود المقاتلة . ولا جدال في انها خسرت هي والنمسا خسارة فادحة في الصيف الماضي ولكن خسارتهما هذه لا تستلزم أن يطرحا سلاحهما حالاً ويطلبوا الصلح ناهيك عن أن التزاعهما خطة الدفاع تقال خسارتهما من الرجال وتمد أجل الحرب كثيراً » فلا ينبغي لنا ان نقول بل يجب علينا ان نزيد همة وإقداماً ونوالي المهجوم

نحن وحلفاؤنا ونكثر من سبك المدافع والقنابل واعداد الجنود ونستعين بكل رجال الامبراطورية البريطانية . وما دامت حكومتنا قد أقرت التجنيد الجبري ووزعت ادارة الاعمال على الاكفاء من الرجال فلا يهمنا بعد الآن من يدخل الوزارة أو من يخرج منها

« وستنتهي هذه الحرب حينما تتأكد ألمانيا انها تخسر كثيراً باطالتها ولا تستفيد شيئاً منها، ولكن ما من أحد يعلم متى يكون ذلك . من المرجح ان أولي الامر في ألمانيا هلموا الآن هذه الحقيقة ولكن يصعب عليهم ان يجاهروا بها قبلما تدور الدائرة على قوادهم في معركة كبيرة فاصلة لاسيما وان الشعب الألماني قد استهوي وأقنع ان الفوز في يده فيصعب عليه ان يصدق الآن ما يناقض ذلك »

(المقتطف) : واستطرد الكاتب الى ما يجب على الامة الانكليزية فعله بعد ان يعقد النصر للحلفاء فقال :

« ان الحرب ستنتهي يوماً ما فكيف يكون حالنا حينئذ؟ اذا اعتبرنا قوانا البرية والبحرية وخيرات بلداننا فسنبصر أعظم دولة حربية في المسكونة ، ونكون معتمد حلفائنا ونملك ما مساحته مليون ميل مربع من مستعمرات الالمان، ويكون عندنا جيش محنك من الجنود والضباط يعدُّ بالملايين ، ويزيد تفوقنا البحري عما كان قبل الحرب، وتتحقق الامل كلها ان امبراطوريتنا مرتبطة بعضها ببعض، عراها لا تنقسم، وشعوبها لا تقهر ، وفعلها خليق بماضيها المجيد

« ولقد كان ضعفنا العسكري شوكة في جنب جنودنا في السنوات الاخيرة وهو من أكبر الاسباب لنشوب هذه الحرب الا ان ذلك قد مضى وانقضى . لكننا قد نخسر كل ما اكتسبناه الآن اذا قامت فينا وزارة تطالب ان نطبع سيوفنا سكاما ورمحنا مناجل قبل ان يحين الزمان الصالح لذلك . فيجب علينا ان نكون على حذر مدة خمسين سنة إلى ان تزول رزايا هذه الحرب وما أثمرته في النفوس ويعود الأمن والسلام الى انصائهما

« وعلينا ان نحذر الفرور كما نحذر الخمول لئلا نضيع ثمار الظفر، فقد اعطينا زعامة حلفائنا فصارت زعامة أوربة لنا بحق مكتسب، فلا ينبغي لنا ان نحل محل ألمانيا

فكون قوة حربية مستبدة مثلها لانا أصصاب البوارج والرجال والأموال وتوخي التفوق الحربي على غيرنا، بل يجب ان يكون غرضنا النفع العام وخدمة نوع الانسان . أما البحر فيجب ان يبقى لنا التفوق فيه وأما البر فيجب ان يكون هندا من القوة ما يكفي لحماية ثغورنا وبلادنا مهما اختلفت تصارييف الزمان . ولا نطعن أنفسنا بأن القوة البحرية كافية وحدها كما فعلنا فيما مضى

» يجب ان نمون شبابنا كلهم على استعمال السلاح ، لا لكي يضرهموا نار الحرب به بل لكي يمنعوا اضطرامها ويحصوا كل أملاكنا ومنعمراتنا ويحفظوا تاريخ أسلافهم المجيد

» والفوز في الحروب والتغلب على المكاره مفروسان في نفوسنا حتى ان جنودنا الذين دارت الدائرة عليهم في أول الحرب واضطروا ان يعودوا القهقري أمام العدو لم يكن يخطر لهم ان يفكروا أو يتكلموا الا بأن الفوز سيكون لهم أخيرا ، وقد دامت هذه العزائم كل مدة الحرب وستبقى أشرف ميراث نوريته لثريتنا من بعدنا »

(المقتطف) : هذا ولم نكده ننهي من كتابة هذه السطور حتى طبر الينا البرق ان ألمانيا هزمت ان نجعل بلادها كلها مالا للاساحة والذخائر الحربية أو ان نحسب البلاد كلها محلا لتجاريا كبيرا وتستخدم كل مافي بلادها من الايدي العاملة ومعدات العمل لخدمة الجيش وان لا تكفي باستخدام الرجال والاسرى بل تستخدم النساء أيضا ، ويقال انها هزمت على تجنيدهن أيضا . وان انكلترة قررت انشاء اداة للتموين برأسة رجل مطلق التصرف يحق له ان يرغم الناس على الاقصاد وانها حظرت على السكان ائتلاف المواد الغذائية واستعمال السكر في الكماليات وطعن الدقيق على الاسلوب الذي يزيل منه المادة السمراء فتقتل تفديته اه ما نقلناه عن المقتطف من ترجمته وتعليقه .

ومن قابل ما نقله عن جريدة التيمس التي هي أعظم الجرائد الانكليزية مكانة ومعرفة بما قلناه في أول المهد بالحرب في شأن خطر انكلترة وحلفائها بجده شيئا واحدا

الحركة الطورانية الجديدة

في بلاد تركيا^(*)

نقل هذه المقالة عن العدد ١٨ والعدد ١٩ من جريدة القبلة الغراء مع تصحيح بض الالفاظ :-

قرأنا في جريدة (نيراست) الانكليزية الصادرة في أول ذي القعدة مقالا خطيراً (١) تحت عنوان الحركة الطورانية الجديدة قترجناها (؟) الى لقتنا العربية الشريفة ونشرناها على صفحات القبلة لعل فيها عبرة ومزدجرا فان أسرار الاتحاديين والحمد لله قد ذاعت وشاعت حتى أصبحت حديث الشرق والغرب. وان وراءها لأشد منها وأفظع، وأدهى وأمر، وسيعلم النازحون عن المملكة العثمانية من حقائق الاتحاديين الطورانيين ما دامه العرب العثمانيون قبل ذلك أعوام فاستعدوا للدفاع عن كيانهم وعن دينهم، وبعضهم سادرون في غفلاتهم هائمون في أودية الاوهام ولا ضاليل واليك ترجمة المقال المذكور

ظهرت في تركيا حركة جديدة عرفها القوم باسم (بني طوران) أعني طوران الجديدة وقد نبتت في الاستانة سنة ١٣٣١ ثم أخذت تنتشر في أجزاء كثيرة من الساطة، وقد اتارت هذه الحركة بكونها مقصورة على فئة مخصوصة غيتها توحيد القومية التركية بالانضمام الى الجنسية دون الربط الدينية الاسلامية. واليك بيان الغايات التي ترمي اليها في مساعيها وأعمالها :

(أولها) ان تجعل الاتراك أمة قائمة بذاتها مستقلة عن الدين الاسلامي تمام الاستقلال حتى يتبها لها أن تربي فيهم ذلك الشعور القومي الذي ذكره الدكتور الفردننج في مقالة نشرها تحت توقيع في جريدة (اندرونوخ) الالمانية على أثر حديث

(*) قد لخص هذه المقالة صاحب المقتطف ناسبا اياها الى أحد أدباء الانكليز وابقى كلمة الطورانية بالتمام

دار بينه وبين زعماء الاتحاديين . (١)

(ثانيها) ترقية الروح العسكري التركي فقط (٢)

(ثالثها) انشاء العلاقات التجارية وغيرها من الصلات بين مسلمي بلاد العجم

الشمالية (آذربيجان) وبلاد روسيا في آسيا والاجزاء الجنوبية منها .

(رابعاً) تطوير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية ومن آداب

هايتين اللغتين .

ولهذه الجمعية التركية مطمح آخر ترمي اليه وان لم تنجح به رسمياً وهو تريك

العرب وإدغامهم في الترك حتى لا تبقى لهم قومية قائمة بذاتها . وأكبر آمال هذه الجمعية

ان تجعل التركي العثماني يعد نفسه تركياً قبل كل شيء . وأما كونه مسلماً فيعد عنده

من المسائل الثانوية التي لا تهتمه كثيراً .

أما هذه الجمعية فانها تقوم بتلك الاعمال بإيعاز من السلطة الحاكمة التي تؤيدها

بكل وسيلة ممكنة وتدفع لها كل ما يلزمها من المال لاجل بلوغ هذه الغاية وهم

يسمونها (ترك أوجاخي) أي جمعية الوطن التركي . وهي تقوم الآن بنشر دعوئها

والقيام في أعمالها بهمة فائقة . أما الاطفال الترك فان المدارس الطورانية التي شرع

في انشائها كفيلة بأن تفرس في نفوسهم تلك الروح التركية الجديدة

وقد بذلوا غاية الجهد في تدريس التاريخ القومي للطورانيين وأفرغوا كل عناية

لنشره في المدارس العالية وحضوا الطلاب على التنافس فيه والتهافت عليه ، وأخذوا

بتأليف قوة كبيرة من فتيانهم سموها بالتركية (ايزجي) أي قافة الاثر . ووضعوها

تحت رعاية أنور باشا وهم يدربونها على الفنون العسكرية حتى تكون قادرة على

الانضمام للجيش العامل وتفوق غيرها من أبناء العناصر الاخرى كالعرب والاكرد

واللاز ونحوهم . وهذه القوة الصغيرة علامات مخصوصة وشارات معينة وألقاب معروفة

وكلها تركية قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل العصر الاسلامي . أما الاولاد الذين

(١) عبارة المقتطف : وهذه العبارة هي عبارة الدكتور الفردنوسيج من حديث

دار بينه وبين زعماء الاتحاديين ونشر في جريدة درتاج الالمانية اه (٢) ترقية

الروح العسكرية بين الترك اه م

أسماءهم مأخوذة من العربية فقد استبدلوا بها الألفاظ تركية مفضضة بدعوى أن الكشافة تركية خالصة وإن أسماءها يجب أن تكون كذلك اتعاقباً للقومية ورعاية للجنسية ، ومن الأسباب التي عملت على إيجاد هذه الحركة أمور علمية ولغوية لأن الاتحاديين شرعوا في نقل كتب كثيرة من علمية وتاريخية إلى لغتهم فكان لها في نفوسهم تأثير ، وقد تفانوا في ذلك حتى عزموا على ترجمة القرآن الكريم إلى التركية واستعماله في العبادة بها لا باللسان العربي ، ولكن العلماء المسلمين من جميع النحل حتى بعض الترك أنفسهم عارضوا في ذلك أشد معارضة

وقد طبع الاتحاديون كتباً كثيرة لتأييد المبدأ العنصري ومن ذلك الروايات الكثيرة التي وضعوها وأسمها (بني طوران) وهي الرواية التي كتبتها إحدى نسايتهم المطالبات بحقوق الانتخاب واسمها (خالدة خانم) وقد جذبت فيها تلك الحركة الجنسية ونوهت بمطالب السيدات وحقوقهن ، ولا ريب أن مشكلة المطالبة بحقوق النساء وما يقوم به الأتراك من نشر دعوتهم والحث على العودة إلى مدينة طوران من شأنه أن يعيد إلى محبة الإنسان ذكرى ما هو معروف عن الأقوام الطورانية وما كانت عليه من الأحوال الاجتماعية لأن استبدادهم بالنساء وما ألحقوه بهن من ضرر وب القسوة والظلم يفوق ما فعلته جميع شعوب الأرض في العصور المظلمة يقال إن الحركة التركية بدأت بالظهور تحت صورتين وأسباب مختلفة أولها اللغة التركية ومحاوله كتابتها بما يخالف الأحرف العربية حتى تعذرت قراءتها على كثيرين . على أن هذا الأمر لا شأن لنا به على الإطلاق . وهنا لك أسلوب آخر أعني به توطيد العلاقات مع مسلمي روسيا والقوقاز دون غيرهم من سائر المسلمين بحجة أن هذه الأقوام ربما كانت من أصل تركي أو أن تركيها ممكن في الأقل ولكن ذلك لم ينقذهم من خطر الاندماج في العرب وخسران قوميتهم مادام للإسلام سلطان على النفوس ^(١) ولذلك عالجوا أمرهم بأحياء اللغة التركية والسعي في استقلالهم عن سواها .

(١) عبارة المتعطف: والا لا يطلع العرب الترك العثمانيين في آخر الأمر ولو فأن هؤلاء باستخدام الجامعة الإسلامية للبلوغ غاياتهم

أما الباث الثالث الذي شدد عزائمهم فهو كتاب تلاه^(١) الدكتور ناظم المرحض المسئول لجمعية الاتحاد فكان كالجذوة أصابت هشيماً يابساً لانه أوقد في نفوسهم نار الحماسة والحمية . وذلك الكتاب مؤلف قاريخي وضعه الموسبوليون كوهين بالفرنساوية عن آسيا والأتراك في منغوليا وأصلهم منذ سنة ١٤٥٥ ميلادية، وقد صدر ذلك الكتاب سنة ١٨٩٦ وبما ان الجمعية العلمية الفرنسية قرظته وخصته بالعناية فقد حلّ عند الاتحاديين مكاناً رفيعاً فنقلوه الى التركية بصبارات بالغوا فيها ما استطاعوا ولم يلتفتوا البتة الى صحة بعض الاحكام والآراء المذكورة في الكتاب بل عدوا ذلك أمراً ثورياً بالنسبة لخطتهم المرسومة . ومن البديهي ان من مقتضيات تلك الحركة استقلال العنصرية التركية دون الاسلام تمام الاستقلال وانفصالها عنه أشد الانفصال . وان ذلك لا مخطر عند المسلمين وغيرهم من الدول العظمى مثل روسيا وفرنسا وإيطاليا وانكلترا لان لهذه الدول عدداً كبيراً من الرعايا المسلمين وذلك ما يجعل لهذا الانقلاب أهمية كبيرة في الشرق والغرب . وهذه الحركة كما يقولون مقصورة على جمعية الاتحاد والترقي ومبنية على نظرات استاذهم المجري فبيري لما علق في ذهنه من المزاعم القديمة لبالية من ان الاسلام ينافي الوطنية^(٢) . ويزعم الاتحاديون أن الاسلام باختلاطه مع التقاليد والمؤثرات العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية قد حول الترك الى عنصر شرقي مسلم ليس له مدنية (كلتور) خاصة به، وهم يقولون ان هذه الحقائق تجعلهم على الاهتمام بمصيرهم والتفكير في عاقبة أمرهم وزيادة العناية في تمييز الحياة الوطنية التركية عن الاسلام

أما تيار المهاجرة التركية فقد بدأ منذ أوائل عهد التصرانية في آسيا من بلاد الصين والاكسوس . وكانت ديانتهم في ذلك الزمن على افترض أنهم كانوا يدينون بدين خاص ما يسمونه اليوم (السامانزم) أي العبادة الوثنية^(٣) . وكانت مدنيتهم

(١) أي اطلع عليه وقرأه (٢) عبارة المفتطف : ويقال ان احرار الترك يميلون اليها بوجه خاص بناء على القاعدة التي وضعها فبيري اليهودي المجري المعروف وهي أن «لاوطن في الاسلام» (٣) المفتطف : كانت القبائل التركية تقطن بلاد آسيا من حدود الصين الى نهري جيحون (او كسوس أو موداريا كما يسميه النثر) وكانت ديانتها - ان كان لها ديانة - ما يسمي «بالشامانية» أي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر

مؤلفة من المبادئ البسيطة المعروفة عند القبائل الرحالة المنتشرة في أواسط آسيا كما يقتضي بذلك مركزهم الجغرافي وحالتهم الاقتصادية المحيطة بهم. ولم يكن لهم من المزايا غير الصفات الحربية، ولم يكن لهم من الشرف القومي أيضا سوى ما يستعبرونه من شرف الامة التي تستخدمهم بالدرهم للمحاربة في صفوفها، وكانوا يعرفون بالطاعة لكل من أطعمهم وتولى قيادتهم في ساحة القتال. ولا مشاحة ان التركي لم يستطع تجاوز تلك الحدود من تلقاء نفسه. ولم يكن للتركي دين خاص به ولم يعمل شيئا لترقية شؤونهم وبلوغ درجة رفيعة من المدنية، ولم يحاول الترك قط أن يمزجوا ببقية اجناس قومهم، وان كان جنكيز المغولي قد حدث نفسه بهذا الامر وجعله نصب عينيه وأكبر آماله. ولم يكن التركي يقتبس من المدنية الاماثل لجنسه الاحوال الضرورية اليه لاحتكاكه بها كرها كما وقع له مع المدنية الصينية فالفارسية فالعربية فالرومية فالالمانية. ولا يقع في وهم أحد أن ما استعاره التركي من مدنيات أولئك الاقوام ولا سيما مدنية الاسلام قد حال دون بلوغه (ككنور) مدنية خاصة به^(١) وان التركي لم يظهر في عصر من العصور مقدرة خاصة أو استعدادا طبيعيا لاجل النهوض واظهار مدنية يستقل بها عما كان يقترضه اقتراضا ويقلده تقليدا مضحكا وفي الحقيقة ان العثمانيين من بين قبائل الترك ان أقل الناس لياقة لتمثيل أمة. يدلك على ذلك ان الاناضول عدا ما فيه من قبائل اليهود والكركمان خال من آثار القبائل التركية الاصلية. لان القومية التركية فيه ليست اللفظة أوجدتها الاحوال السياسية. وليس الدم التركي فيها سوى قطرة صغيرة في بحار تلك الدماء المتحدرة من الاقوام والشعوب القديمة الراجعة في تاريخها الى ما وراء تأسيس القسطنطينية باجيال كثيرة كالليونان القدماء والفريجييين والغلاطيين والاشوريين والكرانيين والحثيين، وتلك الدماء هي التي تحركت في اعصاب ذلك المزيج المسمى بالعثماني فاوجدت فيه ميلا للزراعة وحرثة الارض، ولا سيما العناية بالبحرية في القرن السادس عشر. وقد كان من جملة العوامل التي حفظت وجود الأتراك حتى اليوم بصفة شعب معروف أمران: الدين والطاعة العسكرية. فاذا ذهب الاسلام من تركيا فاذا عسى أن يبقى لها. وقد أجاب عن ذلك أصحاب (قوم جديد) فقالوا انه سيبقى لهم

(١) كذا في التبعة والمراد: دون انشائه مدنية خاصة

اتراك طوران والاسلام بصورة جديدة فيكون ديننا وطنيا أهليا. على ان شعب طوران لم تظهر عليه دلائل الابتكار والاختراع فيستطيع قلب الاسلام رأسا على عقب وجعله كما نشاء عنصر يته الطورانية وكما يزعم اقطاب القوم الجديد، وكل ما في الأمر ان للطورانيين سبقا في التدمير والتخريب والقتل كما فعل جدهم هولاكو فقد دمر النرع المائبة التي كانت في العراق وجعل بقاعه المحصنة مجدبة حتى اليوم. أما الطورانيون العثمانيون فقد نسفوا المدينة البرنطية الزاهرة، ومثلهم جنكيز السفاح الذي ملأ بخارى بغيا وظلما، وقد لا يصدق الناس أن تيمور كان من الفرسان وان جنكيز من أقطاب السياسة. ولقد أفاض المسيو كوهين في وصف المزايا العسكرية الطورانية ولكنه لم يذكر شيئا عن فظائعها الا ان الدكتور بيسلر أصلح ذلك الخطأ في ما كانت تستعمله تلك البطون الطورانية من ضروب القسوة والظلم مع جميع الامم الخاضعة لاحكامهم، وليس للتركي لذة أو اهتمام خاص في الامور الدينية ولذلك لم يبدل شيئا في خدمة الاسلام الذي جدين يديه فلم يتقدم خطوة ولذلك يستصعب العارفون قدرة (قوم جديد) على جعل الاسلام تركيا محضا وما لا ريب فيه ان التركي يخاف العرب اشد خوف ويدأب في استعمال كل الوسائل لجعلهم اتراكا ومحو قوميتهم تقليدا لما فعله شولرويك هولستين مع ولايات الدانمرك التي انضمت لمانيا ولقد صرح بذلك جلال نوري بك في احد كتبه فقال «ان البلاد العربية بأسرها ولا سيما العراق واليمن يجب ان تكون تركية في اللغة والجنس وان تكون لغة الدين عندهم تركية أيضا، والاسراع في ترك البلاد العربية من أهم الامور لحفظ وجودنا لان روحا جديدة بدأت تدب في نفوس العرب ورجال نهضتهم وأخذت تهدد وجودنا السياسي بضربة تقضي علينا قضاء مبرما، فالضرورة والحالة هذه توجب علينا ان نكون على تمام الاهبة والاستعداد لانتقاء هذا الخطر.» وكتب احمد شريف بك في جريدة طين ما ياتي «يتحدث العرب كثيرا في هذه الايام عن أنفسهم وقوميتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما كان بلادهم ليست خاضعة للاتراك، فالواجب يقضي على حكومة الباب العالي أن تهتم اهتماما فعليا في جعلهم يفسون هذه النعمة وتضطرهم لتعلم اللغة التركية الرسمية. فاذا أهمل الباب العالي ذلك كان كمن يحفر قبره بيديه. واذا بقي العرب على يقظتهم هذه

فلا يبعد أن يهبوا لاسترجاع ملكهم وفي ذلك القضاء على السيادة التركية في آسيا
وهناك أدلة أخرى عديدة على أن الأتراك يسعون بكل جهدهم للقضاء على أمة شريفة
كالأمة العربية ومحو أثرها من عالم الوجود ولكن الخلفاء يدافعون عن مبدأ القومية ويؤيدونه
وهم لا يسمحون بفناء أمة كريمة تريد البقاء ولا سيما إذا كانت أمة أخرى طاغية تريد سحقها
وذلك ما يجعل مبول الخلفاء عربية محضة وهو أمر لا يرتاب فيه أحد من المسلمين المتمتعين
بالحيش في ظل انكسار وفرنسا. فالخلفاء أنصار العرب وهم يسعون لتأييدهم لأنهم أصحاب
الدين الإسلامي الخفيف ومنهم النبي الأعظم (صلى الله عليه وسلم) وفوق ذلك كله فإن
هناك صلة قرابة قوية بين العرب والمسلمين التابعين لحكومة فرنسا في شمال إفريقيا. اهـ

باب المراسلة والمناظرة

﴿ تأثير الصحافة في أخلاق الأمة ﴾

سيدي الاستاذ صاحب (المنار)

بمناسبة مقالكم المصريح عن حال المسلمين الاجتماعية ومكان الاغنياء وسائر
الطبقات منها رجا جازلي أن أتعرض بكلمة وجيزة لمسألة حيوية مرتبطة بهذا الموضوع
وهي تأثير الصحافة في أخلاق الأمة .

بديهي أن الصحافة من الموازين التي تقاس بها درجة الرقي في شعب من
الشعوب، كما أنها إحدى المكيفات له وأحد عوامل الإصلاح إذا قبض على زمامها
من لهم خبرة به . ليس من الصعب على الإنسان إذا فحص حالة الجرائد في قطر
من الاقطار أن يقرر حكما تقريرا عن مبالغ نهضة أهل ذلك القطر وشكل مزاجهم،
كذلك ليس من الصعب التنبؤ بمستقبل الحركة الفكرية في أمة ما استنتاجا من
مشرب صحافتها التي هي أشبه بمرب ومهذب لها. والدارس لحال الصحافة في وادي
النيل لا يتيسر له التفاؤل الحسن عن تقدمنا في الآداب والاخلاق .

عودت الصحافة المصرية الرأي العام على قبول المدح - نرف لمستحقه وإفتر مستحقه
بغير حساب ، وعودت الجمهور على أن لا يعمل عملا بغير جزاء مادي أو غير مادي
أقله المدح سطورا لا تعد ، فأصبحنا وليس بيننا من يعرف مبدأ التضحية وبمبل به

الاشواذ شقوا بسمو أخلاقهم وضاعت أتعابهم ومجهوداتهم النيرة. وصار لا يعرف لاحسان الا الاقلية الضئيلة الصالحة، ومن عداها من المتظاهرين بالبرفناقون تضطرمهم الى ذلك الرهبة من الرؤساء والحكام أو متاحرون يرغبون في الاعلان عن أنفسهم بما ينفقونه. وليس من الغريب بعد هذا اذا أصبحت جميع مشروعاتنا الخيرية عرضة للفشل، كما أنه ليس من المدهشات أن يتصدى بعض الناس لتقيام بعمل خيري دون أن يكون لهم في الواقع غيرة عليه بل كل قصدهم لاعلان عن أنفسهم سواء نجح العمل أم لم ينجح. ويتبع كل هذا بطبيعة الحال اساءة النظم من بعضنا ببعض، وتسرنا في أعمالنا، وتسابقنا الى شهرة كاذبة وغرور باطل، وإغراق أخلاق الأمة ومصالحها في هذا التيار. لم يقتصر كرم الصحافة بالاطراء المتناهي على الممد والاعيان بل شمل أيضا رجال مهنة الطب الشريفة وخططت الشخصيات فيه بالعموميات فأصبحت أنهار الصحف مزدانة يوميا بالاعلانات الفخمة عن الأطباء مما يندى له جبين الحر، ومما ضر سمعة هذه المهنة الجليلة في القطر المصري. وبعد هذا وذلك تشكو الصحف من المساجرين بالطب من أهله ومن غير أهله. فسكم قرأت من أوصاف المدح لأطبائنا ما لا يقال مثله لأوزلر أو روستون أو أرنج أو كارلس أو لين أو أوجل أو غيرهم من فطاحل علماء الأطباء بأوربا! وأتذكر أنني زرت وطني منذ ثلاث سنوات وكنت لا أزال حينئذ طالب علم فكتبت عني وقتئذ إحدى الصحف العربية الكبرى بالقاهرة مالا يجوز أن يكتب إلا عن ذي منزلة علمية كبيرة! واضطرت على كره مني أن أحرر كتاب عتاب شديد للهجة الى صديقي المحرر..... ولا تزال الصحف تعود طلبة العلم الناشئين حب الظهور الضار ولا سيما الطلبة في أوروبا، والتي مع اعترافي بأن منابغ الحاصلين على شهادات علمية عالية جليلة المترلة وهم قليلون، وأن منا بعض المتفوقين على أقرانهم الأوروبيين في امتحانات المسابقة للجوائز العلمية وشهادات الشرف وهم أقل وأندر،—أرى أن كل هذا لا يميز للصحف أن تبالغ في فوز فائز وتنته بأكبر النعوت التي لا تناسب مركزه لأن هذا مزر بكرامتها وكرامة المبدوح ومؤد الى فساد أخلاق الناشئة

فهذه يا سيدي الأستاذ علة من علل اجتماعية كثيرة سببها الصحافة بتهاونها

بدل أن تقضي عليها وعلى أمثالها بالموعظة الحسنة والقذوة الصالحة، وأدت الى الكثير من تشكو ويشكونه الفيورون المصلحون الذين لا نعرف أقدارهم الا متى حرمانا من مساعدتهم فنقدم برهة على التفریط حين لا ينفع الندم، ثم نستمر في ضلالتنا، ومعظم الصحف تجرؤ في ذلك حرصا على مودتنا لها، بدل أن تزجرنا وترشدنا بحبا في نفعا. فحبذا لو وجهتم عنايتكم بالاصلاح شطر صفاتكم الافاضل مرة قبل أن يستفحل الداء فقد أشرفنا على عهد لا يكاد يستطيع شريف النفس أن يضمن النجاح لعمله بعقله وجده في هذه الفوضى ما لم يقرن ذلك بالاعلان عن نفسه والسعي في هذا السبيل . واذا كان أحد أسباب هذا المصاب الجهل وضه - الاخلاق فتأتي الاسباب هو انحطاط الصحافة

نادي مستشفى سانت جورج بلندن احمد زكي ابو شادي (طيب)

[المنار] أحسن الكاتب وأصاب ، ولا رجاء في ارجاع الصحف بالنقد الى مجبة الصواب، لان أكثر اصحابها لا يقصدون الاصلاح، وجميعهم يقصدون الكسب والجاه، والذين يميلون الى الاصلاح منهم يتحرون في كلامهم ما لا يسوء القراء كالمسائل النظرية والارشاد المجمل . ثم هي تمدح من يستحق الذم ، وتسكت عما يجب من النقد . ولا ينسجم هذا التعليق الوجيز للاطالة في تأييد رأي الكاتب في جنائتها على الاخلاق، ولكنني أنقل فيه كلمة تفني عن مقالات :

حدثني شيخنا الشيخ حسين الجسر عن حكيمنا السيد جمال الدين الاففاني وكان قد لقيه في الآستانة بعد انشاء جريدة طرابلس الشام التي كان الشيخ شريكا ومحورا فيها ولكن مقالاته فيها لم تكن تمرى اليه قال

قال لي السيد ان جريدتكم « طرابلس » قد جمعت بين الكفر والايما، نرى في صدرها مقالة في مدح الصدق وذم الكذب مثلا وأكثر ما فيها بعد تلك المقالة كذب - وأشار الى ما يذكر كل عدد من اطراء رجال الدولة والحكومة وغيرهم من الوجهاء - فقلت له ان مدير الجريدة يفعل هذا على سبيل التقية (وذكر الشيخ انه تنصل من مهنة الصحافة) فقال له السيد: التقية مذهب الشيعة... وأنكر على الشيخ تنصله من الصحافة وقال أنا صحفي ثم قال وهو المراد : إننا لا نخطو خطوة واحدة الى الامام الا اذا أعطينا كل ذي حق حقه فسينا العالم عالما والمصلح مصلحا والمفسد مفسدا...

جمعية النهضة النسائية بمصر

اجتمع عدد من كرائم السيدات الوطنيات في ٢٧ يناير الماضي في منزل حضرة السيدة الفاضلة حريم صاحب العزة اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير فالفن جمعية أدبية غايتها السعي في ترقية المرأة الشرقية والاهتمام بمستقبلها بعد هذه الحرب وقد افتتحت الحفلة حضرة ربة المنزل بالكلمات الآتية

أبدأ قولي بحمد الله والصلاة والسلام على من اصطفاه

وبعد فاني يا سيداتي وبأخواني الأعزاء أراي وانا في موقعي هذا منشرحة الصدر بتشريفكم منزلي اجابة لدعوتي بالحضور الى هذه الحفلة المراد بها البحث في ترقية المرأة الشرقية لتساوى أختها الغربية في الحضارة والارتقاء

أقول الارتقاء ويعلم الله اني لا أريد بقولي هذا أنها في انحطاط أو مهضومة الجانب أو انها لا تصلح للرقى، حاشا فالمرأة الشرقية كانت ولا تزال عزيزة الجانب أهلا لكل فضيلة غير انها يتقصها الآن اتقان العلم والعمل به اتقاناً ينهض بها الى منزلة اسمى مما نحن عليه لأن العلم وحده لا يكفي. مثال ذلك ان كثيرات من أهل الطبقات الراقية أمثال حضراتكن ادخلن بناتهن المدارس وصرفن المصاريف الجمّة ولكن ذلك لم يأت بالغرض المروم لأنهن اقتصرن على تعلم العلم من دون عمل فتراهن يتكلمن باللغات وبأيديهن الشهادات ولكنهن اذا اجتمعن فلا حديث لهن الا الأزياء والخياطات والحرائر والدنديات والاعجاب بالأزياء الحديثة

هذا هو الموضوع الاكثر رواجاً بيننا الآن . فماذا يؤخرنا اذاً يا حضرات الفاضلات وكلكن من المتعاملات الراقيات والله الحمد عن النهوض نهضة علمية عملية والتعاضد جميعاً على البحث فيما يلزم لهذا الرقي ونحن الآن في عصر النور والاصلاح. فلماذا قد اجتمعنا للمذاكرة في هذا الشأن الخطير وتقرير ما يلزم للهداية الى الطرق التي توصلنا الى هذا الغرض الشريف كقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) واني اسأل الله ان يكال عملنا هذا بالنجاح وان يوفقنا جميعاً لما فيه النفع والاصلاح . وان شاء الله سألقى في الاجتماع القادم محاضرة ادبية ابين فيها الادواء وما يلزم لها من الدواء لترقية الاخلاق والافكار والله المستعان

ثم دعت الكاتبة المحيطة صاحبة مجلة فتاة الشرق الزهراء للخطابة في موضوع ترقية اخلاق المرأة الشرقية فالتفت خطاباً مفيداً كان له اجمل وقع في نفوس السيدات وصفقن لها مراراً وما زلن يتسامرن ويتجادبن الحديث في مواضيع ادبية مفيدة ثم انصرفن شاكرات ربة المنزل على السعي في هذه النهضة المفيدة وقد وعدن بالمداومة على الحضور فيها

تقرير المطبوعات الجديدة

﴿ تصحيح كتاب الاغانى ﴾

كان علامة اللغة وإمامها في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي قد صصح في نسخته من كتاب الاغانى المطبوعة بالمطبعة الاميرية كثيرا من الاغلاط التي كان يثر عليها هند المطالعة والمراجعة وزاد عليها في بعض الاجزاء بعض الفوائد والابيات من الشعر كتبها على الهوامش فني (محمد أفندي عبد الجواد الاصمعي) بجمع تلك التصحيحات والزوائد من نسخة الشنقيطي بعد ان صصح بها نسخة المكتبة الزكية باذن واقفها احمد زكي باشا وارشاده وأضاف اليها تصحيحات وزوائد أخرى لاحمد زكي باشا من نسخته وطبع ذلك كله مبينا مكان الغلط وتصحيحه من طبعة المطبعة الاميرية وطبعة الساسي وأضاف الى ذلك استدراقات على فهرس الكتاب ، فبلغ المطبوع سبعمين صفحة كبيرة تصفحات الاغانى ، وكل من ينظر في كتاب الاغانى المطبوع من أهل العلم باللغة وفنونها يجزم بأن فيه من الغلط الكثير الذي لم يذكر في هذه التصحيحات ما لا يخفى مثله على الشنقيطي ، لذلك جازمت بأن الشنقيطي لم يصصح الكتاب كله بل بعض ما كان يثر عليه عند المراجعة أو المطالعة ، ولكن جامع التصحيحات ظن أنه صححه كله بقصد ، وأن تصحيح زكي باشا جاء كاستدراك عليه ، فهو مما خفي عليه أو مما ذهل عنه ، وانني أؤيد رأيي بشاهد واحد بل شواهد كثيرة في قصيدة واحدة وهي قصيدة أبي دلالة الذئبة المنشورة في ص ١٣٠ من جزء الاغانى التاسع من طبعة الساسي ، ففي هذه القصيدة أغلاط لا تحتمل التأويل ، وهي منشورة في الجزء الاول من المقدم الفريد ، ومن راجعها عليه يرى بين ما فيه وما في الاغانى اختلافا كثيرا وزيادة ونقصا ، والشنقيطي كان مطالعا على المقدم الفريد فلو كان ملتزما تصحيح الاغانى لصصح غلط القصيدة وأشار الى ما خالف رواية الاغانى فيه رواية المقدم ، ومن التصحيح فيها قول الشاعر

وطالما اختلفت صيفا وشائبة الى ملها باللوح والكثف

صحفت كلنا « صيفا وشائبة » في الاغانى بجمعها « صيفا وشائبة » ومن التعريف فيها قوله

« والحق في طرف والعين في طرف » حُرِّفَتْ فِيهِ كَلِمَةُ الْعَيْنِ الْمُرَادُ بِهَا النِّقْدُ بِكَلِمَةِ الْعَيْنِ؟
هَذَا وَنَحْنُ نَشْكُرُ الْأَدِيبَ الْأَصَمِيَّ هَذِهِ الْخِدْمَةُ الَّتِي لَا يَنْقُصُ مِنْ قُدْرَتِهَا مَا ذَكَرْنَا
مِنَ الْحَقِيقَةِ، وَنَنْصَحُ لِكُلِّ مُقَرَّنٍ لِكِتَابِ الْأَغَانِي بِتَصْحِيحِ نَسْخَتِهِ عَلَى هَذِهِ الْجَدَاوِلِ
تصحيح كتاب لسان العرب

كتاب لسان العرب لابن منظور الإفريقي أعظم معاجم اللغة التي أتت بها
المطابع ولكن فيه غلطا طبعيا كثيرا ، على كونه قد طبع بالمطبعة الأميرية التي هي
خير المطابع العربية تصحيحا ، وأذكر أنه لما سافر الأستاذ الامام سفره الأخير إلى تونس
والجزائر وصقاية وأوربة أنابني عنه بتصحيح كتاب المخصص مع الشيخ محمد محمود
الشنقيطي (رحمهما الله تعالى) فكان هذا يذكر لي في أثناء التصحيح كثيرا من
أغلط لسان العرب التي اعتمد عليها مصححو المطبعة الأميرية في تصحيح المخصص
فأخطوا ، وقليلًا من الأغلاط التي أخطأ فيها ابن منظور نفسه في النقل أو الاعتماد
على بعض الروايات المرجوحة في اللغة . وقد انتدب صديقنا أحمد بك تيمور الباحث
الأنوي الشهير بصدقته وسعة اطلاعه لجمع ما تبسر له من تلك الأغلاط وتصحيحها وكان
ينشر ذلك في مقالات متفرقة في جريدة المؤيد ومجلتي الضياء والآثار ، ثم جمع شمل
تلك المقالات وزاد عليها ما عثر عليه بعد نشرها ، وأذن ل محمد أفندي عبد الجواد
الأصمعي بطبع ما جمعه وحرره منها - وهو القسم الأول من التصحيح - قطعه ووعد
بنشر ما اطلع عليه من تصحيحات الامام الشنقيطي والشيخ حمزة فتح الله والشيخ
ابراهيم اليازجي والشيخ محمود مصطفي والشيخ محمد البليسي أيضا ، فنشكره هذه العناية .

الكوكب

جريدة سياسية أدبية أسبوعية تصدر في القاهرة بشكل كراسة من قطع الكتب الكبيرة ذات
ثمانين صفحات مطبوعة طبعا جيلا بحروف المطبعة الأميرية الجديدة ، موضوعها تشييط الحركة
العربية ودعوة سائر عرب الجزيرة إلى القيام بمثل ما قام به عرب الحجاز للقضاء على سيطرة الترك
وتقليص ظلم غير الظالمين عن سائر البلاد العربية ، والظاهر ان لها موارد خاصة تستقي منها
أخبار مساوي الترك وفتائنهم في سورية والعراق وكذا فتائن حلفائهم الألمان في أوروبا ، وأنها
كانت توزع في بلاد العرب دون مصر ، وأول عدد ظهر منها في مصر هو السابع عشر فترفعه
المقطم ، ثم اطلعنا عليه وعلى أعداد مما صدر بعده . وثمن كل عدد من هذه الجريدة قرش
مصري صحيح (١٠ مليات)

عشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعجزة
١٣١٥

بؤني الحكمة من يتاه ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي عبدا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٥ - ٢ الحوت (ش ٣) ١٣٩٥ هـ ٢٢ فبراير ١٩١٧

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحنا هذا الباب لإجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء. وانما نذكر الأسئلة بالتدرج غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لئلا هذا، ولن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فإن لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ رجح صندوق التوفير ﴾

(س ١١) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الاستاذ الجلال حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فانا كثيرا ما سمعنا من الناس اباحة وضع الاموال في صناديق التوفير بالبريد وأخذ الفوائد منها وذلك مما لا نشك أنه الربا المحرم باجماع المسلمين لا نعلم بينهم خلافاً ثم اذا ناظرناهم فيه استعدوا الى ان الاستاذ الامام رحمه الله وغفر له قى بجوازه في فتوى رسمية ولما كنا لم نر هذه الفتوى ولم نعلم وجهها وكتم انفس الناس بالامام واعلمهم بأقوله وفتاويه لجأنا اليكم

لبيّنوا لنا فتوى الامام أولا وهل هي لا تعارض الكتاب والسنة ثانيا خصوصا وأن
الجالس الحسبية قررت وضع أموال القاصرين في هذه الصناديق بناء على هذه
الفتوى المزعومة كما يقولون وليكن بيانكم شافيا وافيا كما هو دأبكم ان شاء الله تعالى ما
كتبه

أبو الاشبال

عفا الله عنه عنه

(ج) ان كان للاستاذ الامام فتوى رسمية في مسألة صندوق التوفير فهي
توجد في مجموعة فتاويه بوزارة الحفانية ومنها تطالب ، وأنا لم أر له فتوى في ذلك
ولكنني سمعت منه في سياق حديث عن مقاومة الخديو له ما حاصله : ان الحكومة أنشأت
صندوق التوفير في مصلحة البريد بدكريتو خديوي (أمر عال) لييسر للنقرا حفظ
ما زاد من دخلهم من نفقاتهم وتشميره لهم وقد تبين لها ان زهاء ثلاثة آلاف فقير من
واضي الاموال في صندوق البريد لم يقبلوا أخذ الرج الذي استحقوه بمقتضى الدكريتو
فسألتني الحكومة هل توجد طريقة شرعية لجعل هذا الرج حلالا حتى لا يتأثم فقراء
المسلمين من الانتفاع به فأجبته مشافهة بإمكان ذلك بمراعاة أحكام شركة المضاربة
في استغلال النقود المودعة في الصندوق ، فذاكر رئيس النظارة الخديو في تهو يرالد كريتو
الخديوي وتطبيقه على الشرع فأظهر سموه الارتياح لذلك . ولما قال له رئيس النظارة
اننا استشرنا المفتي في ذلك غضب غضبا شديدا وقال كيف يبيع المفتي الربا ؟ لا بد
أن استشير غيره من العلماء في ذلك . ثم جمع سموه جمعية من علماء الأزهر في قصر
القبة وكلفهم وضع طريقة شرعية لصندوق التوفير ليظهر امام العامة بأنه هو المحامي
عن الدين والمطبق للمشروع على الشريعة ، وان الحكومة كانت عازمة على إكراه
المسلمين على أكل الربا بمساعدة المفتي لولا تداركه الأمر . وقد وضع له العلماء مشروعا
قدمته المعية لنفاذ المألية . (قال) وان نظارة المالية عرضت عليّ ذلك المشروع
لاقراره — أو قال للتصديق عليه — فوجدته مبني على ما كنت قلته للحكومة شفاها .
هذا ما سمعت منه رحمه الله تعالى وأظن انه قال ان اولئك العلماء كانوا من قتها
للمذاهب الاربعة أو الثلاثة ولا أجزم بذلك

ومهما تكن صفة الطريقة التي وضعها العلماء لاستغلال أموال التوفير فلا يظهر
عدها من الربا المجمع على تحريمه وهو ربا النسيئة الذي كان في الجاهلية وقد بينه
الامام أحمد لما سئل عن الربا الذي لا يشك فيه بمثل ما بينه غيره من أخذ الزيادة
في مقابلة التأجيل فقال: هو أن يكون له دين فيقول له — أي إذا حل أجل الدين
— اما أن تقضي ولما أن تربى ، فان لم يقض زاده هذا في المال وزاده هذا في
الأجل . وذكر الفقيه ابن حجر في الزواج ان الإنساء فيه كان بالشهور ، ولهذا
كان يتضاعف ويغرب البيوت

﴿ شق صدر النبي (ص) وتطهير قلبه من حظ الشيطان ﴾

(س ١٢) من صاحب الامضاء في الاسكندرية

سيد الحكيم قدوة العلماء وتاج الفصحاء

من لا أسميه اجلالاً وتكرمة فقدرة المعالي عن ذلك بغني

أطفال على مائدكم العلمية التي أبهرت العقلاء وأعجبت الفصحاء لما عليها من
أصناف المعارف الحية وأنواع التعاليم الصحيحة — راجيا من علو آدابكم ومكارم
أخلاقكم أن تسمعوا لي المقام فان لي قلبا يصبو الى ما يفوه به فوكم من الدرر وما
ينطق لسانكم من الحكم والعبر وما ينزه قلمكم من الفكر

في هذه الايام كثرت الجدال حتى كاد ينفذ الى الهلاك في مسألة (انشقاق
صدر الرسول عليه الصلاة والسلام واخراج قلبه وتطهيره من حظ الشيطان الذي وجد
معه من يوم أن ظهر على الارض ونزل من بطن أمه وامتلائه حكمة) — اختلفت آراء
القوم وتباينت في تلك المسألة فمن مصدق عليها مقر بحديثها ومن مكذب لها مفند
لا يلوي الا على ما يثبت البرهان ويقبله الوجدان ويقربه العقل الرجيح — أما
المصدق لها فأدلتها ما جاء في البخاري بما معناه . ان النبي بينما كان يلعب في الصغر
مع أقرانه اذ نزل عليه جبريل فصرعه وشق صدره فأخرج قلبه وطهره من خبائث
الشيطان أو بالأحرى من موضع يوصوس له فيه الشيطان وملأ قلبه نورا وحكمة

ولم يكتف جبريل بشق صدره مرة بل شقه مرات تبعا لازدياد الحكمة ونموها

فيه كلما كبر - حتى كان ليلة الاسراء وهو نائم ناداه من أحد الثلاثة مناد (كما يقول البخاري) فقام اليه وأتى فإذا هو جبريل وقد أفرج صدره ونظف قلبه ثم أسرى به - وقد قال النبي بما معناه كل مولود يستهل معسه الشيطان . فمثل حتى أنت يارسول الله ؟ قال « حتى أنا ولكني تغلبت على شيطاني » قال الله تعالى في سورة الحج (وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الآية

وأما المكذب لها فانه باق على تكذيبها ، وما هو قد كتب اليكم ليسترشد بنور هدايتكم الساطع لا اعتقاده بأنك الزعيم الأكبر للمسلمين . تلك هي المسألة التي أرجو من حضرتكم إما تأييدها انسيب على مقتضاها ، وإما نفيها وبذلك تنتفي شبهة والاباطيل التي نشوه سمعة الرسول عليه الصلاة والسلام - والامل وطيد في ان يكون الرد سريعاً لازات محفوفاً من الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته آمين

تليدكم الخاضع

اسماعيل حسن خليه

(ج) لا بد أن يكون مرادكم بتكذيب المسألة تكذيب الرواية أو الروايات الواردة فيها التي أوردتم بعضها بالمعنى فخالقتم اللفظ والمعنى ، وقرئتم به آية الحج وليست من معناه في شيء بل معناها ان الرسل والانبياء اذا تمنوا لا يتم لهم موضوع أمانتهم بسبب وسوسة الشيطان للناس ولا محل لتفصيل ذلك هنا . وقد صرحتم بأن سبب التكذيب اعتقادكم ان مضمونها بعد طعننا في سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان ينزعه عنه . ولكن لا ينبغي لمسلم أن يرد حديثاً مروياً بالبعلة في سنده أو موارضة ما هو أقوى منه لمقته بشرطه ، ومن أشكل عليه فهم شيء من الاحاديث فعليه أن يبحث ويسأل لأن يرد بهواه ، ويكذب من لا يعرف سيرته من الرواة . واننا نورد هنا ما روي في هذه المسألة أصحها سنداً ونبين ما في أسانيدها ومتونها مما يمكن أن يتعلق به من ينفي وقوع شق الصدر حقيقة ، ثم نبين ما ينبغي ان توجه به المسألة على تقدير صحة وقوعها فنقول

روي حديث شق الصدر في الصغر مسلم - لا البخاري - قال : حدثنا شيان ابن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك (رض) ان

رسول (ص) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره (أي مرضه حليلة السمعية) فقالوا إن محمداً (ص) قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

وأقول إن في هذا السند مقالاً . قال الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب في شيبان بن فروخ صدوق بهم (أي يخطئ) ورمي بالقدر ، قال أبو حاتم اضطرب الناس إليه أخيراً . من صفار التاسعة . وقال في شيخه حماد بن سلمة : ثقة عابد أثبت الناس في ثابت ، وتغير حفظه بآخره ، من كبار الثامنة اهـ

وقال في تهذيب التهذيب بعد ثناء الأئمة عليه : وقال البيهقي هو أحد أئمة المسلمين إلا أنه لما كبر ساء حفظه فلذا تركه البخاري وأما مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ما سمع منه قبل تغيره ، وما سوى حديثه عن ثابت لا يبلغ اثني عشر حديثاً ذكرها في الشواهد ، ثم قال الحافظ : وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث وربما حدث بالحديث المنكر . وأقول يؤخذ من هذا الكتاب ومن ميزان الاعتدال أنهم أنكروا من روايته عدة أحاديث شاذة في الصفات قبل أنها دسّت في كتبه .

هذا أصح ما روي في هذا الباب وقد علمت ما في مسنده ثم إن أنسا لم يرفعه وما كل ما يرويه الصنعاني عن مجهول يحتاج به بل يفرق في روايته بين أحكام الدين وبين الأخبار عما كان قبل الإسلام إذ يمكن أن ينتهي الخبر إلى بعض المشركين . وقد روي خبر شق الصدر عن حليلة السمعية مرضته (ص) من طرق أخرى عند أهل السير والطبراني والبيهقي وأبي نعيم وابن عساكر كلها دون طريق مسلم منها الضعيف والموضوع كرواية البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس عن أبيه من طريق محمد بن زكريا اللؤلؤي وكان كذاباً يضع الحديث . ورواية أبي نعيم وأبي اسحق وغيرها عن عبد الله بن جعفر عن حليلة من طريق جهم بن أبي الجهم قال الذهبي لا يعرف له قصة حليلة السمعية

فإذا كان السائل يرى أن هذا الحديث لا يصح لما رآه في متنه غير لائق

بمنصب النبي (ص) فقد علم أيضا أن في مسنده مقالا ٤ وليس هو من عقائد الدين ولا من أحكامه القطعية

وقد ورد خبر شق الصدر في أحاديث المراج أيضا المروية في الصحيحين والسنن وغيرها وقد استشكلها بعض العلماء فنورد منها ما لا بد منه لبيان هذه المسألة

أحاديث قصة المراج في الصحيحين مدارها على أنس بن مالك فنها ما رواه بنفسه ومنها ما رواه عن غيره . وقد ذكر في بعضها شق الصدر دون بعض فأما حديث أنس فلم تذكر قصة شق الصدر في طريق من طرقه الا طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر عنه وهو في صحيح البخاري وتفسير ابن جرير ، قال أنس : ليلة أسري برسول الله (ص) من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم ، وقال أحدثهم خذوا خيرهم ^(١) ، فكانت تلك الليلة فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى ^(٢) فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبرئيل فشق جبرئيل ما بين نحره الى بطنه حتى فرغ من صدره وجوفه ففسله من ماء زمزم بيده حتى أبقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا ^(٣) إيمانا وحكمة فحشى به صدره ولغاد يده — يعني عروق صدره — ثم أطبقه ثم عرج به . الخ الحديث وفي آخره « واستيقظ وهو في المسجد الحرام » وهذه الرواية صريحة في أن ذلك كله كان في النوم وليس فيها ذكر لحظ الشيطان واحتج بها من قالوا أن المراج كان رؤيا منامية وأولها من قال أنه كان في اليقظة بالروح والجسد ، ولا يحتاج الى تأويلها من قالوا أنه مشاهدة روحية . وفي نسخة من صحيح البخاري « فاستيقظت » بدل واستيقظ ، وهي كما قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري التفات من الغيبة الى حكاية قول النبي (ص) والتور الذي ذكر أنه كان في الطست أثناء صغير يشرب فيه

وفي رواية شريك هذه مخالفة لغيرها في عدة أمور استشكلوها وأنكروها عليه

(١) ورد أنه كان نائما بين عمه حمزة وابن عمه جعفر (٢) كانت هذه بعد البمشة بلا خلاف

(٣) حال وفي غير هذا الحديث ذكر وصف الطست لعملا لا حالا وليس فيه ذكر التور

[المنار: ج ٩ م ١٩] رواية البخاري المصروفة بأن المعراج كان رؤيا منامية ٥٣٣

وغلطوه فيها أهمها قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » مع أن الثابت في الصحيح أن آية (ثم دنا) نزلت في جبريل عليه السلام. وهالك ما في فتح الباري للحافظ ابن حجر في ذلك :

قال الخطابي : ليس في هذا الكتاب — يعني صحيح البخاري — حديث أشنع ظاهرا وأبشع مذاقا من هذا الفصل فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما — هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتشليل له بالشيء الذي تعلق من فوق إلى أسفل (قال) فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعا عن غيره ولم يعتبره بأول القصة وآخرها أشبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه إما رد الحديث من أصله وإما الوقوع في التشبيه ، وهما خطتان مرغوب عنهما. وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه الاشكال فإنه مخرج فيهما بأنه كان رؤيا لقوله في أوله « وهو نائم » وفي آخره « استيقظ » وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله وبعض لا يحتاج إلى ذلك بل يأتي كالشاهدة.

(قال الحافظ بعد نقل ما تقدم) قلت : وهو كما قال ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله في الحديث الصحيح أن رؤيا الانبياء وحي فلا يحتاج إلى تعبير . لأنه كلام من لم يعمم النظر في هذا المحل . فقد تقدم في كتاب التعبير أن بعض رؤى الانبياء يقبل التعبير . وذكر الحافظ الأمثلة من الصحيح على تأويل النبي (ص) لبعض الرؤى بغير ظاهرها . ثم ذكر أن الخطابي تعقب في جزئه بأن ما ذكر كان في المنام وقوله أن القصة بطولها إنما هي حكاية بحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يميزها إلى النبي (ص) ولا نقلها عنه ولا أضافها إلى قوله ، فحاصل الأمر في النقل أنها من جهة الراوي إما من أنس وإما من شريك فإنه كثير التفرد بمناكر الالفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة انتهى — أي كلام الخطابي ثم أطال الحافظ البحث فيه ، ولا يعنينا من بحثه هنا إلا قوله بأن للحديث حكم المرفوع لأنه مرسل صحابي فيما لا مجال للرأي فيه ويفسر هذا ما يأتي

وأما ما رواه أنس عن غيره مشتملا على مسألة شق الصدر فليس في الصحيح

منها الا حديث مالك بن صعصعة الانصاري المرفوع الذي رواه أنس عنه ولم يرو أحد عنه غيره. وأوله كما في البخاري: «بينما أنا في الخطيم - وربما قال في الحجر - مضطجما» [قال الحافظ: زاد في بدء الخلق «بين النائم واليقظان»] اذا أتاني آت فقد قال سمعته يقول - فشق ما بين هذه الى هذه... (١) فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيدته ثم أتيت بدابة دون البغل «الحديث». والظاهر أن أنسا روى هذه القصة غير مرفوعة عن مالك هذا فصرح بأخذه مرة وأرسلها مرة أو مرارا عند ما كان يحدث بها وذكر في بعض المرات ما سكت عنه في بعض. وهذه تؤكد أن القصة كانت في النوم وتضعف تأويل المؤولين الا من قال بمصطلها مرة في اليقظة ومرة أو أكثر من مرة في الرؤيا ان أثبت ذلك

وقد روى أنس مسألة شق الصدر في أحاديث المراجع عن أبي ذر مرفوعة في الصحيحين قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ص) قال «فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي الى السماء» الحديث فهذه الرواية لم يصرح فيها بأنه كان نائما ويمكن حملها على المصرحة بذلك دون العكس. ولذلك جزم الحافظ بأن القول بتعدد المراجع في اليقظة بعيد جدا تنافيه المراجعة في مسألة فرض الصلاة منافاة ظاهرة. واذا كان الجمع بين تعارض الروايات الصحيحة السند متعذرا بدون القول بالتعدد، وكان القول بالتعدد في اليقظة بعيدا بل غير معقول - فلا مندوحة عن القول بأنها كانت رؤيا منامية اما كلها أو يستثنى واحدة منها كانت في اليقظة، والاكترون على هذا، فيمكن أن يقال اذا ان شق الصدر كان في الرؤيا المنامية التي تكررت دون واقعة اليقظة الا أن تكون هذه مشاهدة روحية كما قال بعضهم

وأما حديث مس الشيطان للمولود فهو مروي في الصحيحين عن أبي هريرة باستثناء عيسى في بعض الروايات وعيسى وأمه في بعض الحديث واحد وسيأتي نحوه في

(١) يعني من ترقوته الى آخر مراق بطنه وفسر في هذه الرواية بلفظ آخر

فلخص الجواب. وقد استشكل بعض العلماء معناه قال الحافظ في شرحه من الفتح مانصه:
 « وقد طعن صاحب الكشف في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال
 ان صح هذا الحديث فعناه ان كل مولود بطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها
 فانهما كانا معصومين وكذلك من كان في صفتها لقوله تعالى (الا هبألك منهم
 الخالصين) قال واستهلال الصبي صارخا من مس الشيطان فخييل لطمعه فيه كأنه
 يمس ويضرب بيده عليه ويقول هذا من أغويته . وأما صفة النفس كما يتوهم أهل
 الحشوفلاء ولوم ملك ابليس على الناس نخسهم لامتلائ الدنيا صراخا انتهى . وكلامه
 متعقب من وجوه والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ولا مخالفة لما ثبت
 من عصمة الانبياء بل ظاهر الخبر ان ابليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته
 لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا واستثنى من المخلصين
 مريم وابنها فانه ذهب يمس على عادته فخير بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص
 ولا يلزم منه نسلطه على غيرها من المخلصين . وأما قوله لو ملك ابليس الخ فلا يلزم
 من كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع ان يستمر ذلك في حق كل أحد. وقد
 أورد الفخر الرازي هذا الاشكال وبالغ في تقريره على عادته وأجل الجواب فإزاد في
 تقريره على ان الحديث خبر واحد ورد على خلاف الدليل لان الشيطان أعما يغوي
 من يعرف الخير والشر والمولود بخلاف ذلك وانه لو ممكن من هذا القدر لفعل أكثر
 من ذلك من اهلاك وفساد وانه لا اختصاص لمريم وعيسى بذلك دون غيرها الى
 آخر كلام الكشف. ثم أجاب بأن هذه الوجوه محتملة ومع الاحتمال لا يجوز دفع
 الخبر انتهى. وقد فتح الله تعالى بالجواب كما تقدم والجواب عن اشكال الاقواء يعرف
 مما تقدم أيضا وحاصله ان ذلك جعل علامة في الابتداء على من يتمكن من اغوائه
 والله أعلم . انتهى كلام الحافظ

وأما حديث قرناء الناس من الشياطين الذي ذكر فيه اسلام شيطان النبي (ص)
 أو سلامته من وسوسته فهو مروي في صحيح مسلم من حديث عائشة وعبد الله بن
 مسعود ولفظ هذا « ما منكم أحد الا وقد وكل الله به قرينه من الجن » قالوا وإياك
 يا رسول الله ؟ قال « وإياي الا ان الله أعاني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير » وقد

ضبط بعضهم « فاسلم » برفع الميم واختاره الخطابي ومعناه فأنا أسلم من شر وسوسته، وضبطها بعضهم بفتح الميم ومعناه فصار هو مسلما وقيل مستسلما . وهما روايتان وقوله « فلا يأمرني الا بخير » يرجح الثانية بل يوجب الجزم بها . قال النووي في شرحه: قال القاضي (أي عياض) واعلم أن الأمة مجتمعة على عصمة النبي (ص) من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحذر من وسوسته بحسب الامكان اهـ

أقول وفي رواية أخرى لهذا الحديث «وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» ويوضح هذا حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه « ان للشيطان لمة بابن آدم والملاك لمة ، فأما لمة الشيطان فايصاد بالشهر وتكذيب بالحق » الخ وهذا الملاك الذي يقابل الشيطان يسمى ملك الالهام وهو الذي عبر عنه النبي (ص) بقوله « واعظ الله في قلب كل مؤمن » وقد بينا مسألة اتقسام الخواطر النفسية الى شيطانية وملكية في الجزء الاول من التفسير وفي هذا الجزء (السابع) منه أيضا فراجع السائل تفصيل ذلك في تفسير (ولو جملناه ملكا لجملناه رجلا) من جزء المنار الثالث من هذا المجلد (ج ٣ م ١٩) فهو يقرب لذهنه ما لعله يراه بعيدا عنه اذا لم يكن قرأه

ولم ننس الجواب ان حديث شق صدر النبي (ص) في طفولته ونظمه به من حظ الشيطان منه في سنده مقال ومته ليس مرفوعا الى النبي (ص) وليس له حكم المرفوع . وليس مته لا ينافي عصمة النبي (ص) لان حاصل معناه ان روح القدس قد ظهر قلبه و قدسه منذ الطفولة وقبل ان يصل الى السن التي تكون فيها الوسوسة ، وان حديث شقه في قصة المعراج كانت رؤيا منامية في الراجح ولا ذكر فيها لحظ الشيطان فحاصل معناها انها رمز وتمثيل لتأييد الروح القدس والملائكة له (ص) واعدادهم بإيادى الله عز وجل مناجاة خاصة . وأما حديث مس الشيطان للولود عند ولادته فسنده صحيح لا عبرة بمن تكلم في صحته ولكن استثناء عيسى وحده مرة فيه واستثناؤه هو وأمه مرة أخرى ان كانتا غير متعارضتين فلا عموم في الصيغة ، وينافي ذلك قولهم الاستثناء معيار العموم . وان كانتا متعارضتين فقط

الاستدلال بهما أو يقوم الدليل على ترجيح احدهما . وقد علمت ما قاله الزمخشري في الحديث وأقواء معارضة قوله تعالى (ألا عبادك منهم المخلصين) له فانه صريح في ان الشيطان لا سلطان له على اغواء عباد الله المخلصين . وعلمت ما أجاب به الحافظ عن هذه المعارضة وهو ان هؤلاء العباد لا يضرهم ذلك المس اذا لا يدل الحديث على أن كل من مسه الشيطان يغويه . ونقول انه يجوز ان يكون المراد بالمس بيان توجه الشيطان الى التعرض للوسوسة للمولود واستعداد المولود لقبول الوسوسة التي هي زين الباطل والشر في النفس ، وكيفية المس على القول بأنه حقيقة لا تمثيل بمثل في عالم الغيب وهو ما أجمعوا على تفويض كیفيته الى الله تعالى اذا صح الخبر به وكان ممكنا في نفسه . وأما حديث القرين من الشياطين والقرين من الملائكة فهو أصح سندا وأقوى متنان له شاهد من القرآن (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) والاحاديث التي وردت في توضيحه تدل على ان الانفس البشرية فيها داعيتان إحداهما للحق والخير والاخرى للباطل والشر ، وان الاولى ترجح بالالهام ملكي الاخرى باغواء شيطاني . ولكن الانسان هو الذي يزكي نفسه ويهذبها حتى ترتقي الى التناسب مع روح الملك وتلقي إلهام الحق والخير منها — أو يدسها ويفسدها حتى تهبط الى التناسب مع روح الشيطان وتلقي وسوسة الباطل والشر منها ، فمثل ملك الالهام كمثل القرين الصالح من الناس لا يماشرا من يشاكله ، ومثل الشيطان كمثل قرين السوء لا يصاحب الا من يشابهه ، فكل قرين بالمقارن يقتدي به و « الارواح جنود مجنودة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » كما ورد في الحديث الصحيح ، واذا قارف الرجل الصالح خطيئة كان تأثيرها في نفسه معدا لوسوسة الشيطان أو يمحوه بعمل صالح يضاده « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)

﴿ بدع الجمعة والاذان وختم الصلاة والجنائز ﴾

(س ١٣ - ٢٠) من صاحب الامضاء بطملاي مركز منوف مديرية المنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذا من عبد الرحمن احمد الصعيدي الى دار الدعوة والارشاد بمصر
يتشرف بالافادة عما سيذكر : في هذا العهد ظهر عندنا رجل ينهانا عما سيأتي

١ قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة

٢ والاذان المسمى عندنا بالاول من يوم الجمعة

٣ والاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب

٤ الترقية

٥ التبليغ في الصلاة

٦ ختام الصلاة جهارا في المسجد

٧ الصلاة والسلام على النبي عقب الاذان

٨ السير مع الجنائز بالذكر جهارا وقراءة البردة

وحيث اننا نفعل كل ما ذكر من منذ وجدنا بالدنيا وهذا الرجل يجتهد في ابطال ذلك ولا نعلم اذا كان عمل هذا من البدع فتركه أم من الدين فتنبه

نرجو الافادة مع التوضيح وإفتانا عما ذكرناه لان في نفوسنا (ريبا) من ذلك :
وقال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وصلى الله على سيدنا محمد

مقدمه

وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الرحمن احمد الصعيدي

الجواب عن هذه الاسئلة (*)

١ - قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة - بدعة ليس لها دليل
من كتاب الله ولا من سنة رسوله (ص) ولم تؤثر عن سلف الامة الصالحين . ولكن
لقراءتها يوم الجمعة بدون تقييد بالجهر وبكونها في المسجد أصلا ضعيفا ، قال الحافظ

(*) حذفنا سؤالا من هذه الاسئلة يتعلق بعادة مصرية بين العروسين

ابن حجر في تخریج أحاديث الأذكار: «ن أقوى ماورد في قراءة الكهف يوم الجمعة حديث أبي سعيد الخدري عند الحاكم في التفسير والبيهقي في السنن «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين» وقد أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هاشم وصححه ولكن قال الذهبي في الميزان: بل نعيم ابن حماد ذو مناكير. أقول بل جرح بأكثر من هذا وقد وردت أحاديث أقوى من هذا في قراءة آل عمران وهود في يوم الجمعة، فلماذا لا يعمل بها هؤلاء الناس الموابظون على قراءة الكهف ان كان غرضهم العمل بالأحاديث لا اتباع العادة

ثم ان الاتيان بالعبادة المشروعة على وجه مخصوص وفي وقت معين لم يرد في الشرع ما يدل عليهما بدعة في كيفية الأداء المبذولة على الاتباع، واظهار ذلك يجعل ما ليس من شعائر الدين شعارا. وهذا ما يسميه الشاطبي في الاعتصام بالبدعة الإضافية وسيعاد ذكره قريبا، دع ما في رفع الصوت بقراءة الكهف أو غيرها في المسجد عند اجتماع الناس للصلاة من التهويش على المصابين وهو غير جائز وقد صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي وأنه حرام. وفي حديث أبي سعيد الخدري: اعتكف رسول الله (ص) في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال «ألا ان كلكم مناج لربه فلا يؤذ بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة» رواه أبو داود

٢ — الاذان الاول يوم الجمعة — أحدثه عثمان في خلافته وأقره الصحابة (رض) وما رواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر انه قال: الاذان الاول يوم الجمعة بدعة — فالأظهر انه استعمال البدعة هنا بمعناها اللغوي لا للإنكار ومعناه انه لم يكن في همد النبي (ص) قيل وباحتمال انه الإنكار أي لان مقتضى إكمال الدين في هذه (ص) ان لا يزداد في العبادات ولا سيما الشعائر بعد شيئا، وإنما الاجتهاد في مسائل المعاملات والمصالح التي تختلف باختلاف الزمان والمكان لا العبادات وشعائر الاسلام التي لا يدخل فيها القياس الذي احتجوا به لفعل عثمان (رض) ويمكن ان يجاب عن هذا بأن الاذان للأعلام بالوقت وسيلة للصلاة اجتهادية لا عبادة مقصودة لأنها وان النبي (ص) امتثل المسلمين في أمر هذه الوسيلة واستحسن ما كان منهم من رأي ورؤيا فلا أجل

هذا رأى عثمان والصحابة ان هذه المسألة يصح العمل فيها برأي أولى الامرا اذا احتجج الى ذلك . فلما حدثت الحاجة بكثرة المسلمين وعدم تبكيرهم الى المسجد على نحو ما كانوا يفعلون في عهده (ص) أمر عثمان المؤذن أن يؤذن بهم تالفة على الزوراء — وهي موضع أو دار له بسوق المدينة — وأبقى ما كان من أذان المسجد عند جلوس الامام على المنبر كما كان ابقاء للعبادة كما كانت . قال السائب بن يزيد (رض) فيما رواه عنه البخاري وأبو داود والنسائي : كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ولم يكن للنبي (ص) غير مؤذن واحد . وفي رواية أخرى لهم زيادة فثبت الامر على ذلك . والمراد بقوله النداء الثالث هو الاذان الاول فهو أول بالنسبة الى تقديمه في العمل وثالث بالنسبة الى حدوثه بعد الاذنين المشروعين لكل صلاة أعني الاذان والاقامة وكانوا يطلقون عليهما « الاذنين » على طريق التغليب أولان الاول اعلام بوقت الصلاة والآخر إعلام بالشروع فيها ، ولكنهم اذا ذكروا الاقامة وحدها لا يسمونها أذاناً بل إقامة . والمرجح المختار عندنا في هذه المسألة ان يتبع الناس في كل حالة ما كان عليه السلف الصالح فاذا علمنا ان المصلين اجتمعوا في المسجد على نحو ما كانوا عليه في زمن النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) اكتفينا بأذان المسجد ، واذا كانت الحال كما كانت في عهد عثمان وعلمنا ان الاذان الاول على المنارة أو في السوق مجلبة للمصلين فعليه . ولا ينبغي لمسلم ان ينكر على أهل مسجد ما يختارونه من هذين الفعلين ، اذ لا يصح ان يكون ما حدث في عهد عثمان ناسخاً لما قبله ولا ان يكون ضلالة من بعض الراشدين أقره عليها الصحابة ، فليثق الله من تحدثه نفسه بهذا الانكار . وليعرف قيمة نفسه أولاً . وأما قول السائب : لم يكن له (ص) غير مؤذن واحد فهو خاص بأذان الجمعة

٣ — الاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب — فيه أن فعله بين يدي الخطيب و بالتلحين المعهود في بعض المساجد بدعة لا فائدة فيها ولا نعرف الحامل لمبتدعها عليها . وقد علم مما قلنا ، أننا في مسألة الاذان الاول أن الاذان الثاني وهو الذي كان على عهد الرسول (ص) إنما يكون اذا جلس الامام على المنبر كما

صرح به السائب في حديثه الصحيح . وأما مكانه فقد روى الطبراني فيه أن بلالا كان يؤذن على باب المسجد . وذكره الحافظ في فتح الباري محتجا به وهو المشهور ٤ — الترقية المعهودة في يوم الجمعة بدعة لانعرف لها أصلا من كتاب ولا سنة ولا اجتهاد أحد من الأئمة وإنما أحدثها بنو أمية وأنكرها الفقهاء من جميع المذاهب (راجع المنار ص ٣١ م ٦)

وقد استفتي شيخ الجامع الأزهر منذ بضع عشرة سنة في بعض المسائل المتعلقة بالجمعة مما تقدم فأفتى بأنها بدع منكرة . وقد أشار الاستاذ الامام الى هذه الفتوى ومقاومة بعض أصحاب النفوذ السياسي لها بقوله في كتاب الاسلام والنصرانية (ص ١٣٩ من الطبعة الثانية) فقال :

« سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الأزهر عن حكم عمل من الاعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة — ومنزلة الشيخ من الرئاسة في أهل العلم بالدين منزله — فأفتى بما ينطبق على السنة وما يعرفه العارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها . أظن ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا ؟ كلاً ، حدث قيل وقال ، وكثرة تسأل ، ودخلت السياسة ، ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا ، وسكت السائل وماذا يصنع المحيىب ؟ اهـ »

٥ — التبليغ في الصلاة هو رفع المؤذنين اصواتهم بالتكبير للاحرام وأذكار الانتقال لاعلام من لم يسمع صوت الامام ولا يراه عند إحرامه وانتقاله من ركن الى آخر : وله أصل في السنة بما كان من صلاة رسول الله (ص) في مرض موته آخر جمعة اذ صلى قاعدا والناس خلفه قيام وأبو بكر (رض) يليقهم تكبيره . وقد صرح علماء المذاهب المشهورة بجواز التبليغ اذا احتيج اليه فان لم يحتج اليه كان بدعة منكرة . على أن المؤذنين فيه بدعا كثيرة كفعلهم له جماعة ورفعهم اصواتهم أكثر مما ينبغي متعبرين فيها حسن النغم وإطالهم المد حتى يضطر الامام الى انتظارهم أو سبقهم فينتقل الى السجدة الثانية قبل فراغهم من تكبير السجدة الاولى مثلا وقد بين الفقهاء ذلك وأطال فيه وفي غيره من هذه المسائل صاحب المدخل رحمه الله تعالى .

٦ — ختام الصلاة جهارا في المساجد والاجتماع ورفع الصوت من البدع التي

أحدثها الناس فاذا التزموا فيها من الاذكار ماورد في السنة كانت من البدع الاضافية وقد تساهل فيها كثير من مقلدة الفقهاء وأطال العلامة الشاطبي الكلام في انكارها في كتابه الاختصاص وقتلناه عنه في المنار فليراجعه من شاء

وهذه البدعة قد انتشرت في الاقطار الاسلامية منذ بضعة قرون حتى عمت الغرب والشرق والجنوب والشمال ، ولما أنكرها من أنكرها في الاندلس كثر فيها القيل والقال ، وقد كنت فطنت لها قبل أن أرى لاحد من العلماء كلاما فيها فتركتها في أواخر زمان الطلب ولكنني لم أترك الاذكار الواردة بل كنت أقولها وأنا منصرف من الصلاة ، ولم يخطر في بالي أن أنهي عنها أحدا ولا أنها يصح أن تسمى بدعة. ولما كنت في عليكرة من الهند سنة ١٣٣٠ قدموني للخطبة وامامة الجمعة فلما فرغت من الصلاة لم أستطع الانصراف ولا التحول من شدة الزحام في المسجد ولا رأيت أحدا من الناس انصرف ولا قام لصلاة ولا غيرها ، ثم خلص الي شاب من طلاب العلوم الدينية فأخبرني ان الناس ينتظرون أن يسمعونني أذكار ختم الصلاة ليتبعوني فيها ويقوموا الى صلاة السنة البعدية وغيرها من شؤونهم ، قلت ان هذا غير مشروع ، قال ألم يرد في الصحيح أن النبي (ص) كان يقول بعد السلام « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام » قلت نعم قد صح انه كان اذا سلم لم يقعد الا بمقدار ما يقول ذلك (رواه مسلم) ولكن لم يصح انه كان يقول ذلك رافعا صوته لسمعه الناس ويقولونه بقوله ، وأنا قد قلت ذلك سرا . ولما جئت بروت عند منصرفي من الهند أقمت فيها أياما كنت أقرأ درسا بعد الظهر في مسجد المجيدية من كل يوم ، فشغل المؤذن بعد صلاة الجمعة يوما عن الاذكار والادعية التي جرت العادة برفع صوته فيها واتباع جمهور المصلين له ، شغلته عنها صلاة جنازة ، فظل كثير من الناس ينتظرونه متلفتين الى اليمين والى الشمال ، فبدأت الدرس ببيان الحق في هذه المسألة وهو انه ليس من السنة أن يجلس الناس بعد الصلاة لقراءة شيء من الاذكار والادعية المأثورة ولا غير المأثورة برفع الصوت وهيئة الاجتماع كما اعتادوا في الاقطار المختلفة وان هذه العادة صارت عند الناس من قبيل شعائر الدين التي ينكر على تاركها والناهي عنها ، وانكار تركها هو المنكر . وان ما ورد في بعض الاحاديث من الاذكار كقول « اللهم أنت

السلام « الخ والاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتلهيل يستحب أن يتوله الافراد سرا في أي حالة يكونون عليها بعد الصلاة من قيام وقعود ومشى ، وإن الاجتماع لذلك والاشتراك فيه ورفع الصوت بدع هونها على الناس تعود ، وهو دعاهم أحد الى مثل هذه الصفات في عبادة أخرى كصلاة تحية المسجد مثلا لأنكروا عليه أشد الانكار. ولما عدت الى مصر وشرعت في طبع كتاب الاعتصام للشاطبي رأيت وفي هذه المسألة حقها فحمدت الله تعالى

٧ — الصلاة والسلام على النبي (ص) عقب الاذان — هي بدعة أيضا والقول فيها كاقول فيما تقدمها . قال صاحب المدخل : يطلب من امام المسجد أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبي (ص) عند الاذان وإن كانت الصلاة والتسليم على النبي (ص) من أكبر العبادات ولكن ينبغي أن يسلك بها مسلكها فلا توضع الا في مواضعها التي جعلت لها ، ألا ترى ان قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه في الركوع ولا في السجود ولا في الجلوس — أعني الجلوس في الصلاة — لأن ذلك لم يرد والخير كله في الاتباع ، وهي بدعة قريبة الحدوث جدا. مما تقدم ذكره فيما أحدثه بعض الامراء من التغني بالأذان . الخ

٨ — السير مع الجنازة بالذكر جهارا وقراءة البردة — كل ذلك من البدع التي لم يسكت عنها المشتغلون بعلوم الشرع كما سكت جماهيرهم على الاذكار التي اتصلت بالاذان والصلاة . على ان جميع ما ذكر في هذه الاسئلة والاجوبة من البدع قد بينه انصار السنة وخافلو البدعة من العلماء منذ أحدثت الى هذا العصر .

وبالبلاء كل البلاء في جعل عمل الناس حجة على كتاب الله تعالى ودواوين السنة مع أن بعض الائمة قال بالاحتجاج بعمل أهل المدينة في زمن الصحابة والتابعين فخالفه في ذلك سائر الائمة وجمهور الامة وخص بعضهم ذلك بزمن الراشدين فقط ، والآن يحتج الناس بعمل العوام الطغام وبسكوت من لا حجة في قوله فضلا عن سكوته من المممين ، أو بتأويل بعض المنافقين الذين يقرّبون الى العامة بما يرضيهم طمعا ببعض الطغام أو الجاه الكاذب عندهم .

وقد استفتي شيخ علماء الاسكندرية لهذا العهد في المسألة الاخيرة من هذه المسائل وفي مسائل أخرى مما أحدثه الناس في أمور الموتى فنذكر ذلك بنصه :

﴿ السؤال ﴾

ما قولكم فيما يفعله الناس الآن من الصباح أمام الجنازة بنشيد البردة وغيرها والاجتماع للتعزية بنصب الخيام، وقراءة القرآن فيها أيا ما مخصوصة، وقراءة الصمدية بعدد مخصوص يسمونه (عشانة) ويزعمون انها تعنى الميت من النار وتفريق الخبز للقراء على القبور، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرا على قراءة القرآن — فأهل العلم فيما بين محرم لذلك ومحلل، وقد لجأنا إليكم كي تفيّدونا، هل هذا من الدين أم لا؟ وما هي طريقة نبينا صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من الأئمة في ذلك؟ وما حكم الله فيمن يخالف طريقتهم أفيدونا بأدلة تشفيينا، فلا زلتم هداة الخائرين

﴿ الفتوى ﴾

« الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد فما يفعله الناس الآن من الصباح أمام الجنازة بنشيد البردة وقراءة القرآن ونحو ذلك غير جائز شرعا، وهو خلاف السنة، وخلاف عمل السلف الصالح، لأن السنة في اتباع الجنائز الصمت والتفكر والاعتبار وعلى ذلك جرى العمل من السلف الصالح، وقد قال الامام مالك رضي الله عنه (ان يأتي آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها) وكذلك الاجتماع بنصب الخيام في التعزية مباهاة وافتخارا، وقراءة القرآن بالكيفية الجاري العمل بها الآن في هذه المجتمعات، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرة على ذلك واتخاذ ذلك سنة وعادة، فليس من السنة، ولا من عمل السلف الصالح، وإنما شأنهم انهم كانوا يذهبون الى صاحب المصيبة في بيته لحمله على الصبر وعدم الجزع، من غير اطالة مكث، ويدعون لصاحب المصيبة بالصبر، والعميت بالمغفرة والرحمة، ثم ان الذي ينغم الميت انما هو الصدقة على روحه، والدعاء له بالمغفرة والرحمة، اما اهداء ثواب الفائحة وغيرها مثل قراءة القرآن بغير الطريقة التي أخرجته الى حد الفناء فبعض العلماء رجح حصول الثواب الى الميت، وبعضهم قال بعدمه»

شيخ علماء الاسكندرية

مكتبة

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صديقي

١٨

أما نوبة الملاريا فلها ثلاثة أطوار: —

(١) طور البرودة — يشعر المريض بتعب وسامة وصداق وآلام في الظهر وبرد، وتبدئ الرعدة فينكمش في فراشه ويرتجف جميع جسمه وتصطك أسنانه ويزرق وجهه وأنامله وينتصب شعر جسمه كما يحصل من شدة البرد أو الفزع ويصغر النبض ويسرع ويضطرب ويتوتر، ويكون التنفس سرعاً غير عميق ويكون سطح الجلد بارداً حقيقياً ولكن إذا وضع مقياس الحرارة في الفم أو في الدبر أو تحت الإبط رأينا الحرارة مرتفعة، فانها تبدأ في الزيادة قبل الرعدة بدقائق بل ساعة أو ساعتين أحياناً، وإنما نشأ الاحساس ببرودة سطح الجسم من انقباض أوعية الدم فيه

ويكون مقدار البول كثيراً ولونه رائقاً وكثافته قليلة. ويستمر هذا الطور نصف ساعة أو ساعتين. وترتفع الحرارة بسرعة في آخره إلى ما بعد ٤٠° ستيجمراد (٢) طور السخونة — يبدأ بالاحساس بالسخونة التي تعم الجسم كله فيزداد الحمى، وتزداد الشرايين، ويتوتر النبض ويسرع ويمتلئ، ويحترق الوجه، ويتصدع الدماغ. وفي بعض الحالات يهذي المريض أو يمتريه الذهول. ويكون البول في هذا الطور قليلاً قائماً كثيفاً. وكثيراً ما تظهر [الحملة Herpes] حول الفم. ويستمر هذا الطور ٣ — ٤ ساعات

(٣) طور العرق — يتبدى الجسم أولاً بالعرق بعد شدة جفافه ويعم الجسم كله ثم يصير غزيراً ويستمر ساعة أو ساعتين أو ثلاثاً فيشعر المريض حينئذ بالراحة ويترطب لسانه، وتنخفض الحرارة أولاً بالتدريج ثم تسرع حتى تصبح طبيعية [المنار: ج ٩] (٦٩) (المجلد التاسع عشر)

ويعود المصاب الى حالته الصحية الاولى . ويكون البول في هذا الطور كثيفا جدا
وترسب فيه أملاح كثيرة من حامض الباليك

ولا نحصل جميع هذه الاطوار لكل مصاب ، بل قد تقتصر النوبة على واحد
منها أو اثنين ، فمثلا قد يشعر ببرودة خفيفة تليها سخونة مدة ساعتين أو ثلاث
ولا يحصل عرق ، وقد يبرد ويهرق ولا يشعر بسخونة ، وقد يهرق فقط مع ارتفاع
خفيف في الحرارة

أما الاطفال فيندر أن يحصل لهم رعدة بل يصابون بدلها بتشنج خفيف (قد
لا يلاحظ) أو بتشنج شديد

وفي الاحوال المعتادة يكبر الطحال في طور البرودة والسخونة حتى قد يحس به
تحت الضلع

وتحصل أول نوب الحمى هذه إما في الصباح أو وقت الظهر ، أما النوب التي
تليها فلا تكون دائما في وقت النوبة الأولى بل قد تأخر عنها شيئا فشيئا حتى تحصل
في المساء أو في الليل ، وقد تتقدم عنها شيئا فشيئا حتى تحصل قبل الفجر ، ويسمى
النوع الاول بالمتفقر والثاني بالمتقدم

والاحوال المعتادة من هذه الحمى غير مميتة في الغالب إلا للاطفال الصغار أو
الشيوخ أو السقاء . وقد يمتد الطحال منها حتى ينفجر وينسكب الدم في تجويف
البطن ، وقد ينزف الدم في منسوج الطحال نفسه ويتكون فيه خراج فينفجر في
تجويف البريتون . ومضاعفات مثل هذه الاحوال ليست بكثيرة ، وأشهرها النزلة
الشعبية والرعاف والبل الزلالي والآلام العصبية فوق الحاجب

أما الاحوال الحبيثة المسماة [بالصيفية الخريفية] فلا تكون نوبها منتظمة ولا
مقطعة الا أحيانا قليلة تكون الفترة فيها قصيرة ، ويقل حصول الرعدة للمصاب ، وكثيرا
ما يهترىه اليرقان والغثيان والقيء والاسهال ، حتى قد تشبه هذه الحمى بالحمى
التيفودية ، وقد تطول مدتها الى ثلاثة أسابيع وتنتهي كثيرا بالموت الذي يسببه
الهلزيان أو الغيبوبة أو الاضطرابات الهضمية أو البول الزلالي أو النزف الدموي أو
الحمود (المبوط)

ومن الانواع التي يتأثر منها المجموع المصبي بشدة نوع يمتاز بطول الفيوبة فيه حتى تمكث نحو ١٢ ساعة أو أكثر ويكون الشخص كأنه مصاب بنزف في مخه ، ومنها نوع يشتد فيه الهذيان والهيجان . وقد شوهد بعض أحوال يكون فيها المصاب كأنه ميت حقيقة فيقف تنفسه ويضعف نبضه وضربات قلبه حتى لا يمكن إدراكها واعلم ان هذه الحمى اذا تكررت نوبها جعلت الشخص سقيما عليلا مصفرا (لا بادة ميكروبها للبكريات الدموية الحمراء) ويمتريه الدور وتلة الميل للطعام وآلام بالمفاصل والمفاصل والضعف والاستسقاء ، ويضعف الطحال والسكبد أو يكتر منسوجه الليفى وينس ويضعف ، وقد يصاب الشخص بالجنون أو بالتهاب الاعصاب أو بطنين الآذان أو الصمم أو فقدان الشم أو الذوق

التشخيص — إن أحسن الطرق للتحقق من تشخيص هذه الحمى البحث في الدم عن ميكروبها بواسطة المجهر . وليحترز من اعطاء الكينين للمريض قبل عمل هذا البحث فإن هذا الدواء يذهب الميكروب من الدم . ويختفي الميكروب أيضا من الدم في الانواع الحبيثة وقت انخفاض الحرارة أعني في الفترات التي بين نوب الحمى ، وأحسن الاوقات لمشاهدته في تلك الانواع هو ان يبحث في الدم عند ابتداء النوبة وقت صعود الحرارة . أما في الانواع الحبيثة فيكون الميكروب أكبر وأظهر في الفترات التي بين نوب الحمى

المعالجة — الفرض الذي يرمى اليه هو قتل الميكروب وإخراج سمومه من الجسم وإراحة المريض مما يحدثه من أعراض الاء . وأحسن الادوية وأشهرها لقتل هذا الميكروب هو [الكينين Quinine] ^(١) وأشهر أملاحه الكبريتات ،

(١) هذه الكلمة مأخوذة من لغة أهل بيرو Peru بامريكة الجنوبية ، ومعناها (القشر) لأن هذه المادة تستخرج من قشر شجرة « السنكونا Cinchona » وسميت هذه الشجرة بهذا الاسم لأن اميرة « شنكون Chinchon » زوجة حاكم بيرو عولجت بها من حمى فشفت في سنة ١٦٣٨ وفي السنة التالية احضرتها الى اوربة ، وبعد ذلك ادخلها الجزويت الى رومية ، ولذلك سميت أيضا « قشر الجزويت »

وهي مادة بيضاء خفيفة شديدة المرارة قليلة الذوبان في الماء فتذوب فيه بنسبة ١: ٨٠٠ ولكنها سهلة الذوبان فيه باضافة أحد الحوامض اليه . ومقدار تعاطيها في اليوم ٣٠ — ٣٥ قمحة تقسم على ثلاث دفعات ، والافضل أن تكون الدفعة الأخيرة قبل مبادى حضور النوبة ينحو ست ساعات ، ولا مانع من اعطائها بعد طعام الفطور والغداء والعشاء ككثير من الادوية الاخرى . واذا قاءها المريض مزجت بقليل من الافيون أو حقنت في المستقيم أو تحت الجلد ، والافضل أن تمحق داخل عضلات الالية ، وأحسن الاملاح للحقن في الشرج أو تحت الجلد هو [هيدرو بروميد الكينين الحضي] فانه سهل الذوبان في الماء ولا يتبرج منه المكان المحقون ، وجرعته من قمتين الى عشر أو ١٥ قمحة

و [اليوكينين Euquinine] وهو إيتيل كربونات الكينين يكاد يكون عديم المرارة ولا يضرب المعدة ولا الاعصاب ، ولذلك كان أحسن دواء للأطفال والنساء . وجرعته تختلف من ٥ الى ١٠ قمحات بحسب السن

ويجب الاستمرار على تعاطي الكينين مدة بعد زوال الحمى لان بعض الميكروبات قد ينجمو من فعله ويختفي في الطحال ثم يعود الى الظهور ويكثر فيحدث النكس ، فلذا يجب الاستمرار على تعاطيه بعد الشفاء بمقادير يعينها الطبيب (كخمس قمحات في اليوم) لمدة ثلاثة أشهر على الأقل

وهناك بعض أدوية أخرى نافعة في الملاريا ولكنها أقل قيمة من الكينين مثل

مركبات الزرنيخ

وكثيرا ما يحدث من الكينين أعراض ضارة مثل طنين الأذان والصداع والعمى ، وقد تبقى هذه الأعراض بتقليل مقداره أو ابطاله مؤقتا أو اعطاء حامض الهيدرو بروميك أو الجويدار لمنع الاحتقان الناشئ من الكينين

الوقاية — تكون (١) بردم المستنقعات و (٢) بإبادة البعوض وذلك بصب زيت البترول على المياه التي توجد فيها البويضات والعلق لقتلها ، ويكون ذلك بنسبة أوقية لكل ١٥ قدما مربعة من سطح الماء و (٣) باتقاء لدغ البعوض بمثل الشبكة (الناموسية) وخصوصا بالليل وهو وقت لدغ هذا النوع من البعوض في

القالب و (٤) بدوام استعمال الكينين في الاقاليم التي تكثر فيها الملاريا (بمقدار خمس قنحات يوميا)

حمى البول الاسود Blackwater Fever

تحدث هذه الحمى في الاقاليم الحارة التي تكثر فيها الملاريا لمن أقام بتلك البلاد سنة على الاقل فأكثر أو للذين أصيبوا بالملاريا ، ويقل حصولها لغير هذين السببين بحث الاسباب تفصيلا — ذهب العلماء في حقيقة سبب هذه الحمى مذاهب أهمها —: (١) أنها نتيجة إصابة شديدة بالملاريا (٢) أنها ملاريا متضاعفة بإصابة الكلتيين (٣) أنها نتيجة ميكروب مجهول (٤) أنها ملاريا مع عامل آخر كقسم الجسم يمثل الكينين أو بسبب مرض من الأمراض كالفرنجي وغيره ، أو كالتعرض للبرد

الاعراض — تتقدمها آلام في الاطراف والدماع وتوعك ثم رعدة قتي صفراوي قبول أحمرا أو أسود بسبب ذوبان مادة الكريات الحمراء فيه ويكون فيه زلال كثير وترتفع الحرارة الى ١٠٠ : مستجرا فأكثرت ثم تنخفض قليلا بعد بضع ساعات ثم ترتفع مع رعدة أخرى، وهلم جرا. ويصاب المريض باليرقان، ويضعف الطحال والكبد ويتألم المصاب من جسمها

وفي الحالات البسيطة تزول الاعراض بعد نحو أسبوع، وأما في الشديدة فيستمر القيء ويقل البول أو يبطل إفرازه ويصاب المريض بالقيح أو الهمود ويموت وعدد الوفيات بهذا المرض هو من ١٦ الى ٥٠ في المئة

المعالجة — تكون بحسن التمريض والعناية بالمصاب والاكثر من شرب السوائل لادرار البول ، وتعمل المنشآت المقويات للقلب ، ولا يعطى المريض الكينين الا اذا وجد ميكروب الملاريا في الدم ، وحينئذ يعطى أي ملح من أملاحه غير الكبريتات فانها تساعد على إذابة الكريات الحمراء ويكون مقدار أي ملح قليلا متكررا

الدوسنطاريا الاميبية Amoebic Dysentery

قلنا ان الدوسنطاريا نوعان : نوع ينشأ من ميكروب نباتي (وقد سبق الكلام

عليه في صفحة ١٠٢ من الجزء الثاني من هذا الكتاب (والآخر ينشأ من ميكروب حيواني وهو المراد بالكلام هنا

وكلمة [أميبا Amoeba] يونانية معناها «المتغير» تطلق على حيويين دقيق ذي خلية واحدة دائم التغير لشكله بما يرسله من جسمه في جميع الجهات من الارجل [الكاذبة ^(١) Pseudopodia] التي يتحرك بها حركة ذاتية ، وهو من أبسط الحيويينات المسماة [الحيوانات الاولى Protozoa]

ينساق الانسان ثلاثة أنواع من الاميبا: (١) نوع يوجد في فمه اذا أصاب أسنانه النقد (التسويس) (راجع ص ٦٨ من الجزء الاول) (٢) ونوع يسكن الجزء الأعلى من الامعاء الغلاظ، والظاهر أنه لا ضرر منه (٣) والثالث هو أميبا الدوسنطاريا هذه وهذا الاميبا يشاهد في براز المصاب وفي المدة التي قد تتكون في الكبد (٢) بسبب هذا المرض ، وأكثر وجوده يكون في المواد المخاطية التي يبرزها المريض وقت اشتداد المرض أي في زمن حدته. قطر هذا الميكروب الحيواني هو من ٢٥-٣٥ ميكرونا ، أي ان حجمه كحجم ثلاث أو أربع كريات حمراء من كريات الدم . وهو يثقب الفشاء المخاطي للامعاء الغلاظ ويسكن تحته ويتكاثر ويحدث المرض وقد يصل الى الأوعية اللمفاوية أو الأوردة فيسير فيها

اسباب الدوسنطاريا الاميبية — يوجد هذا النوع من الدوسنطاريا في الاقاليم الحارة والمعتدلة كهمر ، ولا ينتشر بشكل وبائي كالنوع الآخر السابق . وتنتقل الاميبا بواسطة الماء الذي يتلوث ببراز المصاب أو بواسطة الاطعمة الملوثة به أيضا خصوصا الخضر . ويصيب المرض جميع الاجناس البشرية اذا تعرضت للعدوى وكذلك الصغار والكبار بلا تمييز بينهم ، غير أن الظاهر أنه يصيب الذكور أكثر من الاناث لقلة تعرض هؤلاء له من أولئك . ولهذا النوع أيضا حمة كالنوع الاول يوجد الميكروب في أمعائهم ولا نحدث لهم أعراضه

الاعراض — لا تختلف أعراض هذا النوع كثيرا عن أعراض النوع الباسيلي

(١) سميت بذلك لانها ليست دائمة بل تنبث وتنقبض (٢) خصوصا بعد نزع خراج الكبد هذا ثلاثة أيام حينما تنقبض جدره

الذي سبق ذكره الا في أشياء قليلة ، وهي أنه لا يكون ابتداءه مفاجأة بل تدريجيا في الغالب ، وتكون مدته أطول فانه يميل لأن يكون مزمنًا ، وتكون الحمى فيه أقل وكذلك الاضطراب العام وتكثر نكساته ولا يمنع ذلك من أن يكون أحيانا شديدا جدا ومميتا بسرعة ، فترفع الحمى ويقل البول ويكثر الزلال فيه . ومن الناس من توجد في أمعائه قروح ناشئة على هذا الميكروب ومع ذلك لا تظهر عليهم أعراض المرض ، ولكن ذلك قليل

المضاعفات — تمتحن الكبد أحيانا وتلتهب وكذلك الكليتان ، ويندر حصول النزف المموي في هذا الشكل . وأهم المضاعفات خراج الكبد الذي يكون غالبا واحدا أو على الأكثر لا يزيد عن ثلاثة ، والسبب فيه وصول الميكروب الى الكبد بطريق الوريد الباب فيميت بسمه مفسوجه

ومن العقايل ضيق الامعاء بسبب انقباض آثار القروح التي تحدث فيها الانذار — يراعى فيه مسألة خراج الكبد وشدة الأعراض . وتخشى النكسة والازمان . والفواق علامة سيئة في الحالات الحادة لانه ينذر غالبا بقرب الاضمحلال والموت المعالجة — لا تختلف عن معالجة النوع الباسيلي الا في نفع [عرق الذهب] وشدة تأثيره في هذا المرض ، وهو جذور شجرة في بلاد البرازيل بأمر يكة الجنوبية ، في هذه الجذور مادة مقبئة تسمى لذلك باللغات الافرنجية [Emetine] ولكنها شافية لهذا الداء . والجرعة من مسحوق هذه الجذور هي ٢٠ — ٣٠ قحمة ، ويستحسن اعطاء قليل من الافيون أو أحد مرباته قبلها بنحو نصف ساعة ويستلقي المريض على قفاه ولا يعطى له شيء آخر سوى قليل من الثلج لمصه ، وذلك كله لمنع القيء الذي يحدث من الدواء وتكرر الجرعة بعد ٨ أو ١٠ ساعات ، وإذا كانت الأعراض شديدة أعطيت الجرعة ثلاث مرات في اليوم ، وبعد زوال أعراض الدوسنطاريا يكمل العلاج بمركبات البرزموث والافيون ونحوها

ويفضل استعمال [الامتين Emetine] حقا نحت الجلد أو في داخل العضلات ^(١) بمقدار نصف قحمة مرة ليلًا ومرة نهارًا ، وعندما تتحسن الحالة يحقن المريض

(١) ذلك أفضل لعدم إحداث ألم وورم وتيس في مكان الحقن

مرة واحدة فقط في اليوم ، ولا يحدث القيء بهذه الطريقة كما يحدث من إعطاء مسحوق عرق الذهب نفسه بالفم . وهذا الدواء نافع أيضا في منع التهاب الكبد وخراجها لانه قاتل لميكروب الدوسنتاريا بسرعة عجيبة

والمعالجة بالامتياز أو بعرق الذهب نافعة أيضا في الحالات المزمنة ، وإذا تعاضت حقن المريض أيضا بالمحاليل المطهرة أو القابضة في المستقيم ، ويكون مقدار الحقن نحو لتر من المحلول الدافئ

الوقاية — تكون بتطهير الماء بالغلي أو غيره ، وبالامتناع عن أكل الخضار وغيرها إلا إذا طهرت ، وبإبادة الذباب بقدر الامكان أو منعه من الوصول الى الطعام أو الشراب

الحُمى الراجعة أو ذات النكس Relapsing Fever

مرض معد شهير ينتشر عادة بشكل وبائي وليس له طفرح مخصوص ببعض الحيات الأخرى وإنما يمتاز بحصول حمى بضعة أيام تنتهي فجأة بعد نحو اسبوع ثم ترجع ثانية بعد مضي بضعة أيام وهكذا . وهي كثيرة الوجود في مصر وغيرها وقد كانت تنتشر بشكل مريع في السجون وغيرها حيث يكثر الازدحام

ينشأ الشكل المعتاد منها في مصر من ميكروب حيواني حلزوني الشكل اكتشفه [أبرميير Obermeier] في الدم سنة ١٨٧٣ وله أنواع يختلف بعضها عن بعض قليلا كما في بلاد الهند وأمريكا . طول هذا الميكروب يختلف من ١٦ — ٤٠ ميكرونا وعرضه ميكرون واحد . وهو يشاهد في دم المصاب بهذه الحمى بين كرياتها لا في داخلها . ويقول بعض الباحثين انه يمكن مشاهدته في طور التفريخ قبل حصول الحمى بنحو ٤٨ ساعة ، ويقول آخرون انه يشاهد أولا في اليوم الثاني للحمى و يكثر عدده كلما تقدمت الحمى ولا يقل إلا إذا بلغت الحمى أقصى شدتها وارتفاعها قبيل البهران ، فإذا انخفضت الحرارة لا يشاهد الميكروب في الدم الى ان تعثر النوبة الثانية . وقد أمكن تلقيح الانسان والقرد بهذا الميكروب اذا حقن فيهما جزء من دم المصاب . وشاهد بعض العلماء أن الميكروب اذا اختفى من الدم ذهب الى الطحال وهناك تبتلمه بعض الكريات البيضاء وتقتله . فلذا استنتج انه اذا أظلت بعضها من

القتل وعاد الى الدم تكاثر فيه فتنكس الحمى

والاصابة بهذه الحمى لا تحمي الشخص من عودتها بعد زمن اقليلاً ولكنها تحمي غالباً من الاصابة بالتييفوس . ومن الاسباب المهيئة للعدوى الفاقة والجوع والازدحام والقذارة . وذلك لانها تنتقل من شخص الى آخر بواسطة قمل الجسم فقد شوهد فيه نفس الميكروب ، وهو لا ينتقل الى الانسان بلسع القمل لجسمه ، وانما ينتقل بطريقة أخرى ، وهي أن المصاب بالقمل يكون كثير الحك لجسمه فيتسلخ جلده قليلاً من أظافره أو غيرها فاذا سحقت قملة في أثناء الحك أو غيره كالنوم عليها وأصاب دمها بعض تلك الجروح التي بالجلد دخل منها الميكروب الى الدم وأصاب الانسان بالحمى . ويبقى الميكروب في جسم القملة مدة حياتها بل يصل الى بويضاتها (الصئبان) فتتلحق به أيضاً ، ولذلك وجب الاحتراس من القمل والصئبان فانهما ينقلان هذه الحمى

وهي تصيب الانسان في جميع الاعمار ولا تميز بين الذكر والانثى الا قليلاً فان نسبة المصابين بها من الذكور الى الاناث تكون عادة كنسبة ٣ الى ٢ وهي كثيرة الحصول للفقراء والشعاذين ونحوهم لكثرة ضعفهم ووجود القمل فيهم ، وقل أن تصيب الاغنياء الا اذا صادفتهم قملة انتقلت اليهم من مصاب بها اقربوا منه وهناك نوع من هذه الحمى يحصل في أفريقية ينتقل من شخص الى آخر بواسطة القراد ولكن مدة هذه الحمى أقصر فاتها تكون عادة يومين أو ثلاثة ، ويوجد أيضاً ميكروبها حتى في بويضات القراد ، ويجوز أن ينتقل الى الجيل الثالث من نسله

الاعراض — يتراوح طور التفريخ بين يوم و١٦ يوماً ولكن في أكثر الاحوال يكون أقل من تسعة أيام . وتبدأ الحمى فجأة بقشعريرة أو برعدة يعقبها سريعاً صداع في الجبهة وآلام في الظهر والاطراف . وبعد زمن يسير تزول القشعريرة ويخلفها احساس بحرارة في الجسم ويزداد الصداع والآلام المذكورة . وتكون درجة الحرارة في اليوم الاول ٣٩ أو أكثر فيضطرب المريض الى التزام الفراش ويشتد به العطش والاقمء وقد يمتريه الغثيان والقيء ويحترق الوجه ويبيض اللسان وتزداد درجة الحرارة في الليل فتكون ٤٠ أو ٤١ وتنخفض قليلاً في الصباح فتكون أقل بدرجة غالباً

وقد تتكرر الرعدة ويكثر العرق . ويسرع النبض وكذلك مرات التنفس . ويعتري المريض في بعض الاحوال البرقان الشديد حتى يتكون البول بلون المرة (الصفراء) وتكبر الكبد والطحال خصوصا وتظهر [النملة Herpes] أحيانا على الشفتين وقد يحصل رعاف (نزف من الانف) . وتستمر هذه الحالة الى نحو من أسبوع، ويقل نوم المريض ويشتكى كثيرا من آلام المفاصل والمضلات ولكنه يبقى حافظا لقواه العقلية إلى قبيل النهاية وعندئذ يعتريه الهذيان، وتشتد الحمى جدا حتى قد تصل إلى ٤٢ و ٤٩ وحينئذ تنفجر الأزمة فجأة ويحصل البهران فيكثر العرق وتقل مرات النبض والتنفس وتنخفض الحرارة بسرعة ويشفى المريض غير أنه قد يعتريه همود خصوصا اذا كان شيخا، وقد يصحب البهران اسهال أو رعاف وتكون الحرارة أقل من الدرجة الطبيعية ثم يتحسن الحال بسرعة وتشتد شهوة الطعام وتعود قوة المريض في ثلاثة أيام أو أربعة . وبعد أن يظن أنه شفى تماما تعود اليه الحمى فجأة كما بدأت ويكون ذلك بعد مضي اسبوع تقريبا، فيصير المريض في عين الحالة التي كان عليها في المرة الاولى ، وبعد بضعة أيام تنتهي النكسة بالبهران أيضا . وقد ينكس المريض ثانية وثالثة ورابعة وكذا خامسة في النادر . ومن المرضى من لا ينكس البتة . وتكون مدة النكس في الغالب أقل من مدة المرض الاولى فتكون عادة أربعة أيام أو خمسة وقد تكون يومين أو ثلاثة ، وتكون النكسة في الغالب أخف وطأة من الحمى الاولى ولكنها أحيانا تكون أشد بل قد يموت منها المريض

واعلم أن جميع المدد المذكورة سابقا هي تقريبية فانها تتفاوت تفاوتاً عظيماً باختلاف الاشخاص فقد رأينا في السجون المصرية أن مدة الحمى الاولى قد تتراوح من يوم الى ثمانية أيام أو تسعة والفترة الاولى من يومين الى واحد وعشرين يوما ومدة النكسة الاولى من يوم الى عشرة والثانية من يوم الى سبعة وهم جرا في الاختلافات العظيمة في مدة الفترات وأيام النكس، ومن المسجونين من نكس أربع مرات (١) وعدد الوفيات يختلف من ١٤ الى ١٨ في المئة ويحصل الموت عند اشتداد

(١) راجع تقرير جناب الدكتور (كرتون Kirton) رئيس القسم الطبي بمصلحة السجون المصرية عن سنة ١٩٠٧ م

الكرب في الحمى الاولى أو عقب البهران مباشرة من الممود خصوصا في الشيوخ كما تقدم . وقد يحصل الموت بسبب التسمم البولي والتشنج أو بالانتهاب الرئوي أو بالزحار أو غيره

ومن المضاعفات غير ما ذكر ضخامة الطحال وتمزقه ، والحمة بالاطراف السفلى ، والتهاب الغدد الليمفاوية أو تقيحها ، والتهاب العين الذي يعميها ، واجهاض الحبالى والنزف الرحمي الخطر

الجمعيات الاتحادية

لتكوين العصبية التركية

كتب بعض شبان العرب المتعلمين في مدارس الدولة العثمانية بالاستانة مقالات في الجرائد في موضوع هذا العنوان ثم رأينا في كتاب (ثورة العرب) الذي صدر بالعربية من عهد قريب كلاما مختصرا مفيدا في ذلك فنقلناه عنه لأجل الاعتبار به وإثبات ما يحتاج الى الرجوع اليه من تاريخ هذا الانقلاب الخطر . قال المؤلف تحت عنوان (الممول الاتحادي العظيم) ما نصه :

أنشأ الاتحاديون جمعية تركية عظيمة سموها جمعية « ترك أوجاقي » — أي طائفة الترك أو العائلة التركية — وجعلوا غايتها محو الاسلام وتثريك العناصر العثمانية ومركزها في الآستانة ومصاريفها من تخصيصات وزارتي الاوقاف والداخلية ومن المشيخة الاسلامية أيضا وهي منتشرة في كل بلدة وقرية في الاناضول والقوقاس وتركستان وتراقية ومكدونية ولها أربعة فروع لكل منها مهمة خاصة به وهذه الفروع هي

أولا « ترك يوردي » — أي المملكة التركية — ومهمته العناية بالآداب التركية بطرق شتى أهمها « تطهير » اللغة التركية من الكلمات العربية وجعلها لغة مفولية بحتة وتأليف الكتب القومية بهذه اللغة وتعليمها في المدارس ونشرها في البلاد

التركية وكتابتها بحروف منفصلة لكي لا يبقى بينها وبين اللغة العربية أقل شبه (١) ووظيفة أعضاء جمعية « ترك يوردي » مقاومة كل كاتب تركي أو غير تركي لا يرى رأيهم ولا يعتقد معتقدهم ونشر الكتب القومية والافاشيد الحماسية بين الترك وتدريبهم التاريخ التوراني القديم وافهامهم ان الترك أعظم أمة في العالم اختارتها الاقدار لسيادة الامم . وقد جرى لهم حوادث عديدة مع فريق من عقلاء الترك أنفسهم كعلي كمال بك والدكتور رضا نور بك ولطفي فكري بك وغيرهم فاتهموا هؤلاء بالخيانة وتهديدوهم بالقتل وقالوا ان العنصر التركي يتبرأ منهم وانهم من أصل يوناني وانه لا وطنية لهم ولا قومية ولا شرف

ثانياً « ترك درنكي » — أي ثبات الترك — ومهمته بث الفكرة القومية في الترك العثمانيين وغير العثمانيين بشكل لم يسبق له مثيل في تواريخ الامم (٢) وأعضاء ترك درنكي من غلاة الاتحاديين وأشدهم كرهاً للعناصر ورغبة في تريكها والقضاء على الفكرة القومية فيها . وهم على جانب عظيم من الهمة والنشاط ولكن الغرور أعمى أبصارهم وأسدل ستاراً من الجهل على عقولهم فكانت ثمرة نشاطهم

(١) المنار : قررت وزارة الحرية في عهد ناظرها أنور باشا استعمال الحروف المنفصلة في الامور العسكرية فقط ، ثم نقلت اليها الجرائد أخيراً ان الاتحاديين قرروا كتابة التركية بالحروف الافرنجية ولا ندري كيف ينفذون ذلك

(٢) المنار : اذكر ان هذه الجمعية تشغل بتنقيح اللغة التركية وانها هي التي دعته الى مجلس ادارتها في الاستانة لما بلغها ان بعض المسلمين كتبوا الي من جاوه انه بلغهم أن الدولة العثمانية تضطهد اللغة العربية وتصرح بانها تظهر التركية منها وانهم لا يصدقون هذا الخبر الا اذا أكدته أنا لهم وانهم حينئذ يحذفون اسم السلطان من الخطبة ، ولما اجتمعت بهم وتذاكرنا في المسألة قال لي رئيس الجمعية ان عملنا في محض لا دخل له في السياسة ولا الدين فنتوسل اليك ان تستعمل بنفوذك الديني لازالة التهم السيئة التي حومت حوله . وجرى بيننا محاورة ليس هذا محلها

شراً على الدولة ووبالا (١)

ثالثاً : ترك بلكيشي — أي العلم التركي — ومهمة أعضائه ترجمة الكتب العلمية الى اللغة التركية القديمة ونشر هذه اللغة بين الترك وبث الفكرة القومية التركية في تركستان والقوقاز وربطهما بدولة الاتحاديين برابط سياسي متين رابعاً « ترك كوجي » — أي القوة التركية — ومهمته العناية بصحة الترك وتقوية أجسامهم ونشر الألعاب الرياضة بينهم .

ويشترط للدخول في جمعية « ترك أوجاغي » أوفي أحد فروعها ان يكون طالب الدخول تركيا وان يدفع رسماً شهرياً وان يتعهد ببذل حياته ونشاطه وماله لاعلاء شأن الترك وبسط سيادتهم على الامم الاخرى وان يغير اسمه باسم توراني يعرف به بين أصحابه فمن كان اسمه انور مثلاً صار يعرف اليوم بين أصحابه باسم ايشلداق — أي أنور بالتركية القديمة — ومن كان اسمه محمداً أو سليماً أو حسيناً أو سعيداً صار اسمه اليوم نيوراً أو جنكيزاً أو هلاكوا أو غوزاخ

وقد بدّل كل الضباط الاتحاديين أسماءهم بأسماء تورانية وكذا رجال الحكومة الحالية لانهم كلهم من جمعية « ترك أوجاغي » ويعرفون بين أصحابهم الترك بأسماء تورانية غير أسمائهم التي يعرفهم بها غير الترك .

وقد أنشأت جمعية ترك أوجاغي وفروعها أندية عديدة في جميع المدن والقرى التركية لتدريس تاريخ الترك القديم ولا سيما تاريخ هلاكوا وأوغوز وجنكيزخان وبث الفكرة التركية في الامة التركية وجعلها تعتقد بتفوقها على الامم الاخرى في كل شيء . وعينت هذه الجمعية ثلاثة أيام في الاسبوع لتعليم النساء التركيات التاريخ القديم وبث الفكرة العنصرية فيهن وحملهن على العناية بربية أطفالهن تربية قومية تركية . وتبرعت وزارة أوقاف المسلمين أخيراً بخمسين ألف ليرة عثمانية لجمعية « ترك أوجاغي »

(١) بلغ منهم الفرور مبلغاً لا يتصوره العقل فينما كانت جيوش البلقانيين امام شطلجه تهدد كيان الدولة كان أحدهم — أحمد أغايف بك — ينشئ سلسلة مقالات في جريدة تصوير أفكار جاء فيها ما ترجمته « يجب ان تهتم تركيا بشؤون ايران أعظم اهتمام لان ايران طريقنا الى الهند والصين ! »

لأجل تأليف توارنج مفصلة لهلاكو وواغوز وجنكيز و تيمورلنك
وأندية « ترك أوجاغي » محرم دخولها على غير الترك فكل من يود ان يدخل
البر يجب عليه ان يظهر للبواب ورقة عليها اسمه و رسمه و تاريخ ولادته و قد سميت
جمعية ترك أوجاغي أخيراً في ترجمة القرآن الكريم الى التركية القديمة مع خطبة الجمعة
والادعية الدينية وغيرها مما يوجب الدين الاسلامي تلاوته باللغة العربية و هزمت على
نزع أسماء الصحابة من الجوامع لاعتقادها أن وجود هذه الأسماء العربية في الجوامع
والاماكن المقدسة مما يضعف الفكرة القومية في الترك

ولست المدارس العثمانية رشدية كانت أو اعدادية ملكية أو عسكرية إلا
فروعاً من فروع جمعية « ترك أوجاغي » وكذلك جمعية الاتحاد والترقي وجميع
الجمعيات السياسية والعلمية والدينية والادبية التي تأسست في الآستانه والاضول
قبل الحرب الاوربية وبعدها

وقد أدخلت الحكومة في برنامج مدارسها العالية ولا سيما المدرسة الحربية
ومدرسة اركان الحرب في الآستانه درس تاريخ التورانيين وعلومهم الحربية وآدابهم
ونظاماتهم وعهدت الى احمد اغايف بك وأمين بك وخالد ضيا بك وحمد الله بك
في إلقاء محاضرات يومية في هذه المواضيع على تلامذة المدارس الحربية و مدارس
الحقوق والطب والهندسة وغيرها وترسيخ الفكرة التركية في نفوسهم . واستعاض
التلامذة في جميع المدارس الابتدائية والاعدادية والعالية من الكتب العصرية
بمجموعة « ترك يوردي » — المملكة التركية — وكتاب ترك قليجي — السيف
التركي — وتاريخ توران وتاريخ تيمورلنك وهلاكو وجنكيز خان وغيرهم .

وفي كل يوم يجتمع تلامذة المدارس الحربية في ساحات مدارسهم ويستلون
سيفهم وينشدون نشيدهم الوطني الذي يبتدي بهذه الايات :

جنكيز خانك بايراغي أنلي شانلي صانلاندي

آيت خانك بايراغي حربده بويله اكلاتدي

أي : لقد تموجت أعلام جنكيز خان في جو المجد والشرف وأرشدتنا أعلام

آيت خان الى نهج هذا الطريق المجيد في الحرب . الخ

والاغرب من هذا كله الدعاء الجديد الذي افته جمعية « تورك يوردي » وجعلت الترك يستعملونه في منازلهم ومدارسهم، وقد قررت أخيراً استعماله في الجوامع في الاستانة والاناضول وهذه ترجمته :

« أيها الاله القادر على كل شيء أنعم على الترك بالصحة والعافية وأحسن اليهم بذئب أبيض ^(١) واشملهم برعاية مولانا السلطان الاعظم »
« وأنت يا مملكة توران الجميلة المحبوبة ارشديننا الى الطريق المؤدية اليك لان جدنا اوغوز الكبير يناديننا

« أيها الاله القادر على كل شيء أنر طريق توران أمامنا واجعل امتنا كالورد الناضر واهدنا الصراط المستقيم »

« الاناشيد الحماسية في الجيش »

أما الجيش العثماني فمعظم ضباطه وجنوده الترك من الاتحاديين ومن المنتسبين الى جمعية ترك أوجاخي وهم يحرقون الضباط والجنود من أبناء العناصر العثمانية الاخرى ولا يسمون الدولة الا الدولة التركية وينفرون من تسميتها الدولة العثمانية لاعتقادهم ان البلاد العثمانية غير التركية ليست الا مستعمرة فتحها الترك بالسيف . وهذا نموذج من الاناشيد الحماسية التي يترنمون بها في الجيش :

بزرگزسن تركك امانتسك

هيج قورقمه هب اولورسى ويرميز

أي : نحن ترك وأنت (يا آسيا) أمانة بيدالترك فلا نخشي شراً لاننا نفديك بارواحنا

اي ترك كنهجي يمشير ارتق أو يومه

قوش كويلىك امدادينه دورمه

أي : انهض ايها الفتي التركي فقد نمت طويلاً وأسرع في الحال الى امداد

بلاد اجدادك

جنكيز خانك بايراغى انلى شانلى صانلاندى

ايت خانك بايراغى حربه بويله اكلاتدى

(١) الذئب الابيض اله من آلهة الترك الاقدمين وقد كان شعاراً لهم أيضاً

وقد سبقت ترجمته

انتقامي آله مرسك ترككك بنزه نافله
صوصتره لم بايقوشاري يقيشر بولوله
أي : لا يحق لنا ان ندعى اتراكا ما لم نتقم من أعدائنا . فلنسكت اليوم عن
نعيه . وليكننا ماسمعناه من الضجيج والنحيب
يوريبالم ايلري يه اتلاية لم طاغ تبه
باطلاتالم بومباري جانلر كيرسون يرلره
أي : هلموا إلى الامام قنبيسط امامكم الجبال والاكام وتنفجر قنابل الديناميت
وتفجر الارض فاما لا بتلاع الفواقيس والاجرأس
آل بايراغك التنده انا آرم يورودي
كوك بايراغك التنده يكي توران بيودي
أي لقد سار اجدادنا إلى المجد تحت العلم الاحمر الذي هو مصدر عظمة
توران الجديدة

يورين طاغلر اينسين التون اردوشان ويرسون
آل بايراق ! يا نغينلر اوزرنده يوكسلك
أي : سيروا لتنبسط الجبال وتكسبنا جيوش التاي ^(١) الشرف فان مجلدنا
سيشاد تحت العلم التركي على الاتقاض والحرائق
بزايفورز دونمير قوناغمز طاغ اوه
توكز بزمدراسيا تركز تركز هبمز
أي : نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا إلى الامام لان مسكننا الجبال والبطاح
نحن ترك وآسيا كلها لنا نحن اتراك اتراك كلنا

﴿ كيف يعملون الامة ﴾

هذا نموذج من الاغاني التركية الوطنية التي يترنم بها الترك في ميادين القتال
على مسمع من جنود العرب وضباطهم
(١) اسم الجبل آلتون طاغ الذي يعمده الترك التورانيون بلادهم الاصلية

والى القراء نموذج من الخطاب والدروس التي يلقيها على التلامذة العثمانيين في مدارس الدولة اساتذة من أعضاء جمعية « ترك اوجاغي » عينوا برواتب باهظة لتتريك ابناء العناصر العثمانية :

قال استاذ التربية العسكرية في المدرسة الحربية في الاستانة في درس القاء على صف الضباط بعد اعلان الحرب العثمانية بايام ماخلاصته [أي خلاصة ترجمته] : « اود ايها السادة ان التقي عليكم كلمة في غاية الاهمية بمناسبة الحوادث العظيمة التي وقعت في الغرب فاطهرت لنا معاشر الترك امورا لم تخطر في بالنا من قبل وعبرنا ينبغي أن نعتبر بها . فان البلجيكي الصغيرة نجاسرت على محاربة المانيا العظيمة ووقفت بجيش لا يزيد على مئة الف جندي امام أعظم جيش ذكره تاريخ بني البشر فحالت دون القضاء على حليفتهما فرنسا . لذلك لا يسعنا نحن الترك أعداء البلجيكي إلا ان نطأ على رؤوسنا اجلالا لما واحتراما لجيشها الباسل . ولكن اتعلمون ايها الاصدقاء لماذا وقفت البلجيكي تيار الجيش الالماني العظيم ؟ وقفته لانها كانت لمحاربه باسم القومية وباسم الوطن . او تعلمون لماذا عظمت فرنسا وانكلترا ومانيا وسدنت العالم وصرن اعلى أمم الارض مقاما واكثرها ثراء ؟ لانهن خضن معترك الحياة باسم القومية لا باسم الدين . فعملينا ايها الاعزاء ان نظهر من الآن وصاعدا امام العالم بصيغة القومية المقدسة وان نضرب بالعصية الدينية عرض الحائط

« نحن ايها السادة أتراك واني لأعجب من تسميتنا عثمانيين . فمن هو عثمان الذي نفتسب اليه ؟ انه تركي جاء من آتاني واجتاح هذه البلاد بجيشه التركي . فاقسبنا الى أصله أشرف من انسابنا اليه . وقد خدعنا بجهل أسلافنا في الماضي فبئس الاسلاف الذين أنسونا قوميتنا انكم ايها الاعزاء ستملحتون بالجيش قريب وستكونون اساتذة جنودنا الابطال . فعلموهم انهم ترك وانهم اذا حاربوا العدو من أجل الترك وتحت العلم التركي يقتصرون عليه ويحززون ما أحرزته البلجيكي من المجد والفخر . وتأكدوا أن التركية خبر لنا من الاسلام وان التمسب للجنسية من أكبر فضائل الهيئة الاجتماعية »

فأجابه أحد ضباط العرب قائلا : « تعلم ايها القائد ان للام الشرقية تقاليد

لا يمكن الاغضاء عنها وقد حفظت الجنسية العثمانية هذه التقاليد وكفلت سلامة الدولة الى الآن. فتترك العناصر العثمانية أو انكار قوميتها عليها يؤدي الى اضمحلال الدولة في القريب العاجل . فأنا أحتج على هذا الكلام وأقول بكل صراحة ان الرابطة الاسلامية العثمانية هي الرابطة الوحيدة التي تربطنا بالترك . ولما كنت حضرتك تعلمني الآن ان هذه الدولة دولة تركية وان هذا العلم الذي عهدت الي في الدفاع عنه هو علم تركي أي علم أجنبي عني فقد قضيت على قوتي المعنوية قضاء مبرماً وأخذت كل عواطف الوطنية لأنني أنا وأبناء العرب وجميع أبناء العناصر غير التركية لانحارب في جنب الترك الالمقاصد متحدة وذبا عن حياض الاسلام والعثمانية. « فأجاب القائد قائلاً : « اعلم أن الحقيقة غير العواطف وأنت وان تكن عربياً فأنت وعنصرك من تبعة تركيا. ألم يستعمر الترك بلادك ؟ ألم يفتحوها بالسيف ؟ ان العثمانية التي تتخذها حجة لك هي حيلة اجتماعية يستعملها الضعيف للوصول الى غايته . أما الدين فلا شأن له في السياسة، وسننهض قريباً باسم التركية ونحت العلم التركي ونترك الدين جانبا لانه من الامور الشخصية الثانوية، أما أنت وأبناء جنسك فعليكم أن تعرفوا انكم ترك وأنتم ليس في العالم قومية عربية أو وطن عربي » (١) وقد احتج ضباط العرب الذين سمعوا هذه الخطبة الى وزارة الحرية وطلبوا منها عزل القائد الاستاذ فلم تبعاً باحتجاجهم ولا أجابهم الى طلبهم بل اتخذت التدابير اللازمة للتخلص منهم فقتلت بهم الى ميادين القتال وعرضتهم لرصاص العدو بلا سبب الا رغبتها في محوهم لينسئ لها بعد ذلك قبل الفكرة القومية في بلادهم . وهذه الرغبة — رغبة قتل العرب — قديمة العهد في الترك الانحدادين . فقد عثر ضباط العرب سنة ١٩١٢ في بولايير على كتاب من أحد زعماء الانحدادين الى قائد انحدادي كبير جاء فيه « عرضوا العرب لرصاص العدو وأعملوا على التخلص منهم لان قتلهم يفيدنا . أما الكرد فاحتفظوا بهم لأنهم يلزموننا في بلاد الارمن » (٢)

(١) جرت هذه المناقشة على مسمع مئات من ضباط العرب في المدرسة الحربية في الاستانة وقد تقاهم اليها غير واحد منهم فمر بناها للقراء اه من هامش الاصل
(٢) نشر هذا الكتاب في حينه في معظم الصحف العربية اه من هامش الاصل

رحلة الحجاز

٣

﴿ باخرتا الحجاج - المنصورة والنجيلة ﴾

استأجرت الحكومة للحجاج باخري (المنصورة والنجيلة) وهما من أقدم سفن شركة البواخر الخديوية - وأما المحمل المصري فقد حمل مع أميره وعسكره على سفينة جربية إنكليزية - ولا كنا آخر من جاء السويس من الحجاج علما من أصدقائنا الموظفين في هذا الشأن ان المنصورة أسرع الباخرتين وأنه لم يبق في الدرجة الأولى منها موضع لي وللسيدتين لأن وفد العلماء المرسل الى الحج على نفقة سلطان مصر المعظم قد ركب المنصورة قبل مجئنا وتسابق اليها الناس وقد يوجد فيها موضع واحد لي ، وان النجيلة تفضل المنصورة بأنها أقل منها نودانا وأنه يمكن أن نجد في الدرجة الأولى منها بيتا أو مخدعا (قمره) خاصا بنا. فترانا فيها مع رفيقينا في يوم الأحد الرابع بقين من ذي القعدة ، وقد علمنا بعد سفرها أنها أبطأ بواخر الدنيا سيرا قبل لنا انها تقطع ثمانية أميال في الساعة ولعلها لا تتم الستة الا بالجهد ، وهي قديمة وسخة ليس فيها ضوء كهربائي ولا أجراس ولا مقاعد للاستراحة الا كراسي المائدة في الدرجة الأولى، ولكن المخدع الذي خصص لنا فيها واسع جدا قلما يوجد في البواخر الكبيرة مثله في سمته وهو معد لنوم ستة أو سبعة ، وفيه عدة نوافذ. ثم أن ربانها سالم أفندي البدن من أحسن الناس أخلاقا وعناية بالحجاج ، وهو من أقدم المستخدمين بهذه البواخر وقد حجب مرارا ، وطيبها مذهب حسن المعاشرة وهو طلياني يتكلم بالعربية العامية بطلاقة ولهجته فيها سورية ، فنشكر لهذين الرئيسين في الباخرة حسن عشرتهما وعنايتهما بنا خاصة وبسائر الحجاج أيضا ، ولا نبخس خدام الباخرة حقهم من الثناء على حسن خدمتهم . وامل باخرتنا كانت تفضل المنصورة فيما عدا سرعة السير. وقد زارنا في الباخرة قبل سفرها محافظ السويس ثم صار الى المنصورة لزيارة وفد العلماء السلطاني فيها

(حجاج باخرة النجيلة)

وأنسنا في الباخرة بصحبة كثير من ركاب الدرجتين الاولى والثانية وحمدنا أصحابهم وعشرتهم وأخص بالذكر منهم عالما من أكبر علماء القطر المصري وأديبا من أفضل أدبائه . أما العالم فهو الاستاذ الشيخ عبد الفتاح الجمل شيخ علماء بور سعيد وقد كنت أسمع له ذكرا حسنا فرأيت أنه فوق ما كنت أسمع علما وفضلا وهديا وأديبا وانصافا في المذاكرة واستقلالا في الفهم ، وله مشاركة حسنة في التاريخ والادب ومعرفة أحوال العصر ، ولعله يتدر وجود مثله في علماء مصر . وأما الاديب فهو محمد توفيق علي (اليوزباشي) في الجيش المصري ، وهو يفضل من نعرف من أدباء مصر وضباطها في الاخلاق الدينية والمحافظة على العبادات ، وكثرة النظم في ذم الفواحش والمنكرات . وقد كان معه والدته وهي امرأة تقية زكية الفطرة واتفق ان كانا نخدمهما ملاصقا لخدمتهما فكانت الدني وشقيقتي تأنسان بالمأما بهما وصاحبتهما لهما وهي أقل منهما دورا ، وأكثر على مشقة البحر اضطرابا ، وقد حججت قبل هذه المرة . وكذلك كنت أنا آنس به ، فقد كنا أكثر الرفاق نلزمنا قلما نفترق الا في وقت النوم ، وكان أكثر حديثنا وسرنا أول الصحبة في الشعر والادب وأقلهما في المسائل الدينية والملمية والشؤون الاجتماعية ، الا اذا حضر المجلس الاستاذ الجمل فان الحديث يكون بعكس ذلك ، كما كان في أواخر العهد بالصحبة

وقد وزعت بعض نسخ المناسك على حجاج الباخرة قبل أن أقرأها وأصبح أغلاطها وبعضها بعد ذلك ، ولما علم الناس أنها بغير ممن كثر الطلب لها حتى من الاميين فصرت أشترط على من يأخذها من القارئین ، ان يقرأها لمن يجاوره من الرفاق الاميين ، وكان انتشارها في المركب سببا لكثرة اختلاف الحجاج الينا للسؤال عن أحكام النسك ولا سيما واجبات الاحرام

كان سفرنا من مصر في أول الميزان وقد بدأ هواء الخريف المعتدل يطرد هواء الصيف الحار ويجليه عن أفق مصر ، وكأن ما كان يرحل منه عن مصر يذهب الى الحجاز ليحل محل هواء صيفه الذي هو أشد منه حرارة ، لذلك كنا كلما اوفنا في الجنوب نشعر بأن جونا يرجع بنا القهقري الى الصيف فكان عامة من في السفينة لا

يكادون يبرحون ظهورها الا الى حاجة غير النوم اذ كان جميع ركاب الدرجة الثالثة ينامون على الظهر وكذلك بعض ركاب الدرجة الثانية، وكان جل ركاب الدرجة الثالثة من أدنى طبقات المصريين قد دههم الى الحج دعا ما كان من عناية الحكومة بيعت حجاج يحجون وحملها الاغنياء على مساعدة الفقراء على الحج بالمال، فوق ما كان من تسهيل سائر الاسباب، فكان أكثرهم يقطعون أوصل الليل باللهو واللعب، والغناء والطرب، ومنه ما يسمونه في اصطلاح أهل الطرق بالذكر، وهو ان يقف جماعة يتذنون ويرقصون ويصيحون بأصوات منكرة: اء اء، أو: هو هو، أو حي حي، على صوت مغن يضيهم ببعض الاغاني الحديثة أو الاشعار القديمة، فيكونون بذلك من الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، وأقبح اللهو وأنكره وأقربه من غضب الله وأبعده عن مرضاته ما جعل ديناء، هؤلاء الذين يسمون أنفسهم ذاكرين لله يظنون أنهم خير من الذين يتغنون ببعض الاغاني لاجل التسلي عن فراق الأهل والولد مثلاً، وما ذلك اللهو الذي سموه ذكرا الامعصية، وما هذا اللهو الا ظنوه حراما أو مكروها الا مباح، ولهم في ذكرهم هذا شر مكانا ممن قل فيهم بعض العلماء

أقل الله حين هبتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

ولذكركم هذا دون الذكر مع الغفلة أو الغيبة الذي قال فيه الشيخ محي الدين ابن العربي.
بذكر الله تزداد الذنوب وتطمس البصائر والقلوب

ومن مظاهر الدين الباطلة في هؤلاء العوام ما كان يمثله رجل منهم شر تمثيل: كنا نسمع كل ليلة صوتا منكرا أجش ينادي به صاحبه السيد البدوي بألقابه المشهورة في هذه البلاد، ويكثر من ذلك ويلج فيه بعد نوم الناس، مستقلا على ظهر السفينة من مكان الى مكان، وكثيرا ما كان يقف بالقرب من بعض نوافذ مخدعنا فيزعج السيدتين وينقص عليهما نومهما، ولما تكرر ذلك منه بمحضاعه فاذا هو بزي أهل الطريق المتصنمين الذين يراءون الناس بلعاهم وثيابهم وحركاتهم وأصواتهم، فقلطنا في وعظه واقناه بترك ذلك الصياح ولكنه أقل منه ولم يتركه البتة.

هذا واننا لما حاذينا رابع آذن ربان السفينة الحجاج ببلوغ ميقات الاحرام فطلقوا يهرمون، واننا نرجئ الكلام على الاحرام الآن لذكركم في هذه الرحلة مع

غيره من أعمال المناسك متصلا بعضها ببعض ، ونسمرسل في وصف السفر فنقول :
 ﴿ الوصول الى جده ﴾

وصلت المنصورة الى ثغر جدة ضحوة يوم الاربعاء وهو التاسع والعشرون من ذي القعدة ولم يلبث ركبها أن نزلوا منها ، وأما باخرتنا النجيلة فوصلت عشاء ليلة الخميس فلم تستطع التقدم الى موقف البواخر من الميناء لكثرة الصخور الخفية هناك فأرست في مكان بعيد عنه ، وأما دخلت الميناء وأرست فيه ضحوة يوم الخميس فكان تأخر ركبها عن ركاب أختها ٢٤ ساعة ، والسفن تُرسى على بعد شاسع من البر في ذلك الثغر لركة الماء وكثرة الصخور ، فلما رأت الوالدة والشقيقة ذلك عراها الغم لأن الدوار يشقد عليهما في الزوارق الصغيرة ذات الشراع أو المجاذيف ويؤلهما طول المسافة فيها ، وخافتا أن لا تصلا الى البر الا بحالة لا ترضيهما ، ولكننا لم نكمد نستعد للنزول الا وكان صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف وكيل سيدنا الشريف الاعظم صاحب الحجاز^(١) قد جاء الباخرة في زورق كهر بائي أو بخاري (لنش) مع جماعة من سرارة جدة وكبرائها لاجل استقبالنا ، وقد أخبرونا بعد السلام انهم قد نزلوا أمس للسؤال عنا في باخرة المنصورة ، ثم اننا بعد استراحة الزائرين نزلنا وأنزلنا معنا في الزورق ما خف من متاعنا وصفر حجمه وأرسلنا ما بقي في مراكب النقل الشراعية - وكان الرفيقان الشيخ خالد ومحمد نجيب افندي قد نزلوا في بعضها ، - فسار بنا الزورق كالسهم فوصلنا بغاية الراحة ، ونزلنا ضيوفا مكرمين في دار صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف ، وهي دار فسيحة واسعة الحجرات كثيرة النوافذ ، تفيض عليها الشمس أشعتها من الشرق والغرب ، ويتخلل النسيم حجراتها من كل مهب ، فهي في الذروة من دور جدة ، وكان الهواء معتدلا في هذا الثغر ، لا يشتكى برد منه ولا حر ، وقد بلغني الصديق المضيف ، تحية سيدنا الشريف ، وصدور أمره العالي اليه بالعناية بنا ، وكان قد بلغ الديوان الهاشمي العالي موعد وصولنا كما بلغه مندوبه بمصر خبر سفرنا بالبرق ثم بلغ مضيفنا بمكة خبر وصولنا بالمسرة (التلفون) وتكلمت به مع

(١) يعلم القراء ان هذا وقع قبل مبايعة اهل الحجاز للشريف بالملك ونشر الرحلة بعد المبايعة لا يقتضي استعمال لقب الملك فيما يحكى فيها عما كان قبل ذلك

اخواننا محوري جريدة القبلة . وفي صبيحة اليوم التالي ورد على مضيفنا في البريد من المقام الهاشمي الاعلى رقعة شريفة هذا نصها :

نومرو ١٩٥

وكيل شرافة مكة المكرمة وامارتها بحجده

معتمدنا الأعز

كتابك رقم ٢٧ الجاري وصل وعلم مآله لاسيما من خصوص السيد رشيد رضا فقد أرسلنا قبلة وبتاريخه كان قصدا نشعرك بالاستعداد لمقابله بما يقتضي له من الحفاوة وللمعلومية تحرر في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ شريف مكة وأميرها الحسين بن علي

لم نكد نستقر في الدار الا وأقبل الزائرون المهشون يفتدون علينا أفرادا وجاعات وفي مقدمتهم الشيخ مصطفى فهمي مامون نائب الحضرة الهاشمية في جده جاء بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن سيادة رئيسه الشريف محسن معتذرا عنه بالاشتغال بشؤون المحمل المصري . وقد تذكرنا فتذكرنا بعد التحية والسلام، فيما كان من تلاقينا أول مرة منذ بضعة أعوام ، ذلك انني زرت سورية عقب اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٧ فأقمت فيها أشهرا ثم عدت الى مصر على سفينة فرنسية من شركة المساجري واتفق ان كان في هذه السفينة مصطفى بك فهمي هذا قاصدا بور سعيد للسفر منها الى الحجاز فرأى اسمي بين ركاب الدرجة الاولى ولم يرني علي مائدتها ولا على ظهرها مع الركاب لاتي أصبت بدوار خفيف لزممت لاجله مخدعي ولم يكن معي أحد فيه ، فسأل عني فدل علي فالتقينا وتعارفنا ، قال لي إن سيادة أمير مكة الجديد سيدنا الشريف حسين طلبني لأكون كاتب السر له — وكان موظفا بولاية حلب في عمل لا أذكره الآن — وانني لما علمت بوجودك هنا رغبت في لقائك واغتنام الفرصة في الاستفادة من رأيك فيما ينبغي لبلاد الحجاز من الإصلاح في عهد الدستور فان أميره الجديد لا بد ان يوجه همه الى إصلاح عظيم في هذه البلاد المقدسة وانت أولى من يستنار برأيه في هذا الامر ... فذكرت له ما خطر في بالي في ذلك الوقت القصير من وسائل حفظ الأمن ونشر العلم وإصلاح حال البدو وسكة الحديد الحجازية ، وتواعدنا على المسكابة في كل ما يتجدد من الشؤون بتجدد الاعمال ،

وقد بدأ بالوفاء بوعده بعد وصوله الى مكة المكرمة بمدة وجيزة فكتب الي كتابا ذكر فيه انه عرض ماسمعه مني من الآراء على سيد الجميع فصادف القبول والارتياح ، وقد أجبته بما اقتضته الحال ، وكان من غرائب عهد الدستور انني أرسلت اليه كتابا مسجلا فيه كلام يتعلق بخدمة الدولة وتمكين سيادتها في البلاد العربية فأعيد الي هذا الكتاب ولم توصله اليه ادارة البريد التركية ولا يزال عندي وقد وعدته باطلاعه عليه عند ما التقينا في جده لأنه كان في أوراقى ولكن لم ينيسر لي اخراجه في ذلك الوقت أقنا في جده من ضحوة يوم الخميس الى أصيل يوم السبت ولم أخرج من الدار في هذه المدة الا الى صلاة الجمعة في أقرب المساجد اليها ، وقد سمعنا خطيب المسجد يدعو للسلطان محمد رشاد في خطبته كالعادة. ولم أرد الزيارة لأحد لان الزائرين كانوا لا يكادون يفارقوننا الا وقت النوم ، وكان جل حديثنا معهم في المسائل الدينية والعلمية ، والمبرة الاجتماعية والساسية ، وانما اختلست منهم ساعات متفرقة كتبت فيها نبذة من التفسير المنار ومكتوبات أرسلتها الى مصر

كنت أتمنى لو ملكت وقتا أرد فيه الزيارة للزائرين الكرام فلما غلبت على الوقت قلت اهلي أملك بعد العودة من مكة المكرمة ما لا أملكه الآن ، ولكن وقت العودة كان أضيق كما يعلم في محله ، ولذلك طلبنا من صديقنا ان يكتب الينا أمهاتهم لنؤدي لهم الشكر بالكتابة ، جزاء ما استحقوه علينا من الزيارة ، فكتب اليها زهاء ثلاثين منهم وهم الذين تذكروهم فن أهل العلم منهم الاساتذة الشيخ محمد حسين ابراهيم والشيخ أحمد الزهره والشيخ أحمد طه رضوان والشيخ اسحق بن حسن العباسي والشيخ محمد سعيد دردير خطيب مسجد عكاش ،

ومن رجال الحكومة عدا من ذكرنا مدير الشرطة مساعد اليافي ومدير الصحة الدكتور امين معلوف وقائد حامية الثغر عبد الرؤف عبد الهادي ورئيس كتاب الحجر الصحي رشيد باغمار ومحمد راغب الصنعاني من الكتاب ، وحسين ملوخية مأمور نقل البريد ، وكل هؤلاء يطلق عليهم لقب الشيخ للتكريم ، وقد أعجبني من الدكتور معلوف وعبد الرؤف ومساعد زيهم العربي فكانوا به أبهج في عيني منهم في زيهم الافرنجي التركي

ومن كبراء الوجوه والتجار في الثغر الشيخ سليمان قابل رئيس البلدية والمشايخ زينل علي رضا وعبدالله علي رضا ومحمود زاهد ومصطفى درويش عبد ربه ومحمد بن احمد المراز ومحمد باحفظ الله وعبد الله الحمد الفضل ومحمد العبد الرحمن الفضل ومن أصحاب الحرف وكلاء الاعمال المشايخ حمزه جلال تقيب وكلاء المطوفين وحسين بحيري من المطوفين وبكر وخديس وسليمان عزابه من وكلاء المطوفين ومحمد سعيد كيال شيخ السماسرة وعبد الرحمن فائق من كتاب شركة البواخر العمانية فنشكر هؤلاء ولسائر من تفضلوا بزيارتنا (كالشيخ عبد الرؤف الصبان من طلبة دار العلوم المصرية وقد فاتنا ذكره مع علماء جدة) مودتهم وفضلهم، وقد علموا ما حال دون ما كنا نبغي من زيارتهم، وان التقصير من الزمن لا مناء، والعذر عند كرام الناس مقبول ﴿ عبرة للمعتبرين * وجناية المفسدين على المصلحين ﴾

أظهر لي صديقي المضيف سروره وارتياحه لرؤيته إياي بثوبي الاحرام (الازار والرداء) وقد أثار عجبني وحزني أنه ظن أن من المحتمل أن أترخص بترك لباس الاحرام اعتمادا على الفدية. وقال لي لو رأيتك لا لباسا ثياب الحل لعزمت عليك أن لا تنزل جدة الا بلباس الاحرام، لئلا يظن بعض الناس أنك من قبيل هؤلاء المتهاونين الذين يجيشون هذه البلاد غير محرمين بحج ولا عمرة، وذكر لي شيئا يسيرا مما علمته بعد ذلك تفصيلا من حال بعض الشبان الذين جاؤا الحجاز ودخلوا مكة المكرمة نفسها، وكانهم لا يعرفون شيئا من مكاتها، ولا حق بيت الله وشعائره فيها، فدخلوها غير محرمين، ومروا ببيت الله تعالى غير طائفين ولا مصليين، وترددوا بين الصفا والمروة غير ساعين ولا مرملين، فكانوا مضغة في أفواه الحجازيين، ومثالا مشوها لشبان المدينة المصريين، وحجة قاطعة لألسنة الذين يلغطون منهم بتكفير الاتحاديين، لأنهم يساؤونهم في ضلالتهم، وهدمهم لشعائر ملتهم، ولكنهم يقصرون عنهم في الفيرة والاخلاص لأمتهم، والتفاني بخدمة دولتهم، وبذل النفس والنفيس في احياء جنسيتهم

لقد احزنتني وامضني وساءني وأسفني ما قاله هذا الصديق الذي أعتقد أنه ما أحبني في الله تعالى الا لاجل اعتصامي بديني وغيرتي عليه، ودعوتي الى احياء كتابه وسنته. وقلت في نفسي يا سبحان الله! اذا كان مثل هذا الحب الحسن الاعتقاد قد بلغ (الجلد التاسع عشر) (٧٢) (المنار: ج ٩)

سوء تأثير بعض أولئك الشبان في نفسه أن تصور ذهنه في مثلي جواز دخول جدة بغير ثياب الاحرام ولو على سبيل الرخصة ، والقيام بما يجب بدل ذلك من الفدية ، فكيف يكون رأيه واعتقاده فيمن لا يعرف لأحد منهم حظا من علم أو عمل ، ولا يحفظ لأحد منهم في قلبه بعض ما يحفظ لي من الظن الحسن ؟

وقلت له محاولا كتمان اسفي ومكابرة امتعاضي : لو كان هذا اللباس (لباس الاحرام) مستحبا لا واجبا لما تركته نهاونا ولا إيثارا لما في اللباس المعتاد من الحشمة أو الزينة أو الرفاهة ، وأنا أرجو أن اكون من أعلم الناس بفوائده واحرصهم على ادراكها بالعمل ، ولو تركته لما استطعت انت ولا أحد من الناس ان يقنعني بإتيانه ، لاني لا أتركه — لو تركته — الا لمدر شرعي ملجئ ، كأن اعتقد أنه يضرب بصحتي ضررا يجعل الواجب محظورا ، وأكون بلبسه عاصيا لله تعالى لا طائعا ، وأما نظر الناس فلا أبالي به في أمر الدين ، وأعوذ بالله ان أكون من المرائين ، بل تعودت — والله الفضل والمنة — ان لا أتصنع للناس ولا ادهن لهم ولا اتجرى مدحهم ولا أخاف انتقادهم في المصالح الدنيوية والامور العادية بحيث يحتملني ذلك على ترك شيء أراه حقا أو مصلحة أو فعل شيء أراه باطلا أو مفسدة ، وأقول مستطردا إنه قد عاداني كثير من الناس في هذا الخلق وأذوني لأجله ولم أؤذ أحدا منهم ، وأرى انني غير مغبون معهم ، وأن هذا الخلق خير لي من مودتهم ، ولا سيما من أعرف منهم سوء النية ، وفساد الطوية ، ولكن بسوء ني أنه لا بد ان يوجد في أمثال هؤلاء من هو حسن النية يُخدع بالشبهة أو يقلد غيره فيما لا علم له به ، وأنه يعسر المشور على هؤلاء ، والتناصف معهم باقتناع كلامنا بحسن نية الآخر وإخلاصه ، ورجوع الخطيء الى رأي المصيب ان ظهر صوابه ، وعذره إياه فيما لم يظهر له . ولم اذكر هذا التفصيل كله للصديق وإنما خطر في بالي عند الكتابة ان ييانه مفيد لأن مثله يقع لكل صادق مستمسك بعروة الحق لا يحابي ولا يدهن الناس فيه .

ومن دقائق هذا البحث ان الانسان كثيرا ما تغشه نفسه ويخدعه بتسمية العجب والكبر والاصرار على الهوى اعتصاما بالحق وصلابة فيه وقلة اكثرات بالمبطلين ، فينبغي للمخلص في اعتقاد نفسه ان يمتحن نفسه ويناقشها الحساب فيما يعاب به ويتقدم منه ، وهذا أمر عسير غير يسير ، اذ يقل في الناس من يبلغ من يحب ما ينتقده

هو أو غيره عليه ويطلعه على عيوب نفسه ، كما يقل فيهم من يسلم من غيبة صديقه .
واكثر ما يبلغ الناس من الانتقاد عليهم ، أو انتقاصهم ، ما ينقل اليهم عن خصوصهم وأعدائهم ،
وقل من ينظر في مثل هذا نظر الروية والانصاف فيستفيد منه ، وإنما يستحوذ على
الاكثرين عند سماعه ثوران الغضب وخواطر الدفاع أو الانتقام ، واحد الله تعالى
أن وقتني في ريعان الشباب وأرائل العهد بالرشد الى حمل اصدقائي على ارشادي الى
عيوبي ومكاشفتي بما يرونه أو يسمعون من الانتقاد علي ، ولا ازال أسأل عن ذلك
من أتوسم فيه النصيح وان كان اصغر مني سناً واقل تجربة ومعرفة ، واني لاجوج الى
نصيحة واحدة استعين بها على اصلاح نفسي ، من سبعين مسألة استعين بها على
إصلاح غيري . وقد توجد هذه النصيحة عند عامي يزيد ما عندي من العلم والاختبار
على ما عنده منهما سبعين ضعفاً ، فيكون أعلم مني بما أنا اجوج اليه مما أفضله به
وأما ما اكتبه فاني أطلب الناس بالانتقاد على ما يرونه منه خطأ أو باطلاً ،
أطلبهم بذلك كتابة بما أنشره في المنار كل عام ، وكل ما يكتب الي من ذلك أنشره في
المنار على حسب الوعد الذي أعد به عند طلب الانتقاد ، فان تعمدت اغفال شيء —
وذلك نادر جداً — فانما أغفله لتكريم غيري ، لا لإخفاء عيبي ، ولا اذكر من ذلك
الآن الا رسالة ارسلها الي صديق مخلص من اشهر علماء الاقطار هفا فيها هفوات نزرى
بقدره لو نشرت وتقدت وان تلتطف الناقد جهد الطاقة ، وبالغ في الادب حتى بلغ
حد الاستطاعة ، فرأيت من الوفاء له ان اراجعه فيها ، واستأذنه بنشرها بعد التنبيه
لما فيها فلم يأذن . من أجل هذا أعتقد كما يعتقد جمهور قراء المنار أن آية الاخلاص
في انتقاد ما ينشر فيه ان يكتب ويرسل اليه ، لأن يقال أو ينشر في غيره من الصحف ،
فان نشر النقد في المنار نفسه هو الوسيلة لتجميع الحقيقة عند من اطلعوا على الكلام
المنتقده ، وإنما فائدة الانتقاد عند المخلص فيه بيان الحق والصواب لمن ينتقد عليه
باطله او خطأه ، ولئن اطاع على ذلك وخشي ان قد يكون قد ضل به وهم قراء كلامه ،
وأما انتقاد ذلك في بعض البيوت أو الأندية أو الصحف التي لا يطلع أكثر قرائها
على ما يدعي المنتقد انه باطل وضلال فهو إذاعة للباطل ضارة لا يحمل عليها الا هوى
النفس ، وذلك من شأن المرائين المفسدين ، لا من شأن الصادقين المصلحين ،

وقد ذكرني ماقاله الشيخ محمد نصيف في مسألة الاحرام والسبب الحامل له على هذا القول ما انبأني به اخي في الله عز وجل العلامة الشيخ محمد مكي بن عزوز التونسي في الاستانة سنة ١٣٢٨ قال رحمه الله تعالى ما حاصله : كتب الي أحد اخواني من علماء تونس بعد العلم بتلاقينا هنا : اننا نعرف قيمة السيد محمد رشيد رضا العلمية ومقاصده الاصلاحية من مناره ... ولكننا نرى بعض الذين يلجعون بطلب الاصلاح حتى الديني منه لا تنطبق أعمالهم على اقوالهم فهم لا يؤدون فرائض الدين ولا يقيمون أركانها فضلا عما دونها من آدابها واحكامها ، فكيف رأيت صاحب المنار بعد المعاشرة والاختبار؟ قال فكثبت اليه بعض ما رأيت ومنه ان زيارته الاولى لي في داري كانت بعد العصر فصلى صلاة العصر عندي وكنت قد صليتها قبل قدومه منفردا فأعدها مقديا به ، فلم أر صلاة أكمل انطباقا على السنة من صلاته . وزرته مرة مع بعض الاخوان فقدم لنا الشاي ولم يشرب معنا لانه كان صائما . الخ

أليس من آية ضعف الدين ، وابتلاء الصادقين بالمناقضين ، وغمة الامر على المؤمنين ، ما دار من المكاتبة بين العالمين التونسيين في الصلاة والصيام ، ومن الحديث بيني وبين محمد نصيف في مسألة لباس الاحرام ؟ بلى واتي تذكرت في هذه اللحظة مسألة اخرى من هذا القبيل اذكرها اتاماً للمبرة

دخلت مرة على الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد في نهار رمضان فرأيت عنده ابراهيم بك المويلحي جالسا يدخن بلفيفة من التبغ (سيكارة) فذكر المنار ومنع الحكومة الحميدية اياه من دخول البلاد العثمانية فجعل المويلحي يرميها بالجلل ويقسم ان المنار خير لها من فبلق من العسكر لما فيه من خدمة الدين الذي لا تنهض الامة بدونه ، وأطنب في مدح الدين وتأثيره في الاصلاح وعدم الرجاء في نهضة المسلمين بدون ما يدعوا اليه المنار من الاصلاح الديني . علم بهذه الواقعة ابراهيم بك الهلباوي فاشار اليها في مقالة ارسلها الى المؤيد من أوربة يذكر فيها بعض عبر السفر ، مستطردا الى المبرة بها على سبيل التشبيه والمثل ، قال في وصف رجل — على ما أذكر — : كذلك الرجل الذي كان يكلم صاحب المنار في مدح الدين ... في شهر رمضان ونفيفة التبغ بيده يدخن بها . — او ما هذا مؤداه — فهم بعض الناس من عبارته ان الذي كان يدخن هو صاحب المنار المخاطب لا المتكلم

الذي يخاطبه، وان كان المتبادر من العبارة العكس وهو الذي يجري عليه الكتاب عادة في مثل هذه المسألة، اعني أنهم لا يصرحون باسم من ينتقدونه في مقام الاعتبار، فاذا صرح احدهم باسم المنتقد عليه أو بوصفه بما يعرف به لطوى له وقصد الى ذمه، لا تواتيه الجرائد المعتمدة (كالوئيد) ولا تنشر ذلك له، فلوان صاحب المؤيد فهم من العبارة ما فهمه بعض الناس او خطر في باله انه قد يفهم منها ذلك لتصرف فيها بما يحول دون هذا الفهم بلغني وبلغ صاحب المؤيد رحمه الله ذلك في وقته فلم يحفل به، وقال هو ان هذا الفهم لا يخطر الا ببال بعض الهوام، وهو لا يؤثر أدنى تأثير في سمعة صاحب المنار حتى عند من لا يعرف مكانته من هداية الدين، واذا كتب شيء لا يوضح الحقيقة ربما كان سببا للقليل والقل. ثم علمنا ان هذا الفهم قد سبق الى اذهان بعض الناس في نائي الاقطار: جاءني يوما برقية من بمباي النغراهندي المشهور من محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين أحد ثغور نجد الجنوبية يقول فيه انه مسافر الى السويس في باخرة كذا بقصد الحج، فلما كان موعد وصول الباخرة رأيت من المروءة أن أذهب الى السويس للقاءه وان لم أكن أعرفه أو أعرف عنه شيئا من قبل، فوافيته فيها وكان معه جمهور من العرب ومسلمي الهند جاء بهم ليجعوا على نفقة. فقدم لنا لقائف التبغ (السكراب) على حسب العادة فاعتذرت، فمرضوا علي التارجيلة (الشيشة) فاعتذرت أيضا. فسألني الباشا عن السبب فقلت اني أكره هذا الدخان وقد حفظني الله تعالى من اعتياد التدخين في الصغر، فلا أتكلفه بعد العلم بضرره في الكبر، فقال اذا أنت لم تدخن في حياتك قط، قلت الامر كما ذكرت، فالتفت الى أصحابه وذكرهم بما دار من الخلاف في عبارة الهلباوي وكيف ظهر ان الصواب ما قاله من نزه صاحب المنار عن ان يكون هو المفطر في رمضان. على ان المسألة مسألة مجاهرة بالفطر، وهي أفش من الفطر في السر، لما فيها من سوء القدوة، وانتهاك الحرمة،

بعد هذا الاستطراد الطويل أقول ان بعض شبابنا الذين أفسدت المدارس التركية أو الافرنجية عقائدهم، وشوهت حرية الكفر والفسق أخلاقهم وآدابهم، ولم يكن لديهم من التجربة والخبر، ولا من حكم العقل وصحة الفكر، ما يفرقون به بين الحجاز وبين الامتانة ومهر، لم يقفوا عند حد ترك الاحرام، قبل دخول

البلد الحرام ، وترك الطواف والصلاة والصيام ، بل تجرأ أحدهم على التصريح بالاعتراض على القرآن. وتجرأ آخر على الطعن في بعض الخلفاء الراشدين ، بل على ما هو أكبر من ذلك من الضلال المبين ،

من أجل هذا صار بعض الحجازيين يسيء الظن بجميع أفراد هذه النابتة الجديدة وبعضهم يجعل سيرة هؤلاء الغاوين حجة حتى على من ظهرت عدالتهم من الوافدين ، أما طبيعة الحرم بل طبيعة جزيرة العرب ، فلا تطبق الصبر الطويل على إلحاد الملحدين ، ولا على توسيد الأعمال إلى الفساد المجاهرين ، وأما ما عدا الجزيرة من البلاد العربية فستحذو نابتها حذو النابتة التركية ، وإن فيها من يود تقليد جمعية الاتحاد ، في السياسة والعصبية والاتحاد ، ولكن آمالهم أدنى من آمالهم ، وآمالهم شر من آمالهم ، فأنهم لا يرجون أن يكون لهم دولة كالدولة العثمانية يغلبون على أمرها ، ويعتزون بقوة ماله وقوة جندها ، وسيظهر حالهم ومقصدهم ، وما يكون من تأثيره في بلادهم وأمتهم .

تقريظ المطبوعات الجديدة

كتاب الحرب الاوربية — أو فلسفتها —

لا أعرف أحدا من العامة ولا من الخاصة يصدق جميع ما ينشر في الجرائد من أخبار الحرب والسياسة ولا أكثره ، وإنما يصدق أناس ما يوافق عقولهم ، وآخرون ما يوافق أهواءهم . وأهل البصيرة يعلمون أن أصحاب الجرائد في بلادنا لا يعرفون جميع الحقائق التي يعرفها أصحاب الجرائد في أوربة ، وأنه لا يباح هؤلاء ولا لغيرهم أن ينشروا كل ما عرفوا ، فإن ما ينشر في الجرائد في هذه الحال يراد به عند جميع الأمم ما يترتب عليه من التأثير ، لا تمحيص الحقائق ولا تدوين التاريخ ، وإنما يرجى أن تدون الحقائق بعد الحرب بسنين ، بأقلام أركان الحرب وأحرار المؤرخين . وأجدر الناس بإظهار الحقائق في كل زمن هم الحكماء ورجال الإصلاح الاجتماعي والتحقيق التاريخي ، وإذا قلت أن (غوستاف لوبون) هو أشهر حكماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ في هذا العصر لا أكون مبالغاً ، فإنه قد اشتهر في الشرق كما اشتهر في الغرب بما ترجم من كتبه الاجتماعية باللغات الشرقية ككتاب تطور الأمم وكتاب

روح الاجتماع ، وبما كتبه في تاريخ أعظم أمم الشرق ، كتاب حضارة العرب وكتاب حضارة الهند . وقد كتب كتابا في فلسفة هذه الحرب بين فيه مناقشة نفسية ، وأسبابها الخفية والجليّة ، وكيفيّة تولدها ونماها وسيرها في كلّ أمة من الأمم المتقاتلة ، وكونها معالولة لعل خفية ما كان في استطاعة أحد أن يحول دون ترتبها عليها ، ولم تكن بارادة دولة من الدول ولا ملك من الملوك ، خلافاً للكثيرين الذين غلطوا في ذلك . ومن مباحث الكتاب بيان انقلاب الطرق الحربية والمواطن التي توقفت داعية الحرب ، وتأثير الاغلاط النفسية والحربية فيها ، وإيقاظها للشعور الديني ، والطرق الحربية الألمانية وتأثيرها ، ونتائج الحرب المجهولة وعقبات الصلح ، وغير ذلك من الفوائد ، مستنبطاً مسائله وقواعده من الوثائق الرسمية ، وأجدر الاخبار بالثقة

مثل هذا الفيلسوف الكبير يكتب ما يعتقد ، وقد بدأ التمهيد الذي جعله مقدمة للكتاب بقوله : « ليس فرضي من هذا الكتاب دروس حوادث الحرب الأوروبية وإنما الذي أرمي إليه استقصاء الظواهر النفسية التي أدت إليها والتي رافقتها منذ نشأتها ، فإن تدوين وقائعها بانصاف وإخلاص ليس بميسور لنا اليوم . وإن الأهواء لا تزال منسلطة على نفوسنا ، ولا يتسنى للأجيال التي تخلق التاريخ أن تدونه . ولا بد من فترة تمر بعد انتهاء المآسي البشرية حتى يتمكن الإنسان من اكتشاف سرها وإدراك حقيقتها ، فإن التاريخ لا ينصف إلا الموتى »

ومن أراد أن يستفيد من هذه الحرب علماً وفلسفة وعبرة وبصيرة فعليه بهذا الكتاب وهو قد ترجم بالعربية وطبع في مطبعة الهلال

﴿ كتاب ثورة العرب — مقدماتها وأسبابها ونتائجها ﴾

ألف هذا الكتاب عضو من أعضاء بعض الجمعيات العربية ، هو سوري أقام في الأستانة عدة سنين وفي مصر عدة سنين لا عمل له إلا الاشتغال بالسياسة ، والاقطاب التي تدور عليها مباحث الكتاب تنحصر فيما يأتي :

الحرب الأوروبية والشرقي . المسألة الشرقية وفروعها . المسألة العربية وأدوارها . العرب والترك في الماضي . العرب والأتحاديون . تأليف الجمعيات العربية وأسبابه . المؤتمر العربي الأول ونتائجه . نيات الاتحاديين ومعداتهم ، الاتحاديون والاسلام

والعرب ، تفاقم الخطب ، انفجار البركان . المباينة بالملك على العرب . مستقبل العرب . ما من مسألة من مسائل هذا الكتاب الا ولد لنا علم تفصيلي فيها . وقد قرأت نبذا متفرقة منه لاقف على منهاج مؤلفه فيه ، فظهر لي مما قرأت ومما أعلم من اخلاق المؤلف وآدابه أنه اجتهد ونحري الحق فيما كتبه بحسب ما وصل اليه علمه وفهمه مما رأى وروى ، ومما سمع وقرأ . ومما بينه في كتابه أن أذكاء العرب قد أجتأهم سيرة الاتحاديين وسيرهم بالدولة والاحداث التي حدثت في عهد دستورهم الى تأليف الجمعيات والاحزاب للمحافظة على «تمومات أمنهم وترقيتها في عهد الدستور في ظل الدولة العثمانية مع الاخلاص لها والحرص على دوام الارتباط بها . وقد صدق .

نقلنا في هذا الجزء فصلا من فصول الكتاب وربما نقل عنه غيره ، وقد بلغت صفحاته ٢٤٦ صفحة من قطع المنار ومن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

﴿ المذابح في ارمينية ﴾

كتيب للشيوخ فائز الغصين بين فيه مارآه بعينيه وسمعه بأذنيه من رجال الحكومة الاتحادية الطورانية وضباطها من حوادث واخبار الفتك بالارمن . والكتاب من أبناء رؤساء عشائر العرب في حوران تخرج في مكتب الدولة الملكي بالاستانة وانتظم في سلك حكومتها الادارية ، وقد كان حظه من تنكيل حكومته بأمثاله من نجباء العرب النفي الى أرضروم ، ولكنه سجن في ديار بكر بضعة اشهر وهي قطب الرضى لتلك الاحداث وفيها وفي طريقها رأى وروى مادونه في كتيبه من الفظائع التي تقشع منها الجلود ، ثم تيسر له الفرار الى البصرة ثم الى الحجاز فحصر وغرضه من الكتاب تبرئة الاسلام والمسلمين من قتل احد بغير حق ولا سيما النساء والاطفال وبيان ان تبعة مذابح الارمن في اعناق الحكومة الاتحادية دون سواها .

﴿ الكنز المفقود ﴾

قصة خيالية كتبت ببعض اللغات الافرنجية وترجمتها بالعربية الكاتبة المشهورة (ماري نجار) وغاية مؤلفها منها بيان شأن المرأة المهذبة وان جمال المرأة وذكاءها وثروتها لانفى عنها شيئا اذالم تكن مقرونة بالتهذيب . ولذلك قدمتها المترجمة الى الصحف العربية التي يعنى أصحابها «برفع شأن المرأة ومساواتها بالرجل وتشجيعها على رفع صوتها والسماح لها بنشر أفكارها على صفحاتها» وصفحات القصة ٢٣٥ من القطع الصغير ومن النسخة منها ٥ قروش .

المسحاة

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الأبواب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٥ — ٥ الحبل (را) ١٢٩٥ هـ ١٨ ابريل ١٩١٧

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

ففتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، اذ لا يسهل الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر عما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ استدارة الزمان والنسيئة في الحج ﴾

(س ٢١) من أحد قراء المنار من كبراء مكة المكرمة

الذي أحبط به علم حضرة الفاضل الاستاذ انبي استفسر عما رسخ بفكري عند تلاوة قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك للدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قال صلى الله عليه وسلم « ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » قال أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري : المراد بالزمان النسبة وقوله كهيئته أي استدار استدارة مثل حاله ... ولفظ الزمان يطلق على قليل الوقت

وكثيره والمراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس
 برج الحمل حيث يستوي الليل والنهار ، فلا يخفى ان مفهوم منطوق الحديث الشريف
 استدار كميته يوم خلق الله السموات والارض مع ما تضمنه شرح ابن حجر بقوله
 المراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل
 حيث يستوي الليل والنهار ان وقت الوقوف بهرقة لا يكون الا في ذلك اليوم
 الذي تحل فيه الشمس برج الحمل لا يتقدم ولا يتأخر وذا تقدم أو تأخر دخلت
 النسبة معنى اذ لا غرو ان وقت الوقوف من بعد ذلك اليوم لم يقع في ذلك الوقت
 لانه لا أقل من تأخر الوقوف كل عام عشرة ايام بحسب الفصول على حساب
 الاشهر الهلالية. فان قلتم هذا امر مقرر مشى عليه الصعابة والتأخير من بعده صلى
 الله عليه وسلم وهلم جرا الى الآن وعليه جاء في تفسير قوله تعالى (يستلونك عن
 الالهة قل هي مراقيت للناس والحج) ان المعتبر في الحج الاشهر الهلالية . قلنا
 حينئذ يترتب على هذا انه لا فائدة لما افهمه منطوق الحديث الشريف وهو لا ينطبق
 من المعنى ، ولا معنى لما شرحه ابن حجر في قوله في ذلك اليوم الذي حلت فيه
 الشمس برج الحمل . وهذا اذا كان السؤال في الآية الشريفة عن الهلال فقط وأما اذا
 جرينا على ان السؤال كان عن جميع الالهة حيث دخلت الشمس في هذا الجمع
 فيقتض السؤل قد توجه بلا اشتباه حيث ان ما ذكر من مفهوم الآية والحديث المتقدم
 ذكرهما يؤيدان المراد بقوله والحج أن ميقات الحج الشمس حينما تحل في برج الحمل
 افتونا مأجورين أمين

(ج) ليس في منطوق الحديث الشريف ولا مفهومه أن استدارة الزمان هي
 وقوع تاسع ذي الحجة في أول يوم من برج الحمل ، ولا ذلك مطابق للواقع . وإنما
 أخذه الحافظ من قول بعض العلماء لا من حديث آخر فقد قال في شرح الحديث
 من كتاب بدء الخلق من الفتح : وزعم يوسف ابن عبد الملك في كتابه تفضيل
 الازمنة ان هذه المقالة صدرت من النبي (ص) في شهر مارس وهو آذار وهو برمهات
 بالقبطية وفيه يستوي الليل والنهار عند حلول الشمس في برج الحمل . اهـ ومنه يعلم
 انه ذكر هذا لبيان الواقع ، ولا أدري من ابن اخذ الحافظ ان تاسع ذي الحجة واقع

في تلك السنة دخول الشمس في برج الحمل فهو لم ينقل عن يوسف بن عبد الملك ذلك. والواقع ان أول ذي الحجة من تلك السنة وهي العاشرة كان يوم الخميس كما ثبت في كتب الحديث وهو يوافق ٢٧ فبراير وثاني برمهات ، وفي بعض كتب التوقييم ان أوله الجمعة ٢٨ فبراير ٣ برمهات وعلى كل من الحساين يكون دخول الشمس في برج الحمل بعد اليوم التاسع ، وهب انه كان فيه فما ذكرهم له الا بيان للواقع. وكل من موافقة وقوع لوقوف في أول يوم من برج الحمل وموافقة عام حجة الوداع لأول عام انتظم فيه حساب السنين في أثر تكوين السموات والارض بهذه الحالة لادخل له في فريضة الحج. على أننا ان سلمنا أن هذا المفهوم المدعى في السؤال هو مفهوم الحديث نقول أنه مفهوم مخالفة اشترط من يمتنعون به ان لا يعارضه ما هو أقوى منه من منطوق أو مفهوم موافقة ، وهذا المفهوم يعارضه الكتاب والسنة اذ لو جعل الحج في فصل الربيع نابعا لحساب الشمسي لخرج من الاشهر الحرم المعلومات عند العرب بالتواتر من عهد ابراهيم واسماعيل اللذين فرض الله الحج على ألسنتهما وهو قوله تعالى (الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج) الخ وهن الاشهر المتواليات في حديث الاستدارة. وكانت حكمة جعل الحج في الاشهر الحرم ان يأمن الحجاج على انفسهم في ذهابهم الى مكة وايابهم منها الى أوطانهم فلا يغير عليهم احد من الاعراب كعادتهم .

واما قاعدة الحديث فهي تقرير بإبطال النسيء ولوازمه . قال تعالى بعد الآية المذكورة في أول السؤال (٣٧ : ٩) انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله وهو ما جروا عليه من تأخير بعض الاشهر الحرم الى غيره أي استحلال الشهر الحرام نفسه وتحريم شهر آخر بدلا منه لما كانوا يرون من الحاجة الى الاغارة في الشهر الحرام. مثل ذلك أنهم كانوا يؤخرون تحريم القتال في المحرم الذي يعودون فيه من الحج الى صنروا يعلنون ذلك في (منى) قبل انصرافهم من الحج ، واذا احتاجوا اخروا صفر الى ربيع وهلم جرا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها . وروي ان القلمس بن امية بن عوف نسباً لهم الشهور اربعين سنة، فترتب على ذلك أنهم أحلوا جميع ما حرم الله واخروا

الحج عن وقته الذي شرعه الله فيه حتى ان السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بأمر النبي (ص) كان الوقوف فيها في شهر ذي القعدة كما قال مجاهد، وتلتها حجة الوداع فكان فيها الوقوف في ذي الحجة وهو الشهر الذي فرض الله الوقوف فيه . فكانت استدارة الزمان أن رجع حساب الحج الى أصله وحرم النسي البتة فزال السبب الذي كان يتأخر فيه الحج من الاشهر المعلومات التي فرضه الله فيها . وافاد الحديث أن هذا الحساب حقيقي صحيح في نفسه ليس فيه من خطأ النسي شيء . وقد قرأت بعد كتابة ما ذكر ما كتبه الخافظ على الحديث في تفسير سورة براءة فاذا به قد نقل هذا المعنى عن الخطابي

وأما ما ذكرتم من الفرق بين الهلال والاهلة فلا نعلم له مأخذا من اللغة ولا أصلا من الرواية فالاهلة جمع هلال وهو اسم للقمر عند ما يبدو في أول ليلة من الشهر الى ثلاث ليل وقيل الى سبع وفي الليلتين الاخيرتين أو الثلاث الاخيرة منه . فاذا كان هذا اللفظ لا يطلق مفردا على الشمس فكيف تدخل الشمس في مفهوم جمعه ؟

﴿ تصحيح في تفسير هذا الجزء من المنار ﴾

بعد ان طبع تفسير هذا الجزء وأردنا طبعه على حدته أعدنا النظر فيه فرأينا فيه ما يحتاج الى التصحيح والتنقيح . وبما صححناه فيه ما يأتي :

| صفحة | سطر | خطأ | صواب |
|------|-----|-------------------------------------|-------------------------------------|
| ٥٨٧ | ٢٤ | القياس الجلي | القياس |
| « | ٢٥ | أو السنة هو | أو السنة وما قطع فيه بنفي الفارق هو |
| « | « | الصحيح | الصحيح الذي لا وجه للخلاف فيه |
| ٥٩١ | ١ | والله أعلم بالظالمين ^(١) | أليس الله بأعلم بالشاكرين |
| ٥٩٦ | ١٠ | عاقبتهم عنه | عاقبتهم عنده |
| ٥٩٧ | ١١ | من طردهم | عن طرد |

(١) سبب هذا الخطأ انه نقل عن كتاب الدر المنثور المطبوع بلا تأمل

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٣

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ دَارِهِ إِلَى دَارِ أَبِي بَكْرٍ،
ثُمَّ خَرَجَا مُتَرَوِّدَيْنِ مِنْ خَوْخَةٍ^(١) فِيهَا وَاسْتَخْفِيَا فِي الْغَارِ الْمَعْرُوفِ بِغَارِ
ثَوْرٍ^(٢)؛ وَكَانَا قَدْ اسْتَأْجَرَا دَلِيلًا مَاهِرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيَرْحَلَ بِهِمَا،
وَأَعْطِيَاهُ رَاحِلَتَيْهِمَا وَأَمَّنَاهُ عَلَى سِرِّهِمَا^(٣) وَوَعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ،
فَكَتَمَ أَمْرَهُمَا وَوَأَفَاهُمَا فِي الْمَيْعَادِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ فُرَيْشٌ بِخُرُوجِهِمَا،
خَرَجَتْ بِالنَّفَاقَةِ فِي طَلَبِهِمَا^(٤) حَتَّى إِذَا مَا أَنْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ، صَرَفَ
اللَّهُ عَنْهُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ؛ وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَا بُصْرَنَا، فَقَالَ «يَا أَبَا بَكْرٍ
مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَنِينِ اللَّهِ تَالْتُهُمَا؟ لَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ
ثَلَاثِ جَاءَ الدَّلِيلُ فَرَحَلَ بِهِمَا، وَأَرْذَفَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَاهُ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ
فَهَا جَرَّ مَعَهُمَا، وَكَانَتْ نَارُ الطَّلَبِ قَدْ خَمِدَتْ عَنْهُمَا، وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٤٧٣

(١) الخوخة الكوة النافذة والباب الصغير في الباب الكبير

(٢) ثور اسم جبل معروف من جبال مكة والغار لا يزال فيه الى اليوم

(٣) فيه من العبرة ما كان عند العرب من الامانة والصدق والوفاء

(٤) النافقة جمع قائف وهو الذي يسرف الآثار فاذا رأى أثر الاقدام أو

الاخفاف أو الحوافر في الارض استدل بها على عددها ووجهة سيرها

لِمَنْ جَاءَهُمْ بِهِمَا دِيَّةٌ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا ، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنْ حِفْظِ
اللَّهِ وَلِإِكْرَامِهِ لَهُمَا ،

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ خُرُوجُهُ ﷺ مِنْ مَكَّةَ ، كَانُوا يَخْرُجُونَ
صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ يَنْتَظِرُونَهُ فِي الْحَرَّةِ ، ^(١) وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى
الدَّيَارِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَغْلِبَهُمُ الشَّمْسُ دَلَى الظَّلَالِ " سَتَى وَاقَاهُمْ
بِقُبَاءِ " ^(٢) يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ نَامَ رَيْعَ الْأَوَّلِ فَتَلَقَّوهُ بِالْإِكْرَامِ ، وَأَقَامَ فِيهَا
مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ نَزْوَاهُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ ذَوْفٍ ، وَبَنَى فِيهَا
مَسْجِدَهَا الَّذِي أُسِّسَ عَلَى الْقُفُوفِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ دُخُولِ الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الْمِيزَانِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَعْتِدَالِ
الْخَرِيفِيِّ فِي الزَّمَانِ ، فَكَانَ ذَلِكَ رَمْزًا لِمَا فِي شَرِيعَتِهِ مِنَ الْأَعْتِدَالِ ،
وَكُونِهَا آخِرَ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا الدِّينُ غَايَةَ التَّامِّ
وَالْكَامِلِ ، وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَجَمَعَ بِهِمْ
فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِ ، ثُمَّ رَكِبَ فَأَخَذُوا بِخِطَائِمِ نَاقَتِهِ :
هَلُمَّ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمُنْعَةِ وَالسَّلَاحِ " ^(٣) فَقَالَ « خَلُّوا سَبِيلَهَا فَأُولَئِكَ
مَأْمُورَةٌ » ، وَكُلَّمَا مَرَّتْ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي النُّزُولِ

(١) الحرة موضع بظاهر المدينة من جهة مكة فيه حجارة سود

(٢) أي عند ما يقرب وقت الظهر ويتقلص ظلال الجدر حتى كأن الشمس

تغالب المستظل بها عليها (٣) موضع بظاهر المدينة فيه قرية واصله اسم لبركانت

هناك فهو مؤنث ممنوع من الصرف ويصرف بمعنى الموضع ، ويقصر أيضا

(٤) الخطام الحبل الذي يوضع في خياتم الراحة أي اتفقا لتقاد به و : هلم

الخط حكاية لغوهم أي قائلين هلم أي أقبل رتعال الى قوتي الكثرة والاستعداد

عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ « دَعُوها فَإِنَّها أُمُورَةٌ » وَمَا زَالَتْ تَعُرُّ بِدَارٍ بَعْدَ دَارٍ ،
إِلَى أَنْ بَرَكَتْ فِي مَوْجِعِ سَجْدِهِ الْيَوْمَ مِنْ دُورِ أَخَوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ ،^(١)
فَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي بَيْتِهِ ، فَجَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ » ، وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ
حَتَّى بَنَى حُجْرَتَهُ وَمَسْجِدَهُ ، وَاسْتَحْضَرَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ
مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ ،^(٢) وَلَمْ يَفْرَحْ إِلَّا أَنْصَارُ بِشَيْءِ كَفَرَحِهِمْ بِقُدُومِهِ ﷺ ،
وَمِنْهُ عَوْدَتُهُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ^(٣) وَأَيُّ شَرَفٍ وَفَخْرٍ وَسَعَادَةٍ
فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ ، أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي افْتَخَرَ بِهَا شَاعِرُهُمْ
بَبَدْيِهِ الْأَنْبِيَاءُ :

تَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضَمِّ شَرَّةٍ حِجَّةً يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِيًا^(٤)
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَرَمَنْ يُؤْوِي وَلَمْ يَرْدَاعِيًا^(٥)

(١) هم قبيلة من الانصار وهم أخواله (ص) من جهة جده عبد المطلب فان
أمه سلمى بنت عمرو منهم (٢) أرسل (ص) زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما
بعيرين وخمسمائة درهم فاحضرا فاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته
التي تزوجها بعد خديجة وأسامة بن زيد وأمهم أم أيمن. وأما بنته زينب فلم يمكنها
زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج . وقد خرج مع هؤلاء عبد الله بن أبي
بكر بعيل أبي بكر ومنهم عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان (٣) هوفج مكة
(٤) توى أقام والحججة بالسكر السنة والمضج ما بين ٣ الى ٩ أي أقام ثلاث عشرة
سنة بحكة يد كرويعظ بالدعوة الى الله في أثنائها وانما دعا في عشر منها (٥) المواسم
بمع مع الحج . فلم ير من يؤويه أي يجعل له مأوى أي منزلا يامن فيه على نفسه ولم
ير داعيا الى ذلك أو الى الله بمساعدته ونصره

فَلَمَّا أَتَانَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةِ رَاضِيَا^(١)
وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظِلَامَةَ ظَالِمٍ بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاغِيَا^(٢)
بَذَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ حِلٍّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَغَى وَالْتَأْسِيَا^(٣)

نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ
جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا^(٤)
وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا^(٥)

المعروفه وسمرته بعد الرحلة مع المؤمنين

وحاله مع أهل الكتاب والمشركين

كَانَ ﷺ أَكْرَمَ الْخُلُقِ أَخْلَاقًا ، وَأَعْلَاهُمْ فَضَائِلَ وَآدَابًا ، امْتَنَازَ
بِذَلِكَ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ كُنْهَهُ بَعْدَ النَّبُوءَةِ ، وَقَدْ
خَاطَبَهُ الْعَبِيُّ الْعَلِيمُ ، بِقَوْلِهِ (وَإِلَيْكَ لَعَلِّي خُلِقْتُ عَظِيمٌ) ، كَانَ جَاهِمًا يَرِنُ
الْمُطَفِّ وَالْتَوَاضِعِ وَالْدَّمَائَةِ ، وَيَرِنُ الْعِزَّةِ وَالْوَقَارِ وَالْمَهَابَةِ ، مَنْ رَأَاهُ

(١) النوى وجهة المسافرين التي بنوها بسفروهم وطيبة المدينة. ويروى البيت في سيرة ابن هشام هكذا : فلما أتانا أظهر الله دينه فاصبح مسرورا بطيبة راضيا

(٢) الباغي المعتدي ويروى البيت هكذا

فاصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبا ولا يخشى من الناس نائيا

(٣) الوغى الحرب والتأسي مثل التعازي ما يتسلى به المرء عن المكاره

(٤) أي نعادي الذي عاداه من جميع الناس وان كان من قبل حبيبا لنا لا يؤثر عليه أحدا

(٥) يروى هذا البيت بالفاظ أخرى في سيرة ابن هشام وفيها أبيات

أخرى أيضا

بِدِيهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ،^(١) وَجَامِعًا بَيْنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ
وَالْحَيَاءِ، وَبَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْحَزَمِ وَالْمَضَاءِ، فَكَانَ فِي حَوْمَةٍ أَلْوَنِي
أَثَبَتَ النَّاسَ، وَكَانُوا يَلُودُونَ بِهِ إِذَا اشْتَدَّ الْبَاسُ^(٢)، حَتَّى إِنَّهُ ثَبَتَ
وَحْدَهُ فِي يَوْمٍ أُحُدٍ، وَلَسِكِنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ بِيَدِهِ غَيْرَ أَبِي بَنْ خَلَفٍ^(٣)، وَإِنَّمَا
كَانَ يُدَافِعُ عَنْ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ دِفَاعًا، وَيُرْشِدُ الْمُقَاتِلِينَ بِالتَّذْيِيرِ
وَالْتَثْبِيتِ إِرْشَادًا، وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَحْبِي فِي الْحَقِّ
عَشِيرَتَهُ وَلَا أَبْنَاءَ جَنْسِهِ، وَكَانَ عَلَى جِلْمِهِ أَلْوَانُ أَيْسَعِ، لَا تَأْخُذُهُ فِي
اللَّهِ تَوْمَةٌ لَا يَحْمُ، وَكَانَ أَجْوَدَ مِنَ الرَّيْحِ الْمُرْسَلَةِ، وَالسُّبِّ الْمُنْهَمِلَةِ،
وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ صَبْرًا، وَأَحْسَنَهُمْ لِلَّهِ وَلِلنَّاسِ شُكْرًا،^(٤) وَكَانَ

(١) البديهة الفعالة أي من رآه مفاجأة من غير سابق معرفة خافه أو وقره
واجله لما يتجلى في شمائله من الروعة والهيبة ، ومن خالطه أي عاشره لحظة معرفة
أحبه لحسن خلقه وكال آدابه وشدة رحمته وعنايته بأمر معاشره . وهذا الكلام من
وصف علي رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم (٢) البأس بالهمز ويخفف هنا
للتناسب وهو الشدة والمكروه والمراد هنا الحرب ونحوها من المكاره الشديدة
(٣) كان أبي من رموس المشركين وصناديدهم وكان يعلف فرساً له بكفة اسمه العود
ويقول اقتل عليه محمداً فبلغ النبي «ص» خبره فقال « بل أنا اقتله إن شاء الله »
فلما كان يوم أحد ونسكب المسلمون وانكشعوا عن النبي «ص» أقبل أبي مقنعاً
بالحديد لا يرى من بدنه شيء وجعل يقول ابن هذا الذي يزعم أنه نبي فليبرز لي
فانه إن كان نبياً قتلني ، فلما دنا من النبي «ص» أخذ النبي حربته من الحارث بن
الهممة فطعنه بها طعنة جاءت في ترقوته من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة التي
على الراس فسكر الخبيث منهزماً ومات من ذلك الجرح في طريقهم إلى مكة قيل
بسرف وقيل براخ (٤) قال «ص» « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » رواه أحمد
والترمذي عن أبي سعيد

يُحِبُّ الْيُسْرَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَسْكُرُهُ الْعُسْرَ وَيَنْهَى عَنْهُ ^(١)، رِيَاءُ كُلِّ مَنِ
الطَّعَامِ مَا وَجَدَ، لَا يَأْتِي الْمُسْتَلْدَ مِنْهُ نُسْكَاءً، وَلَا يَتَحَرَّاهُ تَنْعَاهُ وَتَرْفَاهُ،
وَلَسْكِنُهُ كَانَ يَعْتَنِي بِأَمْرِ الْمَاءِ ^(٢)، وَيُحِبُّ الطَّيِّبَ وَالنِّسَاءَ، وَكَانَ
يُكْثِرُ الْوَصِيَّةَ بَيْنَ وَبَالِيَتَيْهِ وَالْأَرْفَاءِ، لِيَمْنَحُوهُ مِنْ أَنْفُسِ النَّاسِ
أَخْتِقَارَ الضَّعْفَاءِ،

كَانَ ﷺ يُرَبِّي الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخُلُقِ
الْعَظِيمِ وَالْعِرْفَانِ، فَأَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا
يَتَفَقَّسُونَ الْمَالَ وَالْعَقَارَ، وَأَأْفَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ
فَاصْبَحُوا بِنِعْمَتِهِ تَعَالَى إِخْوَانًا، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْدَاءً لَا يَأْكُلُو
أَحَدُهُمَا الْآخَرَ بَغْيًا وَعُدْوَانًا، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي الْأَمْرِ،
وَيَسَاوِي بَيْنَهُمْ فِي الْأَقْبَالِ وَالْبِشْرِ، وَيُوَفِّرُ كِبَرَهُمْ وَيَرْحَمُ صَغِيرَهُمْ،
وَيُسْكِرُ فَقِيرَهُمْ، وَيَعُوذُ مَرِيضَهُمْ، وَيُشِيْعُ مَيِّتَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ،
وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَيَكُونُ مَعَهُمْ كَأَحَدِهِمْ

فَأَمَّا الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي تِلْكَ الرَّحَابِ،
فَقَدْ وَادَعَهُمْ وَأَقْرَبَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَأْمَنَهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
عَلَى أَنْ لَا يَحَارِبُوهُ، وَلَا يَظَاهِرُوا وَلَا يُوَالُوا ^(٣) عَدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ لَهُمْ

(١) من وصاياه « يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا » رواه البخاري
ومسلم وغيرهما (٢) كان يحب الشراب إليه الخلو البارد كما في حديث عائشة في
الشمال وكان يستعذب له الماء من بيوت السقيا كما روى أبو داود والسقيا بالضم
عين على بعد يوم من المدينة أو أكثر (٣) أي لا يعاونوا ولا يناصروا

النَّصْرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيُنْفِقُونَ مَعَهُمْ مَا دَامُوا مُخَارِبِينَ، وَأَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ
وَالْمُسْلِمِينَ دِينَهُمْ، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ
مَا لَبِثُوا أَنْ تَقَضُّوا عَهْدَهُ، وَظَاهَرُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ،
وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَأَشْتَدَّتْ شِدَاؤَتُهُمْ لَهُ، وَكَانُوا حَرْبًا لَهُ وَلِعَنَ
أَمَنَ بِهِ، فَلَمْ يَسْتَفُوا بِإِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
وَمَا كَانَ مِنْ تَعَذُّبِهِمْ لِمَوَالِيِهِمْ وَضَعْفَائِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، لَا جُلَّ إِجْرَاجِهِمْ
عَنِ الْإِسْلَامِ، إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، حَتَّى صَارَ حُوهُ
الْبَنِي وَالْعُدَوَانِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِ أَمَانٌ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَكَانٍ، إِلَّا
أَنْ يَمْنَعَهُ أَحَدُ الْأَقْوَامِ، أَوْ يَصُدَّهُمْ عَنْهُ الشُّهْرُ الْحَرَامُ أَوْ الْمَسْجِدُ
الْحَرَامُ، عَلَى أَنْ قُرِيشًا صَدَّتْهُمْ عَنِ الْبَيْتِ، بَعْدَ أَنْ قَلَدُوا الْهَدْيَ
وَأَحْرَمُوا بِالْعُمْرَةِ سَنَةَ ^(١)، حَتَّى صَالَحَهُمْ ﷺ فِي الْحُدُودِ ^(٢)،
— وَالْإِسْلَامُ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنَّةِ وَالْقُوَّةِ ^(٣) —، عَلَى وَضْعِ
الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ، وَأَنْ
يَرْجِعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَامَ، وَيُخَلُّوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْقَبِيلِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ أَتَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَلَوْ بِقَصْدِ الْإِسْلَامِ،

(١) الأحرام وتقليد الهدي أي ما يهدي إلى الحرم من الأنعام دليل على عدم
إرادة القتال (٢) الحدودية بالتخفيف كدونية ويشدده أكثر الحديثين بترسمي
باسمها الموضع الذي حولها (وقيل واد هناك) وهو على نحو مرحلة من مكة من
أسفلها عن طريق جدة. وكان هناك قرية، قيل هي في الحل وقيل في الحرم وقيل
بعضها في الحل وبعضها في الحرم وهو أبعد عن مكة

(٣) كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٠٠ رجل أو ١٥٠٠

وَلَا يَرُدُّوا عَلَيْهِ مِنْ آثَامِهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ، وَكَانَ ﷺ
 قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ، أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ السَّجِدَ الْحَرَامَ، فَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ
 تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، وَلِذَلِكَ أَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ إِلَّا سَتِيئَاتِهِ
 مِنَ الصَّلَاحِ حَتَّى يَخِيفَتْ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةُ، "وَلَا أَنْ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ
 عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ، وَعَجَّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا وَعَدَهُمْ ثُمَّ مِنْ الْمَغَانِمِ
 الْكَثِيرَةِ،" (١) وَذَلِكَ بِرُفْهَانٍ عَلَى إِيْتَارِهِ ﷺ لِلْإِسْلَامِ، وَمَا كَانَتْ
 حُرُوبُهُ إِلَّا دِفَاعًا وَتَأْمِينًا لِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَانَ أَكْبَرَ فَوَائِدِ
 ذَلِكَ الصَّلَاحِ اخْتِلَافُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِتِمَاعُهُمْ أَنْتَرَانِ
 وَتَبْلِيغُهُمْ حَقِيقَةَ الدِّينِ، وَإِبْرَاسَالُ الرُّسُلِ لِتَبْلِيغِ الْمُلُوكِ الْجَبَّارِينَ، (٢)
 فَصَارَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِيهِ آمِرِينَ مُقْتَنِعِينَ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ فِي هَذِهِ
 الْبُذْنَةِ، مَنْ كَانَ يُخَفِّيه بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، وَحَسْبُكَ أَنَّهُ تَعَالَى
 أَنْزَلَ سُورَةَ الْفَتْحِ، فِي تَنْظِيمِ شَأْنِ هَذَا الصَّلَاحِ، مُبَيِّنَةً مَا فِيهِ مِنَ
 الْحُكْمِ وَالْمَصَالِحِ، وَمُسْتَمِلَةً عَلَى أَخْبَارِ الْغَيْبِ وَالْوَعْدِ بِالنَّصْرِ وَالْمَغَانِمِ،
 فَسَمَّا دَفْتَحًا مُبِينًا، وَأَعْقَبَهُ كَمَا وَعَدَ نَصْرًا عَزِيزًا، إِذْ كَانَ تَمْهِيدًا لِفَتْحِ

(١) لا صالح (ص) المشركين أمر المؤمنين بالتحلل من عمرتهم فلم يبادروا إلى
 الامتنال لما عراهم من ذهول الحزن، فدخل (ص) على أم سلمة وقال لها «هالك
 المسلمون» وذكر لها ما كان فأشارت عليه بأن يخرج ولا يكلم أحدا حتى يخرج
 هديه ويحلق رأسه، فخرج ففعل ذلك فبعوه فبحروا وصار يحلق بعضهم بمضا
 حتى كاد بعضهم يقتل بعضها من الغم

(٢) عجل لهم فتح خير فقد عاد (ص) من المدينة في ذي الحجة فاقام في
 المدينة زهاء عشرين ليلة ثم خرج إلى خير ففتحها في الحرم أول سنة سبع
 (٣) ملوك جزيرة العرب والشام ومصر وقارس

مَكَّةَ ، الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ النِّعْمَةُ ، وَأَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ إِنَّاكَ ، وَصَارَ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ،

وَكَانَ فَتَحَ مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانَ ، وَفِي سَنَةِ عَشْرِ حِجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حُجَّةَ الْوَدَاعِ ، الَّتِي هَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ
الْإِسْلَامِ ، وَعَلَّمَ الْأُلُوفَ أَحْكَامَ الْمَنَاسِكِ ^(١) ، وَأَمَرَ بَأَنْ يُبَلِّغَ
الشَّاهِدُ مِنْهُمْ النَّائِبَ ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُ بَلَغَ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ وَبَيَّنَّهُ تَبْيِينًا ، وَأَنْزَلَ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي مَسَاءِ عَرَفَةَ (الْيَوْمَ
يُثَسِّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا)

وَكَانَ ﷺ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ بَدْءِ التَّبْلِغِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَدْعُو
إِلَى أُصُولِ الْإِيمَانِ وَكَلِمَاتِ الدِّينِ ، وَتَرْكِةِ النَّفْسِ بِتَطْهِيرِهَا مِنْ
أَذْرَانِ الرَّذَائِلِ ، وَتَحْلِيلِهَا بِأَحَارِينِ الْأَخْلَاقِ وَعَقَائِلِ الْفَضَائِلِ ،
وَأَسْتِمَالَ نِعَمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَدَنِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ ، وَسَمَاوِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ ،
فِيمَا تَظْهَرُ بِهِ حِكْمُهُ وَتُشَاهِدُ آيَاتُهُ فِي الْخَلْقِ ، وَتَتَسَّعُ بِهَا الْعُلُومُ
الَّتِي يُعْرِفُ بِهَا الْحَقَّ وَتَكْثُرُ مَوَارِدُ الرِّزْقِ ، صَابِرًا مَعَ السَّابِقِينَ مِنْ

(١) المناسك أحكام الحج، وقد اختلف في عدد من حج مع الرسول (ص) حجة
الوداع من ١٠ ألفا إلى مئة وعشرين ألفا . وسبب هذا الاختلاف انه خرج من
المدينة بجماهير المسلمين فيها وفيما حولها وكان الناس ينضمون اليهم في الطريق عدا
من حج من سائر بلاد العرب

الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى الْأَمْطِهَادِ وَالْأَذَى مِنَ الشُّرَكِيِّينَ، ثُمَّ دَخَلَ الْإِسْلَامَ
بِالْهَجْرَةِ فِي عَهْدِ الْحُرِّيَّةِ، وَتَكُونَتْ لَهُ قُوَّةُ الْعَصَبِيَّةِ، وَجَاءَ الْوَحْيُ فِيهِ
مَفْصَلًا أَجْمَلًا فِي السُّورِ الْمَكِّيَّةِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَبَيَانِ الْحُكُلِ وَالْأَحْكَامِ،
وَيُنْتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ جَمِيعُ فُرُوعِ الْعِبَادَاتِ، وَكُلُّ مَا يُتِمَّجُ إِلَيْهِ مِنَ
النُّصُوصِ وَالْقَوَاعِدِ لِلْسِّيَاسَةِ وَفُرُوعِ الْمَعَامَلَاتِ، فَبِذَلِكَ كُلُّهُ أَكْمَلَ
اللَّهُ الدِّينَ، وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ تَرَبَّى عَلَى ذَلِكَ الْأُلُوفُ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَنَشَرُوا هَذَا الدِّينَ الْقَوِيمَ فِي الْأَقْطَارِ وَالْأَنْصَارِ،
فَارَوْا أُمَّ الْخَضِرَةِ وَالْأَذْيَانَ الْقَدِيمَةَ، مِنَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالسَّيْرِ
الْقَوِيمَةِ، مَا لَمْ يَرَوْا مِنْهُ بَأْغِيهِمْ، وَلَا رَوَوْا نَظِيرَهُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ
قَبْلِهِمْ، وَقَدْ كَانَتْ مَدَّةُ التَّشْرِيعِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، كَمَدَّةِ التَّبْلِيغِ بَعْدَ
الْبَيْتَةِ ^(١) فَبَعْدَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ^(٢) قَبَضَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ نَبِيَّهُ
الْمُصْطَفَى، وَرَسُولَهُ الْمُجْتَبَى، وَرَفَعَ رُوحَهُ الطَّاهِرَةَ إِلَى الرَّفِيقِ
الْأَعْلَى، فَتَوَفَّى ﷺ تَارِكًا لِلْأُمَّةِ مَا إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ لَنْ يَضِلُّوا مِنْ بَعْدِهِ،
كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتَهُ فِي تَبْيِينِهِ وَعِزَّتَهُ الْعَالَمِينَ بِرِمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ^(٣)

(١) أي عشر سنين (٢) توفي (ص) يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة إحدى
عشرة وكذلك كانت ولادته وبمته وهجرته في يوم الاثنين . وفي ذلك إشارة إلى
أن الإيمان به يلي الإيمان بالله تعالى ، والشهادتان شاهدتان على ذلك (٣) روى مسلم
في صحيحه من طرق عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله (ص) خطيبا بناء
يدعى 'حمّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وهبط وذكر ثم قال « أم بعد
الأناس فأنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين
أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به — فحث
على كتاب الله ورغب فيه ثم قال — وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، —

وَكَذَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، ^(١) وَعُلَمَاءُ أَصْحَابِهِ الْمَأْمُلُونَ ^(٢)، مُؤَسَّسَا

= أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي « وفسر زيد أهل بيته بمن حرم عليهم الصدقة قال وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام . ولعمري انهم كانوا أحفظ الناس لهديه حتى عند ظهور البدع وفتن الدنيا ولا يخلو عصر من طائفة منهم أو أفراد من الهداة المصلحين ، وان فتن الكشيريون منهم بغلاة المهبيين ، فكانت فتنتهم لهم أعم وأدوم من فتنة الامراء الظالمين ، اذ كان من أثرها في ذريتهم أن ترك اكثرهم العلم والاعمال النافعة استغناء عنهما بشرف النسب ، غافلين عن قول جدهم علي المرتضى كرم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسنه . والله در بيت الامامة في اليمن منهم فانهم لم يتركوا الاجتهاد في علوم الدين والحفاظة على الامامة الى اليوم . والنقل بالضم وفتحتين الشيء النفيس المصون وكذا متاع المسافر وحشمه . قال النووي قال العلماء سميا ثقلين اعظمهما وكبير شأنهما وقيل لثقل العمل بهما . وروى الترمذي من حديث جابر قال رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته انقصوا نخطب فسمعتة يقول « اني تارك فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا بعدي — أحدهما أعظم من الآخر — كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض ، وعترتي أهل بيتي ولن يتفراقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » وروى احمد والطبراني من حديث زيد بن ثابت مرفوعا « اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وعلم عليه السيوطي بالضعف . وروي نحوه من حديث أبي سعيد وحذيفة بن اسيد ورواياته كثيرون وطرقه متعددة ذكرنا أصحابها . وروي حديث بمعناه عن أبي هريرة وفيه لفظ السنة بدل العترة ومعناه صحيح ولا معارضة بينه وبين الآخر الذي هو أصبح منه رواية . ويؤيده حديث مرسل في الموطأ

(١) ورد في مناقب الخلفاء الاربعة أحاديث كثيرة في الصحيح وغيره وورد لفظ الخلفاء الراشدين في حديث العرابض بن سارية عند أبي داود والترمذي « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » الخ
(٢) ورد في فضل أصحابه « ص » أحاديث كثيرة منها في صحيح مسلم انهم أئمة لأمتهم فاذا ذهبوا أئمتهم ما يوعدون . ومعنى أئمة حفظة على الدين ، ومنها الحديث الصحيح « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الخ رواه الشيخان وغيرهما . والقرن العصر طال أو قصر

لَهُمْ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَوْلَةٌ عَادِلَةٌ رَحِيمَةٌ، وَحُكُومَةٌ شَوْرَوِيَّةٌ حَكِيمَةٌ،
فِيَدَتْ فِيهَا سُلْطَةُ الْفَرْدِ، بِالشَّرِيعَةِ الْعَادِلَةِ وَسَيِّطَرَةُ أَهْلِ الْحِلِّ
وَالْعَقْدِ، ^(١) مُبَشِّرًا بِأَنَّ مُلْكَهَا سَيَمُ الشَّرْقَ وَالْمَرْبَ، وَيَنْتَظِمُ مُلْكُ
كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَأَنَّهُ يَظَلُّ عَزِيزًا مَا أَقَامُوا الْحَقَّ وَأَعْتَصَمُوا بِالْعَدْلِ،
فَإِذَا وَسَدُوا الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَلْيَنْتَظِرُوا سَاعَتَهُمُ الْمَضْرُوبَةَ
لِفَقْدِهِ، ^(٢) وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرَةٌ عَلَى الْحَقِّ قَوَّامَةٌ
عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَيَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ^(٣)

وَقَدْ تَمَّ كُلُّ مَا بَشَّرَ بِهِ وَأَنْذَرَ، وَلَا تَزَالُ آيَاتُ نُبُوَّتِهِ تَتَجَدَّدُ
وَتَتَكَرَّرُ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ قَوْمِهِ، وَرَسُولًا
عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، ^(٤) وَسَلَامٌ
عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) الاسلام هو الذي شرع للناس شكل الحكومة التي يسمونها الديمقراطية
فأقامها الراشدون بالعمل ثم هدمت بالتدريج (٢) اشارة الى حديث أبي هريرة عند
البخاري « اذا وسد الامر الى غير أهله فانتظروا الساعة » (٣) اشارة الى ما ورد
في الصحيحين والسنن من الاحاديث كحديث ثوبان « لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين
على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي أمر الله وهم كذلك » وحديث المعيرة « لن
يزال قوم من أمتي ظاهرين على الناس حتى ياتيهم أمر الله وهم ظاهرون » واللفظان
هنا لمسلم وليس في البخاري « على الناس » وفي أحاديث أخرى ذكر عصاة قتال
على الدين أي على حفظه. وذكر النووي ان الطائفة لا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل
يجوز اجتماعهم في قطر أو بلد ويجوز تفرقهم، وذكر ان منهم الفقيه والحديث والمفسر
والمقاتل والقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزاهد والعابد . اي لان اقامة
الحق تكون بالعلم بالكتاب والسنة وبشهما وبالعمل بهما وبال دفاع عنه بالحجة وبال قوة
(٤) ذكر المباركة هنا مع الصلاة لمواقفة الصلاة الابراهيمية المشروعة في الصلوات،
والحمد لله على نعمه التي تم بها الصالحات

علماء بغداد في القرن السادس

ومكاتبهم في الوعظ والتذكير

قال الرحالة ابن جبير الاندلسي بمدان وصف بغداد بأنها أُمست بالنسبة الى ما كانت كالاطل الدارس وانتقد أخلاق أهلها ومعاملتهم وغرورهم يبلدهم ما نصه :

استغفر الله الا فقهاء المحدثين ، ووعاظهم المذكرين ، لا جرم ان لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومدارمة التنبيه والتبصير ، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحيط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالوفق منهم لا يزال في مجلس ذكر أيامه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة ، فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقديم في العلوم الاصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور ، فصعد المنبر وأخذ القراء امامه في القراءة على كراسي موضوعة ، فتوقفوا وشوقوا وأتوا بتلاحين معجبة ، ونعمات مخرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور نخطب خطبة سكون ووقار ، وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل ، وإيراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه ، ثم رشقته شأيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع منها ، فجمعها جملة في يده وجعل يجاوب على

كل واحدة منها وينبذها الى أن فرغ منها، وحاز المساء فنزل وافترق الجمع.
فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقورا هينا لينا، ظهرت فيه البركة والسكينة،
ولا سيما آخر مجلسه، فانه سرّت خيا وعظه الى النفوس حتى أطارتها
خشوعا، وفجرتها دموعا، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا، فكم
ناصية جزّ، وكم مفصل من مفصل التائبين طبق بالموعظة وحز، فبه مثل مقام
هذا الشيخ المبارك رحم العصاة، وتغمد الجناة، وتستدام العصاة والنجاة،
والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه، ويتغمد ببركة العلماء الاولياء
عباده العاصين من سخطه وانتقامه، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب
سواه ولا معبود الاياه

وشهدنا له مجلسا ثانيا اثر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من
الشهر المذكور، وحضر ذلك اليوم سيّد العلماء الخراسانية، ورئيس
الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بهزّ عظيم وتطريف آفاق تشوقت
له النفوس، فأخذ الامام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره
ومتجملابه، فأتي بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر،
ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندی المتقدم الذكر في هذا
التقييد المشتهر المآثر والمكارم، المقدم بين الاكابر والاعاظم،

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد
جمال الدين أبي الفضائل ابن علي الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب
الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة وعقربة من باب البصلية
آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو مجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس
رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف القرا كل الصيد، آية الزمان

وقرة عين الايمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمة الكلام في النظم والنثر، والفائض في بحر فكره على نقاش الدر

فأما نظمه فرضي^١ الطباع، مهياري الانطباع، وأما نثره فيصعد بسحر البيان، ويعطل المثل بنفس وسعiban، ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، انه يصعد المنبر ويتحدى القراء بالقراءة وعددهم نيف على العشرين قارئاً، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب ونشويق، فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات، الى ان يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشتهرات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدداً، أو يسميها نسقاً، فاذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في اراد خطبته عجلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الامماع من الفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقرآت في أثناء خطبته فقراء، وأتى بها على نسق القراءة لها لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو ان أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية على الترتيب لمعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة القراء بها عجلاً؟ (أفسح هذا أم أتم لا تبصرون؟) ان هذا هو الفضل المبين. فحدث ولا حرج عن البحر، وهيئات ليس الخبر عنه كالخبر، ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طالت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الانفس احتراقاً، الى ان جلا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا

عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها، ويمسح على رأسه داعياله، ومنهم من يفتش عليه، فيرفع في الاذرع اليه، فشاهدنا هولا يملأ النفوس انابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلولم نركب ثبج البحر، ونعتسف مفازات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الراجعة، والوجه المفلحة الناجحة، والحمد لله على ان من بقاء من يشهد الجمادات بفضلها، ويضيق الوجود عن مثله، وفي أثناء مجلسه ذلك يتبدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لاإله سواه .

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر يباب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم، ويفتح الباب للعامة فيدخلون الى ذلك الموضع، وقد بسط بالحصر وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس، فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا الى أن وصل هذا الخبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه على رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطر القراء امامه على كرسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ماشاؤا، وأطربوا ماأرادوا، وبادرت العيون بارسال الدموع، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات، من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء الفراء وأتى بأوائل الآيات في أثناءها متظلمات، ومشي الخطبة على ققرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكلمها، وكانت الآية (الله

الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس (فمادى على هذا السين ، وحسن أيّ تحسين ، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه ، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته ، وكنى عنها بالستر الاشرف ، والجناب الارأف ، ثم سلك سبيله في الوعظ ، كل ذلك بديهة لاروية ، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقرآت على النسق مرة أخرى ، فأرسلت وابلها العيون وأبدت النفوس سرشوقها المكنون ، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين ، وبالتوبة معلنين ، وطاشت الالباب والعقول ، وكثر الوله والذهول ، وصارت النفوس لا تملك تحصيلا ، ولا تميز معقولا ، ولا تجدد للصبر سبيلا ، ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق ، بديعة التزييق ، تشعل القلوب وجداء ، ويعود موضوعها النسيبي زهدا . وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام ، وأصابته المقاتل سهام ذلك الكلام

أين فؤادي أذابه الوجدُ وأين قلبي فاصحبا بمدُ
ياسعد زدني جوى بذكرهم بالله قل لي فديت ياسعدُ

ولم يزل يرددها والافتعال قد أثر فيه ، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه ، الى أن خاف الاخام فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر دهايا عجيلا ، وقد أطار القلوب وجلا ، وترك الناس على أحر من الجمر ، يشيعونه بالمدامع الحمر ، فن ملن بالانتعاب ، ومن متعفر في التراب ، فياله من مشهد ما أهول مرآه ، وما أسعد من رآه ، نعمنا الله ببركته ، وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته ، بمنه وفضله .

وفي أول مجلسه أنشد قصيدا نثر القيس مراقي النفس في الخليفة أوله

في شغل من الغرام شاغل من هاجه البرق بسفع عاقل
يقول فيها عند ذكر الخليفة

يا كلمات الله كوني عوذة من العيون للامام الكامل
فلما فرغ من انشاده وقد هز المجلس طربا ثم أخذ في شأنه، وتمادى
في ايراد سحر يانه، وما كنا نحسب أن متكلما في الدنيا يعطى من ملكة
النفوس والتلاعب بها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكمال
من يشاء من عباده لا إله غيره

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه
بالإضافة لما عهدناه من متكلمي الغرب، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة
شرفهما الله مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد فصغرت بالإضافة لمجالس
هذا الرجل القذ في نفوسنا قدرا، ولم نستطع لها ذكرا، وأين تقمان مما أريد،
وشتان بين اليزيديين، وهيمات الفتيان كثير، والمثل بمالك يسير،

ونزلنا بعده بمجالس يطيب سماعه، ويروق استطلاعه، وحضرنا له مجلسا
ثالثا يوم السبت الثالث عشر لصفري بالموضع المذكور بازاء داره على الشط
الشرقي فأخذت معجزاته البليانية مأخذها، فشاهدنا من أمره عجبا، صعد
بوعظه أنفاس الحاضرين سحبا، وأسأل من أدمعهم وأبلاسكيا، ثم جعل
يردد في آخر مجلسه آياتا من النسيب شوقا زهديا وطربا، الى أن غلبته
الرقعة فوثب من أعلى منبره وألها مكثبا، وغادر الكل متثما على نفسه
متعبا، لهفان ينادي يا حسرتا واحربا، والنادبون يدورون بنحيبهم دور
الرحى، وكل منهم يمد من سكرته ماعجا، فسبحان من خلقه عبرة لأولي
الالباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب، لا إله سواه.

الدكتور شبلي شميل

في اليوم الاول من هذه السنة الميلادية سنة (١٩١٧) اغتالت المنية الطبيب
النطاسي ، الحكيم الاجتماعي ، العالم الطبيعي ، الاديب الكاتب ، الناضم النائر ،
الدكتور شبلي شميل الشهير بتصانيفه ومقالاته العلمية والاجتماعية في المجلات والجرائد
العربية والفرنسية

كان شبلي قد نادر المثل في مجموعة علومه واعماله وأفكاره وأخلاقه والذي
يحملنا على ترجمته انه كان من طلاب الاصلاح المدني والتجديد الاجتماعي المخلصين
— وقليل ما هم — لامن الذين اتخذوا العلم ذريعة لجمع المال ولا وسيلة للجهاد كما هو
شأن السواد الاعظم من المتعلمين ، فهو لم يدخر مالا ولم يتأكل عقارا ، ولم يصرف
جل أوقاته للكسب ، بل كان اشتغاله بالامور الاجتماعية أكثر من اشتغاله بالطب ،
ومثل هذا يكون مؤثرا في أهل جيله تأثيرا نافعا أو ضارا لا كالذين يعدون من العلماء
بورقة شهادة يحملها كل منهم بيده ونرى أنه يعيش عمرا طويلا ثم يموت كما يموت
العصفور لا يترك أثرا في جيله ينسب اليه. لهذا نذكر عن هذا الرجل أهم ما نرى فيه
العبرة من ترجمته فنقول :

كان أول من نشر مذهب دارون باللغة العربية وانتصر له وناضل دونه اذ كان
رجال الدين ولا سيما الكاثوليك الذين نشأ شميل على مذهبهم يعدون هذا المذهب
من دعائم الكفر ، ولم يكتف الرجل بذلك بل كان يصرح قولا وكتابة بالتعطيل
والالحاد ، ولم يتجرا أحد قبله على ما تجرأ عليه من ذلك فيما نعلم مع كثرة الذين زاغت
عقائدهم من المتعلمين على الطريقة الاوربية الحديثة. ومن الغريب أن نرى المهاجرين
عن النصرانية وكتبها الدينية كاليسوعيين (الجزويت) لم يتصدوا للرد على الدكتور
شميل كدأ بهم في الرد على أمثاله من كتاب الشرق والغرب ، وقد كانت مجلاتهم
(المشرق) واقفة بالمرصاد للمقتطف والهلل وغيرهما من الصحف المنشورة كلها نشر
فيها شيء يخالف الدين أو المذهب الكاثوليكي ردوا عليه أشد الرد . فاذا كان
(المنار: ج ١٠) (٧٩) (المجلد التاسع عشر)

الجزويت لم يشنعوا على الدكتور شبلي شميل كما شنعوا على من لم يجهز بمثل ماجهر به فلا عجب اذا سكنت عنه من دونهم عصبية وعناية بهذا الامر ، وأكبر ما بلغنا من مقاومة بعض القسيسين له أنهم كانوا ينهون بعض الناس سرًا عن دعوته لمعالجة مرضاهم . وجهور المتعلمين على الطريقة العصرية من السوريين في مصر وسورية وأمريكا يحبون الدكتور شميل ويعدونه من دعاة الاصلاح الاجتماعي الخالصين ومنهم من ينلو فيه ، أما النصارى منهم — وهم الاكثرون — فلا يرون عدم تدينه ما نعا من اصلاحه الاجتماعي اذ لا علاقة للدين بذلك عندهم ، ولا شك في كون هذا من تساهلهم الذي قاربوا به الافرنج ، وأما المسلمون فلا يرون مروقته من عقيدته التي نشأ عليها مبعدا له عنهم لانها ليست عقيدتهم فهو في نظرهم طيب عالم اجتماعي غير مسلم ولكنه أقرب من غيره من المخالفين لهم الى التساهل والانصاف لحرية واستقلال فكره . وله أصدقاء من مسلمي مصر لعلمهم بزيادون على أصدقائه من مسلمي سورية الذين لا يعرفه أكثرهم الا بالسمع

وأما مذهب دارون فقد تكلم بعض علماء المسلمين فيه وفي مخالفته لظواهر النصوص في خلق آدم عليه السلام ، ولم يجعلوا ذلك ردا على الدكتور شميل لانه لم يكن صاحب المذهب ، وقد سبق أسياننا الى الرد على مذهب دارون وأول ما رأيناه في ذلك ما أبرزه لنا الاستاذ الامام في ترجمته لرسالة السيد الحكيم جمال الدين التي سماها الرد على الدهريين . ثم ما كتبه استاذي الذي فخرت على يديه الشيخ حسين الجسر في الرسالة الحميدية فهو قد تلخص هذا المذهب وبين أن دلائله في أصل البشر ظنية لم تصل الى درجة القطع ، وأنها لو ثبتت وصارت يقينية لا تكون حجة على الاسلام لا مكان تأويل ظواهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة في خلق آدم . وقد أقر أكابر علماء سورية شيخنا على تلك الرسالة وترجمت بالتركية فأقرها علماء الترك ، وكافأه السلطان عبد الحميد على خدمته للاسلام بها برتبة هلمية عالية وراتب شهري . ورغب اليه ان يكون من شيوخ قصره فاعتذر وعاد الى طرابلس الشام بعد ان أقام في قصر يلدز عدة شهورا ضيفا مكرما عند السلطان . وأما علماء الازهر فقد اطلع كثير منهم على الرسالة الحميدية وأهجب بها . ولكن لم

نسمع ان أحداً منهم كتب في موضوعها شيئاً
 بينا رأيي المسلمين الذين يعرفون الدكتور شبلي فيه وانهم كانوا يرونه أقرب إلى
 التساهل والانصاف، وبيان ذلك انه كان يقول انه لا يوجد دين اجتماعي يتفق مع
 مصالح البشر المدنية الا دين القرآن. سمعت هذا منه غير مرة. وأخبرني أنه طالما خطر
 في باله ان يجمع ما في القرآن من الآيات الواردة في المسائل الاجتماعية والادبية
 ويفسرها تفسيراً علمياً اجتماعياً. وأنه قد حاول هذا الجمع فصعب عليه تجريد ما أراد
 لما في القرآن من المزج بين هذه المسائل والمسائل الروحية الاخرية. وقال لي
 انك أقدر مني على تجريد ما أريد فلو فعلت لكان تفسيرى نافعا لك فيما تتوخاه
 من التوفيق بين الاسلام والعلم المصري والحضارة المصرية ومن نشر محاسن
 الاسلام بين الناس لان الوفا من الناس يقرؤون تفسيرى ولا يقرؤون تفسيرك
 وأما رأيي في نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهو انه كان يفضل على جميع البشر
 وقد كتب الي منذ تسع سنين كتاباً أودعه أياً من الشعر في ذلك : هذا نفسه :
 الى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار
 أنت تنظر الى محمد كنبي فتجمله عظيمًا وأنا أنظر اليه كرجل واجمله أعظم . ونحن
 وان كنا في الاعتقاد (الدين أو المبدأ الديني) على طرفي قبيض فالجامع بيننا العقل
 الواسع والاخلاص في القول وذلك أوثق بيننا امرى المودة .
 من صدقتك الدكتور شميل

(الحق أولى أن يقال)

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| دع من محمد في سدى قرآنه | ما قد نحماء للحمية الغايات |
| أني وإن ألك قد كفرت بدينه | هل أكفرن بمحكم الآيات |
| أوما حوت في ناصع الالفاظ من | حكم روادع للهوى وعظائم |
| وشرائع لو اتهم عقولوا بها | ما قيدوا العمران بالعادات |
| نعم المدير والمحكمين وأنه | رب الفصاحة مصطفى الكلمات |
| رجل الحجار جل السياسة والدها | بطل حليف النصر في الغارات |
| بلاغه القرآن قد خلط النهي | وبسيفه أنهى على الهامات |

من دونه الا بطلان في كل الوردى من سابق أو لاحق أو آت
وقد نشرنا هذا الكتاب والايات في (ج ١ م ١١) في معرض الرد على
الفرنس كايثاني في زعمه أن نجاح النبي (ص) كان في كفاءته من حيث هو سيامي
بمحتك أكثر من نجاحه من حيث هو نبوي، وإن حنكته وسياسته أفادا أكثر من افادة
القرآن. رددنا على صاحب هذا القول وعلى المؤيد الذي نقل كلامه وأقره وعلى
الدكتور شميل فيما زعمه من أن النبي (ص) أفضل من حيث كونه رجلا منه من
حيث كونه نبيا. وسألنا الله تعالى أن يهديه الى الباقي من مزايا كتابنا ورسولنا (ص)
وهو المهم الاعظم المتعلق بأمر الدين والآخرة الذي أشار اليه في البيت الاول وكفر
به في البيت الثاني، فقد صرح لنا بأن مراده بلحمة الغايات أمور الآخرة
ان الدكتور شبلي شميل قد اهتدى بالاطلاع على القرآن الحكيم الى ما فيه من
الحكم الروادع للهوى والشرائع الموافقة لاصول العبران حتى في هذا الزمان .
وبالاطلاع على سيرة النبي (ص) الى كونه قد فاق جميع أبطال البشر وعظماهم —
ويدخل فيهم عنده أكابر الانبياء عليهم السلام وكبار الساسة وقواد الحروب وأهل
الفصاحة والادب . فلو ان الدكتور تأمل فيما اهتدى اليه من هذين الامرين وكان
مؤمنا بالله تعالى لجزم بكونه نبيا مرسلا من عنده عز وجل ، لان ما امتاز به كتابه
وما امتاز به شخصه على جميع البشر من سابق أو لاحق أو آت إنما كان بعد ان
بلغ أربعين سنة في الامية بين أهل الشرك والجاهلية فهل يعقل أن يحدث هذه المزايا
العلمية العملية الادبية العمرانية الحربية السياسية الاجتماعية لرجل في سن الكهولة دفعة
واحدة ؟ كلا ان هذا لا يعقل أن يكون الا بوحى وتأيد من الله عز وجل . ولكن
كثيرا من الباحثين في مثل هذه المسألة يبحثون فيها من جهة واحدة منصرفين عن
سائر الجهات فلا يحيطون بسائر أطراف المسألة ، والصوارف عن أمثال هذه
المباحث كثيرة أظهرها كون انكار الاديان عندهم من القضايا المسلمات، وكنت أرى
ان للدكتور شبلي شميل مانعا قلما يشاركه فيه غيره في بلاده وهو عده الجرأة على التصريح
بالتعطيل مزية من المزايا العظيمة التي انفرد بها، وحب الامتياز من هوائن البشر الراسخة
فمن رأى نفسه قد انفردت بشيء منه قلما يفكر ويبحث في شيء من شأنه أن يذهب

بما انفرد به . على ان رجال الدين الذين على مذهب أسرته الذي نشأ عليه ثم ارتد عنه قد حكموا بأنه تاب من رذته وعاد قبل الموت الى دينه ومذهبه الاولين ولذلك جثثوه وصلوا عليه في كنيسهم ودفنوه في مقابرهم ، وجاهير الناس يرتابون في ذلك أو يجزمون بخلافه ويعدون هذا من غرائب تساهل الكاثوليك

كان الدكتور شبلي شميل من دعاة الاشتراكية وهو مستقل برأيه فيها غير مقلد لمثاقفة من طوائفها ، وكان ماديا في آرائه وأفكاره الا انه كان متحملا بكثير من الاخلاق الحسنة المحمودة التي يضاد بعضها ما تقتضيه الافكار المادية التي غلبت على عقله وخياله ، كالرأفة والسخاء والصدق والوفاء والنجدة والمروءة والشجاعة وغير ذلك . وان تحلي بعض المعطلين بالفضائل من أقوى الشبهات على الدين في هذا العصر ، فانا نسمع كثيرا من المرتابين أو الراسخين في الكفر يقولون أي حاجة للناس في الدين وانا نرى كثيرا من المصلين الصائمين منغمسين في المعاصي والذنوب ، بل نرى كثيرا من رؤساء الاديان الرسميين كذابين طماعين أدنياء بخلاء لا يرجي منهم معروف ، ونرى فلانا وفلاننا لادين لهم متحليين بالاخلاق الفاضلة والآداب العالية والسبق الى عمل المعروف وقد أجبت عن هذه الشبهة في المنار غير مرة واتخذت تأبين الدكتور فرصة لبيان ذلك للاجتهاد

في اليوم المتمم الاربعين من تاريخ وفاته أقام النادي السوري في القاهرة حفلة تأبين للدكتور الذي هو من نوابغ السوريين بلاخلاف أوجب الدعوة اليها مئات من أهل العلم والادب والوجاهة من سكان القاهرة على اختلاف مناهبهم ونحلهم فغص النادي بهم ، وافتتح الجلسة رئيسها احمد حشمت باشا بخطبة وجيزة أطرى فيها المؤيدين اطراء كبيرا . ثم دعي الدكتور يعطوب صروف الى الكلام في علم الدكتور شميل وهو أعلم الناس به وبعلمه فجاء من ذلك بخلاصة جهته فأوعت . ثم دعيت الى الكلام على أخلاقه فقلت ما خلاصته على ما أتذكر الآن :

« أشكر لادارة النادي السوري اختيارهم اباي للكلام في أخلاق الدكتور شبلي شميل فان الكلام في الاخلاق أحب الي لان أثرها في حياة الناس العملية أعظم من أثر العلم لان العلم يبين طرق العمل ، والاخلاق هي التي تبعث عليه وتنهدي

الى الغاية منه، فحسن الاخلاق هو الذي يجعل العلم نافعا وسوء الاخلاق قد يجعله ضارا، ولذلك شبه حكماؤنا علم فاسد الاخلاق بالسيف في يد المجنون، وانما نرى مبلغ تأثير ضرر العلم بسوء استعماله في الحرب الاوربية الحاضرة التي كان الموقف لغيرها بعض الاخلاق المذمومة من الطمع والكبر وحسب العلم واستعباد الاقوياء للضعفاء على ان العمل النافع لا يرتقي الا بالعلم، وما ساد بعض الامم على بعض الا بالعلم، (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وانما تظهر حقيقة المرء وتعرف ترجمته ببيان علمه وأخلاقه وأعماله، وقد أحسن النادي باختيار العلامة الدكتور صروف للكلام على علم الدكتور شميلي فهو أعلم منا بهذه العلوم ويمكن الرجل منها وقد جاء بفصل الخطاب في ذلك

كان الدكتور شميلي متحليا بعدة من الاخلاق الحميدة التي لا يرتقي العمران البشري الا بكثرة المتحليين بها في الامم كالصدق واستقلال الرأي والشجاعة والثبات والسخاء والوفاء والنجدة والمروءة والراقة، يعرف له ذلك كل من عرفه، وكل خلق من هذه الاخلاق له تأثير في أعمال الناس ومعاملاتهم ولا يمكن بيان ذلك بالتفصيل في وقت قصير محدود كوقتنا هذا وانما أشير الى بعض ذلك بالايجاز فأقول:

ان من أضر مفاصد الكذب طمس الحقائق وإبطال ثقة الناس ببعضهم ببعض فالكذاب لا يوثق بخبره ولا بعلمه ولا برأيه ولا يمكن أن يرتقي قوم فقدت الثقة من بينهم. ومن أكبر بواعث الكذب الجبن ولولا ما أوتي الدكتور شميلي من الجرأة والشجاعة لما أمكنه أن يكون صادقا يقول ما يعتقد وان كان مما ينكره عليه ويكرهه منه أهله وقومه والسواد الأعظم من أهل وطنه، والشاهد على هذا تصريحه قولاً وكتابة بالآراء التي تخالف عقائد هؤلاء الذين يعيش معهم، والمعروف أن الخوف من عاقبة قول الصدق، هو الذي يحمل الناس على الكذب، ولذلك يكن في عهد الاستبداد والظلم، ولكننا نرى كثيرا من كهراء الحكام ورؤساء الناس في بلاد كثيرة يكذبون على رعاياهم ومرءوسيههم، فلا يتجرأون على التصريح لهم بما لا يرضيهم، وان كان التصريح خيرا لهم، وهكذا يعيش كثير من أكابر الناس وأصاغرهم عيشة الكذب والغش والرياء والنفاق لجبنهم وضعف ملكة الاستقلال

فيهم ، ولم يكن شميل مرآيا ولا مناققا بل كان مستقلا شجاعا يقول ما يعتقد حقا وصوابا غير هباب ولا وجل

وكان على جرأته وشدة في آرائه رقيق القلب سخي النفس ، فكان اذا دعي الى معالجة فقير يخفف اليه مرتاحا ويعالجه بحنان وربما اشترى له اللبؤ ، وزاده عن الغداء ، على انه لم يكن ذا فضل من المال ، واننا نرى كثيرا من الاغنياء البخلاء ، يحتالون على أكل أموال الناس حتى الفقراء والادباء ، ونحن أصحاب الصحف قد جربنا جميع أصناف الناس فوجدنا في كل صنف منهم (حتى علماء الدين وكبار الحكام من قضاة وقبرهم) اناسا يعتمدون هضم الحق فيعدون جابي الحقيقة ويمطلون ، حتى تمر الشهور والسنون ، ولا يصدقون ولا يفون . فهل يمكن ان ترتقي أمة الا بزوال هؤلاء أوزوال النعمة من أيديهم ؟ ان السخي لا يمنع حق أحد ، لان من يعطي الناس من ماله ما ليس لهم ، لا يعقل ان يمسك عنهم ما هو لهم ، وفي مثل شائع بين كثير من المسلمين : ان الذي يزكي لا يسرق .

وهنا مسألة مهمة تخفى على كثير من الناس ، وهي ان أكثر مكارم الاخلاق لا تنطبع في النفس الا بالتربية الدينية ، وتكون عرضة للفساد بالتعطيل والافكار المادية ، فكيف انصف الدكتور شميل بتلك الاخلاق الحسنة مع كونه كان ماديا معطلا ؟ يحتاج بهذه الشبهة بعض الملاحدة على عدم الحاجة الى الدين قائلين اننا نرى فلانا وفلانا ممن مرقوا من الدين أفضل أخلاقا وآدابا من المتدينين الذين نرى من رؤسائهم وعلمائهم من فشا فيهم الكذب والطمع والدناءة والبخل والجبن والرياء والتناق ، والجواب عن هذه الشبهة ان فاسدي الاخلاق من المنسويين الى الدين لم يربوا تربية دينية صحيحة بل لم يكن لهم حظ من الدين الا الاسم أو تعود بعض العبادات من غير فهم لحكمها ولا قيام بحققها ، وان أولئك المعطلين الحسني الاخلاق قد تربوا تربية دينية تكونت بها أخلاقهم الفاضلة ثم طرأت عليهم فكرة التعطيل في الكبر فلم تطمس ما طبع في النفس من أخلاقهم ، فقد حدثني الدكتور شميل عن نفسه انه كان في نشأته الاولى مبالغا في التدين مواظبا على العبادة ، وان فكرة التعطيل ما طرأت عليه الا بعد سفره الى أوربة ، فقد لقي في فرنسا عالما ماديا قال له كلمة هدمت عقيدته الدينية

هدمها ، ولم يذكر لي تلك الكلمة . وأقول انها لم تهدم تأثير التربية الدينية في نفسه ، ولا ماورثه من أخلاق أهل بيته ، ولا صعب فقد ثبت في العلم الحديث ان لكل نوع من المفردات الفكرية والوجدانية مركزا خاصا في دماغ الانسان ، وما كل فكر يأخذه المرء بالتسليم يؤثر في أخلاقه وآدابه العملية بل لا بد في هذا التأثير من التربية العملية أو كونه عقيدة يحزم صاحبها اعتلا ووجدانا بأن العمل بمقتضاها سعادة ، وتركها شقاوة لا تعدلها شقاوة ، وفكرة الإلحاد ليست كذلك ، فهي قد كانت محصورة في مركز صغير من دماغ الدكتور شميل له صلة بلسانه ولا سلطان له على قلبه ، ولذلك كانت تظهر أحيانا في كلامه ولكنها لم تنزع من نفسه ما تربى عليه في بيته من الاخلاق الدينية كالصدق والرحمة والسخاء وغير ذلك »

ثم ذكرت في التآيين رأي الدكتور في الاسلام وفي نبينا عليه الصلاة والسلام وقرأت كتابه وأبياته في ذلك وقد تقدم ذكرها في هذه الترجمة

هذا ما أتذكره من كلامي في أخلاق الدكتور شميل لم أترك منه شيئا ولكنني زدت مسألة الشبهة الاخيرة إيضاحا لاتي رأيت بعض الناس لم يفهمها حتى قال لي بعضهم ان التآيين يقصد به المدح وأنت ذمت الرجل وجعلته مجنوناً ، وإنما أخذ جعلي إياه مجنوناً من قولي ان فكرة الكفر والالحاد قد طرأت على دماغه في الكبر ، وقد صبرت بكلمة المخ بدل الدماغ ففهم ذلك الرجل وغيره من ذلك ما فهموا ولمعطوا به ثم دعي الدكتور شميل الى الكلام في سيرة شميل الطبية فقرأ خطبة طويلة بالفرنسية بين فيها ذلك . ودهي محمد حافظ بك ابراهيم فأنشد قصيدة بليغة استعاد الجمهور كثيرا من أبياتها مرارا . ودعي أيضا كل من انطون جميل الاديبي المشهور وحسن افندي الشريف وهو شاب من أبيار وأميل افندي زيدان صاحب الهلال فألقى كل منهما خطبة فصيحة أطرى فيها الفقيدي إطرأ الشاب الممتلئ إعجابا بآرائه وأفكاره ونشاطه وهمة ، فدل ذلك على تأثير الرجل في أنفس النابتة الجديدة . ثم قام ابن أخيه رشيد بك شميل صاحب جريدة البصير فشكر للنادي السوري وللمؤننين عليهم ، وانقضت الحفلة

عمران بغداد في القرن الثالث

(وصف دار الخلافة فيها)

نشرنا في هذا الجزء آثاراً من تاريخ بغداد العلمي الديني في القرن السادس بعد تخريب التتار لمعراهم وننشر هنا آثاراً أخرى من تاريخ معراهم قبل ذلك سبق لنا نشره في (ص ٢٨٥ م ١٣) منقولاً عن تاريخ مدينة السلام للخطيب الحافظ قال

حدثني أبو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطئ دجلة تحت نهر معلّى قديماً للحسن بن سهل ويسمى القصر الحسيني فلما توفي صارت لبوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها فاستنظرته أياماً في تفريفها وتسليمها ثم رمنها وعمرتها وجصصتها ويصبتها وفرشتها بأجل الفرش وأحسنه وعلقت أصناف الستور على أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به ورتبت فيها من الخدم والجواري ما تدعو الحاجة إليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل المعتضد إلى الدار ووجد ما استكثره واستحسنه ، ثم استضاف المعتضد بالله إلى الدار مما جاورها كل ما وسعها به وكبرها وعمل عليها سورا جمعها به وحصنها وقام المكثفي بالله بعده ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تنهى في توسعته وتعليته ووافى المقتدر بالله فؤاد في ذلك وأوفى مما أنشأه واستحدثه وكان الميدان والنرياب وحجر الوحوش (بستانها) متصلاً بالدار ، كذا ذكر لي هلال بن المحسن أن بوران سلمت المعتضد الدار إلى المعتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تعيش إلى وقت المعتضد وذكر محمد ابن أحمد بن مهدي الاسكافي في تاريخه أنها ماتت في سنة إحدى وسبعين ومئتين وقد بلغت ثمانين سنة ويشبه أن تكون سلمت الدار إلى المعتضد على الله والله أعلم

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال حدثني أبو الفتح أحمد ابن علي بن هرون المنجم قال حدثني أبي قال قال أبو القاسم علي بن محمد الجوارري في بعض أيام المقتدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره : قد اشتملت الجريدة إلى هذا الوقت على أحد عشر ألف خادم خفي وكذا من صقلي ورومي وأسود وقال هذا جنس واحد مما تضمه الدار فدع الآن القلمان الحجرية وهم ألوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضاً حدثني أبو الفتح عن أبيه وعنه عن (المنار: ج ١٠) (٨٠) (المجلد التاسع عشر)

أيهما أبي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من الفراشين في دار المتوكّل على الله أربعة آلاف فراش ، قالاً فذهب علينا أن نسأله كم نوبة كانوا . حدثني هلال بن المحسن قال حدثني أبو نصر خواشادة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرماها وما يجاورها وياخها فكان ذلك مثل مدينة شيراز قال هلال وسمعت هذا القول من جماعة آخرين عارفين بخبرين

ولقد ورد رسول اصحاب الروم في أيام المقتدر بالله ففرشت الدار بالفراش الجميلة وزينت بالآلات الجميلة ورتب الحجاب وخلفاؤهم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجاسها ووقف الجند صفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين أيديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد أظهروا العدد الكثير والأسلحة المختلفة فكانوا من أعلى باب الشماسية الى قريب من دار الخلالنة ، وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالهزة الرائقة والسيوف والمناطق المحلاة وأسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامة النظارة ^(١) وقد كثرت كل دكان وغرفة مشرفة بديارهم كثيرة ، وفي دجلة الشذات والطيارات والذباب والزلالات والسمريات ^(٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة ، وسار الرسول ومن معه من المواكب الى أن وصلوا الى الدار ودخل الرسول فر به على دار نصر القشوري الحاجب ورأى ضففا كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخلت له هبة وروعة حتى قيل له انه الحاجب ، وحمل من بعد ذلك الى الدار التي كانت يرسم الوزير وفيها مجلس أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات يومئذ فرأى أكثر مما رآه (عند) نصر الحاجب ولم يشك انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير ، وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالاعمد والسيوف ، ثم استدعي بعد أن طلب به في الدار الى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانبيه فشهد من الامر ما هاله ثم انصرف الى دار قد أعدت له

حدثني الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة قال حدثني

أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين القاهر بالله قال حدثني جدتي أم أبي اسحاق بن المقتدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل إلى تكريت أمر أمير المؤمنين المقتدر بالله باحتباسه هناك شهرين ولما وصل إلى بغداد نزل دار صاعد ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المقتدر بالله من تزيين قصره وترتيب آتته ثم صف المسكر من دار صاعد إلى دار الخلافة وكانت عدد الجيش مئة وستين ألف فارس وراجل ، فسار الرسول بينهم إلى أن بلغ الدار ، ثم أدخل في أزج^(١) نحت الأرض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقتدر بالله وأدى رسالة صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من المسكر أحد البتة وأما فيها الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم اذ ذاك سبعة آلاف خادم منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جماعوا على سطوح الدار والعلالي وفطحت الخزائن والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن المرائس وقد علق الستور ونظم جوهر الخلافة في قلابات على درج غشيت بالديباج الأسود .

ولما دخل الرسول إلى دار الشجرة ورآها كثير تعجبه منها وكانت شجرة من الفضة وزنها خمس مئة ألف درهم عليها أطيار مصوغة من الفضة تسفر بمحركات قد جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبه من جميع ما شاهده . قال لي هلال بن الحسن ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه أنه نقله من خط القاضي أبي الحسين بن أم شيبان الهاشمي وذكر أبو الحسين أنه نقله من خط الأمير وأحسبه الأمير أبا محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله قال كان عدد ما علق في قصور أمير المؤمنين المقتدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطيور المذهبة الجليلة المصورة بالجامات والقبيلة والخليل والجمال والسباع والطيور والستور الكبار البهائية والأرمينية والواسطية والبهنسية السواذج والمنقوشة والديقية المطرزة مائة وثلاثين ألف ستر — منها الستور الديباج المذهبة المتقدم وصفها اثني عشر ألفاً وخمس مئة ستر — وعدد البسط والنخاخ^(٢) الجهرية والدرابجردية والديورية في الممرات والصحن التي

(١) بيت مستطيل أخضر من النلق (٢) السوابب الانخاخ وهو ضرب من البسط

وطي عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الجديد الى حفرة المقنن
 بالله سوى ما في المقاصير والمجالس من الانماط الطبري والديقي التي لحقها النظر دون
 الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة، وادخل رسل صاحب الروم من دهب باب العامة
 الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخيل وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام وكان
 فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهباً وفضة بغير
 أغشية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الدياج بالبراقع الطوال
 وكل فرس في يد شاكري بالبنة الجميلة ثم أدخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز
 المتصلة بحجر الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجت اليها من
 الحبر قطعان تقرب من الناس وتشممهم وتأكل من أيديهم. ثم أخرجوا الى دار فيها
 أربعة فيلة مزينة بالدياج والوشى على كل فيل ثمانية نفر من السند والزرايين بالنار
 فقال الرسل أمراء، ثم أخرجوا الى دار فيها مئة سبع : خمسون يمنة وخمسون يسرة
 كل سبع منها في يد سبع وفي رؤوسها وأعناقها السلاسل والحديد
 ثم أخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بستانين في وسطها بركة رصاص
 قلبي حوالها نهر رصاص قلبي أحسن من الفضة المجلوة ، طول البركة ثلاثون ذراعاً
 في عشرين ذراعاً ، فيها أربع طيارات لطاف بمجالس مذهبة مزينة بالديقي المطرز
 وأغشيتها ديقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بمادين فيه نخيل قبل ان عدده
 اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد لبس جميعها ساجاً منقوشاً من
 أصلها وإلى حد الجمارة بحلق من شبه مذهبة وجميع النخل حامل بغرائب البسر
 الذي أكثره خلال لم يتغير، وفي جوانب البستان اترج حامل ودستنبو ومقنن وغير ذلك
 ثم أخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة
 مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً لكل غصن منها ساحات كبيرة
 عليها الطيور والعصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة وأكثر قضبان الشجرة فضة
 وبعضها مذهب وهي تتأيل في أوقات ولها ورق مختلف الألوان يتحرك كما تحرك
 الريح ورق الشجر، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر وفي جانب الدار بركة البركة
 تتأيل خمسة عشر فارساً على خمسة عشر فارساً قد ألبسوا الدياج وغيره وفي أيديهم

مطارد على رماح يدورون على خط واحد في الناورد خبيا وتقريبا وفي الجانب الايسر مثل ذلك ،

ثم أدخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش والآلات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهايز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ثم أخرجوا منه الى ممرطوله ثلاث مئة ذراع قدعاق من جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة وقسي ، وقد أقيم نحو ألفي خادم بيضا وسودا صفيين يمنة ويسرة ثم أخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسميني وفيه العلمان الحجرية بالسلاح الكامل والبهزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي أيديهم الشروخ والطبرزينات والاعمدة. ثم مروا بمصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجنود والرجال وأصاغير القواد ودخلوا دار السلام. وكانت عدة كثير من الخدم الصقالية في سائر القصور يستقون الناس الماء المبرد بالشاي والاشربة والفقاع ومنهم من كان يطوف مع الرسل ولطول المشي بهم جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا وكان أبو عمر عدي بن أحمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء أسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى المقتدر بالله وهو جالس في التاج ممالي دجله بعد ان لبس بالثياب الديقية المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالديقي المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السبع معلقة ومن يسرته تسعة اخرى من انخر الجواهر واعظمها قيمة غالبية الضوء على ضوء النهار وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان يسرة. ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقتدر بالله فكفّر له (اي سجد) وقال الرسول لمؤنس الخادم ونصر القشوري وكانا بترجمان عن المقتدر لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقياته واسكنني فعلت ما لا يطالب رسولكم بمثله لان التكفير من رسم شريعتنا ، ووقفنا ساعة وكانا شابا وشيخا فالشاب الرسول المتقدم والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت ، وناول المقتدر بالله من يده جواب ملك الروم وكان ضحما كبيرا فتناوله وقبله إعظاما له واخرجا من باب الخاصة الى دجلة واقعدا وسائر اصحابهما في شذا من الشداوات الخاصة وصعدا الى حيث أنزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم وخلع على أبي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة اهـ

خاتمة السنة التاسعة عشرة للمنار

بحمد الله تعالى نختتم المجلد التاسع عشر جامعين حجمه وعدد أجزائه كما بينا في خاتمة المجلد الذي قبله لأن الورق قد قل وروده وزاد غلاء ثمنه حتى ان ما كنا نشتره قبل الحرب بمئة قد صار ثمن مثله أو بعائة أو خمسمائة

وقد جرينا في إصدار أجزاء هذا المجلد على ترتيب الشهور الذي اضطررنا اليه في العام الماضي حتى اننا بدأنا بطبع هذا الجزء في الشهر السادس من سنة ١٣٣٥ إذ كان هو الشهر العاشر لسنة المجلد التي كان بدؤها شهر شعبان سنة ١٣٣٤ ولكنا اضطررنا بعد طبع أكثره الى تأخير إصداره الى شعبان، وكان من أسباب ذلك وعكة عرضت لنا، وتلتها وثأة أصابت يدنا اليمنى، ومنها مرض عرض لمن يتوقف عليه العمل في المطبعة، وأقوى الأسباب اني لم أكن أكره مثل هذا التأخير في هذه السنين النحسات التي حجب فيها المنار عن قرائه في بلاد كثيرة فقلت الاستفادة منه وقل دخله من حيث كثرت نفقته ونفقتنا، لم أكن أكره هذا ولم أكن أتعمدته فلما عرضت الأسباب له لم أجتهد في مقاومة ما يمكن مقاومته منها، فاذا رحم الله تعالى البشر فحرف عنهم شر هذه الحرب عن قريب وعادت المياه الى مجاريها فلنا الرجاء بأن تتدارك ما فات بإصدار جزئين في كل شهر الى ان تعود سنة المنار الى ما كانت عليه من غير ان تنقص مجلداته عن عدد سنه القمرية واذا أراد الله ان يطول أجل الحرب فالارجح ان تعتمد تأخير بعض الاجزاء من المجلد العشرين الى ينتهي بانتهاء سنة ١٣٣٦ فيضيع بذلك مجلد من حساب السنين القمرية، ولا تلبث مجلدات المنار أن توافق عدد سنهها الشمسية، ونحن إنما نتقاضى اشتراك المنار عن المجلدات لا عن السنين فلا يضر المشتركين تأخر بعض الاجزاء. على ان بدء المجلد العشرين سيكون في التاريخ الذي بدء فيه المجلد التاسع عشر فلا تأخير جديد

هذا وان ما كنا قد ادخرناه من الورق لهذا المجلد قد اضطررنا الى استعمال بعضه لمطبوعات أخرى (كذكرى المولد النبوي) فلم يكن كافيا، وقد وقفنا لابتياح

طائفة أخرى من ورق خبر من ورقه لاجل المجاد العشرين تكفيه اذا صدر بحجم هذا المجاد فلا يخشى ان يتوقف صدوره من عدم الورق وان انقطع الوارد عن مصر انقطاعا تاما ، وليس هذا الانقطاع بعيد اذا اشتدت وطأة الحرب فقد علمنا من أخبار أوربة أن أعظم دول الصناعة تشكو من قلة الورق وقد نقصت صحفها من عدد أوراقها وقيل ان بعضها سيحتجب أو يبطل صدوره ، فما انقول في بلادنا التي تجلب كل الورق الذي تحتاج اليه من أوربة وقد تضاعف ثمنه هنالك وتضاعفت اجرة نقله ، وما كل ما ينقل يعمل بل تفرق الغواصات بعض السفن التي تحملها ، فمسي ان يكون علم المشتركين بهذه الاحوال باعثا لهم على أداء قيمة الاشتراك بلا مطال ولا تسويق واذكر المشتركين الكرام بشيء ربما يفعل الكثيرون عنه ، هو نفقة الحياة أو وكلاء التحصيل فان الذي كان يرضى بعشرين في المئة مما يجمعه أصبح لا يرضى بخمسة وعشرين ، وقد طاف بعض اخواننا في بعض البلاد طوفة للحصول على نفقتنا فبلغت نفقته أربعين في المئة مما جمعه ، ويا ليتهم جمع من كل مدينة أو قرية جميع ما يطلب من مشتركها واستغنى عن العودة اليها بقية العام . كلا ان بعضهم لوى وسوف يطلب النظرة مع الميسرة لا اليها ، فاذا كان أهل كل بلد لا يؤدون ما عليهم الا بعد أن يسافر اليهم الجاني مرارا يمثل تلك النفقة أو بما دونها قليلا فاذا بقي لصاحب الصحيفة في مقابلة سائر النفقات ثم ماذا يبقى له بعدها في مقابلة عمله لاجل نفقته ؟ فن تأمل هذا نهاء قلبه (ضميره) أن يسوف في أداء ما عليه ، وأن يلجئ الجاني الى تكرار العودة اليه ، وان كان قد اعتاد الأرجاء والتسويق

الانتقاد على المنار

لم يكتب البنا في هذه السنة انتقادا ما على شيء من مباحث المنار إلا ما كتبه بعض اخواننا من إخبارنا بكرامة كثير من الناس لما يكتب في المنار من الفلسفة السياسية (كذا كتب بعضهم) وقد كلمنا غير واحد من الاخوان في ذلك مشافهة وصرحوا بأن ما يكرهون من المنار هو طعنهم في الحكومة التركية الاتحادية هل هلاهما التي يصدق اخبارها السوءى بعضهم دون بعض ، وتأيدده للحركة العربية الحمجازية . وقد أجبت عن هذا الانتقاد بأنني كتبت في ذلك ما أعتقد انه حق

وان بيانه واجب علي لمآتي وأمتي وسيعلم من لا يكره أن يعلم انني كنت ناصحا مخلصا
وهي حق وصواب، وقد كنت كتبت لهذا الجزء مقالة تاريخية طويلة للمسألة العربية بينت
فيه اخلاص العرب للدولة الى ان اضطرتهم الحكومة الاتحادية الى ما اضطرتهم اليه من
مقاومة بهم، ضاق عنها هذا الجزء، وستنشر في الاول من المجلد العشرين ان شاء الله تعالى
وانتقد بعض الاخوان والمحبين شدة العبارة التي انتقدنا بها بعض الشبان الذين
ذهبوا الى الحجاز وأخلوا فيه بالواجبات وفأهوا بالمنكرات قائلين ان بعض الناس قد
أولوها بغير ما قصد بها من النصيح ثم علمنا ان ذلك التأويل كان في بلد نحن من
أشد الناس اخلاصا له وغيره عليه اذ عد الانتقاد طعنا في حكومة الحجاز نفسها .
واقترح علينا ان نصرح بفرضنا من ذلك النقد فنقول :

إننا لم نكن نظن انه يخطر ببال أحد يقرأ المنار أو يعرف مشربنا في الجملة اننا
نقصد بتلك العبارة غير النصيح لمن اعتادوا التهاون بأمور الدين ان يراهوا الفرق بين
البلاد المقدسة وغيرها وان لا يجعلوا أنفسهم حجة لاهل الحجاز — ولا لغيرهم —
على رجال النهضة الجديدة ومطالب الإصلاح للامة العربية فتبطل الثقة بهم ، وربما
يكون سببا لسوء الظن بالحكومة العربية الجديدة اذا انتظم أولئك المتقذرون فيها
على ان ما حكيناه عن بعضهم كان قبل تأسيس هذه الحكومة فليس في عبارة الانتقاد ذكر
لها ولا لكون المتقدمين انتظموا في سلك خدمتها وكلامنا صريح في هذا لا يكاد يتبادر الى
الذهن غيره ، وقد كنا نسدي مثل هذه النصيحة لمن نراه من أولئك الشبان قبل
مفرهم ولكن يتعذر رؤية كل من يسافر لهذا الغرض فتعين النصيح بالكتابة، ونحن العرب
أخرج الناس الى الوحدة والاتفاق ونبت الخلاف والشقاق والاجتهاد في جمل الحكومة
التي نجددت لنا في أحسن حال ممكنة، وهذا ما نقصده من نصيحنا والله يعلم حسن نيتنا
ونقل اليها ان بعض الناس استنبط من عبارة المنار في هذا الموضوع اننا نقول
بوجوب لباس الاحرام على كل من يسافر الى مكة ولو بقصد التجارة، وهذا من سوء
الفهم، ومعاذ الله أن نقول بذلك، وإنما يجب لباس الاحرام على من قصد الحج أو
العمرة دون غيره. ومن شأن المتقدمين أن يغتنم فرصة ذهابه الى الحرم فيحج أو يعتمر،
وأصل الله تعالى ان يوفق كلاً منا للتيام بما يجب عليه، والاخلاص فيه، والحمد لله أولاً وآخراً.